تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٦

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

الجزء السادس

فيه

تفسير سورة البقرة

من ٢٧٥ — ٢٨٦

وتفسير سورة آل عمران

من ١ — ٩٢

والآثار من ٦٢٣٥ — ٧٣٩٨

تفسير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله عالِمِ الغيبِ والشهادةِ الكبيرِ المتعال، وصلّى الله على محمدٍ النبيِّ الأُمّيِّ الذي يؤمن بالله وكلماته، بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وترك في الناسِ ما لَوْ تمسّكوا به لم يضلّوا بعده : كتابَ الله، مِنه آياتٌ مُحكماتٌ هُنَّ أم الكِتابِ وأُخر متشابهاتٌ، فأمّا الذين في قُلُوبهم زَيْغٌ فيتّبعُون ما تشابَهَ منه ابتغاء الفِتْنَةِ وابتغاء تأويله، وما يَعْلَمُ تأويلَهُ إلّا الله، والراسِخونَ في العلم يَقولون آمنّا بِهِ، كلٌّ من عند ربّنا وَمَا يذكَّرُ إلّا أُولُو الألبابِ.

اللهمَّ إنا نضرَعُ إليك ضراعةَ مَنْ برئ إليكَ من كلِّ حولٍ وقوّة، ونَستهديك في زمانٍ قد ضاعتْ فيهِ مَعَالِم الهُدَى، وطُمِستْ فِيه البيِّنات، وعُمِّي على الناسِ طَريقُهم في غَمْرة الضلالة، ونعقَتْ في جوانبه ألسنة الشياطين، وتعاوَتْ في نواحيه بالغواية، وتنادتْ في أرجائه بأشراط الفتن، وقامَ كلّ مبتدِع يدعُو بأعلى الصوتِ إلى بدعته، وعلَا سُلْطانُ الجبابرةِ فسلّطُوا الرهبةَ على قلوب المؤمنين، وبِذُنُوبهم سَلّطتَ عليهمْ شرارَهُم من كُلِّ متكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب، وبخطايَاهُم خذَلت علماءَهم أن يجهروا بالحقِّ في وجوه الطُّغاةِ، وبآثامِهم نسِي الذين استحفظُوا على كتاب ربّهم ما بلّغَهم رسولُك حيث قال : « إنَّ من أعظم الجهادِ كلمةُ عَدْلٍ عند سلطان جائرٍ ».

فاللهمَّ انزِعْ من صُدورِ البقيَّةِ رَهْبةَ الجبَّارِينَ ، وأنطِقْ ألسنةَ أهلِ الحقِّ بالحقِّ ، فهذا دينُك يكيدُ لَهُ كُلُّ فاجِرٍ جاحدٍ ، وهذا كتابُك يحتالُ للعبثِ به كُلُّ ضالٍّ زائغ ، وهذه أُمَّتك قد امتحنتَها بالبلاء بعد البلاء ، فاللهمّ احفظ دينَكَ وكتابك وأمّتَك ، ونجِّنَا من المصيرِ الذى انتهت إليهِ الأُمَمُ من قبلنَا ، إذ حلَّ عليهم غَضَبُك ، ولُعِنوا على لسان أنبيائك .

اللهُمَّ إنا نسألُك أنْ لا يكون زمانُنا هو الزمانَ الّذى أنذرَ به نبيُّك صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « سيخرجُ من أُمَّتى أقوامٌ تتجارَى بهم الأهواء كما يتجارَى الكَلَبُ بصاحبِه ، لا يبقى مِنْهُ عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلاّ دَخَلَه » ، فأيِّد أهلَ الإيمانِ بك وبكِتابك بالحقِّ ، وألزِمْهم كلمةَ التقْوَى ، واشدُدْ أزرَهُم بسلطانك الذى لا يُقْهر ، وكن لَهُمْ نَصيراً وظَهيراً حتى تكون كلمة الذين كفروا السُّفلَى ، وكَلِمةُ الله هى العُلْيَا .

اللهُمَّ اعصمنا حيث لا عاصِمَ إلاّ أنتَ ، وثبِّت أقدامنَا حيثُ تزِلُّ الأقدامُ ، واصْرِفْ قلوبَنا إلى طَاعتك ، ويسِّرنا لما فيه رضاكَ ، ربَّنَا لا تُزِغْ قلوبَنَا بعْد إذْ هديتَنا وهَبْ لنا مِنْ لَدُنْك رحمةً إنّك أنتَ الوَهَّابُ ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : الذين يُرْبون .

* * *

و « الإرباء » الزيادة على الشيء ، يقال منه : « أربى فلان على فلان » ، إذا زاد عليه، «يربى إرباءً» ، والزيادة هى « الربا » ، « وربا الشيء »، إذا زاد على ما كان عليه فعظم ، « فهو يَرْبو رَبْواً » . وإنما قيل للرابية [رابية]،[1] لزيادتها فى العظم والإشراف على ما استوى من الأرض مما حولها ، من قولهم : « ربا يربو » . ومن ذلك قيل : « فلان فى رَباوَة قومه » ،[2] يراد أنه فى رفعة وشرف منهم . فأصل « الربا » ، الإنافة والزيادة ، ثم يقال : « أربى فلان » أى أناف [ماله، حين] صيَّره زائداً .[3] وإنما قيل للمربى : « مُرْبٍ » ، لتضعيفه المال ، الذى كان له على غريمه حالاً ، أو لزيادته عليه فيه لسبب الأجل الذى يؤخره إليه فيزيده إلى أجله الذى كان له قبلَ حَلّ دينه عليه . ولذلك قال جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ [سورة آل عمران : ١٣١] .

* * *

---

(١) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها لسياق الكلام .

(٢) فى المطبوعة : « فى ربا قومه » ، وفى المخطوطة : « فى رباء قومه » ، ولا أظنهما صواباً، والصواب ما ذكر الزمخشرى فى الأساس : « وفلان فى رباوة قومه : فى أشرافهم . وهو : فى الروابى من قريش » ، فأثبت ما فى الأساس .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « أى أناف صيره زائداً » ، وهو كلام غير مستقيم ولا تام . والمخطوطة كما أسلفت مراراً ، قد عجل عليها ناسخها حتى أسقط منها كثيراً كما رأيت آنفاً . فزدت ما بين القوسين استظهاراً من معنى كلام أبى جعفر ، حتى يستقيم الكلام على وجه يرضى .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٣٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال ، فى الربا الذى نهى الله عنه : كانوا فى الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدَّين فيقول : لك كذا وكذا وتؤخِّر عنى ! فيؤخِّر عنه .

٦٢٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٢٣٧ — حدثنى بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنّ ربا أهل الجاهلية : يبيعُ الرجل البيع إلى أجل مسمًّى ، فإذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء ، زاده وأخَّر عنه .

* * *

قال أبو جعفر : فقال جل ثناؤه : الذين يُرْبون الربا الذى وصفنا صفته فى الدنيا = « لا يقومون » فى الآخرة من قبورهم = « إلا كما يقوم الذى يتخبّطه الشيطانُ من المس » ، يعنى بذلك : يتخبَّله الشيطان فى الدنيا ،[1] وهو الذى يخنقه فيصرعه[2] = « من المس » ، يعنى : من الجنون .

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٣٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) تخبله : أفسد عقله وأعضاءه .

(٢) فى المطبوعة : « وهو الذى يتخبطه فيصرعه » ، وهو لا شىء ، إنما استبهمت عليه حروف المخطوطة ، فبدل اللفظ إلى لفظ الآية نفسها ، وهو لا يعد تفسيراً عندئذ !! وفى المخطوطة : « سحىفه » غير منقوطة إلا نقطة على « الفاء » ، وآثرت قراءتها كذلك « يخنقه » ، لما سيأتى فى الأثر رقم : ٦٢٤٢ عن ابن عباس : « يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنوناً يخنق » ، وما جاء فى الأثر : ٦٢٤٧ . وهذا هو الصواب إن شاء الله ، لذلك ، ولأن من صفة الجنون وأعراضه أنه خناق يأخذ من يصيبه ، أعاذنا الله وإياك .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « الذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ » ، يوم القيامة ، في أكل الرّبا في الدنيا .

٦٢٣٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٨/٣

٦٢٤٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا ربيعة ابن كلثوم قال ، حدثني أبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « الذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » ، قال : ذلك حين يُبعث من قبره .[1]

٦٢٤١ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا ربيعة بن كلثوم قال ، حدثني أبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : يُقال يوم القيامة لآكل الرّبا : « خذْ سلاحك للحرب » ، وقرأ : « لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ » ، قال : ذلك حين يبعث من قبره .

٦٢٤٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ » . الآية ، قال : يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنوناً يُخنق.[2]

٦٢٤٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :

---

(١) الأثر : ٦٢٤٠ — « ربيعة بن كلثوم بن جبر البصرى » ، روى عن أبيه ، وبكر ابن عبد الله المزنى ، والحسن البصرى . وروى عنه القطان ، وعبد الصمد بن عبد الوارث ، ومسلم ابن إبراهيم ، وحجاج بن منهال . قال النسائى : « ليس به بأس » ، وقال فى الضعفاء : « ليس بالقوى » ؛ وقال أحمد وابن معين : « ثقة » . وأبوه : « كلثوم بن جبر » ، قال أحمد : « ثقة » ، وقال النسائى : « ليس بالقوى » . مات سنة : ١٣٠ .

(٢) انظر ما سلف فى ص : ٨ ، تعليق : ٢ .

« الذين يأكلون الربا لايقومون »، الآية، وتلك علامةُ أهل الرّبا يوم القيامة، بُعثوا وبهم خَبَلٌ من الشيطان.

٦٢٤٤ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا يقومون إلا كما يقومُ الذى يتخبطه الشيطان من المس » ، قال : هو التخبُّل الذى يتخبَّله الشيطان من الجنون .

٦٢٤٥ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ » ، قال: يبعثون يوم القيامة وبهم خَبَل من الشيطان . وهى فى بعض القراءة : ﴿ لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

٦٢٤٦ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » ، قال : من مات وهو يأكل الربا ، بعث يوم القيامة متخبِّطاً ، كالذى يتخبطه الشيطان من المسّ .

٦٢٤٧ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ» ، يعنى : من الجنون .

٦٢٤٨ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ » . قال : هذا مثلهم يومَ القيامة ، لا يقومون يوم القيامة مع الناس إلا كما يقوم الذى يُخنق من الناس ، كأنه خُنق ، كأنه مجنون[1] .

* * *

(١) فى المطبوعة : « إلا كما يقوم الذى يخنق مع الناس يوم القيامة » ، وهو كلام فاسد . وكذلك هو فى المخطوطة أيضاً مع ضرب الناسخ على كلام كتبه ، فدل على خلطه وسهوه . فحذفت من هذه الجملة « يوم القيامة » وجعلت « مع الناس » ، « من الناس» ، فصارت أقرب إلى المعنى والسياق ، وكأنه الصواب إن شاء الله .

قال أبو جعفر : ومعنى قوله : «يتخبطه الشيطان من المس» ، يتخبله من مسه إياه. يقال منه : «قد مُسّ الرجل وأُلِقَ ، فهو ممسوس ومألوق » ، كل ذلك إذا ألمّ به اللّمم فجُنّ . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠١] ، ومنه قول الأعشى :

وَتُصْبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى ، وكأَنَّمَا ... أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الجِنِّ أَوْلَقُ[1]

* * *

فإن قال لنا قائل : أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الرِّبا في تجارته ولم يأكله ، أيستحقّ هذا الوعيدَ من الله ؟

قيل : نعم ، وليس المقصود من الربا في هذه الآية الأكلُ ، إلا أنّ الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت ، كانت طُعمتهم ومأكلُهم من الربا ، فذكرهم بصفتهم ، معظّماً بذلك عليهم أمرَ الرِّبا ، ومقبِّحاً إليهم الحال التي هم عليها في مطاعمهم . وفي قوله جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) ديوانه : ١٤٧ ، وروايته «من غب السرى» ، ورواية اللسان (ألق) ، (ولق) ، وهو من قصيدته البارعة في المحرق. ويصف ناقته فيقول قبل البيت ، وفيها معنى جيد في صحبة الناقة :

وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ ... إِذَا خَبَّ آلٌ فَوْقَهُ يَتَرَقْرَقُ

هِيَ الصَّاحِبُ الأَدْنَى ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا ... مَجُوفٌ عِلَافِيٌّ وقِطْعٌ ونُمْرُقُ

وَتُصْبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى . . . .

«الخرق» : المفازة الواسعة تتخرق فيها الرياح . «وناقة جسرة» : طويلة شديدة جريئة على السير . و«خب» : جرى . و«الآل» : سراب أول النهار . «يترقرق» : يذهب ويجيء . وقوله : «هي الصاحب الأدنى» ، أي هي صاحبه الذي يألفه ولا يكاد يفارقه ، وينصره في الملمات . و«المجوف» : الضخم الجوف . و«العلاف» : هو أعظم الرجال أخرة ووسطاً ، منسوبة إلى رجل من الأزد يقال له «علاف» . و«القطع» : طنفسة تكون تحت الرحل على كتفي البعير . و«النمرق والنمرقة» : وسادة تكون فوق الرحل ، يفترشها الراكب ، مؤخرها أعظم من مقدمها ، ولها أربعة سيور تشد بآخرة الرحل وواسطته . و«غب السرى» : أي بعد سير الليل الطويل . و«الأولق» : الجنون . ووصفها بالجنون عند ذلك ، من نشاطها واجتماع قوتها ، لم يضعفها طول السرى .

اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩] الآية ، ما ينبئ عن صحة ما قلنا فى ذلك ، وأنّ التحريم من الله فى ذلك كان لكل معانى الرّبا ، وأنّ سواءٌ العملُ به وأكلُه وأخذُه وإعطاؤُه ،[1] كالذى تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله :

٦٢٤٩ — «لعن الله آكلَ الرّبا ومُؤْكِلَه، وكاتبَه وشاهدَيْه، إذا علموا به».[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بـ « ذلك » جل ثناؤه : ذلك الذى وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم ، كقيام الذى يتخبطه الشيطان من المسّ من الجنون . فقال تعالى ذكره: هذا الذى ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قُبْح حالهم ، ووَحشة قيامهم من قبورهم ، وسوء ما حلّ بهم ، من أجل أنهم كانوا فى الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون : « إنما البيع » الذى أحله الله لعباده = « مثلُ الرّبا » . وذلك أن الذين كانوا يأكلون الرّبا من أهل الجاهلية ، كان إذا حلّ مالُ

٦٩/٣

---

(١) ولكن أهل الفتنة فى زماننا ، يحاولون أن يهونوا على الناس أمر الربا، وقد عظمه الله وقبحه، وآذن العامل به بحرب من الله ورسوله ، فى الدنيا والآخرة . ومن أضل من يهون على الناس حرب ربه يوم يقوم الناس لرب العالمين . فاللهم اهدنا ولا تفتنا كما فتنت رجالا قبلنا ، وثبتنا على دينك الحق ، وأعذنا من شر أنفسنا فى هذه الأيام التى بقيت لنا، وهى الفانية وإن طالت، وصدق رسول الله بأبى هو وأمى إذ قال : « يأتى على الناس زمان يأكلون فيه الربا . قيل له : الناس كلهم ؟! قال: من لم يأكله ناله من غباره» . (سنن البيهقى ٥ : ٢٧٥)، فاللهم انفض عنا وعن قومنا غبار هذا العذاب الموبق .

(٢) الأثر : ٦٢٤٩ — رواه الطبرى بغير إسناد مختصراً ، وقد استوفى تخريجه ابن كثير فى تفسيره ١ : ٥٥٠ — ٥٥١ وساق طرقه مطولا . والسيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٦٧ ، من حديث عبد الله بن مسعود ونسبه لأحمد، وأبى يعلى ، وابن خزيمة ، وابن حبان . وانظر سنن البيهقى ٥ : ٢٧٥.

أحدهم على غريمه، يقول الغَريم لغريم الحق: «زدني في الأجل وأزيدك في مالك». فكان يقال لهما إذا فعلا ذلك : «هذا رباً لا يحل». فإذا قيل لهما ذلك قالا : «سواء علينا زدنا في أول البيع، أو عند مَحِلّ المال»! فكذّبهم الله في قيلهم فقال : «وأحلّ الله البيع».

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٢٧٥)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه : وأحلّ الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع [١] = «وحرّم الربا»، يعني الزيادةَ التي يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل، وتأخيره دَيْنه عليه. يقول عز وجل: فليست الزيادتان اللتان إحداهما من وَجه البيع، [٢] والأخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل، سواء. وذلك أنّي حرّمت إحدى الزيادتين = وهي التي من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل = وأحللتُ الأخرى منهما، وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي ابتاع به البائع سلعته التي يبيعها، فيستفضلُ فَضْلها. فقال الله عز وجل: ليست الزيادة من وجه البيع نظيرَ الزيادة من وجه الربا، لأنّي أحللت البيع وحرّمت الرّبا، والأمر أمري والخلق خلقي، أقضي فيهم ما أشاء، وأستعبدهم بما أريد، ليس لأحد منهم أن يعترض في حكمي، ولا أن يخالف أمري، وإنما عليهم طاعتي والتسليمُ لحكمي.

* * *

(١) انظر معنى «البيع» فيما سلف ٢ : ٣٤٢، ٣٤٣.

(٢) في المطبوعة : «وليست الزيادتان»، والصواب ما في المخطوطة.

ثم قال جل ثناؤه: «فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى»، يعني بـ «الموعظة»: التذكير، والتخويفَ الذى ذكَّرهم وخوّفهم به فى آى القرآن،[1] وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب. يقول جل ثناؤه: فمن جاءه ذلك، «فانتهى» عن أكل الربا وارتدع عن العمل به وانزجر عنه[2] = «فله ما سلف»، يعنى: ما أكل وأخذ فمَضَى، قبل مجىء الموعظة والتحريم من ربه فى ذلك = «وأمرُه إلى الله»، يعنى: وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم، وبعد انتهاء آكله عن أكله، إلى الله فى عصمته وتوفيقه، إن شاء عصمه عن أكله وثبَّته فى انتهائه عنه، وإن شاء خذَله عن ذلك = «ومن عاد»، يقول: ومن عاد لأكل الربا بعد التحريم، وقال ما كان يقوله قبل مجىء الموعظة مَن الله بالتحريم، من قوله: «إنما البيع مثل الربا» = «فأولئك أصْحاب النار هم فيها خالدون»، يعنى: ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار، يعنى نار جهنم، فيها خالدون.[3]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

٦٢٥٠ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدىّ: «فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله»، أما «الموعظة» فالقرآن، وأما «ما سلفَ»، فله ما أكل من الربا.

* * *

(١) انظر تفسير: «موعظة» فيما سلف ٢: ١٨٠، ١٨١.

(٢) انظر تفسير: «انتهى» فيما سلف ٣: ٥٦٩.

(٣) انظر تفسير: «أصحاب النار» و «خالدون» فيما سلف ٢: ٢٨٦، ٢٨٧/٤: ٣١٦، ٣١٧/٥: ٤٢٩.

القول فى تأويل قوله ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٦)

قال أبو جعفر : يعنى عز وجل بقوله : « يمحق الله الربا » ، ينقُصُ اللهُ الرِّبا فيذْهبه ، كما : —

٦٢٥١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « يمحق الله الربا » ، قال : يَنقص .

* * *

وهذا نظير الخبر الذى روى عن عبد الله بن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٦٢٥٢ — « الرِّبا وإن كثُر فإلى قُلّ ». (١)

* * *

وأما قوله : « ويُرْبى الصدَّقات » ، فإنه جل ثناؤه يعنى أنه يُضاعف أجرَها ، يَرُبُّها وينمِّيها له . (٢)

* * *

وقد بينا معنى « الرِّبا » قبلُ « والإرباء » ، وما أصله ، بما فيه الكفاية من إعادته . (٣)

* * *

(١) ٦٢٥٢ — أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٧ من طريق إسرائيل ، عن الركين بن الربيع ، عن أبيه الربيع بن عميلة ، عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الربا وإن كثر ، فإن عاقبته تصير إلى قل » ، وكذلك ذكره ابن كثير من المسند من طريق شريك عن الركين بن الربيع ، بلفظه . ثم ساق ما رواه ابن ماجه . غير أن ابن كثير (٢ : ٦١) نقل لفظ الطبرى ، وساق الخبر كنصه فى الحديث ، لا كما جاء فى المطبوعة والمخطوطة . وانظر الدر المنثور ١ : ٣٦٥ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « يضاعف أجرها لربها » ، كأنه يريد لصاحبها ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت . رب المعروف والصنيعة والنعمة وغيرها — يربها رباً وربيها (كلها بالتشديد) : تماها وزادها وأتمها ، وجملة « يربها وينميها له » تفسير لقوله : « يضاعف أجرها » . وانظر الأثر الآتى رقم : ٦٢٥٣ .

(٣) انظر ما سلف قريباً ص : ٧ .

فإن قال لنا قائل : وكيف إرباء الله الصدقات ؟

قيل : إضعافه الأجرَ لربِّها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦١] ، وكما قال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥]، وكما :—

٦٢٥٣ — حدثنا أبوكريب قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن القاسم : أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ الله عز وجل يقبلُ الصّدقة ويأخذها بيمينه فيربِّيها لأحدكم كما يربِّي أحدُكم مُهْرَه ، حتى إن اللقمة لتصير مثل أُحُد ، وتصديقُ ذلك فى كتاب الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٤] ، و « يمحق الله الرِّبا ويُربِّي الصّدَقات ».(١) ٧٠/٣

---

(١) الحديث : ٦٢٥٣ — عباد بن منصور الناجى البصرى القاضى : ثقة، من تكلم فيه تكلم بغير حجة . وقد حققنا توثيقه فى شرح المسند : ٢١٣١ ، ٣٣١٦ ، وبينا خطأ من جرحه بغير حق .

القاسم : هو ابن محمد بن أبى بكر الصديق ، التابعى الثقة الفقيه الإمام .

والحديث سيأتى فى تفسير سورة التوبة (ج ١١ ص ١٥ بولاق) ، عن أبى كريب ، بهذا الإسناد ولكن سقط منه هناك « حدثنا وكيع » . وهو خطأ ظاهر .

ورواه أحمد فى المسند : ١٠٠٩٠ (٢ : ٤٧١ حلبى) ، عن وكيع ، وعن إسمعيل — وهو ابن علية — كلاهما عن عباد بن منصور . بهذا الإسناد . وساقه على لفظ وكيع ، كرواية الطبرى هنا .

ولكن وقع فى المسند خطأ غريب فى تلاوة الآية الأولى ، ففيه : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » . والآية المتلوة فى الحديث هى التى فى رواية الطبرى هنا : (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) ، وهى الآية : ١٠٤ من سورة التوبة . وأما الأخرى فالآية : ٢٥ من سورة الشورى ، وتلاوتها : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) وليست تكون موضع الاستشهاد فى هذا الحديث .

وهذا الخطأ قديم فى نسخ المسند ، من الناسخين القدماء ، بدلالة أنه ثبت هذا الخطأ أيضاً فى نقل الحافظ ابن كثير هذا الحديث عن المسند ، فى جامع المسانيد والسنن ٧ : ٣٢٠ (مخطوط مصور) .

بل ظهر لى بعد ذلك أن الخطأ أقدم من هذا . لعله من وكيع ، أو من عباد بن منصور . لأن الترمذى روى الحديث ٢ : ٢٣ ، عن أبى كريب — شيخ الطبرى هنا — عن وكيع ، به . وثبتت فيه تلاوة الآية على الخطأ ، كرواية أحمد عن وكيع . ونقل شارحه المباركفورى عن الحافظ العراقى أنه قال : « فى

٦٢٥٤ — حدثني سليمان بن عمر بن خالد الأقطع قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة = ولا أراه إلا قد رفعه = قال : إن الله عز وجل يقبَلُ الصدقة ، ولا يقبلُ إلاَّ الطيب.[1]

هذا تخليط من بعض الرواة . والصواب : (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة) — الآية . وقد رويناه في كتاب الزكاة ليوسف القاضي ، على الصواب » .

بل إن الحافظ المنذري غفل عن هذا الخطأ أيضاً . فذكر الحديث في الترغيب والترهيب ٢ : ١٩ ، عن رواية الترمذي ، وذكر الآية كرواية المسند والترمذي — مخالفة للتلاوة .

فإذ كان ذلك كذلك ، فأنا أرجح أن أبا جعفر الطبري رحمه الله سمعه من أبي كريب عن وكيع ، كرواية الترمذي عن أبي كريب ، وكرواية أحمد عن وكيع ، فلم يستجز أن يذكر الآية على الخطأ في التلاوة ، فذكرها على الصواب . وقد أصاب في ذلك وأجاد وأحسن .

وقال الترمذي — بعد روايته : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم — نحو هذا » .

ورواية عائشة ستأتي : ٦٢٥٥ .

وذكره ابن كثير في التفسير ٢ : ٦٢ ، من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره ، عن عمرو بن عبد الله الأودي ، عن وكيع ، بهذا الإسناد ، لكنه لم يذكر الآية الأولى التي وقع فيها الخطأ .

وذكره السيوطي ١ : ٣٦٥ ، وزاد نسبته للشافعي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن خزيمة ، وابن المنذر ، والدارقطني في الصفات .

ورواه أحمد أيضاً : ٩٢٣٤ ، عن خلف بن الوليد ، عن المبارك ، وهو ابن فضالة ، عن عبد الواحد ابن صبرة ، وعباد بن منصور ، عن القاسم ، عن أبي هريرة — فذكره بنحوه ، مختصراً ، ولم يذكر فيه الآيتين .

وأشار ابن كثير ٢ : ٦٢ ، إلى رواية المسند هذه ، ولكن وقع فيه تخليط من الناسخين .

والحديث سيأتي نحو معناه ، مطولا ومختصراً ، عن أبي هريرة : ٦٢٥٤ ، ٦٢٥٦ ، ٦٢٥٧ . وعن عائشة : ٦٢٥٥ .

وسنشير إلى بقية تخريجه في آخرها : ٦٢٥٧ .

(١) الحديث : ٦٢٥٤ — سليمان بن عمر بن خالد الأقطع ، القرشي العامري الرقي : ترجمه ابن أبي حاتم ٢/١/١٣١ ، وذكر أن أباه كتب عنه . ولم يذكر فيه جرحاً .

ابن المبارك : هو عبد الله . وسفيان : هو الثوري .

والحديث مختصر ما قبله . والشك في رفعه — هنا — لا يضر ، فقد صح الحديث مرفوعاً بالإسناد السابق والأسانيد الأخر .

وسيأتي الحديث أيضاً ، بهذا الإسناد (ج ١١ ص ١٥ بولاق) ، ولم يذكر لفظه ، بل ذكر أوله ، ثم قال : « ثم ذكر نحوه » . إحالة على الحديث السابق . فكأنه رواه هناك مطولا ، ولكن دون ذكر سياقه كاملا .

٦٢٥٥ — حدثني محمد بن عُمر بن علي المقدَّمي قال، حدثنا ريحان بن سعيد قال ، حدثنا عباد ، عن القاسم ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ، ولا يقبل منها إلاَّ الطيب، ويربّيها لصاحبها كما يربِّي أحدُكم مُهره أو فَصيله، حتى إنَّ اللقمة لتصيرُ مثل أحُد، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: « يمحق الله الرِّبا ويُرْبي الصدقات » .(١)

وأشار ابن كثير ، في تفسير سورة التوبة ٤ : ٢٣٥ — إلى هذه الرواية والتي قبلها، جعلهما حديثاً واحداً ، عن الثوري ووكيع ، عن عباد بن منصور ، به . ولكنه لم يذكر تخريجه .

(١) الحديث : ٦٢٥٥ — محمد بن عمر بن علي بن عطاء بن مقدم ، المقدمي البصري : ثقة ، مترجم في التهذيب، والكبير ١/١/١٧٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢١ . ووقع في المطبوعة هنا غلط في اسم أبيه : « عمرو » بدل « عمر » . وسيأتي بتخليط أشد في المطبوعة : ٦٨٠٩ ، هكذا : « محمد ابن عمرو وابن علي عن عطاء المقدمي » ! !

و « المقدمي » : بتشديد الدال المهملة المفتوحة ، نسبة إلى جده الأعلى « مقدم » .

ريحان بن سعيد الناجي البصري : من شيوخ أحمد وإسحق . وقال يحيى بن معين : « ما أرى به بأساً » . وتكلم فيه بعضهم ، ولكن البخاري ترجمه في الكبير ٢/١/٣٠١ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وكان إمام مسجد عباد بن منصور ، كما في الكبير ، وابن أبي حاتم ١/٢/٥١٧ . وتكلم فيه ابن حبان والعجلي باستنكار بعض ما روى عن عباد . ولعله كان أعرف به إذ كان إمام مسجده .

وأيا ما كان ، فإنه لم ينفرد عن عباد بهذه الرواية ، كما سيظهر من التخريج .

فرواه أحمد في المسند ٦ : ٢٥١ (حلبي) ، عن عبد الصمد ، عن حماد ، عن ثابت ، عن القاسم ابن محمد ، عن عائشة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله ، حتى يكون مثل أحد » .

وهذا إسناد صحيح . ولكن الحديث مختصر .

وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه ٥ : ٢٣٤ — ٢٣٥ (من مخطوطة الإحسان) . من طريق عبد الصمد ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن القاسم .

ورواه البزار مطولا ، من طريق يحيى بن سعيد ، عن عمرة ، عن عائشة — ومن طريق الضحاك بن عثمان ، عن أبي هريرة ، بنحو رواية الطبري هنا ، إلا أنه لم يذكر الآية في آخره . نقله ابن كثير ٢ : ٦٢ — ٦٣ .

ولكن رواية الضحاك بن عثمان عن أبي هريرة منقطعة ، لأنه إنما يروى عن التابعين .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ : ١١١ مختصراً كرواية المسند ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح » . ثم ذكره مطولا ٣ : ١١٢ ، وقال : « رواه البزار ، ورجاله ثقات » . ولكنه ذكره من حديث عائشة وحدها .

وذكر السيوطي ١ : ٣٦٥ لفظ الطبري هنا . ثم تساهل في نسبته ، فنسبه للبزار ، وابن جرير ، وابن حبان ، والطبراني .

٦٢٥٦ — حدثني محمد بن عبد الملك قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ العبد إذا تصدق من طيّب تقبلها الله منه ، ويأخذها بيمينه ، ويربّيها كما يربّي أحدكم مهرَه أو فصيله ، وإنّ الرجل ليتصدّق باللقمة فتربو في يد الله = أو قال : في كفّ الله عز وجلّ = حتى تكون مثلَ أحُد ، فتصدّقوا .(١)

٦٢٥٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ،

---

(١) الحديث : ٦٢٥٦ — «محمد بن عبد الملك» : الراجح عندي أنه «محمد بن عبد الملك بن زنجويه البغدادي» ، فإنه يروي عن عبد الرزاق ، وهو من طبقة شيوخ الطبري ، وإن لم أجد نصاً يدل على روايته عنه . ولكنه بغدادي مثله . فمن المحتمل جداً أن يروي عنه ، بل هو هو الأغلب الأكثر في مثل هذه الحال . وهو ثقة ، وثقه النسائي وغيره . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤/١/٥ . وتاريخ بغداد ٢ : ٣٤٥ — ٣٤٦ .

ومن شيوخ الطبري الذين روى عنهم في التاريخ : «محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب» ، وهو ثقة أيضاً ، ولكن لم يذكر عنه أنه روى عن عبد الرزاق ، والغالب أن ينص على مثل هذا . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤/١/٥ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٤٤ — ٣٤٥ .

وقد انفرد ابن كثير بشيء لا أدري ما هو ؟ فحين ذكر هذا الحديث ٢ : ٦٢ ، ذكر أنه «رواه ابن جرير ، عن محمد بن عبد الملك بن إسحق» ! ! ولم أجد في الرواة من يسمى بهذا . فلا أدري أهو سهو منه ، أم تخليط من الناسخين ؟

والحديث رواه أحمد في المسند : ٧٦٢٢ ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد .

ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ، في كتاب التوحيد ، ص : ٤٤ ، عن محمد بن رافع ، وعبد الرحمن ابن بشر بن الحكم — كلاهما عن عبد الرزاق ، به .

وذكر المنذري في الترغيب والترهيب ٢ : ١٩ ، أنه رواه ابن خزيمة في صحيحه أيضاً .

ونقله ابن كثير عن هذا الموضع من الطبري — كما أشرنا ، ثم قال : «وهكذا رواه أحمد عن عبد الرزاق . وهذا طريق غريب صحيح الإسناد ، ولكن لفظه عجيب . والمحفوظ ما تقدم» ! يعني رواية عباد بن منصور .

ولسنا نرى في هذا اللفظ عجباً ، ولا في الإسناد غرابة ! وهو صحيح على شرط الشيخين .

ثم إن عبد الرزاق لم ينفرد به عن معمر ، فقد تابعه عليه محمد بن ثور . فرواه الطبري — فيما سيأتي (ج ١١ ص ١٥ — ١٦ بولاق) ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور ، عن معمر ، به . نحوه . وهذا إسناد صحيح أيضاً . فإن محمد بن ثور الصنعاني العابد : ثقة ، وثقه ابن معين ، وأبو حاتم ، بل فضله أبو زرعة على عبد الرزاق .

سمعت يونس ، عن صاحب له ، عن القاسم بن محمد قال ، قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقبل الصدقة بيمينه ، ولا يقبل منها إلا ما كان طيِّباً ، والله يربِّي لأحدكم لقمته كما يربِّي أحدكم مُهره وفصيله ، حتى يوافَى بها يوم القيامة وهى أعظم من أحُد .(١)

* * *

(١) الحديث : ٦٢٥٧ – وهذا إسناد فيه راوٍ مبهم ، هو الذى روى عنه يونس . ومن المحتمل جداً أن يكون هو أيوب . ولكن لا يزال الإسناد ضعيفاً حتى نجد الدلالة على هذا المبهم .

وأما الحديث فى ذاته فصحيح بالأسانيد السابقة وغيرها .

وأصل المعنى ثابت من حديث أبى هريرة ، من أوجه كثيرة :

فرواه البخارى ٣ : ٢٢٠ – ٢٢٣ ، و ١٣ : ٣٥٢ ومسلم ، ١ : ٢٧٧ – ٢٧٨ ، والترمذى ٢ : ٢٢ – ٢٣ ، والنسائى ١ : ٣٤٩ ، وابن ماجة : ١٨٤٢ ، وابن حبان فى صحيحه ٥ : ٢٣٤ – ٢٣٧ (من مخطوطة الإحسان) ، وابن خزيمة فى كتاب التوحيد . ص : ٤١ – ٤٤ .

ورواه أحمد فى المسند – غير ما أشرنا إليه سابقاً – : ٨٣٦٣ (٢ : ٣٣١ حلبى) ، ٨٩٤٨ ، ٨٩٤٩ (ص : ٣٨١ – ٣٨٢) ، ٩٢٣٤ (ص ٤٠٤) ، ٩٤١٣ (ص : ٤١٨) ، ٩٤٢٣ (ص : ٤١٩) ، ٩٥٦١ (ص : ٤٣١) ، ١٠٩٥٨ (ص : ٥٣٨) ، ١٠٩٩٢ (ص : ٥٤١) .

ورواه البخارى فى الكبير ، بالإشارة الموجزة كعادته ٢/١/٤٧٦ .

وقد جاء فى ألفاظ هذا الحديث : «فى يد الله» ، و «فى كف الله» و «كف الرحمن» ، ونحو هذه الألفاظ . فقال الترمذى ٢ : ٢٣ – ٢٤ .

«وقال غير واحد من أهل العلم ، فى هذا الحديث ، وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ، ونزول الربّ تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا – قالوا : قد ثبتت الروايات فى هذا ، ونؤمن بها . ولا يُتَوهَّم ، ولا يقال : كيف ؟ هكذا رُوى عن مالك ابن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن المبارك ، أنهم قالوا فى هذه الأحاديث : أمِرُّوها بلا كيفَ . وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة . وأما الجَهْمِيَّة ، فأنكرتْ هذه الروايات ، وقالوا : هذا تشبيه ! وقد ذكر الله تبارك وتعالى فى غير موضع من كتابه – : اليد ، والسمع ، والبصر . فتأولت الجهمية هذه الآيات ، وفسَّروها على غير ما فسَّر أهلُ العلم ! وقالوا : إن الله لم يخلق آدم بيده ! وقالوا : إنما معنى اليد القوة ! ! وقال إسحق بن إبراهيم : إنما يكون التشبيه إذا قال يد كَيَدٍ ، أو مِثْل يَدٍ ، أو سمع كَسَمْعٍ ، أو مثلَ سمعٍ . فإذا قال سمع كسمعٍ أو مثل سمع –

قال أبو جعفر : وأما قوله : « والله لا يحبّ كل كفار أثيم » ، فإنه يعني به : والله لا يحب كل مُصرٍّ على كفر بربه مقيم عليه ، مستحِلّ أكل الربا وإطعامه — « أثيم » ، متمادٍ في الإثم ، فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه ، لا ينزجر عن ذلك ولا يرعوى عنه ، ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٧٧)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز وجل بأنّ الذين آمنوا = يعني الذين صَدّقوا بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عند ربهم ، من تحريم الربا وأكله ، وغير ذلك من سائر شرائع دينه = « وعملوا الصالحات » التي أمرهم الله عز وجل بها ، والتي نَدَبهم إليها = « وأقاموا الصلاة » المفروضة بحدودها ، وأدّوها بسُنَنها = « وآتوا الزكاة » المفروضة عليهم في أموالهم ، بعد الذي سلف منهم من أكل الرّبا قبل مجيء الموعظة فيه من عند ربهم = « لهم أجرهم » ، يعني ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصَدَقتهم = « عند ربهم » يوم حاجتهم إليه في معادهم = « ولا خوف عليهم » يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم في جاهليتهم ، وكفرهم قبل مجيئهم موعظة ربهم ، من أكل ما كانوا أكلوا من الربا ، بما كان من إنابتهم وتوبتهم إلى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم ،

فهذا تشبيه . وأما إذا قال كما قال الله : يد ، وسمع ، وبصر . ولا يقول : كيف ، ولا يقول : مثل سمع ولا كسمع — فهذا لا يكون تشبيهاً . وهو كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ليس كَمِثْلِهِ شيءٌ ، وهو السّميعُ البَصير ﴾ » .

وتصديقهم بوعد الله ووعيده = « ولا هم يحزنون » على تركهم ما كانوا تركوا فى الدنيا من أكل الربا والعمل به ، إذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى ، وهم على تركهم ما تركوا من ذلك فى الدنيا ابتغاءَ رضوانه فى الآخرة ، فوصلوا إلى ما وُعدوا على تركه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : « يا أيها الذين آمنوا » ، صدّقوا بالله وبرسوله = « اتقوا الله » ، يقول : خافوا الله على أنفسكم ، فاتقوه بطاعته فيما أمركم به ، والانتهاء عما نهاكم عنه = « وذَرُوا » ، يعنى : ودعوا = « ما بقى من الربا » ، يقول : اتركوا طلب ما بقى لكم من فَضْل على رؤوس أموالكم التى كانت لكم قبل أن تُربوا عليها = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم محققين إيمانكم قولا وتصديقكم بألسنتكم ، بأفعالكم[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم أسلموا ولهم على قوم أموالٌ من رباً كانوا أرْبوه عليهم ، فكانوا قد قبضوا بعضَه منهم ، وبقى بعضٌ ، فعفا الله جل ثناؤه لهم عما كانوا قد قبضوه قبل نُزول هذه الآية ، [2] وحرّم عليهم اقتضاءَ ما بقى منه .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٥٨ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا » إلى « ولا تظلمون » ، قال : نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب ورجلٍ من بنى المغيرة ، كانا

٧١/٣

(١) قوله : « بأفعالكم » متعلق بقوله : « محققين . . . » ، أى محققين ذلك بأفعالكم .

(٢) فى المخطوطة : « عما كان قد اقتضوه . . . » ، وهو فاسد ، والصواب ما فى المطبوعة .

شريكين فى الجاهلية، يُسلِفان فى الرِّبا إلى أناس من ثقيف ، من بنى عمرو =[1] وهم بنو عمرو بن عمير . فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا ، فأنزل الله : « ذروا ما بقى » من فضل كان فى الجاهلية = « من الربا » .

٦٢٥٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الرِّبا إن كنتم مؤمنين » ، قال : كانت ثقيف قد صالحت النبيَّ صلى الله عليه وسلم على أنَّ مالهم من رباً على الناس وما كان للناس عليهم من رباً ، فهو موضوع . فلما كان الفتحُ ، استعمل عتَّاب بن أسيد على مكةَ ، وكانت بنو عمرو بن عُمير بن عوف يأخذون الرِّبا من بنى المغيرة ، وكانت بنو المغيرة يُرْبون لهم فى الجاهلية ، فجاء الإسلام ولهم عليهم مال كثير . فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم ، فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم فى الإسلام، ورفعوا ذلك إلى عتَّاب بن أسيد. فكتب عتَّاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الرِّبا إن كنتم مؤمنين • فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرْب من الله ورسوله » ، إلى « ولا تظلمون » . فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتَّاب وقال: « إن رَضُوا، وإلا فآذنهم بحرب» = وقال ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله : « اتقوا الله وذروا ما بقى من الرِّبا » ، قال : كانوا يأخذون الرِّبا على بنى المغيرة ، يزعمون أنهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة ، بنو عمرو بن عمير ، فهم الذين كان لهم الرِّبا على بنى المغيرة ، فأسلم عبد ياليل وحَبيب وربيعة وهلالٌ ومسعود .[2]

٦٢٦٠ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا جويبر ،

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « سلفا فى الربا إلى أناس . . . » بالفعل الماضى ، والصواب ما أثبت من الدر المنثور ١ : ٣٦٦ ، والبغوى (بهامش ابن كثير) ٢ : ٦٣ . والسلف (بفتحتين) : القرض. والفعل : أسلف وسلف (بتشديد اللام) .

(٢) الأثر : ٦٢٥٩ — انظر ما قاله الحافظ فى الإصابة فى ترجمة « هلال الثقفى » . وقال . « وفى ذكر مصالحة ثقيف قبل قوله : « فلما كان الفتح » نظر ، ذكرت توجيهه فى أسباب النزول » .

عن الضحاك، في قوله: «اتقوا الله وذروا ما بقى من الرّبا إن كنتم مؤمنين»، قال: كان رباً يتبايعون به في الجاهلية، فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رؤوس أموالهم.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله: «فإن لم تفعلوا»، فإن لم تذَروا ما بقى من الربا.

* * *

واختلف القرأة في قراءة قوله: «فأذنوا بحرب من الله ورسوله».

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة: ﴿فَأْذَنُواْ﴾ بقصر الألف من «فأذنوا»، وفتح ذالها، بمعنى: كونوا على علم وإِذْن.

* * *

وقرأه آخرون، وهى قراءة عامة قرأة الكوفيين: ﴿فَآذِنُوا﴾ بمدّ الألف من قوله: «فآذنوا»، وكسر ذالها، بمعنى: فآذنوا غيرَكم: أعلمُوهم وأخبروهم بأنكم على حَرْبهم.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: «فأذَنوا» بقصر ألفها وفتح ذالها، بمعنى: اعلموا ذلك واستيقنوه، وكونوا على إذن من الله عز وجل لكم بذلك.

وإنما اخترنا ذلك، لأن الله عز وجل أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يَنبِذ إلى من أقام على شركه الذى لا يُقَرُّ على المقام عليه، وأن يقتُل المرتدّ عن الإسلام منهم بكل حال إلا أن يراجع الإسلام، آذنه المشركون بأنهم على حربه أو لم يُؤذنوه.[1] فإذْ كان المأمور بذلك لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون كان مشركاً مقيماً

---

(١) في المطبوعة: «آذنه المشركون بأنهم على حربه أو لم يأذنوه». وهو خطأ في الرسم، وفساد في المعنى بهذا الرسم. وصواب رسمه في المخطوطة، وهو صواب المعنى.

على شركه الذى لا يُقَرُّ عليه، أو يكون كان مسلماً فارتدَّ وأذِن بحرب. فأى الأمرين كان، فإنما نُبذ إليه بحرب، لا أنه أمر بالإيذان بها إن عَزَم على ذلك.(١) لأن الأمر إن كان إليه، فأقام على أكل الربا مستحلاً له ولم يؤذن المسلمون بالحرب، لم يَلزمهم حربُه. وليس ذلك حكمه فى واحدة من الحالين. فقد علم أنه المأذون بالحرب، لا الآذِن بها.

وعلى هذا التأويل تأوَّله أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٦١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس فى قوله: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بَقِى من الرِّبا»، إلى قوله: «فأذنوا بحرب من الله ورسوله»: فمن كان مقيماً على الرِّبا لا ينزِعُ عنه، فحقٌّ على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نَزَع وإلاّ ضَرب عنقه.

٦٢٦٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا ربيعة ابن كلثوم قال، حدثنى أبى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يُقال يوم القيامة لآكل الرِّبا: «خذ سلاحك للحرْب».(٢)

٦٢٦٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا ربيعة بن كلثوم قال، حدثنا أبى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله. ٧٢/٣

٦٢٦٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وذروا ما بَقِى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله»، أوْعدهم الله بالقتل كما تسمعون، فجعلهم بَهْرَجاً أينما ثقفوا.(٣)

---

(١) فى المخطوطة: «بالإنذار بها إن عزم على ذلك»، وهى صواب فى المعنى، ولكن ما فى المطبوعة عندى أرجح.

(٢) الأثر: ٦٢٦٢ — انظر الأثر السالف رقم: ٦٢٤١، والتعليق عليه.

(٣) البهرج: الشىء المباح. والمكان بهرج: غير حمى. وبهرج دمه: أهدره وأبطله. وفى الحديث: أنه بهرج دم ابن الحارث.

٦٢٦٥ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مثله .

٦٢٦٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » ، أوعد الآكلَ الرِّبا بالقتل .[1]

٦٢٦٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قوله : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » ، فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأخبار كلها تنبئ عن أن قوله : « فأذنوا بحرب من الله » ، إيذانٌ من الله عز وجل لهم بالحرب والقتل ، لا أمْرٌ لهم بإيذان غيرهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بذلك : « إن تبتم » فتركتم أكلَ الربا وأنبتم إلى الله عز وجل = « فلكم رؤوس أموالكم » من الديون التي لكم على الناس ، دون الزيادة التي أحدثتموها على ذلك رباً منكم ، كما : —

٦٢٦٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم » ، والمال الذي لهم على ظهور الرجال ،[2] جعل لهم

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أوعد لآكل الربا . . . » ، وهو لا شيء ، والصواب ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « المال الذي لهم » بإسقاط الواو ، وأثبت ما في المخطوطة وسيأتي على الصواب رقم : ٦٢٩٧ . وفي المخطوطة « ظهور الرحال » بالحاء .

رؤوس أموالهم حين نزلت هذه الآية ، فأما الرّبح والفضل فليس لهم ، ولا ينبغى لهم أن يأخذوا منه شيئاً .

٦٢٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : وضع الله الرّبا ، وجعل لهم رؤوس أموالهم .

٦٢٧٠ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة فى قوله : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم » ، قال : ما كان لهم من دَين ، فجعل لهم أن يأخذوا رؤوس أموالهم ولا يزدادُوا عليه شيئاً .

٦٢٧١ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم » الذى أسلفتم ، وسقط الربا .

٦٢٧٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أنّ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم الفتح : « ألاَ إن ربا الجاهلية موضوعٌ كله، وأوّل ربا أبتدئُ به ربا العباس بن عبد المطلب » .

٦٢٧٣ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته : « إنّ كل ربا موضوع ، وأوّل رباً يوضع ربا العباس » .[1]

° ° °

(١) الأثران : ٦٢٧٢ ، ٦٢٧٣ — حديث خطبته صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، رواه مسلم ٨ : ١٨٢ ، ١٨٣ فى حديث جابر بن عبد الله فى حجة الوداع . وسنن البيهقى ٥ : ٢٧٤ ، ٢٧٥ . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٦٧ ، وقال « أخرج أبو داود والترمذى وصححه ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى سننه عن عمرو بن الأحوص أنه شهد حجة الوداع . . . » ، وانظر ابن كثير ٢ : ٦٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧٩)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « لا تَظلمون » بأخذكم رؤوس أموالكم التى كانت لكم قبل الإرباء على غُرمائكم منهم ، دون أرباحها التى زدتموها رباً على من أخذتم ذلك منه من غرمائكم ، فتأخذوا منهم ما ليس لكم أخذُه ، أو لم يكن لكم قبلُ = « ولا تُظلمون » ، يقول : ولا الغريم الذى يعطيكم ذلك دون الرّبا الذى كنتم ألزمتموه من أجل الزيادة فى الأجل ، يبخسُكم حقًّا لكم عليه فيمنعكموه ، لأن ما زاد على رؤوس أموالكم لم يكن حقًّا لكم عليه ، فيكون بمنعه إياكم ذلك ظالماً لكم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس يقول ، وغيرُه من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون » ، فتُربون ، « ولا تظلمون » ، فتنقصون .

٦٢٧٥ — وحدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ، قال : لا تنقصون من أموالكم ، ولا تأخذون باطلاً لا يحلُّ لكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : « وإن كان » ممن تقبضون منه من غرمائكم رؤوسَ أموالكم = « ذو عُسْرَة » يعنى : معسراً برؤوس أموالكم التى كانت لكم عليهم قبلَ الإرباء : فأنظروهم إلى ميسرتهم .

* * *

وقوله : « ذو عسرة » ، مرفوع بـ« كان » ، فالخبر متروك ، وهو ما ذكرنا . وإنما صلح ترك خبرها ، من أجل أنّ النكرات تضمِرُ لها العربُ أخبارَها . ولو وُجِّهت « كان » في هذا الموضع ، إلى أنها بمعنى الفعل المكتفي بنفسه التام ، لكان وجهاً صحيحاً ، ولم يكن بها حاجة حينئذ إلى خبر . فيكون تأويلُ الكلام عند ذلك : وإن وُجد ذُو عسرة من غرمائكم برؤوس أموالكم ، فنَظِرة إلى ميسرة .

٧٣/٣

وقد ذكر أنّ ذلك في قراءة أبي بن كعب : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ ﴾ ، بمعنى : وإن كان الغريم ذَا عُسرة = « فنَظِرة إلى ميسرة » . وذلك وإن كان في العربية جائزاً ، فغيرُ جائزةٍ القراءةُ به عندنا ، لخلافه خطوط مصاحف المسلمين. [1]

* * *

وأما قوله : « فنظرة إلى ميسرة » ، فإنه يعني : فعليكم أن تُنظِروه إلى مَيسرَة ، كما قال : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ ﴾ [سورة البقرة ١٩٦] ، وقد ذكرنا وجه رفع ما كان من نظائرها فيما مضى قبلُ ، فأغنى عن تكريره. [2]

* * *

« والميسرَة » ، « المفعلة » من « اليُسر » ، مثل « المرْحمة » و « المشأمة » .

* * *

ومعنى الكلام : وإن كان من غرمائكم ذو عسرة ، فعليكم أن تنظروه حتى يُوسر بالدَّين الذي لكم ، [3] فيصيرَ من أهل اليُسر به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ١٨٦ .

(٢) انظر ما سلف ٤ : ٣٤ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « حتى يوسر بما ليس لكم » ، واجتهد مصحح المطبوعة وقال : « لعل (ليس) زائدة من الناسخ » . ولا أراه كذلك ، بل قوله « بما ليس » ، هي في الأصل الذي نقل عنه الناسخ « بالدين » مرتبطة الحروف ، كما يكون كثيراً في المخطوطة القديمة ، فلم يحسن الناسخ قراءتها ، فقرأها « بما ليس » ، وحذف « الذي » ، لظنه أنها زائدة سهواً من الناسخ قبله ، وتبين صحة ما أثبتناه ، من كلام الطبري بعد في آخر تفسير الآية . ولو قرئت : « برأس مالكم » ، لكان صواباً في المعنى ، كما يتبين من الآثار الآتية .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٧٧ — حدثني واصل بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : «وإن كان ذو عسرة فنَظِرة إلى ميسرة» ، قال : نزلت في الربا .

٦٢٧٨ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا هشام ، عن ابن سيرين : أن رجلا خاصمَ رجلاً إلى شُرَيح ، قال : فقضى عليه وأمرَ بحبسه ، قال : فقال رجل عند شريح : إنه مُعسرٌ ، والله يقول في كتابه : «وإن كان ذو عسرة فنَظِرة إلى ميسرة» ! قال: فقال شريح: إنما ذلك في الربا ! وإن الله قال في كتابه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء : ٥٨] ، ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه .

٦٢٧٩ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم في قوله : «وإن كان ذُو عسرة فنَظِرة إلى ميسرة» ، قال : ذلك في الربا .

٦٢٨٠ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن الشعبيّ أن الربيع بن خثيم كان له على رجل حق ، فكان يأتيه ويقوم على بابه ويقول : أيْ فلان ، إن كنت مُوسراً فأدّ ، وإن كنت مُعسراً فإلى مَيسرة .(١)

٦٢٨١ — حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد قال : جاء رجل إلى شريح فكلّمه فجعل يقول : إنه معسر ، إنه مُعسر ! ! قال : فظننت أنه يكلّمه في محبوس، فقال شريح : إن الربا كان في هذا الحي من الأنصار ،

---

(٤) الأثر : ٦٢٨٠ — كان في المطبوعة: «مغيرة ، عن الحسن . . .» ، وفي المخطوطة «مغيرة، عن الحسى» مشددة الياء بالقلم ، والناسخ كثير السهو والغفلة والتصحيف كما أسلفنا . وإنما هو «الشعبي» ، وهذا الإسناد إلى الشعبي قد مضى مئات من المرات ، انظر مثلا : ٤٣٨٥ . وكان في المطبوعة : «الربيع بن خيثم» وهو تصحيف والصواب ما أثبت ، وقد مضت ترجمته في رقم : ١٤٣٠ .

فأنزل الله عز وجل: «وإنْ كان ذُو عُسْرَةٍ فنَظِرةٌ إلى ميسرة»، وقال الله عز وجل : ﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾، فما كان الله عز وجل يأمرنا بأمر ثم يعذبنا عليه؟ أدّوا الأمانات إلى أهلها .

٦٢٨٢ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله : «وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة» ، قال : فنظرة إلى ميسرة برأس ماله .

٦٢٨٣ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس : «وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة» ، إنما أمر فى الربا أن ينظر المعسر ، وليست النَّظِرة فى الأمانة ، ولكن يؤدِّى الأمانة إلى أهلها .[1]

٦٢٨٤ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : «وإن كان ذو عسرة فنظرة» برأس المال= «إلى ميسرة»، يقول : إلى غنًى .

٦٢٨٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس : «وإن كان ذُو عسرة فنظرة إلى ميسرة»، هذا فى شأن الربا .

٦٢٨٦ — حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال[2] : سمعت الضحاك فى قوله: «وإن كان ذُو عسرة فنظرة إلى ميسرة»، هذا فى شأن الربا ، وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون ، فلما أسلم من أسلم منهم ، أمِروا أن يأخذوا رؤوس أموالهم .

---

(١) فى المخطوطة : «ولكن مؤدى الأمانة . . .» ، وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) فى المطبوعة : «عبيد بن سلمان» ، والصواب من المخطوطة ، وقد مضى الكلام على هذا الإسناد فيما سلف .

٦٢٨٧ — حدثني المثنى قال . حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، يعني المطلوب .

٦٢٨٨ — حدثني ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر في قوله : « وإن كان ذُو عسرة فنظِرَة إلى ميسرة » ، قال : الموت .

٦٢٨٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن محمد بن علي مثله .

٣/٧٤ ٦٢٩٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم : « وإن كان ذُو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، قال : هذا في الربا .

٦٢٩١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في الرجل يتزوج إلى الميسرة ، قال : إلى الموت ، أو إلى فُرْقة .

٦٢٩٢ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « فنظرة إلى ميسرة » ، قال : ذلك في الربا .

٦٢٩٣ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد : « فنظرة إلى ميسرة » ، قال : يؤخّره ، ولا يزدْ عليه . وكان إذا حلّ دين أحدهم فلم يجد ما يعطيه ، زاد عليه وأخّره .

٦٢٩٤ — وحدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، قال : يؤخره ولا يزدْ عليه .

* * *

وقال آخرون : هذه الآية عامة فى كل من كان له قِبَل رجل معسر حق، (١) من أىّ وجهة كان ذلك الحق ، من دين حلال أو ربا .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٩٥ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : من كان ذا عُسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدّقوا خير لكم . قال : وكذلك كل دَين على مسلم ، فلا يحلّ لمسلم له دَين على أخيه يعلم منه عُسرةً أن يسجنه ، ولا يطلبه حتى ييسره الله عليه . وإنما جعل النظرة فى الحلال ، فمن أجل ذلك كانت الدّيون على ذلك .

٦٢٩٦ — حدثنى على بن حرب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، قال : نزلت فى الدَّين . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى قوله : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، أنه معنىٌّ به غرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهم عليهم ديون قد أربَوْا فيها فى الجاهلية ، فأدركهم الإسلام قبل أن يقبضوها منهم ، فأمر الله بوضع ما بقى من الربا بعد ما أسلموا ، وبقبض رؤوس أموالهم ممن كان منهم من غرمائهم مُوسراً ، أو إنظارِ من كان منهم مُعسراً برؤوس أموالهم إلى ميسرتهم .

فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أربى على غريم له ، فإن الإسلام يبطل عن غريمه ما كان له عليه من قِبَل الربا ، ويلزمه أداء رأس ماله — الذى كان

---

(١) فى المخطوطة : « هذه الآية عام . . . » تصحيف من الناسخ وسهو .

(٢) الأثر : ٦٢٩٦ — « على بن حرب بن محمد بن على الطائى » . قال النسائى : « صالح » ، وقال أبو حاتم : « صدوق » توفى سنة ٢٦٥ مترجم فى التهذيب .

أخَذَ منه أو لزمه من قبل الإرباء — إليه ، إن كان موسراً.[١] وإن كان مُعسراً، كان منظراً برأس مال صاحبه إلى ميسرته ،وكان الفضلُ على رأس المال مُبطلاً عنه .

غير أن الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا ، وإياهم عَنى بها ، فإن الحكم الذي حكم الله به: من إنظاره المعسر برأس مال المربي بعد بُطول الرّبا عنه، حكمٌ واجبٌ لكل من كان عليه دين لرجل قد حلّ عليه ، وهو بقضائه مُعسر : في أنه مُنظر إلى ميسرته . لأنّ دَيْن كل ذي دين ، في مال غريمه ، وعلى غريمه قضاؤه منه — لا في رقبته . فإذا عُدم ماله ، فلا سبيل له على رقبته بحبس ولا بيع. وذلك أن مال ربّ الدين لن يخلو من أحد وجوه ثلاثة : إما أن يكون في رقبة غريمه ، أو في ذمّته يقضيه من ماله، أو في مال له بعينه .

= فإن يكن في مال له بعينه، فمتى بطل ذلك المال وعُدِم ، فقد بطل دين ربِّ المال . وذلك ما لا يقوله أحد .

= أو يكون في رقبته ،[٢] فإن يكن كذلك ، فمتى عُدِمت نفسُه ، فقد بطل دَيْنُ ربِّ الدين ، وإن خلّف الغريم وفاءً بحقه وأضعافَ ذلك . وذلك أيضاً لا يقوله أحدٌ .

فقد تبين إذاً، إذ كان ذلك كذلك ، أنّ دين ربّ المال في ذمة غريمه يقضيه من ماله ، فإذا عُدم ماله فلا سبيل له على رقبته ، لأنه قد عُدم ما كان عليه أن يؤدِّي منه حقّ صاحبه لو كان موجوداً . وإذا لم يكن على رقبته سبيل، لم يكن إلى حبسه وهو معدوم بحقه، سبيل .[٣] لأنه غير مانعه حقاً، له إلى قضائه سبيل، فيعاقب بمَطْله إياه بالحبس .[٤]

(١) سياق العبارة « ويلزمه أداء رأس ماله . . . إليه . . . » ، وما بينهما فصل .

(٢) في المطبوعة : « ويكون في رقبته » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « لم يكن إلى حبسه بحقه وهو معدوم سبيل » قدم « بحقه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو صواب جيد .

(٤) في المطبوعة : « فيعاقب بظلمه إياه . . . » ، وفي المخطوطة « فيعاقب بطله إياه . . . »

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل وعز بذلك : وأن تتصدقوا برؤوس أموالكم على هذا المعسر ، = « خيرٌ لكم » أيها القوم من أن تنظرُوه إلى ميسرته ، لتقبضوا رؤوس أموالكم منه إذا أيسر= « إن كنتم تعلمون » موضع الفضل فى الصدقة ، وما أوجب الله من الثواب لمن وضع عن غريمه المعسر دَينه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : « وأن تصدقوا » برؤوس أموالكم على الغنىّ والفقير منهم = « خير لكم » . ٣/٧٥

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٩٧ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم » ، والمالُ الذى لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤوس أموالهم حين نزلت هذه الآية . فأما الربح والفضل فليس لهم ، ولا ينبغى لهم أن يأخذوا منه شيئاً = « وأن تصدّقوا خير لكم » ، يقول : أن تصدقوا بأصل المال خير لكم .[1]

٦٢٩٨ ــ حدثنى يعقوب قال حدثنا ابن علية ، عن سعيد ، عن قتادة :

وصواب قراءتها ما أثبت . مطله حقه يمطله مطلا ، وماطله مطالا : سوفه ودافعه بالعدة والدين . هذا ، وأبو جعفر رضى الله عنه ، رجل قويم الحجة ، أسد اللسان ، سديد المنطق ، عارف بالمعانى ومنازلها من الرأى ، ومساقطها من الصواب . وهذه حجة بينة فاصلة من حججه التى أشرت إليها كثيراً فى بعض تعليق على هذا التفسير الجليل .

(١) الأثر : ٦٢٩٧ ــ سلف برقم : ٦٢٦٨ . وانظر التعليق هناك .

« وأن تصدقوا » ، أى برأس المال ، فهو خير لكم .

٦٢٩٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « وأن تصدقوا خير لكم » ، قال : من رؤوس أموالكم .

٦٣٠٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم بمثله .

٦٣٠١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « وأن تصدقوا خير لكم » ، قال : أن تصدقوا برؤوس أموالكم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وأن تصدقوا به على المعسر ، خير لكم — نحو ما قلنا فى ذلك .

ذكر من قال فى ذلك :

٦٣٠٢ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأن تصدقوا خير لكم » ، قال : وأن تصدقوا برؤوس أموالكم على الفقير ، فهو خير لكم . فتصدّق به العباس .

٦٣٠٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدّقوا خير لكم » ، يقول : وإن تصدقت عليه برأس مالك ، فهو خير لك .

٦٣٠٤ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « وأن تصدقوا خير لكم » ، يعنى : على المعسر ، فأما الموسر فلا ، ولكن يؤخذ منه رأس المال . والمعسرُ الأخذُ منه حلالٌ ، والصدقة عليه أفضل .

٦٣٠٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن

جويبر ، عن الضحاك : وأن تصدقوا برؤوس أموالكم ، خير لكم من نظرة إلى ميسرة . فاختار الله عز وجل الصّدقة على النِّظارة .(١)

٦٣٠٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم » ، قال : من النظرة = « إنْ كنتم تعلمون » .

٦٣٠٧ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « فنظرة إلى ميسرة وأن تصدّقوا خير لكم » ، والنظرة واجبة. وخيَّر الله عز وجل الصدقة على النِّظرة ،(٢) والصّدَقة لكل معسر ، فأما الموسر فلا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب تأويل من قال : معناه : « وأن تصدّقوا على المعسر برؤوس أموالكم خير لكم » . لأنه يَلي ذكرَ حُكمه في المعنيين . وإلحاقُه بالذي يليه ، أحبّ إليّ من إلحاقه بالذي بَعُد منه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل إن هذه الآيات في أحكام الربا ، هنّ آخر آيات نزلت من القرآن .

• ذكر من قال ذلك :

٦٣٠٨ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد = وحدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن سعيد ، = عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب قال : كان آخرَ ما نزل من القرآن آيةُ الرِّبا ،

---

(١) النظارة (بكسر النون) : الإنظار وهو الإمهال . وهو مصدر لم أجده في كتب اللغة ، ولكنه عريق في عربيته . كالنذارة ، من الإنذار ، وهو عزيز ، ولكنه عربي البناء والقياس .

(٢) يقال : « اختّرت فلاناً على فلان » بمعنى : فضلت فلاناً على فلان ، ولذلك عدى بعلى . ومثله « خير فلاناً على فلان » ، أي فضله عليه . وقد جاء في الأثر : « خير بين دور الأنصار » ، أي فضل بعضها على بعض . وقلما تجد هذا التعبير .

وإن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قُبض قبل أن يفسِّرها، فدعوا الرِّبا والرِّيبة .[(١)]

٦٣٠٩ — حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا داود، عن عامر: أن عمر رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنه والله ما أدري لعلنا نأمرُكم بأمر لا يصلحُ لكم، وما أدري لعلنا نهاكم عن أمر يَصْلحُ لكم، وإنه كان من آخر القرآن تنزيلاً آياتُ الربا، فتُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبيِّنه لنا، فدعوا ما يَريبكم إلى ما لا يَريبكم».[(٢)]

---

(١) الحديث : ٦٣٠٨ — سعيد : هو ابن أبي عروبة .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٢٤٦ ، عن يحيى ، وهو القطان .

و : ٣٥٠ ، عن ابن علية — كلاهما عن ابن أبي عروبة . بهذا الإسناد .

ورواه ابن ماجة : ٢٢٧٦ ، من طريق خالد بن الحارث ، عن سعيد ، وهو ابن أبي عروبة ، به .

وذكره ابن كثير ٢ : ٥٨ ، عن الموضع الأول من المسند .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ٣٦٥ ، وزاد نسبته لابن الضريس ، وابن المنذر . وأشار إليه في الإتقان ١ : ٣٣ ، موجزاً ، منسوباً لأحمد وابن ماجة فقط .

وهذا الحديث — على جلالة رواته وثقتهم — ضعيف الإسناد ، لانقطاعه . فإن سعيد بن المسيب لم يسمع من عمر ، كما بينا في شرح المسند : ١٠٩ ، وانظر كتاب المراسيل لابن أبي حاتم ، ص : ٢٦ — ٢٧ .

(٢) الحديث : ٦٣٠٩ — داود : هو ابن أبي هند . عامر : هو الشعبي .

وهذا الإسناد ضعيف أيضاً ، فإن الشعبي لم يدرك عمر ، كما قلنا فيما مضى : ١٦٠٨ ، نقلا عن ابن كثير .

وذكره الحافظ في الفتح ٨ : ١٥٣ ، منسوباً للطبري ، وقال : «وهو منقطع ، فإن الشعبي لم يدرك عمر» .

وذكر ابن كثير ٢ : ٥٨ ، نحو معناه ، قال : «رواه ابن ماجة وابن مردويه ، من طريق هياج ابن بسطام ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : خطبنا عمر ...» إلخ .

وهياج بن بسطام الهروي : اختلفوا فيه جداً ، فضعفه أحمد ، وابن معين ، وابن أبي حاتم ، وغيرهم . وقال المكي بن إبرهيم — شيخ البخاري : «ما علمنا الهياج إلا ثقة صادقاً عالماً» . ووثقه محمد ابن يحيى الذهلي . وقد أنكروا عليه أحاديث ، ثم ظهر أن الحمل فيها على ابنه خالد الذي رواها عنه . والراجح عندنا هذا ، فإن البخاري ترجمه في الكبير ٢٤٢/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وكأنه ذهب فيه إلى ما اختاره شيخاه : المكي بن إبرهيم ، ومحمد بن يحيى الذهلي .

وابن كثير لم يبين من رواه عن الهياج . ثم لم أعرف موضعه في ابن ماجة ، وليس عندي كتاب ابن مردويه .

٦٣١٠ — حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال ، حدثنا قبيصة قال ، حدثنا سفيان الثوري ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : آخر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا ، وإنّا لنأمرُ بالشيء لاندري لعلّ به بأساً ، ونَنهى عن الشيء لعله ليس به بأس.(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١)

قال أبو جعفر : وقيل : هذه الآية أيضاً آخر آية نزلت من القرآن . ٧٦/٣

• ذكر من قال ذلك :

٦٣١١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا الحسين بن واقد

ولكني وجدت له إسناداً إلى الهياج . فرواه الخطيب في ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٨٠ — ٨١ ، من طريق محمد بن بكار بن الريان ، — وهو ثقة — عن الهياج ، بهذا الإسناد .

فمن هذا ظهر أن إسناده صحيح . والحمد لله .

(١) الحديث : ٦٣١٠ — أبو زيد عمر بن شبة — بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة — النميري النحوي : ثقة صاحب عربية وأدب . قال الخطيب : «كان ثقة عالماً بالسير وأيام الناس » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/١١٦ ، وتاريخ بغداد ١١ : ٢٠٨ — ٢١٠ .

قبيصة : هو ابن عقبة . مضت ترجمته في : ٤٨٩ ، ٢٧٩٢ . وهذا الحديث من روايته عن سفيان الثوري . وقد بينا هناك أن روايته عنه صحيحة ، خلافاً لمن تكلم فيها .

عاصم الأحول : هو عاصم بن سليمان . وقد مضى مراراً . ووقع في المطبوعة هنا « عاصم عن الأحول » . وهو خطأ مطبعي . وثبت على الصواب في المخطوطة .

وهذا الحديث رواه البخاري في الصحيح ٨ : ١٥٣ (فتح) ، عن قبيصة ، بهذا الإسناد . ولكنه اقتصر على أوله ، إلى قوله « آية الربا » لأن الباقي موقوف من كلام ابن عباس .

وذكر السيوطي ١ : ٣٦٥ رواية البخاري ، وزاد نسبتها لأبي عبيد ، والبيهقي في الدلائل .

وقال الحافظ في الفتح : « المراد بالآخرية في الربا : تأخر نزول الآيات المتعلقة به من سورة البقرة . وأما حكم تحريم الربا فنزوله سابق لذلك بمدة طويلة ، على ما يدل عليه قوله تعالى في آل عمران ، في أثناء قصة أحد : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) الآية » .

عن يزيد النحوى ،عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم : « واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ».[1]

٦٣١٢ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس : « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » الآية، فهى آخر آية من الكتاب أنزلت .

٦٣١٣ — حدثنى محمد بن عمارة قال ، حدثنا سهل بن عامر قال ، حدثنا مالك بن مغول ، عن عطية قال : آخر آية نزلت : « واتقوا يوماً تُرْجعون فيه إلى

---

(١) الحديث : ٦٣١١ — أبو تميلة — بضم التاء المثناة : هو يحيى بن واضح . مضت ترجمته فى : ٣٩٢ .

الحسين بن واقد : مضت ترجمته فى : ٤٨١٠ . ووقع هناك فى طبعتنا هذه « الحسن » . وهو خطأ مطبعى ، مع أننا بيناه على الصواب فى الترجمة ، فيصحح ذلك .

يزيد النحوى : هو يزيد بن أبى سعيد النحوى المروزى ، مولى قريش . وهو ثقة ، وثقه أبو زرعة ، وابن معين ، وغيرهما. قتله أبو مسلم سنة ١٣١ لأمره إياه بالمعروف . والنحوى » : نسبة إلى « بنى نحو » ، بطن من الأزد .

وهذا إسناد صحيح .

والحديث ذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٣ ، ونسبه للطبرى فقط .

وذكره ابن كثير ٢ : ٦٩ ، عن رواية النسائى ، فهو يريد بها السنن الكبرى . وكذلك صنع السيوطى فى الإتقان ١ : ٣٣ .

وذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٤ ، وقال : « رواه الطبرانى بإسنادين ، رجال أحدهما ثقات » .

وفى الدر المنثور ١ : ٣٦٩ — ٣٧٠ زيادة نسبته لأبى عبيد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن الأنبارى فى المصاحف ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل .

وظاهر هذه الرواية عن ابن عباس ، يعارض ظاهر الرواية السابقة عنه : ٦٣١٠ ، أن آخر آية نزلت هى آية الربا .

فقال الحافظ فى الفتح : « وطريق الجمع بين هذين القولين ، [يريد الروايتين] : أن هذه الآية هى ختام الآيات المنزلة فى الربا ، إذ هى معطوفة عليهن » .

ويشير إلى ذلك صنيع البخارى ، بدقته وثقوب نظره ، فإنه روى الحديث الماضى تحت عنوان : « باب (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) » . فجعل بهذه الإشارة الموضوع واحداً ، والروايتين متحدتين غير متعارضتين . رحمه الله .

الله ثم تُوَفَّى كل نفس ما كسبتْ وهم لا يُظلمون » .[1]

٦٣١٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن السدى قال : آخر آية نزلت : « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » .

٦٣١٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تُميلة ، عن عبيد بن سليمان ،[2] عن الضحاك ، عن ابن عباس = وحجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس = آخر آية نزلتْ من القرآن : « واتقوا يوماً تُرْجعون فيه إلى الله ثم توفَّى كل نفس ما كسبتْ وهم لا يُظلمون » = قال ابن جريج : يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسعَ ليال ، وبُدِئ يوم السبت ،[3] ومات يوم الاثنين .

٦٣١٦ — حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، حدثنى سعيد بن المسيب : أنه بلغه أنّ أحدث القرآن بالعرش آية الدين .[4]

* * *

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : واحذروا أيها الناس = « يوماً تُرْجعون

---

(١) الخبر : ٦٣١٣ — سهل بن عامر : مضت ترجمته فى : ١٩٧١ ، وأنه ضعيف جداً . ووقع اسمه فى المخطوطة والمطبوعة هنا « إسميل بن سهل بن عامر » ! وهو تخليط من الناسخين ، فلا يوجد راو بهذا الاسم . ثم هذا الإسناد نفسه هو الماضى : ١٩٧١ . ومضى أيضاً رواية محمد بن عمارة ، عن سهل ، عن مالك بن مغول : ٥٤٣١ .

(٢) فى المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، ومن كتب التراجم .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وبدا يوم السبت » ، وهو خطأ فاحش ، وأشد منه فظاظة شرح من شرحه فقال : « يريد أنه احتجب عن الناس لمرضه ، ثم خرج لهم يوم السبت » ! وأولى بالمرء أن يدع ما لا يحسن ! إنما هو قولهم : « بُدِئَ الرجل » (بالبناء للمجهول) أى مرض . يقال : متى بُدِئَ فلان ؟ أى : متى مرض : وفى حديث عائشة : أنها قالت فى اليوم الذى بدىء فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وا رأساه » .

وانظر لهذا الخبر ما خرجه السيوطى فى الإتقان ١ : ٣٣ ، وابن كثير ٢ : ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) الحديث : ٦٣١٦ — هذا إسناد صحيح إلى ابن المسيب ، ولكنه حديث ضعيف لإرساله ، إذ لم يذكر ابن المسيب من حدثه به .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٧٠ — ٧١ ، عن هذا الموضع بإسناده . وذكره السيوطى ١ : ٣٧٠ « عن ابن جرير ، بسند صحيح عن سعيد بن المسيب » .

فيه إلى الله » ، فتلقونه فيه، أن تَرِدُوا عليه بسيئات تهلككم ، أو بمخزيات تخزيكم ، أو بفاضحات تفضحكم فتهتك أستاركم ،[1] أو بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قِبَل لكم به ، وإنه يوم مجازاة بالأعمال ،[2] لا يوم استعتاب ، ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة ، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة ، توفّى فيه كل نفس أجرَها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح ، لا تُغادَر فيه صغـــيرة ولا كبيرة من خير وشرّ إلا أحضِرت ،[3] فوُفِّيَتْ جزاءها بالعدل من ربها ، وهم لا يظلمون .[4] وكيف يُظلم من جوزى بالإساءة مثلها ، وبالحسنة عشر أمثالها ؟ ![5] كلاّ ، بل عَدَل عليكَ أيها المسيء ، وتكرم عليك فأفضل وأسبغَ أيها المحسن. فاتقى امرؤٌ ربه ، وأخذ منه حذره ،[6] وراقبه أن يهجُم عليه يومُه وهو من الأوزار ظهرُه ثقيل ، ومن صالحات الأعمال خفيف ، فإنه عز وجل حذّر فأعذَر ، ووعظ فأبلغ .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « بفضيحات تفضحكم » ، ولا أدرى لم غير ما كان فى المخطوطة ! !

(٢) فى المطبوعة : « مجازاة الأعمال » ، ولا أدرى لم حذف « الباء » ! !

(٣) فى المطبوعة : « لا يغادر . . . » بالياء ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « فتوفى جزاءها » ، وفى المخطوطة : «صوفـ»غير منقوطة كلها ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٥) فى المطبوعة : « كيف » بحذف الواو ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٦) فى المطبوعة : « فأخذ » بالفاء ، والصواب ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله : « إذا تداينتم »، يعنى : إذا تبايعتم بدين، أو اشتريتم به، أو تعاطيتم أو أخذتم به = « إلى أجل مسمى » ، يقول: إلى وقت معلوم وقّتموه بينكم . وقد يدخل فى ذلك القرضُ والسَّلَم ، وكلّ ما جاز [فيه] السلَمَ مُسمًّى أجلُ بيعه، يصير دَيناً على بائع ما أسلم إليه فيه .[1] ويحتمل بيعَ الحاضر الجائز بيعُه من الأملاك بالأثمان المؤجلة . كلّ ذلك من الديون المؤجَّلة إلى أجل مسمى ، إذا كانت آجالُها معلومةً بحدٍّ موقوف عليه .

* * *

وكان ابن عباس يقول نزلت هذه الآية فى السَّلَم خاصة .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

٦٣١٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن عيسى الرملى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح قال ، قال ابن عباس فى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى » ، قال: السَّلَم فى الحنطة ، فى كيل معلوم إلى أجل معلوم .[2]

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وقد يدخل فى ذلك القرض والسلم فى كل ما جاز السلم شرى أجل بيعه » ، وهى عبارة غير مفهومة قد أخل بها التصحيف والتحريف ، وقد اجتهدت فى تصحيحها على هذا الوجه حتى تستقيم بعض الاستقامة . والسلم (بفتحتين) : السلف . يقال : أسلم وسلم (بتشديد اللام) : إذا أسلف ، وهو أن تعطى ذهباً وفضة فى سلعة معلومة إلى أجل معلوم ، فكأنك قد أسلمت الثمن إلى صاحب السلعة . وحده عند بعض الفقهاء : هو بيع معلوم فى الذمة ، محصور بالصفة ، بعين حاضرة . أو ما فى حكمها ، إلى أجل معلوم » .

(٢) الأثر : ٦٣١٧ — يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن الرملى النهشلى الخزاز ، سمع سفيان ، ومات سنة ٢٠١ ، وقد تكلموا فيه قال أبو داود : « بلغنى عن أحمد أنه أحسن الثناء عليه » وقال ابن معين : «ليس بشىء» ، وقال العجلى « ثقة » ، وقال ابن عدى : « عامة ما يرويه لا يتابع عليه » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٩٦ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٧٨ .

٦٣١٨ — حدثني محمد بن عبد الله المخرّميّ قال ، حدثنا يحيى بن الصامت قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن أبي حيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن ابن عباس : «يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين» ، قال : نزلت في السلم ، في كيل معلوم إلى أجل معلوم .[1]

٦٣١٩ — حدثنا علي بن سهل قال ، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن أبي حيان ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : «إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه» ، في السلم ، في الحنطة ، في كيل معلوم إلى أجل معلوم .[2]

٦٣٢٠ — حدثنا ابن بشار قال حدثنا محمد بن محبّب قال ، حدثنا سفيان ، عن

---

(١) الحديث : ٦٣١٨ — يحيى بن الصامت : هكذا وقع في المخطوطة والمطبوعة ، ولم نعرف من ؟ ولعله محرف عن شيء آخر ؟ .

والذي في هذه الطبقة ، ونرجح أنه الراوي هنا : هو «يحيى بن أيوب المقابري أبو زكريا العابد . فهو الذي يروي عن عبد الله بن المبارك ، ويروي عنه محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي ، كما في ترجمته في التهذيب ١١ : ١٨٨ ، ولكن فيه «محمد بن عبد العزيز بن المبارك المخرمي» ، وهو خطأ في «عبد العزيز» بدل «عبد الله» . ويحيى بن أيوب هذا : ثقة من شيوخ مسلم في صحيحه . و «المقابري» : نسبة إلى المقابر ، لكثرة زيارته إياها ، كما في اللباب ٤ : ١٦٧ . وله ترجمة في ابن أبي حاتم ٤/٢/١٢٨ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٨٨ — ١٨٩ .

ومن المحتمل — وهو رجل عابد زاهد — أن يكون «الصامت» لقباً له ، فيكون «يحيى الصامت» . ولكن لم أجد نصاً على ذلك ، ولا ما يشير إليه .

سفيان : هو الثوري .

أبو حيان : هو التيمي ، يحيى بن سعيد بن حيان . مضت ترجمته في : ٥٣٨٢ .

ابن أبي نجيح : هو عبد الله بن يسار الثقفي المكي . وكنية أبيه «أبو نجيح» . وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . ولكن روايته عن ابن عباس منقطعة ، فإنه يروي عن التابعين .

وسيأتي الحديث صحيحاً ، بإسناد آخر صحيح : ٦٣٢١ .

وسيأتي بين هذين بإسنادين ضعيفين .

(٢) الحديث : ٦٣١٩ — زيد بن أبي الزرقاء : مضت ترجمته في : ١٣٨٤ . ووقع في المطبوعة «يزيد» بدل «زيد» وهو خطأ فلا يوجد من يسمى بهذا في الرواة . ثم هذا الشيخ هو الذي روى عن سفيان الثوري ، ويروي عنه علي بن سهل الرملي ، كما مضى في ذلك الإسناد .

والحديث ضعيف كالذي قبله . فالرجل المبهم الذي يروي عنه أبو حيان — هو ابن أبي نجيح . ولم يدرك ابن عباس .

٧٧/٣

أبي حيان التيمي ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى » ، في السلف في الحنطة ، في كيل معلوم إلى أجل معلوم .[1]

٦٣٢١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن أبي حسان ، عن ابن عباس قال : أشهد أن السلف المضمون ، إلى أجل مسمى ، أن الله عز وجل قد أحله وأذن فيه . ويتلو هذه الآية : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى » .[2]

* * *

---

(١) الحديث : ٦٣٢٠ — محمد بن محبب بن إسحق القرشي ، أبو همام الدلال صاحب الرقيق : ثقة ، وثقه أبو داود ، وأبو حاتم ، وغيرهما . وأخطأ المنذري في تهذيب السنن : ٢٥٣٧ ، إذ قال : « لا يحتج بحديثه » . وإنما قلد ابن الجوزي حين ذكره في الضعفاء . وغلطه في ذلك الذهبي في الميزان .

و « محبب » : بباءين موحدتين ، وزان « محمد » . كذا ضبطه عبد الغني في المؤتلف ، ص : ١٢٣ ، والذهبي في المشتبه ، ص : ٤٦٧ ، والحافظ في التهذيب والتقريب . ووهم ابن أبي حاتم ، حين جعله « مجيب » ، في الجرح ٤/١/٩٦ .

« صاحب الرقيق » : بالراء ، كما في الكبير للبخاري ١ / ١ / ٢٤٧ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم . ووقع في التهذيب والخلاصة : « الدقيق » بالدال . وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن اليماني في هوامش الجرح : « والرقيق — بالراء : أشبه بقولهم الدلال » ، وهو جيد .

والحديث مكرر ما قبله ، وهو ضعيف الإسناد كمثله .

(٢) الحديث : ٦٣٢١ — معاذ بن هشام الدستوائي : ثقة مأمون . أخرج له الستة .

أبوه هشام بن أبي عبد الله الدستوائي : إمام ثقة حجة ، وكان ممن سمي « أمير المؤمنين في الحديث » — سماه به أبو داود الطيالسي . وقال شعبة : « كان هشام أحفظ مني عن قتادة » .

أبو حسان — بالسين : هو أبو حسان الأعرج ، مضت ترجمته في : ٥٤٢٢ . ووقع في المخطوطة والمطبوعة « أبو حيان » — بالياء — وهو خطأ وتخليط ، كما سيبين من التخريج .

والحديث رواه عبد الرزاق في المصنف ٤ : ٢٥٢ (مخطوط مصور) ، عن معمر ، عن قتادة ، به .

ورواه الشافعي في الأم ٣ : ٨٠ — ٨١ ، عن سفيان — وهو ابن عيينة ، « عن أيوب ، عن قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن ابن عباس » ، به .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٦ ، من طريق إبراهيم بن بشار ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، به .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٦ : ١٨ ، من طريق سعيد بن عامر ، عن شعبة ، عن قتادة ، به .

وتسرع الحافظ الذهبي في مختصر المستدرك ، فعقب عليه ، كأنه يريد تضعيف إسناده ! فقال : « إبرهيم ذو زوائد عن « ابن عيينة » ! !

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما وجه قوله : « بدين »، وقد دلّ بقوله : « إذا تداينتم »، عليه ؟ وهل تكون مداينة بغير دين ، فاحتيج إلى أن يقال : « بدين » ؟

قيل : إن العرب لما كان مَقُولاً عندها : « تداينّا » بمعنى : تجازَيْنا، وبمعنى : تعاطينا الأخذ والإعطاء بدين — أبان الله بقوله : « بدين »، المعنى الذى قصد تعريف من سمعَ قوله : « تداينتم »،[1] حكمَه، وأعلمهم أنه حكمُ الدَّين دون حُكم المجازاة.

* * *

وقد زعم بعضهم أن ذلك تأكيد كقوله : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٣٠ / سورة ص : ٧٣]، ولا معنى لما قال من ذلك فى هذا الموضع.[2]

* * *

وهى كلمة مرسلة دون تحقيق . فإبراهيم بن بشار الرمادى : مضت ترجمته وتوثيقه فى : ٨٩٢ ، ونزيد هنا : أنه كان مكثراً عن ابن عيينة مغرباً . ولكن قال ابن حبان : « كان متقناً ضابطاً ، صحب ابن عيينة سنين كثيرة ، وسمع أحاديثه مراراً » . فمثل هذا لا يستبعد عليه أن يأتى عن شيخه بما لم يأت به غيره . هذه واحدة .

وأخرى : أنه لم ينفرد به عن ابن عيينة — كما ترى . وكفى برواية الشافعى إياه عن ابن عيينة ثقة وحجة .

ثم لم ينفرد به ابن عيينة عن أيوب عن قتادة . كما تبين مما ذكرنا من الأسانيد ، ومن رواية الطبرى هنا . فقد رواه هشام الدستوائى ، ومعمر ، وشعبة — ثلاثتهم عن قتادة ، كما ترى .

ولذلك ذكره ابن كثير ٢ : ٧١ — ٧٢ ، قال : « وقال قتادة ، عن أبى حسان الأعرج ، عن ابن عباس . . . » . فلم يذكر من رواه عن قتادة ، لثبوته عنه من غير وجه .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٠ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والبخارى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى .

(١) فى المطبوعة : « الذى قصد تعريفه من قوله تداينتم حكمه » .، وهو غير مستقيم ، وفى المخطوطة : « تعريف من قوله تداينتم حكمه »، بين الكلام بياض، وبالهامش حرف (ط) إشارة إلى الخطأ ، فآثرت أن أقيم الجملة بزيادة « سمع » حتى يستقيم الكلام بعض الاستقامة . وقوله « حكمه » مفعول المصدر فى قوله : « تعريف من سمع » . ثم انظر الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس : ٨٥ ، فإنه نقل كلام الطبرى مختصراً ، آخره : « المعنى الذى قصد له » .

(٢) لم أعرف قائله ، ولكنه مشهور فى كتب التفسير ، انظر تفسير أبى حيان ١ : ٣٤٣ ، والقرطبى ٣ : ٣٧٧ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَاكْتُبُوهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فاكتبوه » ، فاكتبوا الدَّين الذى تداينتموه إلى أجل مسمى ، من بيع كان ذلك أو قرض .

* * *

واختلف أهل العلم فى اكتتاب الكتاب بذلك على من هو عليه ، هل هو واجبٌ أو هو نَدْبٌ .

فقال بعضهم : هو حق واجبٌ وفرضٌ لازم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٢٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، قال : من باع إلى أجل مسمى ، أمِرَ أن يكتب ، صغيراً كان أو كبيراً إلى أجل مسمى .

٦٣٢٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، قال : فمن ادَّان ديناً فليكتب ، ومن باع فليُشهد .

٦٣٢٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، فكان هذا واجباً .

٦٣٢٥ — وحدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله = وزاد فيه ، قال : ثم قامت الرُّخصة والسَّعة ، [1] قال : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ

---

(١) قوله : « ثم قامت الرخصة والسعة » ، أى ثبتت واستقامت ، وهو مجاز ، مثله قولهم : « قام الماء » إذا ثبت متحيراً لا يجد منفذاً ، وإذا جمد أيضاً . « وقامت عينه » : ثبتت لم تتحرك . و « قام عندهم الحق » : أى ثبت ولم يبرح . كل ذلك مجاز .

بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ ﴾ .

٦٣٢٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنّ أبا سليمان المرْعشىّ ، كان رجلاً صحب كعباً ، فقال ذات يوم لأصحابه : هل تعلمون مظلوماً دعا ربه فلم يستجب له ؟ قالوا : وكيف يكون ذلك ؟ قال : رجل باع شيئاً فلم يكتبْ ولم يُشْهد ، فلما حلّ ماله جحده صاحبه ، فدعا ربَّه فلم يستجب له ، لأنه قد عصى ربه .[1]

• • •

وقال آخرون : كان اكتتاب الكتاب بالدَّين فرضاً ، فنسخه قوله . ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ .

• ذكر من قال ذلك :

٦٣٢٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن ابن شبرمة ، عن الشعبى قال : لا بأس إذا أمنتَه أن لا تكتب ولا تُشْهد ، لقوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً » = قال ابن عيينة ، قال ابن شبرمة ، عن الشعبى : إلى هذا انتهى .

٦٣٢٨ — حدثنا المثنى ، قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عامر فى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » حتى بلغ هذا المكان : « فإنْ أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته » ، قال : رَخَّص من ذلك ،[2] فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه .

---

(١) الأثر : ٦٣٢٦ — «أبو سليمان المرعشى » فى المخطوطة « المدعس » ، وفى ابن كثير ٢ : ٧٢ . وقد ذكر البخارى فى الكنى : ٣٧ ، « أبو سليمان ، عن كعب قوله ، روى عنه قتادة » .

(٢) فى المطبوعة : « رخص فى ذلك » ، والذى فى المخطوطة صواب ، ولكنه سيأتى فى المخطوطة كالمطبوعة هنا فى رقم ٦٣٣٤ .

٦٣٢٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن الشعبى قال : إن ائتمنه فلا يشهد عليه ولا يكتب .

٦٣٣٠ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى قال : فكانوا يرون أنّ هذه الآية : « فإن أمن بعضكم بعضاً » ، نسخت ما قبلها من الكتابة والشهود ، رخصةٌ ورحمةٌ من الله .

٦٣٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال غير عطاء :[1] نسخت الكتابَ والشهادة : « فإنْ أمن بعضُكم بعضاً » .

٦٣٣٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : نسخ ذلك قوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته » ، قال : فلولا هذا الحرفُ ،[2] لم يبح لأحد أن يَدّان بدين إلا بكتاب وشهداء أو برَهْنٍ . فلما جاءت هذه نسخت هذا كله ، صار إلى الأمانة . ٧٨/٣

٦٣٣٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمى قال : سألت الحسن قلت : كل من باعَ بيعاً ينبغى له أن يشهد ؟ قال : ألم تر أنّ الله عز وجل يقول : « فليؤد الذى اؤتمن أمانته » ؟

٦٣٣٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا

---

(١) قوله : « قال غير عطاء » ، لم يمض لقول عطاء ذكر فيما سلف فى قول من قال إن الاكتتاب حق واجب وفرض لازم . ولعله سقط أثر فيه التصريح بما قال عطاء ، أو لعله اقتصر على ما قاله ابن جريج فى الأثر رقم : ٦٣٢٣ ، كأنه من رواية ابن جريج عن عطاء .

(٢) قوله « فلولا هذا الحرف » ، يعنى : فلولا هذا القول من الله تعالى . واستعمال « الحرف » بمعنى القول ، لم أجده فى كتاب من كتب اللغة ، ولكنه مجاز حسن ، كما سموا القصيدة « كلمة » ، فجائز أن يقال للآية وللقول كله « حرف » .

داود، عن عامر في هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، حتى بلغ هذا المكان : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذي اؤتمن أمانته » ، قال : رخص في ذلك ، فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه .

٦٣٣٥ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي في قوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً » ، قال : إن أشهدت فحَزْمٌ ، وإن لم تُشْهِد ففي حِلّ وسَعة .

٦٣٣٦ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم، عن إسمعيل بن أبي خالد قال : قلت للشعبي : أرأيت الرجل يستدينُ من الرجل الشيء ، أحتمٌ عليه أن يُشهِد ؟ قال : فقرأ إلى قوله :[1] « فإن أمن بعضكم بعضاً » ، قد نسخ ما كان قبله .

٦٣٣٧ — حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا محمد بن مروان العقيلي قال، حدثنا عبد الملك بن أبي نضرة، [عن أبيه] ، عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى » إلى : « فإن أمن بعضكم بعضاً » =[2] قال : هذه نسخت ما قبلها .[3]

* * *

---

(١) في المخطوطة : « قال فقال إلى قوله . . . » بياض بين الكلمتين، و « فقال »، مكان « فقرأ » والذي في المطبوعة أشبه بالصواب .

(٢) في المطبوعة : « قال فقرأ إلى : فإن أمن . . . » وفي المخطوطة تكرار بعد قوله : « إلى أجل مسمى » نصه : « قال فقرأ : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى . هذه نسخت ما قبلها » ولم يذكر « فإن أمن . . . » وهي الآية الناسخة . وأثبت الصواب من الناسخ والمنسوخ : ٨٣ ، وروى الخبر ، كما سيأتي .

(٣) الأثر : ٦٣٣٧ — « محمد بن مروان بن قدامة العقيلي » روى عنه البخاري في التعاليق ، وأبو داود في المراسيل، وروى عنه مسدد ويحيى بن معين وغيرهم . قال أحمد : « رأيت محمد بن مروان العقيلي، وحدث بأحاديث وأنا شاهد ، لم أكتبها، تركتها على عمد » — كأنه ضعفه . وقال ابن معين : « ليس به بأس » ، وعن أبي داود : « صدوق » . مترجم في التهذيب . و « عبد الملك بن أبي نضرة العبدي » روى عن أبيه . قال الحافظ في التهذيب : « ذكره ابن حبان في الثقات وقال : ربما أخطأ . له عندهما حديث في آية الدين : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم . قلت : وقال الدارقطني : لا بأس به . وقال الحاكم في

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وليكتب كتابَ الدين إلى أجل مسمى بين الدائن والمدين = « كاتبٌ بالعَدْل » ، يعنى : بالحق والإنصاف فى الكتاب الذى يكتبه بينهما ، بما لا يتحيَّف ذا الحق حقه ولا يَبخسه ،(١) ولا يوجب له حُجةً على من عليه دينه فيه بباطل ، ولا يُلزمه ما ليس عليه، كما :ـــ

٦٣٣٨ ـــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » ، قال : اتقى الله كاتبٌ فى كتابه ، فلا يَدَعن منه حقًّا ، ولا يزيدنَّ فيه باطلاً .

* * *

وأما قوله : « ولا يَأبَ كاتب أن يكتب كما علمه الله » ، فإنه يعنى : ولا يأبينَّ كاتبٌ استكتب ذلك، أن يكتب بينهم كتابَ الدَّين ، كما علمه الله كتابته فخصَّه بعلم ذلك ، وحَرَمه كثيراً من خلقه .

* * *

وقد اختلف أهل العلم فى وجوب الكتاب على الكاتب إذا استكتب ذلك ،

المستدرك : من أعز البصريين حديثاً » . مترجم فى التهذيب . وأبوه « أبو نضرة » هو : « المنذر بن مالك بن قطعة العبدى » روى عن على بن أبى طالب ، وأبى موسى الأشعرى ، وأبى ذر ، وأبى سعيد ، وابن عباس وغيرهم من الصحابة . قال أحمد : « ثقة » . وقال ابن سعد : « ثقة كثير الحديث ، وليس كل أحد يحتج به » . مترجم فى التهذيب .

هذا ، وقد أسقطت المخطوطة والمطبوعة ما وضعناه بين القوسين [عن أبيه] ، وهو سهو من الناسخ ، وقد جاء على الصواب فى الناسخ والمنسوخ : ٨٣ بهذا الإسناد نفسه ، كما أشرت إليه فى التعليق السالف .

(١) فى المطبوعة : « لا يحيف ذا الحق » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، وهى فيها برسم ما أثبت غير منقوط . حاف يحف حيفاً : مال وجار ، وهو فعل لازم غير متعد . أما « تحيفه ماله وحقه » : تنقصه من حافاته .

نظير اختلافهم فى وجوب الكتاب على الذى له الحق .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٣٩ — حدثنا محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « ولا يأب كاتب » ، قال : واجبٌ على الكاتب أن يكتُبَ .

٦٣٤٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : قوله : « ولا يأب كاتب أن يكتب » ، أواجب أن لا يأبى أن يكتب ؟ قال : نعم = قال : ابن جريج ، وقال مجاهد : واجب على الكاتب أن يكتُب .

٦٣٤١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » ، بمثله .

٦٣٤٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعطاء قوله : « ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله » ، قالا : إذا لم يجدوا كاتباً فدُعيتَ ، فلا تأبَ أن تكتب لهم .

* * *

* ذكر من قال : « هى منسوخة » . قد ذكرنا جماعة ممن قال : « كل ما فى هذه الآية من الأمر بالكتابة والإشهاد والرّهن ، منسوخٌ بالآية التى فى آخرها » ، [1] وأذكر قولَ من تركنا ذكره هنالك ببعض المعانى .

٦٣٤٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال : حدثنا أبو زهير ، عن

---

(١) انظر ما سلف من رقم : ٦٣٢٧ — ٦٣٣٧

جويبر ، عن الضحاك : « ولا يأب كاتب » ، قال : كانت عزيمةً ، فنسختها : « ولا يُضَارَّ كاتبٌ ولا شهيدٌ » .

٦٣٤٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله » ، فكان هذا واجباً على الكتّاب .

• • •

٧٩/٣ وقال آخرون : هو على الوجوب ، ولكنه واجبٌ على الكاتب في حال فراغه .

• ذكر من قال ذلك :

٦٣٤٥ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » ، يقول : لا يأب كاتبٌ أن يكتب إن كان فارغاً .

• • •

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أنّ الله عز وجل أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كُتُب الدين بينهم ، وأمر الكاتب أن يكتبَ ذلك بينهم بالعدل . وأمرُ الله فرضٌ لازم ، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد وندبٌ . ولا دلالة تدلّ على أنّ أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب في ذلك ، وأنّ تقدّمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك ، ندبٌ وإرشادٌ . فذلك فرضٌ عليهم لايسعهم تضييعه ، ومن ضَيَّعه منهم كان حَرِجاً بتضييعه .[1]

ولا وجه لاعتلال من اعتلّ بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله : «فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته» . لأن ذلك إنما أذِن الله تعالى ذكره به حيثُ لا سبيل إلى الكتاب أو إلى الكاتب. فأما والكتابُ والكاتبُ موجودان، فالفرضُ — إذا كان الدَّينُ إلى أجل مسمى — ما أمر الله تعالى ذكره به في قوله : « فاكتبوه

---

(١) قوله : « حرجاً » ، أى آثماً . وانظر ما سلف مراراً فى التعليق على هذه الكلمة ٢ : ٤٢٣/ ثم ٤ : ٢٢٤ (تعليق : ١) / ثم ٤٧٥ تعليق : ٢ / ثم ٥٦٦ تعليق : ٣ ، ثم ص ٥٦٧ وما بعدها .

وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله » .

وإنما يكون الناسخُ، ما لم يجز اجتماع حُكمه وحكم المنسوخ فى حال واحدة ، على السبيل التى قد بيناها .[1] فأما ما كان أحدهما غير نافٍ حكم الآخر ، فليس من الناسخ والمنسوخ فى شىء .

ولو وجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ناسخاً قوله : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » — لوجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ [سورة المائدة: ٦] ناسخاً الوضوء بالماء = فى الحضر عند وجود الماء فيه وفى السفر = الذى فرضه الله عز وجل بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [سورة المائدة ٦]، وأن يكون قوله فى كفارة الظِّهار : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ [سورة المجادلة : ٤]ناسخاً قوله ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾[2][سورة المجادلة : ٣].

* * *

فيُسْأل القائل إنّ قول الله عز وجل : «فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته » ناسخٌ قوله : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » : ما الفرقُ بينه وبين قائلٍ فى التيمم وما ذكرنا قوله =[3] فزعم أنّ كل ما أبيح فى حال

(١) يعنى ما سلف له بيانه فى ٣: ٣٨٥ ، ٥٦٣ / ٤ : ٥٨٢، وما سيأتى فى هذا الجزء : ١١٨ ، تعليق : ١.

(٢) ساق رأى الطبرى مختصراً ، أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ٨٣ ، ٨٤، والقرطبى فى تفسيره ٣ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٣) فى المطبوعة : « ما الفرق بينه وبين القائل فى التيمم ما ذكرنا قوله » ، أدخل التعريف على « قائل » ، وحذف الواو من « وما ذكرنا » فصار الكلام محفوفاً بالفساد والخلط من كل مكان ، وتخلع السياق تخلعاً قبيحاً . وقول الطبرى « وما ذكرنا » يعنى ما ذكره فى آية الظهار السالفة . ويعنى بقوله :

الضرورة لعلة الضرورة، ناسخ حكمُه فى حال الضرورة حكمَه فى كل أحواله : نظيرَ قوله فى أنّ الأمر باكتتاب كتب الديون والحقوق منسوخٌ بقوله: « وإن كنتم عَلى سَفر ولم تجدُوا كاتباً فرهانٌ مقبوضة فإن أمن بعضُكم بعضاً فليؤدِّ الذى اؤتمن أمانته » ؟

فإن قال: الفرق بينى وبينه أن قوله : « فإن أمن بعضُكم بعضاً » كلام منقطع عن قوله : « وإن كنتم على سَفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة » ، وقد انتهى الحكم فى السفر إذا عُدم فيه الكاتب بقوله: « فرهان مقبوضة » . وإنما عنى بقوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً » : « إذا تداينتم بدَين إلى أجل مسمى » ، فأمن بعضكم بعضاً ، فليؤدِّ الذى اؤتمن أمانته .

قيل له : وما البرهان على ذلك من أصل أو قياس ، وقد انقضى الحكم فى الدَّين الذى فيه إلى الكاتب والكتاب سبيلٌ بقوله : « ويُعلّمكم الله واللهُ بكل شىء عليم » ؟ [1]

* * *

وأما الذين زعموا أن قوله : « فاكتبوا » ، وقوله : « ولا يأب كاتب » على وجه الندب والإرشاد، فإنهم يُسألون البرهان على دعواهم فى ذلك ، ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذى أمر فى كتابه ، ويُسألون الفرق بين ما ادّعوا فى ذلك وأنكروه فى غيره . فلم يقولوا فى شىء من ذلك قولا إلا ألزموا فى الآخر مثله .

* * *

ذكر من قال : « العدل » فى قوله : « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » : الحقّ .

« وما ذكرنا قوله » ، أى أنه منسوخ بتمام الآية .

(١) هذه حجة حبر ربانى بصير بمعانى الكلام .

. . . .

. . . .

. . . . (١)

* * *

٨٠/٣

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : « فليكتب » الكاتب = « وليملل الذى عليه الحقّ » ، وهو الغريم المدينُ يقول : ليتولّ المدين إملالَ كتاب ما عليه من دين ربّ المال على الكاتب = « وليتق الله ربه » المملى الذى عليه الحقّ ، فليحذر عقابه فى بخس الذى له الحق من حقه شيئاً ، أنْ ينقُصَه منه ظلماً أو يذهب به منه تعدّياً ، فيؤخذ به حيث لا يقدرُ على قضائه إلاّ من حسناته ، أو أن يتحمل من سيئاته ، كما : —

٦٣٤٦ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : «فليكتب وليملل الذى عليه الحق» ، فكان هذا واجباً — « وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً » ، يقول : لا يظلم منه شيئاً .

٦٣٤٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا يبخس منه شيئاً » ، قال : لا ينقص من حقّ هذا الرجل شيئاً إذا أملى .

---

(١) سقط من الناسخ فى هذا المكان ، ما رواه أبو جعفر من أقوال القائلين فى معنى « العدل » بإسناده إليهم ولا سبيل إلى إتمام ذلك حتى توجد نسخة من التفسير يقل سهو ناسخها وإغفاله .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : سقط من الناسخ « فليكتب » قبل « وليملل » ، فأثبتها .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً » ، فإن كان المدين الذى عليه المال « سفيهاً » ، يعنى : جاهلا بالصواب فى الذى عليه أن يُملَّه على الكاتب ، كما : —

٦٣٤٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : «فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً »، أما السفيه ، فالجاهل بالإملاء والأمور .

* * *

وقال آخرون : بل « السفيه » فى هذا الموضع ، الذى عناه الله : الطفلُ الصغير .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٤٩ — حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً »، أما السفيه ، فهو الصغير .

٦٣٥٠ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً » ، قال : هو الصبى الصغير ، فليملل وليُّه بالعدل .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : « السفيه فى هذا الموضع : الجاهل بالإملاء وموضع صواب ذلك من خطئه » ، لما قد بينا قبل من أن معنى « السفه » فى كلام العرب : الجهلُ .[1]

(١) انظر تفسير « السفه » فيما سلف ١ : ٢٩٣ — ٢٩٥ / ٣ : ٩٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

وقد يدخل في قوله : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً » ، كل جاهل بصواب ما يُملّ من خطئه ، من صغير وكبير ، وذكر وأنثى . غير أن الذى هو أولى بظاهر الآية أن يكون مراداً بها : كلُّ جاهل بموضع خطأ ما يملّ وصوابه : من بالغى الرجال الذين لا يُولَّى عليهم = والنساء . لأنه جل ذكره ابتدأ الآية بقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدَين إلى أجل مسمى » ، والصبي ومن يُولّى عليه ، لا يجوز مُداينته ، وأنّ الله عز وجل قد استثنى من الذين أمرَهم بإملال كتاب الدَّين مع السفيه ، الضعيفَ ومن لا يستطيع إملاله . ففى فصْله جل ثناؤه الضعيفَ من السفيه ومن لا يستطيع إملاء الكتاب فى الصفة التى وصف بها كل واحد منهم ،[1] ما أنبأ عن أن كل واحد من الأصناف الثلاثة الذين ميَّز بين صفاتهم ، غير الصنفين الآخرين .[2]

وإذا كان ذلك كذلك ، كان معلوماً أنّ الموصوف بالسفه منهم دون الضعف ، هو ذو القوة على الإملال ، غيرَ أنه وُضع عنه فرض الإملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه = وأن الموصوف بالضعف منهم ، هو العاجز عن إملاله ، وإن كان شديداً رشيداً ، إما لعيّ لسانه أو خرس به = وأنّ الموصوف بأنه لا يستطيع أن يملّ ، هو الممنوع من إملاله ، إما بالحبس الذى لا يقدر معه على حضور الكاتب الذى يكتب الكتاب فيملّ عليه ، وإما لغيبته عن موضع الإملال ، فهو غير قادر من أجل غيبته عن إملال الكتاب .

فوضع الله جلّ وعز عنهم فرض إملال ذلك ، للعلل التى وصفنا — إذا كانت بهم — وعذرهم بترك الإملال من أجلها ، وأمرَ ، عند سقوط فرض ذلك عليهم ، ولىَّ

---

(١) فى المخطوطة : « فمن فصله جل ثناؤه الضعيف من السفيه ، فالصفة ومن لا يستطيع إملاء الكتاب التى وصف الله بها كل واحد منهم . . . » وهو كلام مضطرب ، وقد أصاب ناشر المطبوعة فى تصحيحه .

(٢) فى المخطوطة : « . . . الذين بين الله صفاتهم » ، وهو تصحيح لما كان فى المخطوطة وهو : « الذين س منه صفاتهم » غير منقوطة ، ورجحت قراءتها كما أثبتها .

الحق بإملاله فقال : « فإن كان الذى عليه الحقّ سفيهاً أو ضعيفاً أولا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل » ، يعنى : ولىُّ الحقّ .

* * *

ولا وجه لقول من زعم أن « السفيه » فى هذا الموضع هو الصغير ، وأن « الضعيفَ » هو الكبير الأحمق . لأن ذلك إن كان كما قال ، يوجب أن يكون قوله : « أولا يستطيعُ أن يملّ هو » هو ، العاجز من الرجال العقلاء الجائزى الأمر فى أموالهم وأنفسهم عن الإملال ، إما لعلة بلسانه من خرس أو غيره من العلل ، وإما لغيبته عن موضع الكتاب . وإذا كان ذلك كذلك معناه ، لبطل معنى قوله : « فليملل وليه بالعدل » ، [1] لأن العاقل الرشيد لا يولى عليه فى ماله وإن كان أخرس أو غائباً ، [2] ولا يجوز حُكم أحد فى ماله إلاّ بأمره . وفى صحة معنى ذلك ، ما يقضى على فساد قول من زعم أن « السفيه » فى هذا الموضع ، هو الطفل الصغير ، أو أو الكبير الأحمق . ٨١/٣

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٥١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل » ، يقول : ولىّ الحق .

٦٣٥٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل » ، قال يقول : إن كان عجز عن ذلك ، أملّ صاحبُ الدَّين بالعدل .

* * *

(١) فى المطبوعة : « بطل » ، وفى المخطوطة : « فبطل » ، ورجحت قراءتها كما أثبتها .

(٢) فى المخطوطة : « لا يولى عليه ماله » ، وما فى المطبوعة أشبه بالصواب .

• ذكر الرواية عمن قال : « عنى بالضعيف فى هذا الموضع : الأحمق » ، وبقوله : « فليملل وليه بالعدل » ، ولى السفيه والضعيف .

٦٣٥٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو » ، قال : أمر ولىّ السفيه أو الضعيف أن يملّ بالعدل .

٦٣٥٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما الضعيف ، فهو الأحمق .

٦٣٥٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : أما الضعيفُ فالأحمق .

٦٣٥٦ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً » لا يعرف فيثبت لهذا حقه ويجهل ذلك ، فوليه بمنزلته حتى يضع لهذا حقه .

• • •

وقد دللنا على أولى التأويلين بالصواب فى ذلك .

• • •

وأما قوله : « فليملل وليه بالعدل » ، فإنه يعنى : بالحق .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : واستشهدوا على حقوقكم شاهدين .

• • •

يقال : « فلان » شَهيدى على هذا المال ، وشاهدى عليه » .[1]

• • •

(١) انظر تفسير « شهيد » فيما سلف ١ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

وأما قوله : « من رجالكم » ، فإنه يعنى من أحراركم المسلمين ، دون عبيدكم ، ودون أحراركم الكفار ، كما : —

٦٣٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » ، قال : الأحرار .

٦٣٥٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا على بن سعيد ، عن هشيم ، عن داود ابن أبى هند ، عن مجاهد مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن لم يكونا رجلين ، فليكن رجلٌ وامرأتان على الشهادة . ورفع « الرجل والمرأتان » ، بالرّد على « الكون » . وإن شئتَ قلتَ : فإن لم يكونا رجلين ، فليشهد رجل وامرأتان على ذلك . وإن شئت : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون عليه . وإن قلت : فإن لم يكونا رجلين فهو رجلٌ وامرأتان ، [1] كان صواباً . كل ذلك جائز .

* * *

ولو كان « فرجلاً وامرأتين » نصباً ، كان جائزاً ، على تأويل : فإن لم يكونا رجلين فاستشهدوا رجلاً وامرأتين . [2]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فرجل وامرأتان » ، والصواب ما أثبت ، وهو الوجه الذى ذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٨٤ .

(٢) أكثر هذا نص معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٤ . وفى المخطوطة والمطبوعة : « فرجل وامرأتان » نصباً ، والأجود ما أثبت .

وقوله : «ممن ترضون من الشهداء» ، يعني : من العدول المرتضَى دينُهم وصلاحهم ، كما : —

٦٣٥٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : «واستشهدوا شهيدين من رجالكم» ، يقول : في الدَّين = «فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان» ، وذلك في الدين = «ممن تَرْضون من الشهداء» ، يقول : عدولٌ .

٦٣٦٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : «واستشهدوا شهيدين من رجالكم» ، أمر الله عز وجل ٨٢/٣ أن يُشهدوا ذَوَىْ عدل من رجالهم = «فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضَون من الشهداء» .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ بفتح «الألف» من «أنْ» ، ونصب «تَضلَّ» ، و «تذكرَ» ، بمعنى : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ، كي تذكر إحداهما الأخرى إن ضلّت . وهو عندهم من المقدَّم الذي معناه التأخير . لأن «التذكير» عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان «تضلَّ» . لأن المعنى ما وصفنا في قولهم . وقالوا : إنما نصبنا «تذكّر» ، لأن الجزاء لما تقدم اتصلَ بما قبله ،[1] فصار جوابه

(١) في المخطوطة : «لما تقدم تصل بما قبله» ، والصواب من المخطوطة ، ومعاني القرآن للفراء .

مردوداً عليه ، كما تقول فى الكلام : « إنه ليعجبنى أن يسأل السائل فيُعطى » ، بمعنى : إنه ليعجبنى أن يُعطى السائل إن سأل — أو : إذا سأل . فالذى يعجبك هو الإعطاء دون المسألة . ولكن قوله : « أنْ يسأل » لما تقدم ، اتصل بما قبله وهو قوله : « ليعجبنى » ، ففتح « أنْ » ونصب بها ،[1] ثم أتبع ذلك قوله : « يعطى » ، فنصبه بنصب قوله : « ليعجبنى أن يسأل » ، نسقاً عليه ، وإن كان فى معنى الجزاء .[2]

* * *

وقرأ ذلك آخرون كذلك ، غير أنهم كانوا يقرأونه بتسكين « الذال » من ﴿ تُذْكِرَ ﴾ وتخفيف كافها . وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم فى تأويل قراءتهم إياه كذلك .

وكان بعضهم يوجّهه إلى أن معناه : فتصيِّر إحداهما الأخرى ذَكراً باجتماعهما ، بمعنى : أن شهادَتها إذا اجتمعت وشهادة صاحبتها ، جازت كما تجوز شهادةُ الواحد من الذكور فى الدَّين ، لأن شهادة كل واحدة منهما منفردةً غيرُ جائزة فيما جازَت فيه من الديون إلاّ باجتماع اثنتين على شهادة واحد ، فتصير شهادَتهما حينئذ بمنزلة شهادة واحد من الذكور ،[3] فكأن كل واحدة منهما — فى قول متأوِّلى ذلك بهذا المعنى — صيَّرت صاحبتها معها ذَكراً . وذهب إلى قول العرب : « لقد أذكرت بفلان أمُّه » ، أى ولدته ذَكراً ، « فهى تُذْكِر به » ، « وهى امرأةٌ مُذْكِرٌ » ، إذا كانت تَلد الذكور من الأولاد . وهذا قول يروى عن سفيان بن عيينة أنه كان يقوله .

---

(١) فى المطبوعة : « فتح أن ونصب بها » ، وفى المخطوطة : « ففلح ونصب بها » تصحيف ، وبإسقاط « أن » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٤ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « منزلة شهادة واحد . . . » بإسقاط الباء ، والصواب ما أثبت .

٦٣٦١ — حدثت بذلك عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال : حدثت عن سفيان بن عيينة أنه قال : ليس تأويل قوله : « فتذْكر إحداهما الأخرى » من الذِّكْر بعد النسيان ، إنما هو من الذَّكَر ، بمعنى : أنها إذا شهدت مع الأخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر .

* * *

وكان آخرون منهم يوجهونه إلى أنه بمعنى « الذكر » بعد النسيان .[1]

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ « بكسر « إن » من قوله : « إن تضلّ » ورفع « تذكر » وتشديده ، كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان إن نسيت إحداهما شهادتها ، ذكرتها الأخرى ،[2] من تثبيت الذاكرةِ الناسيةَ وتذكيرها ذلك[3] = وانقطاع ذلك عما قبله .[4] ومعنى الكلام عند قارئ ذلك كذلك : واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، فإن إحداهما إن ضلت ذكرتها الأخرى = على استئناف الخبر عن فعلها إن نسيت إحداهما شهادتها ، من تذكير الأخرى منهما صاحبتها الناسية .[5]

وهذه قراءة كان الأعمش يقرؤها ومن أخذها عنه . وإنما نصب الأعمش « تضل » ، لأنها في محل جزم بحرف الجزاء ، وهو « إن » . وتأويل الكلام على

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وقال آخرون منهم يوجهونه » ليس صواباً ، والصواب ما أثبت .

(٢) في المطبوعة « تذكرها الأخرى » ، وفي المخطوطة « وذكرها الأخرى » ، والسياق يقتضي ما أثبت . وسيأتي بعد ما يدل على صواب ما رجحت .

(٣) في المخطوطة : « وتنكيرها ذلك » ، تصحيف .

(٤) قوله : « وانقطاع ذلك عما قبله » معطوف على قوله آنفاً : « بمعنى ابتداء الخبر . . . » .

(٥) في المخطوطة : « من تنكير الأخرى منهما . . . » ، تصحيف ، كالسالف في التعليق رقم : ٣ .

قراءته[1] : « إن تضْلل » ، فلما اندغمت إحدى اللامين فى الأخرى ، حركها إلى أخفّ الحركات ، ورفع « تذكر » بالفاء ، لأنه جواب الجزاء .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ، قراءةُ من قرأه بفتح « أن » من قوله : « أن تضلّ إحداهما » ، وبتشديد الكاف من قوله : « فتذكّر إحداهما الأخرى » ، ونصب الراء منه ، بمعنى : فإن لم يكونا رجلين ، فليشهد رجلٌ وامرأتان ، كى إن ضلت إحداهما ذكّرتها الأخرى .

وأما نصب « فتذكر » فبالعطف على « تضل » ، وفتحت « أن » بحلولها محل « كى » وهى فى موضع جزاء ، والجواب بعده ، اكتفاءً بفتحها = أعنى بفتح « أن » = من « كى » ، ونسق الثانى — أعنى : « فتذكر » — على « تضل » ، ليعلم أن الذى قام مقام ما كان يعمل فيه وهو ظاهر ، قد دلّ عليه وأدّى عن معناه وعمله — أى عن « كى » .

٣/٣

وإنما اخترنا ذلك فى القراءة ، لإجماع الحجة من قُدماء القرأة والمتأخرين على ذلك ، وانفراد الأعمش ومن قرأ قراءته فى ذلك بما انفرد به عنهم . ولا يجوز تركُ قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بيْنهم ، إلى غيرها .

وأما اختيارنا « فتذكر » بتشديد الكاف ، فإنه بمعنى : ترديد الذكر من إحداهما على الأخرى ، وتعريفها بأنها [نسيت] ذلك ، لتذكر.[2] فالتشديد به أولى من التخفيف .

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « تأويل الكلام » بإسقاط الواو ، والصواب ، ما أثبت .

(٢) مطبوعة بولاق : « فإنه بمعنى تأدية الذكر من إحداهما على الأخرى وتعريفها بأنها ذلك لتذكر » . وهو كلام بلا معنى . وفى مطبوعة أخرى قبله ، مع « بإنهاء ذلك » مكان « بأنها ذلك » وهو أشد خلواً من المعنى . وفى المخطوطة : « بمعنى بورىه الذكر . . بأنها ذلك » ، غير منقوطة . وصواب قراءتها ما أثبت ، مع زيادة « نسيت » التى وضعتها بين القوسين .

وأما ما حكى عن ابن عيينة من التأويل الذى ذكرناه ، فتأويلٌ خطأٌ لا معنى له ، لوجوه شتى :

أحدها : أنه خلافٌ لقول جميع أهل التأويل .

والثانى : أنه معلوم أن ضلال إحدى المرأتين فى الشهادة التى شهدت عليها ، [1] إنما هو ذهابُها عنها ونسيانها إياها ، [2] كضلال الرجل فى دينه : إذا تحيَّر فيه فعدَل عن الحق[3] . وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة ، فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكراً معها ، مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها ؟ وللضَّالة منهما فى شهادتها حينئذ ، [4] لا شك أنها إلى التذكير أحوجُ منها إلى الإذكار ، إلاَّ إن أراد أنَّ الذاكرة إذا ضَعُفت صاحبتُها عن ذكر شهادتها شحذَتْها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته ، [5] فقوّتها بالذكر حتى صيرتها كالرجل فى قوتها فى ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك ، [6] كما يقال للشىء القوى فى عمله : « ذَكَرٌ » ، وكما يقال للسيف الماضى فى ضربه « سيف ذكر » ، و « رجل ذَكَر » يراد به : ماض فى عمله ، قوىّ البطش ، صحيحُ العزم .

فإن كان ابن عيينة هذا أراد ، فهو مذهبٌ من مذاهب تأويل ذلك ، إلا أنه

---

(١) فى المطبوعة : « أنه معلوم بأن ضلال . . . » بزيادة الباء ، وهو لا خير فيه ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « إنما هو خطؤها عنها بنسيانها » ، والصواب من المخطوطة ، غير أنها أسقطت الواو قبل « ونسيانها » .

(٣) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف ١ : ١٩٥ / ثم ٢ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

(٤) فى المطبوعة : « فالضالة منهما » ، وفى المخطوطة : « ولا الضالة منهما » ، والصواب ما أثبت .

(٥) فى المطبوعة : « ستجرئها على ذكر ما ضعفت عن ذكره . . . » ، وفى المخطوطة : « سحدتها » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . مجاز من قولهم : « شحذ السكين والسيف » : حدده بالمسن ومنه : « شحذ الجوع معدته » ، إذا أضرمها وقواها على الطعام وأحدها . ويقال : « اشحذ له غرب ذهنك » ، و « هذا الكلام مشحذة للفهم » .

(٦) فى المخطوطة : « ... وته بالذكر » ، وما فى المطبوعة أجود

إذا تُؤُوِّل ذلك كذلك ،[1] صار تأويله إلى نحو تأويلنا الذى تأوّلناه فيه، وإن خالفت القراءةُ بذلك المعنى، القراءةَ التى اخترناها .[2] ومعنى القراءة حينئذ صحيح بالذى اختار قراءته من تخفيف الكاف من قوله : « فتذكر » .[3] ولا نعلم أحداً تأوّل ذلك كذلك، ويستحب قراءته كذلك بذلك المعنى . فالصواب فى قراءته — إذْ كان الأمر عامًّا على ما وصفنا — ما اخترنا .[4]

* * *

* ذكر من تأول قوله : « أنْ تضلّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى » نحو تأويلنا الذى قُلنا فيه .

٦٣٦٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضلّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى » ، علم الله أن ستكونُ حقوق، فأخذ لبعضهم من بعض الثِّقة ، فخذوا بثقة الله ، فإنه أطوع لربّكم وأدرَكُ لأموالكم . ولعمرى لئن كان تقيًّا لا يزيده الكتاب إلاخيراً ، وإن كان فاجراً فبالحرَى أن يؤدّى إذا علم أنّ عليه شهوداً .

٦٣٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » ، يقول : أن تنسى إحداهما فتذكِّرها الأخرى .

٦٣٦٤ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

---

(١) فى المطبوعة : « إذا تأول ذلك . . . » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « القراءة الذى اخترناها » ، وهو سهو من الناسخ الكثير السهو ! !

(٣) فى المطبوعة : « بأن تغير القراءة حينئذ الصحيحة بالذى اختار قراءته . . . » وهو كلام قد أريق معناه ضياعاً . وفى المخطوطة : « بأن بعن القراءة حينئذ الصحيح بالذى اختار قراءته . . . » ، وهو مصحف ، وأرجح أن يكون صواب الجملة كما أثبتها ، لأنها عندئذ مصيبة معنى ما أراد أبو جعفر .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فالصواب فى قوله . . . » ، والصواب ما أثبت . وسياق الجملة : « فالصواب فى قراءته . . . ما اخترنا » .

عن السدى : « أن تضل إحداهما » ، يقول : تنسى إحداهما الشهادة ، فتذكّرها الأخرى .

٦٣٦٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « أن تضل إحداهما » ، يقول : إنْ تنسَ إحداهما تذكِّرْها الأخرى .

٦٣٦٦ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أن تضل إحداهما فتُذْكِرَ إحداهما الأخرى » ، قال : كلاهما لغة ، وهما سواء ، ونحن نقرأ ، « فتذكّر » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الحال التى نَهى الله الشهداءَ عن إباء الإجابة إذا دعوا بهذه الآية .

فقال بعضهم : معناه : لا يأب الشهداء أن يجيبوا ، إذا دعوا ليشهدوا على الكتاب والحقوق .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٦٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله تعالى : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، كان الرجل يطوف فى الحِوَاء ٨٤/٣ العظيم فيه القوم ،[1] فيدعوهم إلى الشهادة ، فلا يتبعه أحد منهم . قال : وكان قتادة يتأوّل هذه الآية : « ولا يأبَ الشّهداء إذا ما دُعوا» ليشهدوا لرجل على رجل .

٦٣٦٨ — حدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : كان الرجل يطوف فى القوم

---

(١) الحواء (بكسر الحاء) : بيوت مجتمعة من الناس على ماء .

الكثير يدعوهم ليشهدوا ، فلا يتبعه أحد منهم ، فأنزل الله عز وجل : « ولا يأبَ الشهداء إذا ما دُعوا » .

٦٣٦٩ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : لا تأب أن تشهد إذا ما دُعيت إلى شهادة .

* * *

وقال آخرون بمثل معنى هؤلاء ، إلا أنهم قالوا : يجب فرضُ ذلك على مَن دعى للإشهاد على الحقوق إذا لم يوجد غيره . فأما إذا وُجد غيره فهو فى الإجابة إلى ذلك مخيَّر ، إن شاء أجاب ، وإن شاء لم يجب .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٧٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان عن جابر ، عن الشعبي قال : « لا يأب الشهداء إذا ما دعوا » — قال : إن شاء شهد ، وإن شاء لم يشهد ، فإذا لم يوجد غيره شهد .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » — للشهادة على من أراد الدّاعى إشهادَه عليه ، والقيامَ بما عنده من الشّهادة — من الإجابة .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٧١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو عامر ، عن الحسن : « ولا يأب الشهداءُ إذا ما دعوا » ، قال : قال الحسن : الإقامة والشهادة .[1]

٦٣٧٢ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر

---

(١) الأثر ٦٣٧١ — « أبو عامر » هو : « صالح بن رستم المزنى » ، روى عن عبد الله بن أبى مليكة ، وأبى قلابة ، وحميد بن هلال ، والحسن البصرى ، وعكرمة وغيرهم . روى عنه ابنه عامر ، وإسرائيل ، وهشيم ، ومعتمر ، وأبو داود الطيالسى . قال ابن معين : « ضعيف » . وقال أحمد : « صالح الحديث » . وقال ابن أبى حاتم عن أبيه : « شيخ ، يكتب حديثه » . وقال أبو داود : « ثقة » . وسيأتى فى الأسانيد رقم : ٦٣٨٣ ، ٦٣٨٤ ، ٦٣٨٧ .

فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : كان الحسن يقول : جمعتْ أمرين : لا تأب إذا كانت عندك شهادة أن تشهد ، ولا تأب إذا دعيتَ إلى شهادة .

٦٣٧٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، يعنى : من احتيج إليه من المسلمين شهد على شهادة إن كانت عنده ، ولا يحلّ له أن يأبى إذا ما دُعى .

٦٣٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : لإقامتها ، ولا يبدأ بها ، إذا دعاه ليشهده ، وإذا دعاه ليقيمها .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » — للقيام بالشهادة التى عندهم للداعى — من إجابته إلى القيام بها .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٧٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا شهد .

٦٣٧٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك .

٦٣٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، يقول : إذا كانوا قد أُشْهِدوا .

٦٣٧٨ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا كانت عندك شهادة فدُعيت .

٦٣٧٩ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ليث ، عن

مجاهد فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا كانت شهادة فأقمها . فإذا دُعيت لتشهد ، فإن شئتَ فاذْهب ، وإن شئت فلا تذهب .

٦٣٨٠ — حدثنا سوّار بن عبد الله قال ، حدثنا عبد الملك بن الصبّاح ، عن عمران بن حُديْر قال : قلت لأبى مجلز : ناس يدعوننى لأشهد بينهم ، وأنا أكره أن أشهد بينهم ؟ قال : دع ما تكره ، فإذا شهدتَ فأجب إذا دُعيت .

٦٣٨١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر قال : الشاهد بالخيار ما لم يَشْهد .

٦٣٨٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن عكرمة فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » . قال : لإقامة الشهادة .

٦٣٨٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن أبى عامر ، عن عطاء قال : فى إقامة الشّهادة .

٦٣٨٤ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا أبو عامر المزنى قال ، سمعت عطاء يقول : ذلك فى إقامة الشهادة = يعنى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا » .[1] ٨٥/٣

٦٣٨٥ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو حُرّة ، أخبرنا عن الحسن أنه سأله سائل قال : أُدْعَى إلى الشهادة وأنا أكره أن أشهد عليها . قال : فلا تجبْ إن شئت .[2]

٦٣٨٦ — حدثنا يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة قال : سألت إبراهيم

---

(١) الأثران : ٦٣٨٣ ، ٦٣٨٤ — أبو « عامر » مضت ترجمته برقم : ٦٣٧٢ .

(٢) الأثر : ٦٣٨٥ — « أبو حرة » البصرى ، هو : « واصل بن عبد الرحمن » . روى عن عكرمة بن عبد الله المزنى ، والحسن ، وابن سيرين ، ومحمد بن واسع وغيرهم . روى عنه حماد بن سلمة ، وهشيم ، والقطان ، وابن مهدى ، ووكيع ، وغيرهم . قال البخارى : « يتكلمون فى روايته عن الحسن » . قال عبد الله بن أحمد : سألت يحيى بن معين عن أبى حرة فقال : « صالح ، وحديثه عن الحسن ضعيف ، يقولون : لم يسمعها من الحسن » . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة : أبو مرة ، وهو خطأ .

قلت : أدعى إلى الشهادة وأنا أخاف أن أنسى ؟ قال : فلا تشهد إن شئتَ

٦٣٨٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو عامر ، عن عطاء قال : للإقامة .[1]

٦٣٨٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير : « ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا » ، قال : إذا كانوا قد شهدوا .

٦٣٨٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : هو الذي عنده الشهادة .

٦٣٩٠ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ،حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ولا يأبَ الشهداء إذا ما دعوا » ، يقول :لا يأب الشاهد أن يتقدّم فيشهد ، إذا كان فارغاً .

٦٣٩١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ،عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « ولا يأبَ الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : هم الذين قد شهدوا . قال : ولا يضرّ إنساناً أن يأبى أن يشهد إن شاء . قلت لعطاء : ما شأنه ؟ إذا دُعى أن يكتب وجبَ عليه أن لا يأبى ، وإذا دعى أن يشهد لم يجب عليه أن يشهد إن شاء ! قال : كذلك يجب على الكاتب أن يكتُب ، ولا يجب على الشاهد أن يشهد إن شاء ، الشّهداء كثيرٌ .

٦٣٩٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا شهد فلا يأب إذا دُعى أن يأتى يؤدى شهادةً ويقيمها .

٦٣٩٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة :

---

(١) الأثر : ٦٣٨٧ — « أبو عامر » ، انظر ما سلف رقم : ٦٣٧٢

« ولا يأب الشهداء » ، قال كان الحسن يتأوّلها : إذا كانت عنده شهادة فدعى ليقيمها .

٦٣٩٤ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا كتب الرجل شهادته ، أو أشهِد لرجل فشهد ، والكاتبُ الذي يكتب الكتاب — دعوا إلى مَقطع الحق ، فعليهم أن يجيبوا وأن يشهدوا بما أشهِدوا عليه .[1]

* * *

وقال آخرون : هو أمر من الله عز وجلّ الرجلَ والمرأةَ بالإجابة إذا دعي ليشهد على ما لم يشهد عليه من الحقوق، ابتداءً ،لا لإقامة الشهادة ،[2] ولكنه أمر نَدْب لا فرْض .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٩٥ — حدثني أبو العالية العبدي إسمعيل بن الهيثم قال، حدثنا أبو قتيبة، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي في قوله: « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : أمرت أن تشهد ، فإن شئت فاشهد ، وإن شئت فلا تشهد .[3]

٦٣٩٦ — حدثني أبو العالية قال ،حدثنا أبو قتيبة ، عن محمد بن ثابت العَصَرِيّ، عن عطاء بمثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : « [معنى]

---

(١) قوله : « مقطع الحق » : هو موضع الفصل في الحكم بين الحق والباطل . من « القطع » ، وهو الفصل بين الأجزاء .

(٢) في المطبوعة : « لا إقامة الشهادة » ، وفي المخطوطة كتب « لا إقامة » ثم ضرب على الألف ووضع تحت الألف من « لا » همزة ، وظاهر أن الذي أثبته هو الصواب .

(٣) الخبر : ٦٣٩٥ — إسمعيل بن الهيثم ، أبو العالية العبدي ، شيخ الطبري : لم نجد له ترجمة ولا ذكراً في شيء من المراجع ، إلا رواية الطبري هذا الخبر والذي بعده ، وروايته عنه في التاريخ ١ : ٢٠٦ مرة واحدة ، عن أبي قتيبة أيضاً .

وأبو قتيبة : هو سلم بن قتيبة ، مضت ترجمته في : ١٩٢٤

ذلك : «[١] ولا يأب الشهداء من الإجابة ، إذا دعوا لإقامة الشهادة وأدائها عند ذى سلطان أو حاكم يأخذُ من الذى عليه ما عليه ، للذى هو له » .

وإنما قلنا هذا القول بالصواب أولى فى ذلك من سائر الأقوال غيره ، لأن الله عز وجل قال : « ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا » ، فإنما أمرهم بالإجابة للدعاء للشهادة وقد ألزمهم اسم « الشهداء » . وغير جائز أن يلزمهم اسم « الشّهداء » إلا وقد استُشهدوا قبل ذلك فشهدوا على ما ألزمتهم شهادتهم عليه اسم «الشهداء» .[٢] فأما قبل أن يُستشهدوا على شىء ، فغير جائز أن يقال لهم « شهداء » . لأن ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولمّا يستشهدوا على شىء يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم ، لم يكن على الأرض أحد له عقل صحيح إلا وهو مستحق أن يقال له « شاهد » ، بمعنى أنه سيشهد ، أو أنه يصلح لأن يشهد . وإذْ كان خطأً أن يسمى بذلك الاسم إلاّ من عنده شهادة لغيره ،[٣] أو من قد أقام شهادته فلزمه لذلك هذا الاسم = [٤] كان معلوماً أن المعنىّ بقوله : « ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دعوا » ، من وصفنا صفته ممن قد استُرْعى شهادةً ، أو شَهد ، فدعى إلى القيام بها . لأن الذى لم يُستشهْد ولم يُسترْعَ شهادةً قبل الإشهاد ، غيرُ مستحق اسم « شهيد » ولا « شاهد » ، لما قد وصفنا قبل .

٨٦/٣

= مع أن فى دخول « الألف واللام » فى « الشهداء » ، دلالةً واضحةً على أن المسمّى بالنهى عن ترك الإجابة للشهادة ، أشخاصٌ معلومون قد عرفوا بالشهادة ،

---

(١) ما بين القوسين زيادة لابد منها .

(٢) فى المطبوعة : « على ما أُرمهم شهادتهم عليه » ، وفى المخطوطة : « لزمهم شهادتهم » ، والصواب فى قراءة ذلك ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « وإن كان خطأً . . . » والصواب من المخطوطة . وفى المخطوطة : « شهادة لغيرهم » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٤) فى المطبوعة : « من قد قام بشهادته » ، وفى المخطوطة : « من قد قام شهادته » ، وصواب القراءة ما أثبت .

وأنهم الذين أمر الله عز وجل أهلَ الحقوق باستشهادهم بقوله : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضونَ من الشهداء » . وإذْ كان ذلك كذلك ، كانَ معلوماً أنهم إنما أمروا بإجابة داعيهم لإقامة شهادتهم بعد ما استُشْهِدوا فشهدوا . ولو كان ذلك أمراً لمن أعرَض من الناس فدُعى إلى الشهادة يشهد عليها ، لقيل : [١] ولا يأبَ شاهد إذا ما دعى .

غيرَ أنَّ الأمر وإن كان كذلك ، فإنَّ الذى نقول به فى الذى يُدعى لشهادة ليشهد عليها إذا كان بموضع ليس به سواه ممن يصلحُ للشهادة ، ، فإنَّ الفرضَ عليه إجابةُ داعيه إليها ، كما فَرضٌ على الكاتب إذا استكتب بموضع لا كاتب به سواه ، ففرضٌ عليه أن يكتب ، كما فرضٌ على من كان بموضع لا أحد به سواه يعرف الإيمان وشرائع الإسلام ، فحضره جاهلٌ بالإيمان وبفرائض الله ، فسأله تعليمه وبيان ذلك له ، أنْ يعلمه ويبيِّنه له .[٢] ولم نوجب ما أوجبنا على الرجل من الإجابة للشهادة إذا دعى ابتداءً ليشهد على ما أشهِد عليه بهذه الآية ، ولكن بأدلة سواها ، وهى ما ذكرنا . وإنَّ فرْضاً على الرجل إحياءُ ما قدَر على إحيائه من حق أخيه المسلم .[٣]

* * *

« والشهداء » جمع « شهيد » .[٤]

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « إلى الشهادة فشهد » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) سياق هذه الجملة : كما فرض على من كان بموضع . . . أن يعلمه . . . » .

(٣) فى المطبوعة : « وقد فرضنا على الرجل . . . » ، وهو خطأ فاسد ، وتحريف لما فى المخطوطة من الصواب المحض .

(٤) انظر ما سلف فى بيان « الشهداء » ١ : ٣٧٧ / ثم ٣ : ٩٧ ، ١٤٥ / وما سلف قريباً ص : ٦٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَسْئَمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تسأموا ، أيها الذين تُداينون الناس إلى أجل ، أن تكتبوا صغيرَ الحق = يعنى : قليله ، أو كبيره = يعنى : أو كثيره = إلى أجله = إلى أجل الحق ، فإنّ الكتاب أحصى للأجل والمال :

٦٣٩٧ — حدثنى المثنى قال حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد : « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله » ، قال : هو الدَّين .

* * *

ومعنى قوله : « ولا تسأموا » : لا تملوا . يقال منه : « سئمتُ فأنا أسأم سَآمة وَسأمةً » ، ومنه قول لبيد :

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالِ هٰذَا النَّاسِ : كَيْفَ لَبِيدُ[1] ؟

ومنه قول زهير :

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ ، وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ عَامًا ، لَا أَبَالَكَ ، يَسْأَمِ[2]

يعنى : مللت .

* * *

وقال بعض نحويى البصريين : تأويل قوله : « إلى أجله » ، إلى أجل الشاهد . ومعناه إلى الأجل الذى تجوز شهادته فيه . وقد بينا القول فيه .[3]

* * *

(١) ديوانه ، القصيدة رقم : ٧ ، يذكر فيها طول عمره ، ومآثره فى ماضيه .

(٢) ديوانه : ٩ . تكاليف الحياة : مشقاتها ومتاعبها . وهذا البيت هو مطلع أبياته الحكيمة التى ختم بها معلقته .

(٣) انظر ما قاله فى « الأجل » فيما سلف قريباً ص : ٤٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ذلكم » ، اكتتاب كتاب الدين إلى أجله .

* * *

ويعنى بقوله : « أقسط » ، أعدل عند الله .

يقال منه : « أقسط الحاكم فهو يُقسط إقساطاً ، وهو مُقسط » ، إذا عدل فى حكمه وأصاب الحق فيه . فإذا جار قيل : « قَسَط فهو يَقْسِط قُسوطاً ». ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [سورة الجن : ١٥] ، يعنى : الجائرون .

* * *

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٦٣٩٨ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ذلكم أقسط عند الله » ، يقول : أعدل عند الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأصوب للشهادة .

* * *

وأصله من قول القائل : « أقمتُ من عوَجه » ،(1) إذا سويته فاستوى .

* * *

وإنما كان الكتاب أعدل عند الله ، وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه ،

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أقمته من عوجه » ، والصواب ما أثبت .

لأنه يحوى الألفاظ التى أقرّ بها البائع والمشترى وربّ الدَّين والمستدين على نفسه ، فلا يَقع بين الشهود اختلاف فى ألفاظهم بشهادتهم ، لاجتماع شهادتهم على ما حواه الكتاب. وإذا اجتمعت شهادتهم على ذلك، كان فصلُ الحكم بينهم أبيَن لمن ٣/٨٧ احتُكم إليه من الحكام، مع غير ذلك من الأسباب. وهو أعدل عند الله، لأنه قد أمر به. واتباعُ أمر الله لا شكَّ أنه عند الله أقسطُ وأعدلُ من تركه والانحراف عنه.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وأدنى » ، وأقرب، من « الدنو » ، وهو القرب .

* * *

ويعنى بقوله : « أن لا ترتابوا » ، أن لا تَشكوا فى الشهادة، [١] كما : —

٦٣٩٩ — حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط، عن السدى « ذلك أدنى أن لا ترتابوا » ، يقول : أن لا تشكوا فى الشهادة .

* * *

وهو « تفتعل » من « الرِّيبة » . [٢]

* * *

ومعنى الكلام : ولا تملُّوا أيها القوم أن تكتبوا الحقّ الذى لكم قِبَل من داينتموه من الناس إلى أجل ، صغيراً كان ذلك الحق قليلاً أو كثيراً ، فإن كتابكم ذلك أعدل عند الله ، وأصوبُ لشهادة شهودكم عليه ، وأقربُ لكم أن لا تشكوا فيما شهد به شهودكم عليكم من الحق والأجل إذا كان مكتوباً .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « من أن لا تشكوا »، والصواب حذف « من » ، أو جعلها « أى أن لا تشكوا » .

(٢) فى المخطوطة : « وهو تفعيل » ، وهو خطأ محض وتحريف .

القول في تأويل قوله ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾

قال أبو جعفر : ثم استثنى جل ذكره مما نهاهم عنه أن يسأموه من اكتتاب كتب حقوقهم على غرمائهم بالحقوق التي لهم عليهم = ما وجب لهم قِبَلهم من حقّ عن مُبايعة بالنقود الحاضرة يداً بيد ، فرخَّص لهم في ترك اكتتاب الكُتُب بذلك . لأن كل واحد منهم ، أعني من الباعة والمشترين ، يقبض = إذا كان الواجب بينهم فيما يتبايعونه نقداً = ما وجب له قِبَل مبايعيه قبْل المفارقة،[1] فلا حاجة لهم في ذلك إلى اكتتاب أحد الفريقين على الفريق الآخر كتاباً بما وجب لهم قبلهم ، وقد تقابضوا الواجبَ لهم عليهم . فلذلك قال تعالى ذكره : « إلاّ أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم » ، لا أجل فيها ولا تأخير ولا نَسَاء = « فليس عليكم جُناح أن لا تكتبوها » ، يقول : فلا حرج عليكم أن لا تكتبوها — يعني التجارة الحاضرةَ .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٠٠ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم » ، يقول : معكم بالبلد تَرَوْنها ، فتأخذُ وتعطى ، فليس على هؤلاء جناح أن لا يكتبوها .

---

(١) في المطبوعة : « إذا كان التواجب بينهم فيما يتبايعونه بعد ما وجب له قبل مبايعيه . . » وهو كلام لا معنى له . وفي المخطوطة : « إذا كان التواجب بينهم فيما يتبايعون نقداً ما وجب له قبل مبايعيه » ، وقوله « بعدا ما وجب » غير منقوطة . فرأيت صواب قراءة « التواجب » ، « الواجب » ، وصواب الأخرى « نقداً » فاستقام الكلام . وسياق العبارة : « لأن كل واحد منهم . . . يقبض . . . ما وجب له قبل مبايعيه قبل المفارقة » وقوله : « إذا كان الواجب بينهم فيما يتبايعونه نقداً » ، جملة فاصلة .

٦٤٠١ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك . « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله » ، إلى قوله : « فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها » ، قال : أمر الله أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، وأمر ما كان يداً بيد أن يُشهد عليه ، صغيراً كان أو كبيراً ، ورخص لهم أن لا يكتبوه .

* * *

واختلفت القرّأة في قراءة ذلك

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق وعامة القرأة : ﴿ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ ﴾ بالرفع .

* * *

وانفرد بعض قرأة الكوفيين فقرأ به بالنصب .[1] وذلك وإن كان جائزاً في العربية = إذ كانت العربُ تنصبُ النكرات والمنعوتات مع «كان »، وتضمر معها في « كان » مجهولا فتقول : « إن كان طعاماً طيباً فأتنا به » ، وترفعها فتقول : « إن كان طعامٌ طيبٌ فأتنا به » ، فتتبع النكرةَ خبرَها بمثل إعرابها = فإن الذي أختار من القراءة ، ثم لا أستجيز القراءةَ بغيره ، الرفعُ في « التجارة الحاضرة » ، لإجماع القرأة على ذلك ، وشذوذ من قرأ ذلك نصباً عنهم . ولا يُعترض بالشاذ على الحجة . ومما جاء نصباً قولُ الشاعر :[2]

أَعَيْنَيَّ هَلاَّ تَبْكِيَانِ عِفَاقَا إِذَا كَانَ طَعْنًا بَيْنَهُمْ وعِنَاقَا[3]

---

(١) في المطبوعة : « فقرأه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب .

(٢) لم أعرف قائله ، ولكن أخشى أن يكون هو متمم بن نويرة ، كما سترى في التعليق التالي .

(٣) معاني القرآن للفراء ١ : ١٨٦ . أرجح أن « عفاقاً » هذا ، هو « عفاق بن أبي مليل اليربوعي » ، الذي قتل يوم العظالى (انظر هذا ١ : ٣٣٧ ، تعليق : ٢) فرثاه متمم بن نويرة اليربوعي ، ورثى أخاه بجيراً ، وقد سلف شعر متمم في رثائهما (١ : ٣٣٧) . ومن أجل ذلك قلت إن الشعر خليق أن يكون لمتمم . أما ما زعمه زاعمون من أنه في « عفاق » الذي أكلته باهلة ، والذي يقول فيه القائل :

إِنَّ عِفَاقًا أَكَلَتْهُ بَاهِلَهْ تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وكَاهِلَهْ

فذاك « عفاق » آخر ، هو « عفاق بن مرى بن سلمة بن قشير » (القاموس – التاج عفق) .

وقول الآخر :(١)

وَلِلّهِ قَوْمِى : أَىُّ قَوْمٍ لِحُرَّةٍ إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا !!(٢)

وإنما تفعل العرب ذلك فى النكرات ، لما وصفنا من إتباع أخبار النكرات أسماءَها . و « كان » من حكمها أن يكونَ معها مرفوع ومنصوب ، فإذا رفعوهما جميعهما ، تذكروا إتباع النكرة خبرَها . وإذا نصبوهما ، تذكروا صحبة « كان » لمنصوب ومرفوع .(٣) ووجدوا النكرة يتبعها خبرُها ، وأضمروا فى « كان » مجهولاً ، لاحتمالها الضمير . ٨٨/٣

* * *

وقد ظن بعض الناس أن من قرأ ذلك . « « إلاّ أن تكونَ تجارةٌ حاضرةٌ » ، إنما قرأه على معنى : إلا أن يكون تجارة حاضرة ، فزعم أنه كان يلزم قارئ ذلك أنْ يقرأ « يكون » بالياء ، وأغفل موضعَ صواب قراءته من جهة الإعراب ، وألزمه غير ما يلزمه . وذلك أن العربَ إذا جعلوا مع « كان » نكرة مؤنثاً بنعتها أو خبرها ، أنثوا « كان » مرة ، وذكروها أخرى ، فقالوا : « إن كانت جارية صغيرة فاشترُوها — وإن كان جاريةٌ صغيرةٌ فاشتروها » ، تذكر « كان » — وإن نصبت النكرة المنعوتة أو رفعت — أحياناً ، وتؤنث أحياناً .

* * *

(١) هو عمرو بن شأس ، على الشك فى ذلك كما سترى فى التعليق التالى .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٦ ، سيبويه ١ : ٢٢ ، وصدره فى سيبويه منسوباً لعمرو ابن شأس :

« بَنِى أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلاَءنا »

وأنا أخشى أن يكون الشعر لغير عمرو بن شأس ، ولكنى لم أجده ، وإن كنت أذكر أنى قرأته فى أبيات غير شعر عمرو . وقوله : « ذا كواكب » ، أى شديد عصيب ، قد ظهرت النجوم فيه نهاراً ، كأنه أظلم فبدت كواكبه ، لأن شمسه كسفت بارتفاع الغبار فى الحرب . وإذا كسفت الشمس ، ظهرت الكواكب . ويقال : « أمر أشنع وشنيع » ، أى فظيع قبيح . وكان فى المطبوعة : « بحرة » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، ومعانى القرآن للفراء . يعنى أن أمهم حرة ، فولدتهم أحراراً .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « منصوب ومرفوع » والصواب ما أثبت . وانظر ما قاله الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٨٥ — ١٨٧ .

وقد زعم بعض نحويى البصرة أن قوله : « إلا أن تكون تجارةٌ حاضرةٌ » مرفوعة فيه « التجارة الحاضرة » ، لأن « تكون » ، بمعنى التمام ، ولا حاجة بها إلى الخبر ، بمعنى : إلاّ أن تُوجد أو تقعَ أو تحدث . فألزم نفسه ما لم يكن لها لازماً ، لأنه إنما ألزم نفسه ذلك ، إذْ لم يكن يجدك لـ « كان » منصوباً ،[1] ووجد « التجارة الحاضرة » مرفوعة ، وأغفل َجواز قوله : « تديرونها بينكم » أن يكون خبراً لـ « كان » ، فيستغنى بذلك عن إلزام نفسه ما ألزم .

* * *

والذى قال من حكينا قوله من البصريين غيرُ خطأ فى العربية ، غيرَ أن الذى قلنا بكلام العرب أشبه ، وفى المعنى أصحّ : وهو أن يكون فى قوله : « تديرونها بينكم » وجهان : أحدهما أنه فى موضع نصب ، على أنه حل محل خبر « كان » ، و « التجارة الحاضرة » اسمها . والآخر : أنه فى موضع رفع على إتباع « التجارة الحاضرة » ، لأن خبرَ النكرة يتبعها . فيكون تأويله : إلاّ أن تكون تجارةٌ حاضرةٌ دائرةٌ بينكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم ، عاجل ذلك وآجله، ونقده ونَسَائه ، فإنّ إرخاصى لكم فى ترك اكتتاب الكتب بينكم فيما كان من حقوق تجرى بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يداً بيدٍ ونقداً ، ليس بإرخاص منى لكم فى ترك الإشهاد منكم على َمنْ بعتموه شيئاً أو ابتعتم منه . لأن فى ترككم الإشهاد على ذلك خوفَ المضرّة على كل من الفريقين : أما على المشترى ، فأنْ يجحد البائعُ

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذا لم يكن يجد » ، والسياق يقتضى : « إذ » .

البيع ،[1] وله بيِّنة على ملكه ما قد باع ، ولا بيِّنة للمشترى منه على الشراء منه ، فيكون القولُ حينئذ قولَ البائع مع يمينه ويُقضَى له به ، فيذهب مالُ المشترى باطلاً = وأما على البائع ، فأنْ يجحد المشترى الشراءَ وقد زال ملك البائع عما باع ، ووجب له قِبل المبتاع ثمن ما باع ، فيحلفُ على ذلك، فيبطل حقّ البائع قِبَلَ المشترى من ثمن ما باعه . فأمر الله عز وجل الفريقين بالإشهاد، لئلا يضيع حق أحد الفريقين قبل الفريق الآخر .

* * *

ثم اختلفوا فى معنى قوله : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ، أهو أمرٌ من الله واجبٌ بالإشهاد عند المبايعة ، أم هو ندب ؟

فقال بعضهم : « هو نَدْبٌ ، إن شاء أشهد ، وإن شاء لم يُشهد » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٠٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن وشقيق ، عن رجل ، عن الشعبى فى قوله : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ، قال : إن شاء أشهد ، وإن شاء لم يشهد ، ألم تسمع إلى قوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدِّ الذى اؤتمن أمانته » ؟

٦٤٠٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا الربيع ابن صبيح قال : قلت للحسن : أرأيتَ قول الله عز وجل : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ؟ قال : إن أشهدت عليه فهو ثقة للذى لك ، وإن لم تُشهد عليه فلا بأس .

٦٤٠٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن الربيع بن صبيح قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، قول الله عز وجل : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ، أبيع الرجل وأنا أعلم أنه لا ينقدنى شهرين ولا ثلاثة ،[2] أترى

---

(١) فى المطبوعة : « . . . البائع المبيع . . . » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ينقد فى شهرين » . . . ، وأثبت ما فى المخطوطة .

بأساً أن لا أشهد عليه ؟ قال : إن أشهدت فهو ثقة للذى لك ، وإن لم تشهد فلا بأس .(١)

٦٤٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن داود ، عن الشعبى : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ، قال : إن شاؤوا أشهدوا ، وإن شاؤوا لم يشهدوا .

٨٩/٣

* * *

وقال آخرون : « الإشهاد على ذلك واجب » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٠٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إلاّ أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها » ، ولكن أشهدوا عليها إذا تبايعتم . أمر اللهُ ، ما كان يداً بيد أن يُشهدوا عليه ، صغيراً كان أو كبيراً .

٦٤٠٧ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : ما كان من بيع حاضر فإن شاء أشهد ، وإن شاء لم يشهد . وما كان من بيع إلى أجل ، فأمر الله أن يكتب ويُشْهد عليه . وذلك فى المقام .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أنّ الإشهاد على كل مَبيع ومُشترًى ، حقٌّ واجبٌ وفرضٌ لازم ، لما قد بيّنّا : من أن كلّ أمرٍ لله ، ففرضٌ ،

---

(١) الأثران : ٦٤٠٣ ، ٦٤٠٤ — « الربيع بن صبيح السعدى » ، روى عن الحسن ، وحميد الطويل ومجاهد بن جبر ، وغيرهم . وروى عنه الثورى ، وابن المبارك ، وابن مهدى ، ووكيع وغيرهم . قال حرملة عن الشافعى : « كان الربيع بن صبيح غزاء — وإذا مدح الرجل بغير صناعته ، فقد وهص ، أى دق عنقه » . وقال أحمد : « رجل صالح لا بأس به » . وقال ابن معين وابن سعد والنسائى : « ضعيف الحديث » . وقال ابن حبان : « كان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، وكان يشبه بيته بالليل ببيت النحل من كثرة التهجد ، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته ، فكان يهم فيما يروى كثيراً ، حتى وقع فى حديثه المناكير من حيث لا يشعر ، لا يعجبنى الاحتجاج به إذا انفرد » . مترجم فى التهذيب .

إلا ما قامت حُجته من الوجه الذى يجب التسليم له بأنه ندبٌ وإرشاد .[١]

* * *

وقد دللنا على وَهْىِ قول من قال :[٢] ذلك منسوخ بقوله : « فليؤدِّ الذى اؤتمن أمانته » ، فيما مضى فأغنى عن إعادته .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : ذلك نهىٌ من الله الكاتبَ الكتابَ بين أهل الحقوق والشهيدَ أن يضارّ أهله ،[٤] فيكتب هذا ما لم يُملله المملى ، ويَشهد هذا بما لم يستشهده المستشهِد .[٥]

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٠٨ — حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : « « ولا يضارّ كاتب ولا شهيد » ، « ولا يضار كاتب » فيكتب ما لم يملّ عليه = ، « ولا شهيد » فيشهد بما لم يُستشهد .

٦٤٠٩ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن يونس قال : كان الحسن يقول : « لا يضارّ كاتب » فيزيد شيئاً أو يحرّف = « ولا شهيد » ، قال : لا يكتم الشهادة ، ولا يشهدْ إلاّ بحق .

---

(١) انظر ما سلف قريباً ص : ٥٣ .

(٢) فى المخطوطة : « على وهاء قول من قال » ، وقد سلف ما قلته فى قول الفقهاء « الوهاء » بمعنى « الوهى » ، وهو الضعف الشديد فى ٤ : ١٨ / ثم ص : ١٥٥ تعليق : ١ / ثم ص : ٣٦١ ، تعليق ٣ ، فراجعه .

(٣) انظر ما سلف قريباً ص : ٥٣ — ٥٥ .

(٤) فى المطبوعة : « نهى من الله لكاتب الكتاب » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وقوله : « الكاتب الكتاب . . . والشهيد » منصوب بالمصدر « نهى » ، و « الكتاب » منصوب باسم الفاعل « الكاتب » .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « بما لم يستشهده الشهيد » ، وهو محال وخطأ ، وإنما « الشهيد » الشاهد ، وهو لا يعنى إلا « المستشهد » ، فكذلك أثبتها .

٦٤١٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : اتقى الله شاهدٌ فى شهادته ، لا ينقص منها حقًّا ولا يزيد فيها باطلاً . اتقى الله كاتب فى كتابه ، فلا يَدَعنّ منه حقًّا ولا يزيدنّ فيه باطلاً .[١]

٦٤١١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، قال : « لا يضار كاتب » فيكتب ما لم يُملل = « ولا شهيد » ، فيشهد بما لم يستشهد .

٦٤١٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

٦٤١٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، قال : « لا يضار كاتب » فيكتب غير الذى أملى عليه . قال : والكتاب يومئذ قليلٌ ، ولا يدرون أى شىء يُكتب ، فيضار فيكتبَ غير الذى أملى عليه ، فيبطل حقهم . قال : والشهيد يضارّ فيحوِّل شهادته ، فيبطل حقهم .

* * *

قال أبو جعفر : فأصل الكلمة على تأويل من ذكرنا من هؤلاء : ولا يضارِرْ كاتبٌ ولا شهيد ، ثم أدغمت « الراء » فى « الراء » ، لأنهما من جنس ، وحُرِّكت إلى الفتح وموضعها جزم ، لأنّ الفتح أخفّ الحركات.[٢]

* *

وقال آخرون ممن تأول هذه الكلمة هذا التأويل : معنى ذلك : « ولا يضارّ كاتب ولا شهيد » بالامتناع عمن دعاهما إلى أداء ما عندهما من العلم أو الشهادة .

---

(١) الأثر : ٦٤١٠ — فى المطبوعة : « قال حدثنا يزيد عن قتادة » ، وفى المخطوطة : « قال حدثنا يزيد ، قال حدثنا يزيد ، عن قتادة » ، وهو إسناد دائر فى الطبرى كما أثبته ، أقربه رقم : ٦٣٩٣ ، هذا وقد سلف هذا الأثر مختصراً برقم : ٦٣٣٨ .

(٢) انظر ما سلف ٥ : ٤٦ — ٥٣ ، فى « تضار » وقراءاتها ، وفى قوله : « لأن الفتح أخف الحركات » ٥ : ٥٢ ، [illegible] ١ ، ثم هذا فيما سلف قريبا ص : ٦٥ س : ٢ .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤١٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء فى قوله : «ولا يضار كاتب ولا شهيد» ، يقول : أن يؤديا ما قِبَلهما .

٦٤١٥ — حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء . «ولا يضار كاتب ولاشهيد» ؟ قال : «لايضار» ، أن يؤديا ما عندهما من العلم .[1]

٦٤١٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : «لايضار كاتب ولا شهيد» ، قال : أن يدعوهما ، فيقولان : إن لنا حاجة .[2]

٦٤١٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء ومجاهد : «ولا يضار كاتب ولا شهيد»، قالا : واجب على على الكاتب أن يكتب = «ولا شهيد» ، قالا : إذا كان قد شهد ، اقبلْهُ .[3] ٣/ ٩٠

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : «ولا يضارّ المستكتِب والمستشهِد الكاتبَ والشهيدَ» . وتأويل الكلمة على مذهبهم : ولا يُضَارَرْ ،على وجه ما لم يسمّ فاعله .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤١٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : كان عمر يقرأ : «ولا يُضَارَرْ كاتبٌ ولا شهيد» .

---

(١) فى المطبوعة : «لا يضارا أن يؤديا» وهو خطأ ، وفاسد المعنى ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : «فيقولا» ، والصواب من المخطوطة .

(٣) قوله : «اقبله» ، هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، وأنا فى شك منها ، وضبطتها على أقرب المعانى إلى الصواب . ولكنى أخشى أن يكون فى الكلمة تحريف لم أقف على وجهه .

٦٤١٩ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك قال : كان ابن مسعود يقرأ : ﴿ ولا يُضَارَرْ ﴾ .

٦٤٢٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد أنه كان يقرأ : « ولا يُضَارَرْ كاتب ولا شهيد » ، وأنه كان يقول في تأويلها : ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبَه وشاهدَه إلى أن يشهد ، ولعله أن يكون في شُغل أو حاجة ، ليؤثمه إن ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته = وقال مجاهد : لا يقمْ عن شغله وحاجته ، فيجدَ في نفسه أو يحرَج .

٦٤٢١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، والضِّرار أن يقول الرجل للرجل وهو عنه غنيّ : إنّ الله قد أمرك أن لا تأبَى إذا دعيت ! فيضارُّه بذلك ، وهو مكتف بغيره . فنهاه الله عز وجل عن ذلك وقال : « وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم » .

٦٤٢٢ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، يقول : إنه يكون للكاتب والشاهد حاجةٌ ليس منها بدٌّ ، فيقول : خلُّوا سبيله .

٦٤٢٣ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن عكرمة في قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، قال : يكون به العلة أو يكون مشغولا ، يقول : فلا يضاره .

٦٤٢٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه كان يقول : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، يقول : لا يأت الرجل فيقول : انطلق فاكتبْ لي ، واشهد لي ! فيقول : إن لي حاجة فالتمسْ غيري ! فيقول : اتق الله ، فإنك قد أُمِرتَ أن تكتب لي ! فهذه المضارّة ، ويقول : دعه والتمس غيره ، والشاهدُ بتلك المنزلة

٦٤٢٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، يقول : يدعو الرجل الكاتبَ أو الشهيدَ ، فيقولُ الكاتب أو الشاهد: إن لنا حاجة ! فيقولُ الذى يدعوهما : إن الله عز وجل أمركما أن تجيبا فى الكتابة والشهادة ! يقول الله عز وجل : لا يضارّهما .

٦٤٢٦ — حدثت عن الحسن قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، هو الرجل يدعو الكاتب أو الشاهدَ وهما على حاجة مهمة ، فيقولان : إنّا على حاجة مهمة فاطلب غيرنا ! فيقول : والله لقد أمركما أن تجيبا ! [1] فأمره أن يطلب غيرهما ولا يضارهما ، = يعنى : لا يشغلهما عن حاجتهما المهمة وهو يجد غيرهما .

٦٤٢٧ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، يقول : ليس ينبغى أن تعترض رجلاً له حاجة فتضاره فتقول له : اكتب لى ! فلا تتركه حتى يكتب لك وتفوته حاجته =[2] ولا شاهداً من شهودك وهو مشغول فتقول : اذهب فاشهد لى ! تحبسه عن حاجته وأنتَ تجد غيره .

٦٤٢٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، قال : لما نزلت هذه الآية : « ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علّمه الله » ، كان أحدهم يجىء إلى الكاتب فيقول: اكتب لى ! فيقول : إنى مشغول = أو : لى حاجة ، فانطلق إلى غيرى ! فيلزّمه ويقول : إنك

---

(١) فى المطبوعة : « الله أمركما أن تجيبا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « حتى يكتب له » ، والسياق يقتضى « لك » . وقوله بعد « ولا شاهداً من شهودك ... » معطوف على قوله قبل : « أن تعترض رجلا ... » .

قد أمِرتَ أن تكتب لى! فلا يدعه ويضارّه بذلك وهو يجد غيره . ويأتى الرجل فيقول : انطلق معى فاشهد لى ! فيقول : انطلق إلى غيرى فإنى مشغول = أو : لى حاجة !(١) فيلزمه ويقول : قد أمِرت أن تتبعنى ! فيضاره بذلك وهو يجد غيره ، فأنزل الله عز وجل : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » .

٩١/٣

٦٤٢٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، يقول : إن لى حاجة فدعنى ! فيقول : اكتب لى = « ولا شهيد » ، كذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، بمعنى : ولا يضارهما من استكتَبَ هذا أو استشهدَ هذا ، بأن يأبى على هذا إلا أن يكتبَ له وهو مشغول بأمر نفسه ، ويأبى على هذا إلاّ أن يجيبه إلى الشهادة وهو غير فارغ =(٢) على ما قاله قائلو ذلك من القول الذى ذكرنا قبل .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب من غيره ، لأن الخطاب من الله عز وجل فى هذه الآية من مُبتدئها إلى انقضائها على وجه : « افعلوا = أو : لا تفعلوا » ، إنما هو خطابٌ لأهل الحقوق والمكتوب بينهم الكتابُ ، والمشهود لهم أو عليهم بالذى تداينوه بينهم من الديون . فأما ما كان من أمر أو نهى فيها لغيرهم ، فإنما هو على وجه الأمر والنهى للغائب غير المخاطب ، كقوله : « وليكتب بينكم كاتب » ، وكقوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، وما أشبه ذلك . فالوجهُ = إذْ كان المأمورون فيها مخاطبين بقوله : « وإنْ تفعلوا فإنه فُسوقٌ بكم » = [بأن يكون

(١) فى المطبوعة : « ويأتى الرجل فيقول : انطلق معى . فيقول : اذهب إلى غيرى فإنى مشغول » وكان فى المخطوطة : « ويأتى الرجل فيقول : انطلق معى إلى غيرى فإنى مشغول » ، وهو فاسداً ، وآثرت تصحيحه على وجه غير الوجه الذى كان فى المطبوعة ، ليكون أوضح وأقرب إلى معنى الشهادة

(٢) فى المطبوعة « أن يجيب » وأثبت ما فى المخطوطة

الأمر مردوداً على المستكتب والمستشهد] ، أشبه منه بأن يكون مردوداً على الكاتب والشهيد .[1] ومع ذلك، فإنّ الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيَّين عن الضرار لقيل:[2] وإن يفعلا فإنه فسوقٌ بهما . لأنهما اثنان ، وأنهما غير مخاطبين بقوله : « ولا يضارّ » ، بل النهى بقوله : « ولا يضار » ، نهيٌ للغائب غير المخاطب . فتوجيهُ الكلام إلى ما كان نظيراً لما فى سياق الآية ، أولى من توجيهه إلى ما كان مُنعدِلاً عنه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تضارّوا الكاتب أو الشاهدَ ، وما نُهيتم عنه من ذلك = « فإنه فسوق بكم » ، يعنى : إثم بكم ومعصيةٌ .[3]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم بنحو الذى قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٣٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وإن تفعلوا فإنه فُسوق بكم »، يقول : إن تفعلوا غير الذى آمركم به ، فإنه فسوق بكم .

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فالواجب إذ كان المأمورون مخاطبين بقوله : وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ، أشبه منه بأن يكون مردوداً على الكاتب والشهيد » ، وهو كلام مختل أشد الاختلال ، وهو فى المطبوعة أشد اختلالا إذ جعل « إذ كان المأمورون » — « إذا كان . . . » ، وقد وضعت بين القوسين ما هو أشبه بسياق المعنى ، وكأنه الصواب إن شاء الله .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ومع ذلك إن الكاتب والشهيد » والصواب ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الفسوق » فيما سلف ١ : ٤٠٩ ، ٤١٠ / ثم ٢ : ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٩٩ / ثم ٤ : ١٣٥ — ١٤٠ .

٦٤٣١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم » ، والفسوقُ المعصية .

٦٤٣٢ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم » ، الفسوق العصيان .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وإن يضارَّ كاتبٌ فيكتبَ غير الذى أملَى المملي ، ويضارَّ شهيدٌ فيحوِّلَ شهادته ويغيِّرَها = « فإنه فسوق بكم » ، يعني : فإنه كذب .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٣٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن تفعلوا فإنه فُسوق بكم » ، الفسوق الكذب . قال : هذا فسوق ، لأنه كذب الكاتبُ فحوَّل كتابه فكذَّب ، وكذَّب الشاهدُ فحوّل شهادته . فأخبرهم الله أنه كذبٌ .

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا فيما مضى على أن المعنيَّ بقوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، إنما معناه : لا يضارَّهما المستكتب والمستشهد ، بما فيه الكفاية .[1]

فقوله : « وإن تفعلوا » إنما هو إخبارُ من يضارَّهما بحكمه فيهما ، وأنَّ من يضارَّهما فقد عصَى ربه وأثم به ،[2] وركب ما لا يحلّ له ، وخرج عن طاعة ربه في ذلك .

* * *

(١) انظر ما سلف قريباً في تفسير الآية .

(٢) قوله : « أثم به » . قد سلف في ٤ : ٥٣٠ تعليق ٣ ما نصه : « آثما بربه » غير منقوطة ، كأنها « بربه » ولكني لم أجد في كتب اللغة « أثم بربه » وإن كنت أخشى أن تكون صواباً له وجه لم أتحققه » وغيرتها هناك « أثم برياته » ، فقد جاء هذا النص هنا محققاً ما خشيت ، فصح أن الصواب هناك « آثماً بربه » ، فقيده هناك ، وفي كتب اللغة . ومعنى : « أثم بربه » : أي : قدم الإثم إلى ربه بمعصيته ، فالباء فيه للغاية ، كما في قوله تعالى ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ وكما قال كثير :

القول فى تأويل قوله ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « واتقوا الله » ، وخافوا الله ، أيها المتداينون فى الكتاب والشهود ، أن تضاروهم ، وفى غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه = ويعنى بقوله : « ويعلّمكم الله » ، ويبين لكم الواجب لكم وعليكم ، فاعملوا به = « والله بكل شىء عليم » ، يعنى : [بكل شىء] من أعمالكم وغيرها ،[1] يحصيها عليكم ، ليجازيكم بها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٣٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قوله : « ويعلمكم الله » ، قال : هذا تعليم علّمكموه ، فخذوا به

* * *

أَسِيئِى بِنَا أَوْ أَحْسِنِى ، لا مَلُومَةً لَدَيْنَا ، ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ

فهذه هى الحجة الناهضة فى صواب التعبير الذى جاء فى كلام الطبرى ، والحمد لله رب العالمين على حسن توفيقه إيانا إلى الصواب .

(١) هذه الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وليست فى المخطوطة ولا المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته القرأة فى الأمصار جميعاً ﴿ كَاتِبًا ﴾، بمعنى : ولم تجدوا من يكتب لكم كتابَ الدَّين الذى تداينتموه إلى أجل مسمًّى ، « فرهان مقبوضة »

* * *

وقرأ جماعةٌ من المتقدمين : ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا ﴾ ، بمعنى : ولم يكن لكم إلى اكتتاب كتاب الدين سبيلٌ ، إما بتعذّر الدواة والصحيفة ، وإما بتعذر الكاتب وإن وجدتم الدواة والصحيفة .

* * *

والقراءة التى لا يجوز غيرها عندنا هى قراءة الأمصار « ولم تجدوا كاتباً » ، بمعنى : من يكتب . لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين .

* * *

[قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه] : [1] وإن كنتم ، أيها المتداينون ، فى سفر بحيث لا تجدون كاتباً يكتب لكم ، ولم يكن لكم إلى اكتتاب كتاب الدين الذى تداينتموه إلى أجل مسمى بينكم الذى أمرتكم باكتتابه والإشهاد عليه سبيلٌ ، فارتهنوا بديونكم التى تداينتموها إلى الأجل المسمى رهوناً تقبضونها ممن تداينونه كذلك ، ليكون ثقةً لكم بأموالكم .

* ذكر من قال ما قلنا فى ذلك :

٦٤٣٥ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قوله : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة » ، فمن كان على سفر فبايع بيعاً إلى أجل فلم يجد كاتباً ، فرخص له

(١) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها ، حتى يستقيم الكلام .

فى الرهان المقبوضة ، وليس له إن وَجد كاتباً أن يرتّهن .

٦٤٣٦ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً » ، يقول : كاتباً يكتب لكم = « فرهان مقبوضة » .

٦٤٣٧ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : ما كان من بيع إلى أجل ، فأمر الله عز وجل أنْ يكتب ويُشْهد عليه ، وذلك فى المُقام . فإن كان قوم على سفر تبايعوا إلى أجل فلم يجدوا [كاتباً] ، فرهان مقبوضة .[1]

* * *

* ذكر قول من تأول ذلك على القراءة التى حكيناها :

٦٤٣٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يزيد بن أبى زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « فإن لم تجدوا كتاباً » ، يعنى بالكتاب ، الكاتبَ والصحيفة والدواة والقلم .

٦٤٣٩ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرنى أبى ، عن ابن عباس أنه قرأ : « فإن لم تجدوا كتاباً » ، قال : ربما وجد الرجل الصحيفة ولم يجد كاتباً .

٦٤٤٠ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : كان يقرؤها : « فإن لم تجدوا كتاباً » ، ويقول : ربما وجد الكاتبُ ولم تُوجد الصحيفة أو المداد ، ونحو هذا من القول .

٦٤٤١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً » ، يقول : مداداً — يقرؤها كذلك — يقول : فإن لم تجدوا مداداً ، فعند ذلك تكون الرهون المقبوضة = « فرهن مقبوضة » ، قال : لا يكون الرهن إلا فى السفر .

(١) الزيادة بين القوسين ، أخشى أن تكون سقطت من الناسخ .

٦٤٤٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد بن زيد، عن شعيب بن الحبحاب قال : إن أبا العالية كان يقرؤها، : « فإن لم تجدوا كتاباً »، قال أبو العالية : تُوجد الدواةُ ولا توجد الصحيفة .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف القرأة فى قراءة قوله : « فرهان مقبوضة » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾ ، بمعنى جماع « رَهْن » كما « الكباش » جماع « كبش » ، و« البغال » جماع « بَغل » و« النعال » جماع « نعل » .

* * *

وقرأ ذلك جماعة آخرون : ﴿فَرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ على معنى جمع : « رِهان »، « ورُهن » جمع الجمع . وقد وجهه بعضهم إلى أنها جمع « رَهْن » : ، مثل « سَقْف وسُقُف » .

* * *

وقرأه آخرون ﴿ فَرُهْنٌ ﴾ مخففة الهاء على معنى جماع « رَهْن » ، كما تجمع « السَّقْف سُقْفاً » . قالوا : ولا نعلم اسماً على « فَعْل » يجمع على « فُعُل وفُعْل » إلاّ « الرُّهُنُ والرُّهْن » . و« السُّقُف والسُّقْف » .

* * *

٩٢/٣ قال أبو جعفر : والذى هو أولى بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه : « فرهان مقبوضة » . لأن ذلك الجمعُ المعروفُ لما كان من اسم على « فَعْل » ، كما يقال : « حَبْلٌ وحبال » و« كَعْب وكعاب » ، ونحو ذلك من الأسماء . فأما جمع « الفَعْل » على « الفُعُل أو الفُعْل » فشاذّ قليل ، إنما جاء فى أحرف يسيرة وقيل : « سَقْف وسُقُفٌ وسُقْف » « وقَلْبٌ وقُلُب وقُلْب » من : « قلب النخل » . [1] « وجَدٌّ وجُدٌّ » ، للجد الذى هو بمعنى الحظّ . [2] وأما ما جاء من جمع « فَعْل » على « فُعْل »

---

(١) هذا كله غريب لم يرد فى كتب اللغة

(٢) وهذا أيضاً غريب لم أجده فى كتب اللغة ، وإنما قالوا فى جمعه « أجداد وأجد وجدود » . وكان فى المطبوعة « حد وحد » بالحاء ، و « الحظ » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقوط .

« شَطٌّ، وشُطّ » ، و « وَرْدٌ ووُرْد » و « خَوْدٌ وخُود » .

وإنما دعا الذى قرأ ذلك : « فرُهُنٌ مقبوضة » إلى قراءته فيما أظن كذلك، مع شذوذه فى جمع « فَعْل »، أنه وجد « الرِّهان » مستعملة فى رِهَان الخيل، فأحبّ صرف ذلك عن اللفظ الملتبس برهان الخيل، الذى هو بغير معنى « الرهان » الذى هو جمع « رَهْن » ، ووجد « الرُّهُن » مقولاً فى جمع « رَهْن» ، كما قال قَعْنَب :

بَانَتْ سُعادُ وأَمْسَى دُونَهَا عَدَنُ وَغَلِقَتْ عِنْدَهَا مِنْ قَبْلِكَ الرُّهُنُ[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن كان المدين أميناً عند رب المال والدَّين فلم يرتهن منه فى سفره رَهْناً بدينه لأمانته عنده على ماله وثقته ، = « فليتق الله » ، المدينُ = «ربّه»، يقول: فليخف الله ربه فى الذى عليه من دين صاحبه أن يجحده، أو يَلُطّ دونه ،[2] أو يحاول الذهاب به ، فيتعرّض من عقوبة الله لما لا قبل له ،[3] به وليؤدّ دينه الذى ائتمنه عليه ، إليه .

* * *

وقد ذكرنا قول من قال: « هذا الحكم من الله عز وجل ناسخٌ الأحكامَ التى

---

(١) مختارات ابن الشجرى ١ : ٦ ، ولباب الآداب ٤٠٢ - ٤٠٤ ، اللسان (رهن) ، وروايته هناك « من قبلك » ، وهى أجود فيما أرى . غلق الرهن غلقاً (بفتحتين) وغلوقاً : إذا لم تجد ما تخلص به الرهن وتفكه فى الوقت المشروط ، فعندئذ يملك المرتهن الرهن الذى عنده . كان هذا على رسم الجاهلية ، فأبطله الإسلام . يقول : فارقتك بعد العهود والمواثيق والهبات التى أعطيتها ، فذهبت بذلك كله ، كما يذهب بالرهان من كانت تحت يده .

(٢) يقال : « لط الغريم بالحق دون الباطل » : دافع ومنع الحق . و«لط حقه ، ولط عليه» جحده ومنعه .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ما لا قبل » بحذف اللام، وما أثبت هو أقرب إلى الجودة .

فى الآية قبلها : من أمر الله عز وجلّ بالشهود والكِتاب» . وقد دللنا على أولى ذلك بالصواب من القول فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع.[1] وقد :—

٦٤٤٣ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « فإن أمِن بعضكم بعضاً فليؤد الذى اؤتمن أمانته » ، إنما يعنى بذلك : فى السفر ، فأما الحضر فلا ، وهو واجد كاتباً ، فليسَ له أن يرتهن ولا يأمن بعضُهم بعضاً .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله الضحاك = من أنه ليس لرب الدين ائتمانُ المدين وهو واجد إلى الكاتب والكتاب والإشهاد عليه سبيلاً ، وإن كانا فى سفر = ، فكما قال ، لما قد دللنا على صحّته فيما مضى قبل .

وأما ما قاله = من أنّ الأمر فى الرّهن أيضاً كذلك ، مثل الائتمان : فى أنه ليس لربّ الحق الارتهان بماله إذا وجد إلى الكاتب والشهيد سبيلاً ، فى حضر أو سفر = فإنه قولٌ لا معنى له ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

٦٤٤٤ — أنه اشترى طعاماً نَساءً ، ورهن به درعاً لهُ .[2]

* * *

فجائز للرجل أن يرهن بما عليه ، ويرتهن بمالَهُ من حقّ ، فى السفر والحضر — لصحة الخبر بما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنّ معلوماً أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يكن — حين رَهن من ذكرنا — غير واجد كاتباً ولا شهيداً ، لأنه لم يكن متعذراً عليه بمدينته فى وقت من الأوقات الكاتبُ والشاهدُ ، غير أنهما إذا تبايعا برَهْن ، فالواجب عليهما = إذا وجدا سبيلاً إلى كاتب وشهيد ، أو كان البيع

(١) انظر ما سلف آنفاً : ص٥٣ — ٥٥

(٢) الأثر : ٦٤٤٤ — ذكره الطبرى بغير إسناد . وقد رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٥ : ١٠٠ — ١٠٢) ومسلم فى صحيحه ١١ : ٣٩ ، ٤٠ من طرق ، عن عائشة أم المؤمنين . وسنن البيهقى ٦ : ٣٦ . يقال نسأت عنه دينه نساء : (بالمد وفتح النون) : أخرته . و « بعته بنسيئة » ، أى : بأخرة .

أو الدَّين إلى أجل مسمى[1] = أن يكتبا ذلك ويشهدا على المال والرَّهن . وإنما يجوز ترك الكتاب والإشهاد في ذلك ، حيث لا يكون لهما إلى ذلك سبيل .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٨٣﴾

قال أبو جعفر : وهذا خطابٌ من الله عز وجل للشهود الذين أمر المستدينَ وربَّ المال بإشهادهم ، فقال لهم : « ولا يأب الشهداءُ إذا ما دعوا » — ولا تكتموا ، أيها الشهود ، بعد ما شهدتم شهادتَكم عند الحكام ، كما شهدتم على ما شهدتم عليه ، ولكن أجيبوا من شهدتم له إذا دعاكم لإقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذُ له بحقه .

ثم أخبر الشاهدَ جل ثناؤه ما عليه في كتمان شهادته ، وإبائه من أدائها والقيام بها عند حاجة المستشهد إلى قيامه بها عند حاكم أو ذي سلطان ، فقال : « ومن يَكتمها » . يعني : ومن يكتم شهادته = « فإنه آثم قَلبه » ، يقول : فاجرٌ قلبه ، مكتسبٌ بكتمانه إياها معصية الله ، [2] كما : —

٦٤٤٥ — حدثني المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبه » ، فلا يحل لأحد أن يكتم شهادةً هي عنده ، وإن كانت على نفسه والوالدين ، ومن يكتمها فقد ركب إثماً عظيماً .
٩٤/٣

٦٤٤٦ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي

(١) في المطبوعة : « وكان البيع . . . » وأثبت ما في المخطوطة .
(٢) انظر تفسير « الإثم » فيما سلف من فهارس اللغة .

قوله : « ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » ، يقول : فاجر قلبه .

٦٤٤٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله ، لأن الله يقول : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[1] [سورة المائدة : ٧٢]، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، لأن الله عز وجل يقول : « ومَنْ يكتمها فإنه آثمٌ قلبه » .

* * *

وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول : « على الشاهد أن يشهد حيثما استُشهد ، ويخبر بها حيثُ استُخبر » .

٦٤٤٨ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن مسلم قال ، أخبرنا عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : إذا كانت عندك شهادة فسألك عنها فأخبره بها ، ولا تقل : « أخْبِر بها عند الأمير » ، أخبره بها ، لعله يراجع أو يَرْعَوي .

* * *

وأما قوله : « والله بما تعملون عليمٌ » ، فإنه يعني : « بما تعملون » في شهادتكم من إقامتها والقيام بها ، أو كتمانكم إياها عند حاجة من استشهدكم إليها ، وبغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلانيتها = « عليمٌ » ، يحصيه عليكم ، ليجزيكم بذلك كله جزاءكم ، إما خيراً وإما شراً على قدر استحقاقكم .

* * *

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « ومن يشرك بالله » ، وليست هذه قراءتها ، أخطأ الناسخ وسها .

القول فى تأويل قوله ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « لله ما فى السموات وما فى الأرض » ، لله ملك كل ما فى السموات وما فى الأرض من صغير وكبير ، وإليه تدبير جميعه ، وبيده صرفه وتقليبه ، لا يخفى عليه منه شىء ، لأنه مدبره ومالكه ومصرّفه .

وإنما عنى بذلك جل ثناؤه كتمانَ الشهود الشهادةَ ، يقول : لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ، ومن يكتمها يفجُرْ قلبه ، ولن يخفى علىّ كتمانه ذلك ، لأنى بكل شىء عليم ، وبيدى صَرْفُ كل شىء فى السموات والأرض وملكه ، أعلمُ خفىّ ذلك وجليّه ،(٢) فاتقوا عقابى إياكم على كتمانكم الشهادة = وعيداً من الله بذلك مَنْ كتمها ، وتخويفاً منه له به .

ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم فى آخرتهم وبمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحاً على معصية فأضمرها ، أو أظهر مُوبقة فأبداها من نفسه — من المحاسبة عليها فقال : « وإن تُبدُوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » ، يقول : وإن تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حقّ ربّ المال الجحودَ والإنكار ، أو تخفوا ذلك فتضمروه فى أنفسكم ، وغير ذلك من سيىء أعمالكم = « يحاسبكم به الله » ، يعنى

(١) لم تثبت المخطوطة ولا المطبوعة قوله تعالى : « فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » فى هذا الموضع ولا فى غيره إلى القول فى تفسير تمام الآية ، وأثبتها فى مكانها .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أعلمه خفى . . . » ، والسياق يقتضى ما أثبت . وفى المخطوطة : « وجليله » ، ولا بأس بها ، ولكن ما فى المطبوعة أمثل بالسياق .

بذلك : يحتسب به عليكم من أعمالكم ،[1] فمجازٍ من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله ،[2] وغافرٌ لمن شاء منكم من المسيئين .[3]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله : « وإن تُبدُوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » .

فقال بعضهم بما قلنا : من أنه عنى به الشهودَ فى كتمانهم الشهادة ، وأنه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٤٩ — حدثنى أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يُحاسبكم به الله » ، يقول : يعنى فى الشهادة .[4]

٦٤٥٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى قوله : « وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » ، قال : فى الشهادة .

٦٤٥١ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال : سئل داود عن قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، فحدثنا عن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يحسب به عليه من أعماله » بالضمير المفرد ، والسياق يقتضى الجمع كما أثبته . ويقال : « احتسبت عليه بالمال » ، أى : عددته عليه وحاسبته به . و « احتسب » من « الحساب » مثل « اعتد » من « العد » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « فيجازى من شاء . . . » والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وغافر منكم لمن شاء . . . » ، وهو تقديم من عجلة الناسخ ، والصواب ما أثبت .

(٤) الأثر : ٦٤٤٩ — « ابن فضيل » ، هو محمد بن فضيل ، وقد سلف مراراً . وكان فى فى المخطوطة والمطبوعة « أبو نفيل » وليس فى الرواة من يقال له « أبو نفيل » يروى عن يزيد بن أبى زياد ، والذى يروى عنه هو ابن فضيل .

عكرمة قال : هي الشهادة إذا كتمتها .

٦٤٥٢ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن عمرو وأبي سعيد: أنه سمع عكرمة يقول في هذه الآية: «وإنْ تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه»، قال : في الشهادة .

٦٤٥٣ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن السدى، عن الشعبي في قوله : «وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه،» قال : في الشهادة .

٩٥/٣

٦٤٥٤ — حدثنا يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية، «وإنْ تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» ، قال : نزلت في كتمان الشهادة وإقامتها .

٦٤٥٥ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن عكرمة في قوله : «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله»، يعني : كتمان الشهادة وإقامتها على وجهها .

* * *

وقال آخرون : «بل نزلت هذه الآية إعلاماً من الله تبارك وتعالى عبادَه أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه» .

ثم اختلف متأوِّلو ذلك كذلك .

فقال بعضهم : «ثم نسخ الله ذلك بقوله : ﴿ لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] »

• ذكر من قال ذلك :

٦٤٥٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إسحق بن سليمان ، عن مصعب بن

ثابت ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : لما نزلت : « لله ما في السموات وما في الأرض وإن تُبدُوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، اشتد ذلك على القوم ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا لمؤاخذون بما نحدّث به أنفسنا ! هلكنا ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ، قال أبي : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال اللهُ : نعم = ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ إلى آخر الآية = قال أبي : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : نعم . [1]

٦٤٥٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا سفيان بن وكيع

---

(١) الحديث : ٦٤٥٦ — إسحق بن سليمان الرازي العبدي : ثقة ثبت في الحديث ، متعبد كبير ، من خيار المسلمين . أخرج له الجماعة .

مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير : تكلم فيه الأئمة ، فضعفه أحمد ، وابن معين ، وغيرهم . وأثنى عليه الزهري . وقال أبو حاتم : « صدوق كثير الغلط ، ليس بالقوى ، ويروى عنه إسحق بن سليمان » ، ولكن ترجمه البخاري في الكبير ٤/١/٣٥٣ ، فلم يذكر فيه جرحاً . والظاهر أن من ضعفه فإنما ذهب إلى كثرة غلطه ، كما فعل أبو حاتم . وأياً ما كان ، فهو لم ينفرد بهذا الحديث ، كما سيأتي في التخريج .

والحديث سيأتي بعضه : ٦٥٣٨ ، بهذا الإسناد .

ورواه أحمد في المسند : ٩٣٣٣ (٢ : ٤١٢ حلبي) ، عن عفان ، عن عبد الرحمن بن إبرهيم القاص المدني ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، به ، مطولا عما هنا .

وعبد الرحمن بن إبرهيم — هذا — ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . مترجم في التعجيل ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٢١١ .

ورواه مسلم — مطولا أيضاً — ١ : ٤٦ — ٤٧ ، وابن حبان في صحيحه : ١٣٩ (١ : ٢٢٥ — ٢٢٦ — من مخطوطة الإحسان) — كلاهما من طريق يزيد بن زريع ، عن روح بن القاسم ، عن العلاء ، به .

ونقله ابن كثير ٢ : ٧٩ — ٨٠ ، عن رواية المسند .

وأشار إليه الحافظ في الفتح ٨ : ١٥٤ ، من رواية مسلم .

وذكره السيوطي ١ : ٣٧٤ ، وزاد نسبته لأبي داود في ناسخه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ولم ينسبه لصحيح ابن حبان .

قال حدثنا أبي= قال، حدثنا سفيان، عن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد، قال، سمعت سعيد بن جبير يحدّث، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفرُ لمن يشاء ويعذب من يشاء»، دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمعنا وأطعنا وسلّمنا. قال: فألقى الله عز وجل الإيمان في قلوبهم، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ = قال أبو كريب: فقرأ ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ = قال فقال: قد فعلت = ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ = قال: قد فعلت = ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ = قال: قال: قد فعلت = ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ = قال: قد فعلت.[1]

---

(١) الحديث: ٦٤٥٧ – سفيان بن وكيع يرويه عن أبيه. وأبوه يرويه عن سفيان، وهو الثوري، ووقع في المطبوعة هنا حذف قوله «قال: حدثنا أبي». وهو خطأ. وسيأتي الإسناد على الصواب: ٦٥٣٧، حيث روى الطبري بعضه مختصراً. بهذا الإسناد.

آدم بن سليمان القرشي، مولى خالد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط: ثقة، وهو والد يحيى بن آدم صاحب كتاب الخراج.

والحديث رواه أحمد في المسند: ٢٠٧٠، عن وكيع، بهذا الإسناد.

وكذلك رواه مسلم ١: ٤٧، عن أبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كريب، وإسحق بن إبرهيم – وهو ابن راهويه –: ثلاثتهم عن وكيع، به.

وفي التهذيب، في ترجمة آدم بن سليمان، أن مسلماً أخرج له هذا الحديث الواحد متابعة؛ وليس كذلك، بل هو أصل لا متابعة، إذ لم يروه مسلم من طريق غيره.

ورواه الحاكم في المستدرك ٢: ٢٨٦، من طريق ابن راهويه، عن وكيع. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وذكره ابن كثير ٢: ٨١، عن رواية المسند. ثم أشار إلى رواية مسلم.

وأشار إليه الحافظ في الفتح ٨: ١٥٤، من رواية مسلم.

وذكره السيوطي ١: ٣٧٤، وزاد نسبته للترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والبيهقي في الأسماء والصفات.

وسيأتي بعض معناه: ٦٤٦٤، عن سعيد بن جبير، مرسلا غير متصل. فيستفاد وصله من من هذه الرواية.

٦٤٥٨ — حدثني أبو الرَّداد المصرى عبد الله بن عبد السلام قال ، حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، عن حيوة بن شريح قال ، سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول : قال ابن شهاب ، حدثني سعيد ابن مرجانة قال : جئتُ عبد الله بن عمر فتلا هذه الآية : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاءُ ويعذب من يشاء » . ثم قال ابن عمر : لئن آخذَنا بهذه الآية ، لنهلِكنّ ! ثم بكى ابن عمر حتى سالت دُموعه . قال ، ثم جئتُ عبدَ الله بن العباس فقلت : يا أبا عباس ، إني جئت ابن عمر فتلا هذه الآية : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » الآية ، ثم قال : لئن وَاخذنا بهذه الآية لنهلكنّ ! ثم بكى حتى سالت دموعه ! فقال ابن عباس : يغفر الله لعبد الله بن عمر ! لقد َفرِق أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها كما فَرِق ابن عمر منها ، فأنزل الله ﴿لاَ يُكلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ، فنسخ الله الوَسوسة ، وأثبت القول والفعلَ .[1]

٦٤٥٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد ابن مرجانة يحدث : أنه بينا هو جالس سمع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية ، « لله ما فى السموات وما فى الأرض وَإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » الآية ، فقال : والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلِكنّ ! ثم بكى ابن عمر حتى سُمع َنشيجه ، فقال ابن مرجانة : فقمت حتى أتيت ابن عباس

---

(١) الحديث : ٦٤٥٨ — أبو الرداد المصرى ، عبد الله بن عبد السلام — شيخ الطبرى : ثقة . ترجمه ابن أبي حاتم ١٠٧/٢/٢ ، وقال : « سمعنا منه بمصر ، وهو صدوق » .

أبو زرعة وهب الله بن راشد : هذه أول مرة يثبت فيها اسمه فى المطبوعة على الصواب ، فقد مضى فى : ٢٣٧٧ ، ٢٨٩١ ، ٥٣٨٦ — وكان فيها كلها محرفاً فى المطبوعة . وترجمنا له فى أولهن .

سعيد ابن مرجانة : هو سعيد بن عبد الله ، مولى قريش . ومرجانة — بفتح الميم وسكون الراء : أمه . قال الحافظ فى التهذيب : « فعلى هذا فيكتب : ابن مرجانة — بالألف » . وهو تابعى ثقة . ثبت سماعه من أبي هريرة ، خلافاً لمن زعم غير ذلك ، كما بينا فى المسند : ٧٥٨٣ .

والحديث سيأتى عقبه : ٦٤٥٩ ، من وجه آخر عن ابن شهاب . ونذكر تخريجه هناك .

فذكرتُ لهُ ما تلا ابن عمر ، وما فعل حين تلاها ، فقال عبد الله بن عباس : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ! لعمرى لقد وَجَد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وَجد عبد الله بن عمر ، فأنزل اللهُ بعدها ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ إلى آخر السورة. قال ابن عباس : فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها ، وصار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أنّ للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فى القوْل والفعل .[1] ٩٦/٣

٦٤٦٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، سمعتُ الزهرى يقول فى قوله : «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » ، قال : قرأها ابن عمر فبكى وقال : إنا لمؤاخذون بما نحدِّث به أنفسنا ! فبكى حتى سُمع نشيجه ، فقام رجل من عنده فأتى ابن عباس فذكر ذلك له ، فقال : رَحم الله ابن عُمر ! لقد وَجَد المسلمون نحواً مما وَجد ، حتى نزلت ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .[2]

٦٤٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد قال : كنت عند ابن عمر فقال : «وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » الآية ، فبكى . فدخلت على ابن عباس فذكرت له ذلك ، فضحك ابن عباس فقال : يرحم الله ابن عمر !

---

(١) الحديث : ٦٤٥٩ — هو الحديث السابق ، بنحوه .

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ٨١ — ٨٢ ، عن هذا الموضع من الطبرى .

وذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٤ ، مختصراً ، عن هذا الموضع أيضاً . قال : « أخرج الطبرى ، بإسناد صحيح عن الزهرى . . . » — إلخ .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٤ ، ونسبه لعبد بن حميد ، وأبى داود فى ناسخه ، وابن جرير ، والطبرانى ، والبيهقى فى الشعب .

وانظر الأحاديث الآتية : ٦٤٦٠ — ٦٤٦٤ .

(٢) الحديث : ٦٤٦٠ — هذا حديث مرسل ، لم يسمه الزهرى . من ابن عمر ، ولا من ابن عباس . وهو مختصر من الحديثين قبله ، ومن الحديث : ٦٤٦٢ . فقد سمع الزهرى القصة من سعيد ابن مرجانة ، ومن سالم بن عبد الله بن عمر .

أوَ ما يدرى فيم أنزلت ؟ إن هذه الآية حين أنزلت غمَّت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غمًّا شديداً وقالوا : يا رسول الله ، هلكنا ! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : « سمعنا وأطعنا » ، فنسختها : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ فتُجُوِّزَ لهم من حديث النفس ، وأخذوا بالأعمال .[1]

٦٤٦٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهرى ، عن سالم : أن أباه قرأ : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، فدمعت عينه ، فبلغ صنيعه ابنَ عباس ، فقال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! لقد صَنَعَ كما صنع أصحاب رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلتْ ، فنسختها الآية التى بعدها : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ .[2]

---

(١) الحديث : ٦٤٦١ — جعفر بن سليمان : هو الضبعى . وقد مضى توثيقه فى : ٢٩٠٥ .
حميد الأعرج : هو حميد بن قيس المكى ، قارئ أهل مكة . مضى توثيقه فى : ٣٣٥٢ .
والحديث رواه أحمد فى المسند : ٣٠٧١ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن حميد الأعرج ، به .
فظهر من رواية الطبرى هذه : أن عبد الرزاق سمعه من شيخين ، من معمر ، ومن جعفر بن سليمان — كلاهما حدثه به عن حميد الأعرج .

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ٨١ ، عن رواية أحمد فى المسند . وكذلك ذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٤ ، من رواية أحمد .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٤ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وابن المنذر .
وهو فى معنى الأحاديث السابقة : ٦٤٥٨ — ٦٤٦٠ .

وقوله : « كنت عند ابن عمر فقال : (وإن تبدوا ما فى أنفسكم) . . . » — هكذا فى المخطوطة والمطبوعة .
ولعل صوابه : « فقرأ » ، بدل « فقال » . وهو الثابت فى رواية المسند ومن نقل عنه .
وقوله فى آخر الحديث : « فتجوز لهم من حديث النفس » — هكذا فى المخطوطة والمطبوعة أيضاً .
ولعل صوابه « عن حديث النفس » ، كرواية المسند .

(٢) الحديث : ٦٤٦٢ — سفيان بن حسين الواسطى : مضى الكلام فى روايته عن الزهرى ،

٦٤٦٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قال: نسخت هذه الآية : «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه» — ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.[1]

٦٤٦٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال : حدثنا سفيان ، عن آدم بن سليمان ، عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت هذه الآية: « وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه »، قالوا : أنؤاخذ بما حدَّثنا به أنفسنا، ولم تعمل به جوارحنا ؟ قال : فنزلت هذه الآية: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾، قال: ويقول: قد فعلت. قال : فأعطيت هذه الأمة خواتيم « سورة البقرة » ، لم تُعطها الأمم قبلها .[2]

وأن فيها تخاليط ، في ٣٤٧١ . ولكن يظهر لي الآن أن في هذا غلواً من ابن حبان . فإن البخاري ترجم له في الكبير ٢/٢/٩٠ ، وأشار إلى روايته عن الزهري ، فلم يذكر فيها قدحاً ، ثم إن الأئمة صححوا هذا الحديث من روايته عن الزهري ، كما سيجيء .

فالحديث رواه أبو جعفر بن النحاس في الناسخ والمنسوخ ، ص : ٨٦ . والحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٧ — كلاهما من طريق يزيد بن هرون ، عن سفيان بن حسين ، بهذا الإسناد . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

ثم قد ذكره ابن كثير ٢ : ٨٢ ، عن هذا الموضع — بعد الروايات السابقة ، ثم قال : « فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس » .

وقد رجحت توثيق سفيان بن حسين — وفي روايته عن الزهري — فيما كتبت تعليقاً على تهذيب السنن للمنذري ، ج ٣ ص : ٤٠٢ . فأنسيته حين كتبت ما مضى في : ٣٤٧١ .

والحديث ذكره أيضاً السيوطي ١ : ٣٧٤ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة .

(١) الحديث : ٦٤٦٣ — أبو أحمد : هو الزبيري ، محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي . وهو يروي عن سفيان الثوري . ويروي عنه محمد بن بشار .

وهذا الحديث مرسل ، لأنه حكاية من سعيد بن جبير عن إخبار بنسخ الآية .

وقد سبقت رواية لسعيد بن جبير عن ابن عباس : ٦٤٥٧ ، لعلها تشير إلى هذا المعنى .

(٢) الحديث : ٦٤٦٤ — وهذا حديث مرسل أيضاً ، من رواية سعيد بن جبير ، ولكنه بعض معنى الحديث السابق : ٦٤٥٧ ، الذي رواه سعيد عن ابن عباس متصلا .

وسيأتي بعضه : ٦٥٣٩ ، بهذا الإسناد مع تحريف في اسم الراوي عن سفيان ، كما سنذكر هناك ، إن شاء الله .

٦٤٦٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا إسمعيل ، عن عامر : «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » ، قال : فنسختها الآية بعدها، قوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

٦٤٦٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن الشعبي : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : نسختها الآية التى بعدها: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ = وقوله : « وإن تُبدوا » ، قال : يحاسب بما أبدَى من سرّ أو أخفى من سر ، فنسختها التى بعدها .

٦٤٦٧ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا سيّار، عن الشعبي قال : لما نزلت هذه الآية : «وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفرُ لمن يشاء ويعذب من يشاء » ، قال : فكان فيها شدّة ، حتى نزلت هذه الآية التى بعدها : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، قال : فنسخت ما كان قبلها .

٦٤٦٨ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال : ذكروا عند الشعبي : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » حتى بلغ ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾، قال ، فقال الشعبي : إلى هذا صار ، رَجعتْ إلى آخر الآية .

٦٤٦٩ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله: « وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه »، قال قال ابن مسعود: كانت المحاسبة قبل أن تنزل: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، فلما نزلت نسخت الآية التى كانت قبلها . ٩٧/٣

٦٤٧٠ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد

قال ، سمعت الضحاك يذكر ، عن ابن مسعود نحوه .

٦٤٧١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن الشعبي قال : نسخت «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه» =﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

٦٤٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب= وسفيان ، عن جابر ، عن مجاهد= وعن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد قالوا : نسخت هذه الآية ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ، «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه» ، الآية .

٦٤٧٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر بمثله .

٦٤٧٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال : حدثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن فى قوله : «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه» إلى آخر الآية ، قال : محتها : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.[1]

٦٤٧٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنه قال : نسخت هذه الآية = يعنى قوله : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ = الآية التى كانت قبلها : «وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» .

٦٤٧٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» ، قال : نسختها قوله : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .

٦٤٧٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى ابن زيد قال : لما نزلت هذه الآية : «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» إلى آخر

---

(١) الأثر : ٦٤٧٤ — «حماد» هو حماد بن سلمة ، و «حميد» هو حميد الطويل . وكان فى المطبوعة والمخطوطة «حماد بن حميد» ، وليس فى رواة الأثر من يعرف بهذا الاسم ، وحجاج بن المنهال يروى عن حماد بن سلمة ، وحماد يروى عن خاله حميد الطويل ، وحميد الطويل يروى عن الحسن .

الآية ، اشتدّت على المسلمين وشقّتْ مشقةً شديدة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو وَقع فى أنفسنا شىء لم نعمل به وَاخذنا الله به ؟ قال : فلعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل : « سمعنا وعصينا » ! قالوا : بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله ! قال : فنزل القرآن يفرِّجها عنهم : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » إلى قوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، قال : فصيَّره إلى الأعمال ، وترك ما يقع فى القلوب .

٦٤٧٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا هشيم ، عن سيار أبى الحكم ، عن الشعبى ، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود فى قوله : «وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : نسخت هذه الآية التى بعدَها : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

٦٤٧٩ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وإن تبدُوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : يوم نزلت هذه الآية كانوا يؤاخذون بما وَسْوست به أنفسهم وما عملوا ، فشكوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إن عمل أحدُنا وإن لم يعملْ أُخِذنا به ؟ والله ما نملك الوَسوسة ! ! فنسخها الله بهذه الآية التى بعدُ بقوله : (١) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ الآية ، فكان حديث النفس مما لم تطيقوا . (٢)

٦٤٨٠ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : نسختها قوله : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

* * *

(١) فى المطبوعة : « التى بعدها بقوله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « مما لم تطيقوا ، الآية » أخر الناسخ « الآية » ، فرددتها إلى مكانها قبل.

وقال آخرون = ممن قال معنى ذلك : «الإعلام من الله عز وجل عبادَه أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وعملته جوارحهم ، وبما حدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه» = [1] : «هذه الآية محكمة غيرُ منسوخة ، والله عز وجل محاسبٌ خلقَه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما أصرّوه في أنفسهم ونووه وأرادُوه ، فيغفره للمؤمنين ، ويؤاخذ به أهلَ الكفر والنفاق» .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٨١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس قوله : «وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» ، فإنها لم تنسخ ، ولكن الله عز وجل إذا جمع الخلائق يوم القيامة ، يقول الله عز وجل : «إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتي» . فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدَّثوا به أنفسهم ، وهو قوله : «يحاسبكم به الله» ، يقول : يخبركم . وأما أهل الشك والرَّيْب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب ، [2] وهو قوله : ﴿وَلَـكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٥] ، من الشكّ والنفاق . ٣/٩٨

٦٤٨٢ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» ، فذلك سِرُّ عملكم وعلانيته ، يحاسبكم به الله ، فليس من عبد

---

(١) انظر ما سلف ص : ١٠٣ وما بعدها .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة بعد قوله : «من التكذيب» ما نصه : «وهو قوله : فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء» . وهي زيادة بلا شك من الناسخ . فإلا تكن منه ، فكأنها قبل ذلك بعد قوله «يحاسبكم به الله» وقبل قوله : «وأما أهل الشك والريب . . .» ، ولكني آثرت إسقاطها ، لأن السيوطي خرجه في الدر المنثور ١ : ٣٧٥ بغير ذكر هذه الزيادة في الموضعين .

مؤمن يُسرّ في نفسه خيراً ليعمل به ، فإن عمل به كُتبت له به عشرُ حسنات ، وإن هولم يُقدَّر له أن يعمل به كتبت له به حسنة ، من أجل أنه مؤمن ، والله يَرْضى سرّ المؤمنين وعلانيتهم . وإن كان سُوءاً حدَّث به نفسه ، اطلع الله عليه وأخبره به يوم تُبلى السرائر ، وإن هو لم يعمل به لم يؤاخذه الله به حتى يعمل به . فإن هو عمل به تجاوزَ الله عنه ، كما قال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾[سورة الأحقاف : ١٦].

٦٤٨٣ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، الآية ، قال : قال ابن عباس : إن الله يقول يوم القيامة : « إن كُتّابي لم يكتبوا من أعمالكم إلا ما ظهر منها ، فأما ما أسررتم في أنفسكم فأنا أحاسبكم به اليومَ ، فأغفر لمن شئت وأعذّب من شئت» .

٦٤٨٤ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا علي بن عاصم قال ، أخبرنا بيان ، عن بشر ، عن قيس بن أبي حازم قال : إذا كان يوم القيامة قال الله عزوجل يُسمع الخلائق : « إنما كان كُتّابي يكتبون عليكم ما ظهر منكم . فإما ما أسررتم فلم يكونوا يكتبونه ولا يعلمونه ، أنا اللهُ أعلم بذلك كله منكم ، فأغفر لمن شئتُ ، وأعذّب من شئت » .

٦٤٨٥ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » . كان ابن عباس يقول : إذا دعي الناس للحساب أخبرَهم الله بما كانوا يسرُّون في أنفسهم مما لم يعملوه فيقول : « إنه كان لا يعزُب عني شيء . وإني مخبركم بما كنتم تسرُّون من السُّوء . ولم تكن حفظتكم عليكم مطّلعين عليه » ، فهذه المحاسبة

٦٤٨٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك ، عن ابن عباس نحوه .

٦٤٨٧ — حدثني المثنى قال ،حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : هي محكمة ، لم ينسخها شيء يقول: « يحاسبكم به الله » ، يقول : يعرّفه الله يوم القيامة: « إنك أخفيتَ في صدرك كذ وكذا » ! لا يؤاخذه .

٦٤٨٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن قال : هي محكمة لم تنسخ .

٦٤٨٩ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، قال ، حدثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله »، قال : من الشك واليقين .

٦٤٩٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله الله عز وجل : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، يقول : في الشك واليقين .[1]

٦٤٩١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل هذه الآية على قول ابن عباس الذى رواه على بن أبي طلحة :[2] وإن تبدوا ما في أنفسكم من شيء من الأعمال فتظهروه بأبدانكم وجوارحكم ، أو تخفوه فتسروه في أنفسكم فلم يطلع عليه أحد من خلقي ، أحاسبكم به ، فأغفر كل ذلك لأهل الإيمان ، وأعذِّب أهلَ الشرك والنفاق في ديني .

---

(١) في المطبوعة : « في اليقين والشك » ، قدم وأخر ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) هو رقم : ٦٤٨١

* * *

وأما على الرواية التى رواها عنه الضحاك من رواية عبيد بن سليمان عنه ،[١] وعلى ما قاله الربيع بن أنس ،[٢] فإن تأويلها : إنْ تظهروا ما فى أنفسكم فتعملوه من المعاصى ، أو تضمروا إرادته فى أنفسكم فتخفوه ، يُعْلمكم به الله يوم القيامة ، فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء .

* * *

وأما قول مجاهد ،[٣] فشبيهٌ معناه بمعنى قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة .

* * *

وقال آخرون = ممن قال : « هذه الآية محكمة ، وهى غير منسوخة » ، ووافقوا الذين قالوا : « معنى ذلك : أن الله عز وجل أعلم عبادَه ما هو فاعل بهم فيما أبدَوْا وأخفوا من أعمالهم » = معناها : إن الله محاسبٌ جميعَ خلقه بجميع ما أبدَوْا من سيئْ أعمالهم وجميع ما أسروه ، ومُعاقبهم عليه . غيرَ أن عقوبته إياهم على ما أخفوه مما لم يعملوه ، ما يحدث لهم فى الدنيا من المصائب والأمور التى يحزَنون عليها ويألمون منها . ٩٩/٣

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٩٢ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، الآية ، قال : كانت عائشة رضى الله عنها تقول : من همّ بسيئة فلم يعملها ، أرسل الله عليه من الهم والحزَن مثل الذى همّ به من السيئة فلم يعملها ، فكانت كفّارته .

٦٤٩٣ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ،

---

(١) هى رقم : ٦٤٨٦ .

(٢) هو رقم : ٦٤٨٧ .

(٣) هو رقم : ٦٤٨٩ وما بعده .

سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : كانت عائشة تقول . كل عبد يهمّ بمعصية أو يحدّث بها نفسه ، حاسبه الله بها فى الدنيا ، يخافُ ويحزن ويهتم .

٦٤٩٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى أبو تميلة ، عن عبيد ، عن الضحاك قال : قالت عائشة فى ذلك : كل عبدٍ همّ بسوء ومعصية وحدّث نفسه به ، حاسبه الله فى الدنيا ، يخاف ويحزَن ويشتدّ همّه ، لا يناله من ذلك شىء ، كما همّ بالسوء ولم يعمل منه شيئاً .

٦٤٩٥ — حدثنا الربيع قال ، حدثنا أسد بن موسى قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أميّة أنها سألت عائشة عن هذه الآية : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » و ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [سورة النساء : ١٢٣] فقالت : ما سألنى عنها أحد مذْ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعائشة ، هذه متابعة الله العبدَ بما يصيبه من الحمّى والنكبة والشّوكة ، حتى البضاعة يضعها فى كمّه فيفقدها ، فيفزع لها فيجدُها فى ضِبْنه ، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرُج التبر الأحمر من الكير . (١)

* * *

(١) الحديث : ٦٤٩٥ — على بن زيد : هو ابن جدعان .

أمية : هى بنت عبد الله ، وهى تابعية لم ترو عن عائشة غير هذا الحديث . وعلى بن زيد ، هو ابن زوجها . وقد مضى البيان عن ترجمتها فى : ٤٨٩٧ .

ووقع فى المطبوعة هنا : « عن أمه » . وهو خطأ . ووقع مثل ذلك فى بعض نسخ الترمذى . ولو صحت هذه النسخ لم يكن بذلك بأس ، إذ لا يبعد أن يسميها ربيبها « أمه » .

والحديث رواه الطيالسى : ١٥٨٤ ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن « أمية بنت عبد الله » .

ورواه أحمد فى المسند ٦ : ٢١٨ (حلبى) ، عن بهز ، عن حماد — وهو ابن سلمة ، وفيه : « عن أمية » .

ورواه الترمذى ٤ : ٧٨ — ٧٩ ، من طريق روح بن عبادة ، عن حماد بن سلمة ، به . وفيه : « عن أمية » . قال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة ، لا نعرفه إلا من حديث حماد ابن سلمة » .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية قول من قال : « إنها محكمة ، وليست بمنسوخة » . وذلك أن النسخ لا يكون فى حكم إلاّ بنفيه بآخر ، هو له ناف من كل وجوهه .[1] وليس فى قوله جل وعز : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، نفى الحكم الذى أعلم عبادَه بقوله : « أو تخفوه يحاسبكم به الله » . لأن المحاسبة ليست بموجبة عقوبةً ولا مؤاخذةً بما حوسب عليه العبد من ذنوبه .

وقد أخبر الله عز وجل عن المجرمين أنهم حين تعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة يقولون : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً

ورواه ابن أبى حاتم — فيما نقله عنه ابن كثير ٢ : ٨٥ — من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد ابن سلمة . وفيه « عن أبيه » بدل « عن أمية » ؛ وهو تحريف مطبعى .

وقال ابن كثير : « على بن زيد بن جدعان : ضعيف يغرب فى رواياته . وهو يروى هذا الحديث عن امرأة أبيه : أم محمد أمية بنت عبد الله عن عائشة . وليس لها عنها فى الكتب سواه » .

أقول : وعلى بن زيد ليس بضعيف ، كما قلنا فى : ٤٨٩٧ ، وكما رجحنا فى شرح المسند : ٧٨٣ .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٥ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، والبيهقى فى الشعب .

قوله « هذه متابعة الله العبد » — يعنى ما يصيب الإنسان مما يؤلمه ، يتابعه الله به ليكفر عنه من سيئاته . وهذا هو الثابت فى الطبرى والمسند . والذى فى الطيالسى والترمذى والدر المنثور : « معاتبة الله » ومعناه قريب من هذا . وفى ابن كثير : « مبايعة » . وهو تحريف .

النكبة — بفتح النون : أن ينكبه الحجر إذا أصاب ظفره أو إصبعه . ومنه قيل لما يصيب الإنسان : نكبة .

البضاعة : اليسير من المال تبعثه فى التجارة ، ثم سميت السلعة : بضاعة .

الضبن — بكسر فسكون : ما بين الإبط والكشح .

التبر : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ ، فإذا صيغ فهو ذهب أو فضة .

الكير — بكسر الكاف ، كير الحداد : وهو زق أو جلد غليظ ذو حافات ، ينفخ النار حتى تتوهج .

(١) فى المطبوعة : « إلا ينفيه » ، بالياء فى أوله ، وهو فى المخطوطة غير منقوط . وفيهما معاً « بآخر له ناف » ، والصواب زيادة « هو » كما أثبت . وبذلك يستقيم الكلام .
وانظر ما قال فى « النسخ » فيما سلف ص : ٥٤ ، والتعليق : ١ .

إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [سورة الكهف : ٤٩] . فأخبر أن كتبهم محصية عليهم صغائرَ أعمالهم وكبائرَها ، فلم تكن الكتب - وإن أحصت صغائرَ الذنوب وكبائرَها - بموجبٍ إحصاؤها على أهل الإيمان بالله ورسوله ، وأهل الطاعة له ، أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين . لأن الله عز وجل وَعدهم العفوَ عن الصغائر ، باجتنابهم الكبائر فقال في تنزيله : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٣١] . فذلك محاسبة الله عبادَه المؤمنين بما هو محاسبهم به من الأمور التي أخفتْها أنفسهم ، غيرَ موجبٍ لهم منه عقوبة ، [1] بل محاسبته إياهم - إن شاء الله - عليها ، ليعرّفهم تفضُّله عليهم بعفوه لهم عنها ، كما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر الذي : -

٦٤٩٦ - حدثني به أحمد بن المقدام قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أبي ، عن قتادة ، عن صَفوان بن مُحْرز ، عن ابن عمر ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : يُدْنِي الله عبدَه المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كَنَفه ، فيقرِّره بسيئاته يقول : هل تعرف ؟ فيقول : نعم ! فيقول : سترْتها في الدنيا وأغفرها اليوم ! ثم يظهر له حسناته فيقول : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة : ١٩] أو كما قال = وأما الكافر فإنه يُنادى به على رُؤوس الأشهاد . [2]

٦٤٩٧ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، وهشام = وحدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا هشام = قالا جميعاً في حديثهما

---

(١) في المطبوعة : « فدل أن محاسبة الله . . . » ، وأثبت ما في المخطوطة . وفي المطبوعة والمخطوطة بعد : « غير موجبة لهم منه عقوبة » ، والسياق يقتضي : « غير موجب . . . » كما أثبتها .

(٢) الحديث : ٦٤٩٦ - صفوان بن محرز المازني : تابعي ثقة جليل ، له فضل وورع . والحديث مختصر من الذي بعده . وسنذكر تخريجه فيه ، إن شاء الله .

عن قتادة ، عن صفوان بن محرز قال : بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمرَ وهو يطوف ، إذ عرَض له رجل فقال . يا ابن عمر ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النَّجْوَى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه ، فيقرِّره بذنوبه فيقول : « هل تعرف كذا » ؟ فيقول : « ربِّ اغفر » — مرتين — حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلُغ قال : « فإني قد سترتُها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليومَ » . قال : فيعطى صحيفة حسناته — أو : كتابه — بيمينه ، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الأشهاد : ﴿ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.(1) [سورة هود : ١٨]

١٠٠/٣

* * *

---

(١) الحديث : ٦٤٩٧ — سعيد : هو ابن أبي عروبة ، الثقة المأمون الحافظ . وهشام : هو ابن أبي عبد الله الدستوائي .

ووقع في المطبوعة : « حدثنا ابن أبي عدى ، وسعيد ، وهشام » ، وهو تحريف .

وصوابه : « عن سعيد » ، لأن ابن أبي عدى — وهو محمد بن إبرهيم — إنما يروى عن ابن أبي عروبة وعن هشام الدستوائي . فهو ليس من طبقتهما . ثم هو لم يدرك أن يروى عن قتادة . وكذلك ابن بشار — وهو محمد بن بشار . شيخ الطبرى — إنما يروى عن ابن أبي عدى وطبقته ، لم يدرك أن يروى عن ابن أبي عروبة والدستوائي .

وأيضاً ، فإن قوله في الإسناد — بعد تحويله إلى ابن علية عن هشام — « قالا جميعاً في حديثهما عن قتادة » ، يرجع ضمير المثنى فيه إلى سعيد وهشام ، دون ابن أبي عدى . إذ لو كان معهما لكان القول أن يقول : « قالوا جميعاً » .

ثم قد ثبت أنه « عن سعيد » في نقل ابن كثير هذا الحديث عن هذا الموضع ٢ : ٨٤ ، وإن وقع فيه خطأ مطبعى آخر ، إذ فيه : « عن سعيد بن هشام » بدل « وهشام » . وفيه بعد ابن علية « حدثنا ابن هشام » بزيادة « ابن » زيادة هي غلط غير مستساغ .

ثم الحديث سيأتي في تفسير الطبرى ١٢ : ١٤ (بولاق) ، بهذا الإسناد ، على الصواب . ولكنه جعله هناك إسنادين : فصل إسناد ابن علية عن إسناد ابن أبي عدى .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٥٤٣٦ ، عن بهز وعفان ، كلاهما عن همام — وهو ابن يحيى — عن قتادة ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضاً : ٥٨٢٥ ، عن عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، وهو ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، به .

= أن الله يفعل بعبده المؤمن: [1] من تعريفه إياه سيئات أعماله ،حتى يعرّفه تفضّله عليه بعفوه له عنها . فكذلك فعله تعالى ذكره في محاسبته إياه بما أبداه من نفسه وبما أخفاه من ذلك ، ثم يغفر له كلَّ ذلك بعد تعريفه تفضّله وتكرّمه عليه ، فيستره عليه. وذلك هو المغفرة التي وعد الله عباده المؤمنين فقال : « فيغفر لمن يشاء». [2]

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فإنّ قوله : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبتْ » ، ينبئ عن أن جميع الخلق غير مؤاخذين إلا بما كسبته أنفسهم من ذنب ، ولا مُثابين إلا بما كسبته من خير ؟

قيل: إن ذلك كذلك ، وغيرُ مؤاخَذٍ العبدُ بشيء من ذلك إلا بفعل ما نُهي عن فعله ، أو تَرْكِ ما أمر بفعله .

فإن قال : فإذ كان ذلك كذلك ، فما معنى وعيد الله عز وجل إيانا على ما أخفته أنفسنا بقوله : « ويعذّب من يشاء » ، إن كان لها ما كسبت وعليها

ورواه البخارى ٥ : ٧٠ (فتح) ، ومسلم ٢ : ٣٢٩ - كلاهما من طريق هشام الدستوائى ، عن قتادة ، به .

ورواه البخارى أيضاً ٨ : ٢٦٦ - ٢٦٧ ، من طريق سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائى ، عن قتادة .

ورواه أيضاً ١٠ : ٤٠٦ - ٤٠٧ ، و ١٣ : ٣٩٧ - ٣٩٨ ، من طريق أبي عوانة ، عن قتادة

ورواه أبو جعفر بن النحاس ، فى كتاب الناسخ والمنسوخ ، ص : ٨٦ - ٨٧ ، من طريق ابن علية ، عن هشام . وقال : « وإسناده إسناد لا يدخل القلب منه لبس . وهو من أحاديث أهل السنة والجماعة » .

وذكره ابن كثير ٢ : ٨٤ - ٨٥ ، كما قلنا من قبل ، عن هذا الموضع من الطبرى .

وذكره أيضاً ٤ : ٣٥٣ ، عن رواية المسند الأولى .

وذكره السيوطى ٣ : ٣٢٥ . وزاد نسبته لابن المبارك ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات .

ونسبه القسطلانى ٤ : ٢٠٦ ، للنسائى فى التفسير والرقائق ، وابن ماجة فى السنة .

ووقع فى المخطوطة - هنا - « وأما الكفار أو المنافقين » ، وهو خطأ واضح .

(١) سياق هذه الجملة من قبل الخبرين السالفين : « كما بلغنا عن رسول الله صلى عليه وسلم . . . أن الله يفعل بعبده المؤمن . . . » ، فجملة « أن الله يفعل » ، هى فاعل قوله : « بلغنا » .

(٢) فى المطبوعة : « يغفر لمن يشاء » بغير فاء ، وأثبت نص الآية كما فى المخطوطة .

ما اكتسبت، وما أضمرته قلوبنا وأخفته أنفسنا — : من همّ بذنب، أو إرادة لمعصية — لم تكتسبه جوارحُنا ؟

قيل له : إن الله جل ثناؤه قد وعد المؤمنين أن يعفوَ لهم عما هو أعظم مما همّ به أحدهم من المعاصى فلم يفعله، وهو ما ذكرنا من وَعْده إياهم العفوَ عن صغائر ذنوبهم إذا هم اجتنبوا كبائرها . وإنما الوعيد من الله عز وجل بقوله : « ويعذب من يشاء » ، على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسُهم تخفى الشك فى الله ، والمريةَ فى وحدانيته ، أو فى نبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله ، أو فى المعاد والبعث — من المنافقين ، [١] على نحو ما قال ابن عباس ومجاهد ومن قال بمثل قولهما ، إن تأويل قوله : « أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، على الشك واليقين .

غير أنا نقول إنّ المتوعَّدَ بقوله : « ويعذب من يشاء » ، هو مَن كان إخفاءُ نفسه ما تخفيه الشكّ والمريةَ فى الله ، [٢] وفيما يكون الشك فيه بالله كفراً = والموعودَ الغفرانَ بقوله : [٣] « فيغفر لمن يشاء » هو الذى إخفاءُ ما يخفيه ، [٤] الهمّة بالتقدم على بعض ما نهاه الله عنه من الأمور التى كان جائزاً ابتداءً تحليلُه وإباحته ، فحرّمه على خلقه جل ثناؤه =[٥] أو على ترك بعض ما أمر الله بفعله ، مما كان جائزاً ابتداءً إباحةُ تركه ، فأوجب فعله على خلقه . فإنّ الذى يهمّ بذلك من المؤمنين — إذا هو لم يصحح همَّه بما يهمّ به ، ويحقق ما أخفته نفسه من ذلك

---

(١) سياق الجملة : « على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسهم تخفى الشك فى الله . . . من المنافقين » ، وما بينهما صفات فاصلة .

(٢) قوله : « الشك والمرية . . . » خبر « كان » .

(٣) قوله : « الموعود » منصوب معطوف على قوله « إن المتوعد . . . » ، وقوله : « الغفران » منصوب باسم المفعول وهو « الموعود » ، أى الذى وعد الغفران .

(٤) فى المطبوعة : « هو الذى أخفى وما يخفيه الهمة بالتقدم . . . » وفى المخطوطة : « هو الذى إحفا وما يخفيه الهمه » غير منقوطة بهذا الرسم : وصواب قراءة المخطوطة هو ما أثبت .

(٥) قوله : « أو على ترك . . . » معطوف على قوله آنفاً : « بالتقدم على بعض ما نهاه . . . »

بالتقدُّم عليه — لم يكن مأخوذاً به، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٦٤٩٨ — « من َهمَّ بحسنة فلم يعملها كُتِبتْ له حسنةٌ ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه » . (١)

* * *

فهذا الذى وصفنا هو الذى يحاسب الله به مؤمنى عباده ، ثم لا يعاقبهم عليه . فأما من كان ما أخفته نفسه شكا فى الله وارتياباً فى نبوة أنبيائه ، فذلك هو الهالك المخلَّد فى النار الذى أوعده جل ثناؤه العذاب الأليم بقوله : « ويعذب من يشاء » .

* * *

قال أبوجعفر : فتأويل الآية إذاً : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم » ، أيها الناس ، فتظهروه = « أو تخفوه » ، فتنطوى عليه نفوسكم = « يحاسبكم به الله » ، فيعرِّف مؤمنكم تفضّله بعفوه عنه ومغفرته له فيغفره له ، ويعذّب منافقكم على الشك الذى انطوت عليه نفسه فى وحدانية خالقه ونبوّة أنبيائه . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٨٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : والله عز وجل = على العفو عما أخفته نفس هذا المؤمن من الهمّة بالخطيئة ، وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفته نفسه من الشك فى توحيد الله عز وجل ونبوة أنبيائه ، ومجازاة كل واحد منهما على ما كان منه ، وعلى غير ذلك من الأمور = قادرٌ .

---

(١) الأثر : ٦٤٩٨ — لم يذكر الطبرى إسناده ، وأحاديث تجاوز الله عن حديث النفس فى مسلم ٢ : ١٤٦ — ١٥٢ بغير هذا اللفظ ، ثم سائر كتب السنة .

(٢) فى المخطوطة : « فيعرف مؤمنيكم . . . ويعذب منافقيكم » بالجمع ، والذى فى المطبوعة أصح وأجود .

القول فى تأويل قوله ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : صدّق الرسولُ = يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقرّ =« بما أنزل إليه »، يعنى : بما أوحى إليه من ربه من الكتاب، وما فيه من حلال وحرام ، ووعد وعيد ، وأمر ونهى ، وغير ذلك من سائر ما فيه من المعانى التى حوّاها .

١٠١/٣

* * *

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عليه قال : يحقّ له .

٦٤٩٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » ، ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال : ويحقُّ له أن يؤمن .[1]

* * *

وقد قيل : إنها نزلت بعد قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير » ، لأن المؤمنين برسول الله من أصحابه شقّ عليهم ما توعدهم الله به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم ، فشكوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعلكم تقولون : « سمعنا وعصينا » كما قالت بنو إسرائيل! فقالوا :

---

(١) الأثر : ٦٤٩٩ — أخرج الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٨٧ من طريق خلاد بن يحيى ، عن أبى عقيل ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أنس قال : «لما نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » قال النبى صلى الله عليه وسلم : وأحق له أن يؤمن » . ثم قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » واستدرك عليه الذهبى فقال : « منقطع » .

بل نقول : «سمعنا وأطعنا» ! فأنزل الله لذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه : «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» ، يقول : وصدّق المؤمنون أيضاً مع نبيهم بالله وملائكته وكتبه ورسله ، الآيتين . وقد ذكرنا قائلى ذلك قبلُ .[1]

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : «وكتبه» .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض قرأة أهل العراق ﴿ وكُتُبِهِ ﴾ على وجه جمع «الكتاب» ، على معنى : والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التى أنزلها على أنبيائه ورسله .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة أهل الكوفة : ﴿ وكِتَابِهِ ﴾ ، بمعنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وبالقرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك : «وكتابه» ، ويقول : الكتاب أكثر من الكتب . وكأنّ ابن عباس يوجه تأويل ذلك إلى نحو قوله : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [سورة العصر : ١ ، ٢] ، بمعنى جنس «الناس» وجنس «الكتاب» ، كما يقال : «ما أكثر درهم فلان وديناره» ، ويراد به جنس الدراهم والدنانير .[2] وذلك ، وإن كان مذهباً من المذاهب معروفاً ، فإن الذى هو أعجب إلىّ من القراءة فى ذلك أن يقرأ بلفظ الجمع . لأن الذى قبله جمع ، والذى بعده كذلك — أعنى بذلك : «وملائكته وكتبه ورسله» — فإلحاق «الكتب» فى الجمع لفظاً به ، أعجبُ إلىّ من توحيده وإخراجه فى اللفظ به بلفظ الواحد ، ليكون لاحقاً فى اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده ، وبمعناه .

* * *

(١) انظر ما سلف رقم ٦٤٧٧ .

(٢) انظر ما سلف ٤ : ٢٦٣

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُسُلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : وأما قوله : « لانفرق بين أحد من رسله »، فإنه أخبر جل ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك . فنى الكلام فى قراءة من قرأ « لا نُفرّق بين أحد من رسله » بالنون ، متروكٌ ، قد استغنى بدلالة ما ذكر عنه . وذلك المتروك هو : « يقولون » . وتأويل الكلام : والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، يقولون: لانفرق بين أحد من رسله . وترك ذكر « يقولون » لدلالة الكلام عليه ، كما ترك ذكره فى قوله : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [سورة الرعد: ٢٣، ٢٤]، بمعنى : يقولون: سلامٌ .

* * *

وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدمين : ﴿ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ بـ «الياء»، بمعنى : والمؤمنون كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرّق الكلّ منهم بين أحد من رسله ، فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ، ولكنهم يصدقون بجميعهم ، ويقرُّون أن ما جاؤوا به كان من عند الله ، وأنهم دَعَوْا إلى الله وإلى طاعته ، ويخالفون فى فعلهم ذلك اليهودَ الذين أقرُّوا بموسى وكذبوا عيسى ، والنصارى الذين أقرّوا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته ، ومن أشبههم من الأمم الذين كذبوا بعضَ رسل الله وأقروا ببعضهم ، كما : —

٦٥٠٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « لانفرق بين أحد من رسله » ، كما صنع القوم — يعنى بنى إسرائيل — قالوا : فلان نبيّ ، وفلان ليس نبيًّا ، وفلانٌ نؤمن به ، وفلان لا نؤمن به .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا نستجيز غيرَها فى ذلك عندنا بالنون :

« لانفرق بين أحد من رسله » ، لأنها القراءة التي قامت حجتها بالنقل المستفيض ، [١] الذي يمتنع معه التشاعُر والتواطؤ والسهو والغلط = [٢] ، بمعنى ما وصفنا من : يقولون لا نفرق بين أحد من رسله = [٣] ولا يعترض بشاذ من القراءة ، على ما جاءت به الحجة نقلاً ووراثة . [٤] ١٠٢/٣

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وقال الكل من المؤمنين « سمعنا » قولَ ربنا وأمرَه إيَّانا بما أمرنا به ، ونهيه عما نهانا عنه = « وأطعنا » ، يعني : أطعنا ربّنا فيما ألزمنا من فرائضه واستعبَدنا به من طاعته ، وسلمنا له = وقوله : « غُفرانك ربنا » ، يعني : وقالوا : « غفرانك ربّنا » ، بمعنى : اغفر لنا ربنا غُفرانك ، كما يقال : « سبحانك » ، بمعنى : نسبِّحك سبحانك .

* * *

وقد بينا فيما مضى أن « الغفران » و « المغفرة » ، السترُ من الله على ذنوب من

---

(١) في المطبوعة : « التي قامت حجة . . . » ، وفي المخطوطة : « « التي قامت حجته » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « التشاغر » بغين معجمة ، وهو خطأ غث . والصواب من المخطوطة . و « تشاعروا الأمر ، أو على الأمر » ، أي تعالموه بينهم . من قولهم : « شعر » أي « علم » . وهي كلمة قلما تجدها في كتب اللغة ، ولكنها دائرة في كتب الطبري ومن في طبقته من القدماء . وانظر الرسالة العثمانية للجاحظ : ٣ ، وتعليق : ٥ ، ثم ص : ٢٦٣ ، وصواب شرحها ما قلت . وانظر ما سيأتي ص : ١٥٥ ، تعليق ١ .

(٣) في المطبوعة : « يعني ما وصفنا » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) في المطبوعة « نقلا ورواية » ، وفي المخطوطة « نقلا وراثة » ، وهي الصواب ، وآثرت زيادة الواو قبلها ، فإني أرجح أنها كانت كذلك . وقد أكثر الطبري استعمال « وراثة » و « موروثة » فيما سلف ، من ذلك فيما مضى في ٤ ٣٣ « بالحجة القاطعة العذر ، نقلا عن نبينا صلى الله عليه وسلم وراثة » / ثم في ٥ ٢٣٨ « لخلافها القراءة المستفيضة الموروثة » . وانظر ما سيأتي ص ١٥٥ ، تعليق ١ .

غفر له ، وصفحه له عن هتك ستره بها فى الدنيا والآخرة ، وعفوه عن العقوبة — عليه .[١]

* * *

وأما قوله : « وإليك » المصير » ، فإنه يعنى جل ثناؤه أنهم قالوا : وإليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا ، فاغفر لنا ذنوبنا .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فما الذى نصب قوله : « غفرانك » ؟

قيل له : وقوعه وهو مصدر موقعَ الأمر . وكذلك تفعل العرب بالمصادر والأسماء إذا حلت محلّ الأمر ، وأدّت عن معنى الأمر نصبتها ، فيقولون : « شكراً لله يا فلان » ، و «حمداً له » ، بمعنى : اشكر الله واحمده . « والصلاةَ ، الصلاةَ » . بمعنى : صلّوا . ويقولون فى الأسماء : « اللهَ اللهَ يا قوم » ، ولو رفع بمعنى : هو الله ، أو : هذا الله — ووُجِّه إلى الخبر وفيه تأويل الأمر ، كان جائزاً ، كما قال الشاعر :[٣]

إِنَّ قَوْماً مِنْهُمْ عُمَيرٌ وَأَشْبَا ... هُ عُمَيْرٍ وَمِنْهُمُ السَّفَّاحُ[٤]

لَجَدِيرُونَ بِالوَفَاءِ إِذَا قَا ... لَ أَخُو النَّجْدَةِ : السِّلَاحُ السِّلَاحُ !!

ولو كان قوله « غفرانك ربنا » جاء رفعاً فى القراءة ، لم يكن خطأ ، بل كان صواباً على ما وصفنا .[٥]

* * *

وقد ذُكر أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناءً من

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) انظر ما سلف فى تفسير « المصير » ٣ : ٥٦ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٨ ، وشواهد العينى (بهامش الخزانة) ٤ : ٣٠٦ . ولم أستطع تعيين « عمير » و « السفاح » ، فهما كثير .

(٥) أكثر هذا من معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٨ .

الله عليه وعلى أمته ، قال له جبريل صلى الله عليه وسلم : إنّ الله عز وجل قد أحسنَ عليك وعلى أمتك الثناءَ ، فسل ربَّك .

٦٥٠١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن حكيم بن جابر قال : لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» ، قال جبريل : إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك ، فسل تُعطه! فسأل : «لا يكلّف الله نفساً إلاّ وُسعها» إلى آخر السورة .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لا يكلّف الله نفساً فيتعبّدها إلاّ بما يسعها ،[2] فلا يُضيّق عليها ولا يَجهدها .

* * *

(١) الحديث : ٦٥٠١ — بيان : هو ابن بشر الأحمسى ، مضت ترجمته فى : ٢٥٩ .
«حكيم بن جابر بن طارق بن عوف الأحمسى» : تابعى كبير ثقة ، أرسل عن النبى صلى الله عليه وسلم . روى عن أبيه ، وعمر ، وعثمان ، وابن مسعود ، وطلحة ، وعبادة بن الصامت . وروى عنه إسماعيل ابن أبى خالد ، و«بيان» . ثقة . مات فى آخر إمارة الحجاج . وقيل سنة ٨٢ ، وقيل سنة ٩٥ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٢/١/٢ . وصرح بأنه سمع عمر .

فهذا الحديث مرسل .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٦ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وابن أبى حاتم .

ونقله ابن كثير ٢ : ٨٩ ، عن هذا الموضع من الطبرى . ولكن وقع فيه تحريف فى الإسناد ، من ناسخ أو طابع — هكذا : «عن سنان ، عن حكيم ، عن جابر» ؛ فصار الإسناد موهماً أنه حديث متصل من رواية جابر بن عبد الله الصحابى . فيصحح من هذا الموضع .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها فيتعبدها إلا بما يسعها» وبين أن الناسخ عجل فزاد «إلا وسعها» ، والسياق يقتضى تركها هنا ، فتركتها .

وقد بينا فيما مضى قبل أن « الوسع » اسم من قول القائل : « وَسِعنى هذا الأمر »، مثل « الجُهد » و« الوُجْد » من : « جَهدنى هذا الأمر » و« وجَدت منه » ،[1] كما : —

٦٥٠٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله: « لا يكلف الله نفساً إلاّ وُسعها » قال : هم المؤمنون ، وسَّع الله عليهم أمرَ دينهم، فقال الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج : ٧٨] ، وقال : ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[سورة البقرة: ١٨٥]، وقال ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[2][سورة التغابن: ١٦].

٦٥٠٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزهرى ، عن عبد الله بن عباس قال : لما نزلتْ ، ضجّ المؤمنون منها ضجةّ وقالوا : يا رسول الله ، هذا نَتوب من عمل اليد والرجل واللسان ![3] كيف نتوب من الوسوسة ؟ كيف نمتنع منها ؟ فجاء جبريل صلى الله عليه وسلم بهذه الآية ، « لا يكلف الله نفساً إلاّ وُسعها » ، إنكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوَسْوسة .

٦٥٠٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها » ، وسعها ، طاقتها . وكان حديث النفس مما لم يطيقوا .[4]

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٥ : ٤٥ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « اتقوا الله . . . » وأثبت نص القراءة .

(٣) قوله : « هذا نتوب . . . » ، تعبير فصيح يكون مع التعجب ، وقد جاء فى الشعر ، ولكن سقط عنى موضعه الآن فلم أجده .

(٤) فى المطبوعة : « مما لا يطيقون » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول في تأويل قوله ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « لها » للنفس التي أخبر أنه لا يكلفها إلا وسعها . يقول : لكل نفس ما اجترحت وعملتْ من خير = « وعليها » ، يعنى : وعلى كل نفس = « ما اكتسبت » ، ما عملت من شرّ ، [1] كما : —

٦٥٠٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت » ، أى : من خير = « وعليها ما اكتسبت » ، أى : من شرّ — أو قال : من سوء . ١٠٣/٣

٦٥٠٦ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لها ما كسبت » ، يقول : ما عملت من خير = « وعليها ما اكتسبت » ، يقول : وعليها ما عملت من شر .

٦٥٠٧ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، مثله .

٦٥٠٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزهرى ، عن عبد الله بن عباس : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، عملَ اليد والرّجل واللسان .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : لا يكلف الله نفساً إلا ما يسعها فلا يُجهدَها ولا يضيّق عليها فى أمر دينها ، فيؤاخذها بهمّة إن همّت ، ولا بوسوسة إن عَرَضت لها ، ولا بخطرة إن خطرت بقلبها .

* * *

(١) انظر تفسير « الكسب » و « الاكتساب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ / ثم ٣ : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢٨ ، ١٢٩ / ثم ٤ : ٤٤٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا تعليمٌ من الله عز وجل عبادَه المؤمنين دعاءَه كيف يدعونه ، وما يقولونه فى دعائهم إياه . ومعناه : قولوا : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا » شيئاً فرضتَ علينا عمله فلم نعمله = ، « أو أخطأنا » فى فعل شيء نهيتَنا عن فعله ففعلناه ، على غير قصد منا إلى معصيتك ، ولكن على جهالة منا به وخطأ ، كما : —

٦٥٠٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا ، أو أخطأنا ، [فأصبنا] شيئاً مما حرمته علينا .[١]

٦٥١٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدّثت به أنفسها .[٢]

٦٥١١ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط قال ، زعم السدى أن هذه الآية حين نزلت : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال قال له جبريل صلى الله الله عليه وسلم : فقل ذلك يا محمد .

* * *

---

(١) الزيادة بين القوسين ، توشك أن تكون زيادة لايستقيم بغيرها الكلام .

(٢) الأثر : ٦٥١٠ — أخرجه مسلم فى صحيحه (٢ : ١٤٦ ، ١٤٧) من طرق ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن أبى هريرة ولفظه : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ، ما لم يتكلموا أو يعملوا » .

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وهل يجوز أن يُؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطأوا ، فيسألوه أن لا يؤاخذهم بذلك ؟

قيل : إنّ « النسيان » على وجهين : أحدُهما على وجه التضييع من العبد والتفريط ، والآخرُ على وجه عَجز الناسى عن حفظ ما استُحفظ ووكُل به ، وضعف عقله عن احتماله .

= فأما الذى يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط ، فهو تَركٌ منه لما أمِر بفعله . فذلك الذى يرغب العبد إلى الله عز وجل فى تركه مؤاخذته به ، وهو « النسيان » الذى عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة ، فقال فى ذلك : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [سورة طه : ١١٥]، وهو « النسيان » الذى قال جل ثناؤه : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ [سورة الأعراف : ٥١] . فرغبةُ العبد إلى الله عز وجل بقوله : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذى وصفنا ، ما لم يكن تركُهُ ما ترك من ذلك تفريطاً منه فيه وتضييعاً ، كفراً بالله عز وجل . فإن ذلك إذا كان كفراً بالله ، فإن الرغبة إلى الله فى تركه المؤاخذةَ به غير جائزة ، لأن الله عز وجل قد أخبر عباده أنه لا يغفر لهم الشرك به ، فمسألته فعلَ ما قد أعلمهم أنه لا يفعله ، خطأ . وإنما تكون مسألته المغفرة ، فيما كان من مثل نسيانه القرآنَ بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته ، ومثل نسيانه صلاةً أو صياماً باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيَّعهما .

= وأما الذى العبد به غيرُ مؤاخذ ، لعجز بِنْيته عن حفظه ، وقلة احتمال عقله ما وُكّل بمراعاته ، فإن ذلك من العبد غيرُ معصية ، وهو به غير آثم . فذلك الذى لا وجه لمسألة العبد ربَّه أن يغفره له ، لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب . وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريصٌ على تذكّره وحفظه ، كالرجل

يحرص على حفظ القرآن بجدّ منه فيقرأه ، ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ، ولكن بعجز بنيته عن حفظه ، وقلة احتمال عقله ذكرَ ما أودع قلبه منه ، وما أشبه ذلك من النسيان ، فإن ذلك مما لا تجوز مسألة الربّ مغفرته ، لأنه لا ذنبَ للعبد فيه فيغفر له باكتسابه .

* * *

وكذلك لـ « الخطأ » وجهان :

١٠٤/٣ = أحدهما : من وجه ما نُهى عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة ، فذلك خطأ منه ، وهو به مأخوذ ، يقال منه : « خَطِئَ فلان وأخطأ » فيما أتى من الفعل ، و « أثم » ، إذا أتى ما يأثم فيه وركبه ، [1] ومنه قول الشاعر : [2]

النَّاسُ يَلْحَوْنَ الأَمِيرَ إِذَا هُمُ خَطِئُوا الصَّوَابَ وَلَا يُلَامُ المُرْشَدُ [3]

يعنى أخطأوا الصّواب = وهذا الوجه الذى يرغب العبد إلى ربه فى صَفح ما كان منه من إثم عنه ، [4] إلا ما كان من ذلك كفراً .

= والآخر منهما : ما كان منه على وجه الجهل به ، والظنّ منه بأن له فعله ، كالذى يأكل فى شهر رمضان ليلاً وهو يحسب أن الفجر لم يطلع = أو يؤخّر

(١) فى المطبوعة : « ما يتأثم فيه » ، والصواب من المخطوطة . وانظر معنى « خطئ » فيما سلف ٢ : ١١٠ .

(٢) هو عبيد بن الأبرص الأسدى ، وفى حماسة البحترى ، ٢٣٦ « عبيد بن منصور الأسدى » ، وكأنه تحريف .

(٣) ديوانه : ٥٤ ، وحماسة البحترى ٢٣٦ واللسان (أمر) ورواية ديوانه :

وَالنَّاسُ يلحون الأميرَ إذَا غَوَى خَطْبَ الصَّوَابِ . . . .

أما رواية اللسان ، فهى كما جاءت فى الطبرى . ولحاه يلحاه : لامه وقرعه . والأمير : صاحب الأمر فيهم ، يأمرهم فيطيعونه . والمرشد (اسم مفعول بفتح الشين) : من هداه الله إلى الصواب . وهو شبيه بقول القطامى

والناسُ مَنْ يلقَ خيراً قائلون لَهُ ما يشتهى ، ولِأُمِّ المُخْطِئ الهَبَلُ

(٤) استعمل أبو جعفر « الصفح » هنا بمعنى : الرد والصرف ، ولو كان من قولهم « صفح عن ذنبه » لكان صواب العبارة « فى صفحه عما كان منه من إثم » . واستعمال أبى جعفر جيد صحيح .

صلاةً فى يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره إياها دخولَ وقتها ، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل . فإنَّ ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد، الذى وضعَ الله عز وجل عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربَّه أن لا يؤاخذه به .

* * *

وقد زعم قوم أنَّ مسألة العبد ربَّه أن لا يؤاخذه بما نسى أو أخطأ ، إنما هو فعلٌ منه لما أمرَه به ربُّه تبارك وتعالى، أو لما ندبه إليه من التذلل له والخضوع بالمسألة، فأما على وجه مسألته الصفحَ، فما لا وجه له عندهم .[1]

وللبيان عن هؤلاء كتاب سنأتى فيه إن شاء الله على ما فيه الكفاية، لمن وفق لفهمه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾

قال أبو جعفر : ويعنى بذلك جل ثناؤه : قولوا : « ربنا لا تحمل علينا إصراً »، يعنى بـ «الإصر» العهد، كما قال جل ثناؤه: ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ [سورة آل عمران : ٨١] . وإنما عنى بقوله : « ولا تحمل علينا إصراً » ولا تحمل علينا عهداً فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه = « كما حملته على الذين من قبلنا »، يعنى : على اليهود والنصارى الذين كُلِّفوا أعمالاً ، وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة. فعلَّم الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الرغبةَ إليه بمسألته أن لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال — إن ضيعوها

(١) انظر أمالى الشريف المرتضى ٢ : ١٣١ ، ١٣٢ .

أو أخطأوا فيها أو نسوها — مثل الذى حَمَّل مَنْ قبلهم ، فيُحِلُّ بهم بخطئهم فيه وتضييعهم إياه، مثلَ الذى أحَلَّ بمن قبلهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٦٥١٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا تحمل علينا إصراً » ، قال : لا تحمل علينا عهداً وميثاقاً ، كما حملته على الذين من قبلنا . يقول : كما غُلِّظ على من قبلنا .

٦٥١٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن موسى بن قيس الحضرمى ، عن مجاهد فى قوله : « ولا تحمل علينا إصراً » ، قال : عهداً .[1]

٦٥١٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إصراً » ، قال : عهداً .

٦٥١٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « إصراً » ، يقول : عهداً .

٦٥١٦ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، والإصر : العهد الذى كان على من قبلنا من اليهود .

٦٥١٧ — حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج قوله : « ولا تحملْ علينا إصراً » ، قال : عهداً لا نطيقه ولا نستطيع

---

(١) الأثر : ٦٥١٣ — « موسى بن قيس الحضرمى » الفراء ، الكوفى ، لقبه : « عصفور الجنة » . روى عن سلمة بن كهيل ، ومحمد بن عجلان ، ومسلم البطين وغيرهم . روى عنه وكيع ، ويحيى بن آدم ، وأبو نعيم ، وغيرهم . قال أحمد : « لا أعلم إلا خيراً » . وقال ابن سعد : « كان قليل الحديث » . ووثقه ابن معين . وقال العقيلى : « كان من الغلاة فى الرفض . . . يحدث بأحاديث مناكير — أو : بواطيل » . مترجم فى التهذيب .

القيام به = « كما حملته على الذين من قبلنا » ، اليهودَ والنصارى فلم يقوموا به ، فأهلكتهم .

٦٥١٨ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « إصراً » ، قال : المواثيق .

٦٥١٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « الإصر » ، العهد . = ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ [سورة آل عمران ٨١] ، قال : عهدى .

٦٥٢٠ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ ، قال : عهدى .

* * *

وقال آخرون : « معنى ذلك : ولا تحمل علينا ذنوباً وإثماً ، كما حملت ذلك على من قبلنا من الأمم ، فتمسخنا قردةً وخنازير كما مسختهم » .

• ذكر من قال ذلك :

٦٥٢١ — حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن على بن هرون ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : « ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، قال : لا تمسخنا قردة وخنازير .[1]

٦٥٢٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، لا تحمل علينا ذنباً ليس فيه توبةٌ ولا كفارة . ١٠٥/٣

* * *

وقال آخرون : « معنى « الإصر » بكسر الألف : الثِّقْل » .

(١) الأثر : ٦٥٢١ — « سعيد بن عمرو السكوني » ، سلفت ترجمته في رقم : ٥٥٦٣ . أما « على بن هرون » فلم أجده ، وأظن صوابه « يزيد بن هرون » ، و « بقية بن الوليد » يروى عن « يزيد بن هرون » ومات قبله . وهم جميعاً مترجمون في التهذيب .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٢٣ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، يقول : التشديد الذى شدّدته على من قبلنا من أهل الكتاب .

٦٥٢٤ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سألته — يعني مالكاً — عن قوله : « ولا تحمل علينا إصراً » ، قال : الإصر ، الأمر الغليظ .

* * *

قال أبو جعفر : فأما « الأصر » ، بفتح الألف : فهو ما عَطف الرجلَ على غيره من رَحم أو قرابة ، يقال : « أصَرتني رَحم بيني وبين فلانٌ عليه » ، بمعنى : عطفتني عليه . « وما يأصِرُنى عليه » ، أى : ما يعطفني عليه . « وبيني وبينه آصرةُ رَحم تأصرنى عليه أصراً » ، يعني به : عاطفة رَحم تعطفني عليه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وقولوا أيضاً : ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به ، لثِقَل حمله علينا .

وكذلك كانت جماعة أهل التأويل يتأولونه .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٢٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، تشديدٌ يشدّد به ، كما شدّد على من كان قبلكم .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وبينى وبينه أصر رحم يأصرنى عليه » ، وسياق شرحه يقتضى ما أثبتته كتب اللغة ، وهو الذى أثبته هنا .

٦٥٢٦ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك قوله: «ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به»، قال: لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق.

٦٥٢٧ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به»، لا تفترض علينا من الدّين ما لا طاقة لنا به فنعجز عنه.

٦٥٢٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج: «ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به»، مَسخُ القردة والخنازير.

٦٥٢٩ — حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال، حدثنا أبو حفص عمر بن سعيد التنوخي قال، حدثنا محمد بن شعيب بن شابور، عن سالم بن شابور في قوله: «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به»، قال: الغُلْمة.[1]

٦٥٣٠ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به»، من التغليظ والأغلال التي كانت عليهم من التحريم.

* * *

قال أبو جعفر: وإنما قلنا إن تأويل ذلك: ولا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به، على نحو الذي قلنا في ذلك، لأنه عَقيب مسألة المؤمنين ربَّهم أن لا يؤاخذهم إن نسوا أو أخطأوا، وأن لا يحمل عليهم إصراً كما حمله على الذين من قبلهم،

---

(١) الأثر: ٦٥٢٩ — «سلام بن سالم الخزاعي»، سلفت ترجمته برقم: ٢٥٢. وأما «أبو حفص عمر بن سعيد التنوخي»، فهو «عمر بن سعيد بن سليمان، أبو حفص القرشي الدمشقي»، راوية سعيد بن عبد العزيز التنوخي، فكأنه نسب إليه. روى عن محمد بن شعيب ابن شابور. مترجم في التهذيب، وتاريخ بغداد (١١ : ٢٠٠). و«محمد بن شعيب بن شابور» الدمشقي، أحد الكبار. روى عن الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز التنوخي، وغيرهما. كان يسكن بيروت، وذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة ٢٠٠

والغلمة: غليان شهوة المواقعة من الرجل والمرأة.

فكان إلحاق ذلك بمعنى ما قبله من مسألتهم التيسيرَ فى الدين ، أولى مما خالف ذلك المعنى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾

قال أبو جعفر : وفى هذا أيضاً ، من قول الله عز وجل ، خبراً عن المؤمنين من مسألتهم إياه ذلك =[1] الدلالةُ الواضحة أنهم سألوه تيسير فرائضه عليهم بقوله : « ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، لأنهم عقبوا ذلك بقولهم : « واعف عنا » ، مسألةً منهم ربَّهم أن يعفوَ لهم عن تقصير إن كان منهم فى بعض ما أمرهم به من فرائضه ، فيصفح لهم عنه ولا يعاقبهم عليه ، وإن خفَّ ما كلفهم من فرائضه على أبدانهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٣١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واعف عنا » ، قال : اعفُ عنا إن قصرنا عن شىء من أمرك مما أمرتنا به .

* * *

وكذلك قوله : « واغفر لنا » ، يعنى : واستر علينا زلّة إن أتيناها فيما بيننا وبينك ، فلا تكشفها ولا تفضحنا بإظهارها .

* * *

وقد دللنا على معنى « المغفرة » فيما مضى قبل .[2]

* * *

---

(١) سياق العبارة : « وفى هذا أيضاً ... الدلالة الواضحة » خبر ومبتدأ .

(٢) انظر ، ماسلف قريباً : ١٢٧ ، ١٢٨ تعليق : ١ ، والمراجع هناك . وانظر فهارس اللغة (غفر) .

٦٥٣٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « واغفر لنا » إن انتهكنا شيئاً مما نهيتنا عنه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱرْحَمْنَآ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك ، فإنه ليس بناج من عقابك أحد إلاّ برحمتك إياه دُون عمله ، وليست أعمالنا منجيتنا إن أنت لم ترحمنا ، فوفقنا لما يرضيك عنا ، كما : —

٦٥٣٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد قوله : « وارحمنا » ، قال يقول : لا ننال العمل بما أمرتنا به ، ولا تركَ ما نهيتنا عنه إلاّ برحمتك .[1] قال : ولم ينج أحدٌ إلاّ برحمتك . ١٠٦/٣

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢٨٦)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « أنت مَوْلانا » ، أنت وَليُّنا بنصرك ، دون من عَاداك وكفر بك ، لأنا مؤمنون بك ، ومطيعوك فيما أمرتنا ونهيتنا ، فأنت وليّ من أطاعك ، وعدوّ من كفر بك فعصاك = ، « فانصرنا » ، لأنا حزْبك =

---

(١) في المطبوعة : « لا نترك » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب ، منصوباً بقوله : « ننال » معطوفاً على قوله « العمل » .

« على القوم الكافرين » ، الذين جحدوا وحدانيتك، وعبدوا الآلهة والأندادَ دونك ، وأطاعوا فى معصيتك الشيطان .

* * *

و« المولى » فى هذا الموضع « المفعَل » ، من : « وَلِى فلانٌ أمرَ فُلان ، فهو يليه وَلاية ، وهو وليُّه ومولاه » .[1] وإنما صارت « الياء » من «ولى» « ألفاً » ، لانفتاح « اللام » قبلها ، التى هى عينُ الاسم .

* * *

وقد ذكروا أن الله عز وجل لما أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استجاب الله له فى ذلك كله .

* ذكر الأخبار التى جاءت بذلك :

٦٥٣٤ — حدثنى المثنى بن إبراهيم ومحمد بن خلف قالا ، حدثنا آدم قال ، حدثنا ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » ، قال : قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى إلى قوله : « غُفرانك ربنا » ، قال الله عز وجل : قد غفرت لكم . فلما قرأ : « ربنا لاتؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا » ، قال الله عز وجل : لا أحملكم . فلما قرأ : « واغفر لنا » ، قال الله تبارك وتعالى : قد غفرت لكم . فلما قرأ : « وارحمنا » ، قال الله عز وجل : قد رحمتكم . فلما قرأ : « وانصرنا على القوم الكافرين » ، قال الله عز وجل : قد نصرتُكم عليهم .[2]

---

(١) انظر تفسير « الولى » ، و « المولى » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ ، ٥٦٤ / ثم ٥ : ٤٢٤ .

(٢) الحديث : ٦٥٣٤ — محمد بن خلف بن عمار العسقلانى ، شيخ الطبرى : ثقة ، من شيوخ النسائى ، وابن ماجة ، وابن خزيمة ، وقد مضت رواية أخرى للطبرى عنه فى : ١٢٦ .

آدم : هو ابن أبى إياس العسقلانى ، وهو ثقة مأمون . وكان مكيناً عند شعبة . وقد مضت ترجمته فى : ١٨٧ .

ورقاء : هو ابن عمر اليشكرى ، أبو بشر . وهو كوفى ثقة ، أثنى عليه شعبة جداً . والراجح — عندى — أن ورقاء ممن سمع من عطاء قديماً قبل تغيره ، لأنه من القدماء من طبقة شعبة ، ولأنه كوفى ، وعطاء تغير فى مقدمه البصرة آخر حياته .

٦٥٣٥ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : أتى جبريل النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، قل : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، فقالها ، فقال جبريل : قد فعل . وقال له جبريل : قل : « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من من قبلنا » ، فقالها ، فقال جبريل : قد فعل. فقال: قل : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، فقالها، فقال جبريل صلى الله عليه وسلم: قد فعل. فقال : قل : « واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ، فقالها ، فقال جبريل : قد فعل .

وهذا الحديث من هذا الوجه — من رواية عطاء عن سعيد بن المسيب — لم أجده في شيء من الدواوين ، غير تفسير الطبري . فرواه هنا مرفوعاً ، ثم سيرويه بنحوه : ٦٥٤٠ موقوفاً على ابن عباس .

وذاك الموقوف في الحقيقة مرفوع حكماً ، لأنه ليس مما يعرف بالرأي ولا القياس . فهو مؤيد لصحة هذا المرفوع .

ثم رفع الحديث في هذا الإسناد زيادة في ثقة ، فهي مقبولة .

بل إن هذا الإسناد أرجح صحة من ذاك . لأنّ ورقاء قديم ، رجحنا أنه سمع من عطاء قبل تغيره .

وأما ذاك الإسناد ، فإنه من رواية محمد بن فضيل عن عطاء . وابن فضيل سمع من عطاء بأخرة ، بعد تغيره . كما نص على ذلك ابن أبي حاتم عن أبيه ٣/ ٣٣٤ .

ومعنى الحديث ثابت صحيح من وجه آخر ، كما مضى في : ٦٤٥٧ ، من رواية آدم بن سليمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وهناك الإجابة بعد كل دعاء : « قد فعلت » . وهنا الإجابة من لفظ الدعاء . والمعنى واحد .

والظاهر أن متن الحديث هنا سقط منه شيء ، سهواً من الناسخين ، عند قوله : « فلما قرأ : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) ، قال الله عز وجل : لا أحملكم » . وفي الرواية الآتية : « قال : لا أؤاخذكم » ، ثم ذكر هناك ما بعدها من الدعاء : (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا) — « قال : لا أحمل عليكم » . وذاك هو السياق الصحيح الكامل ، الذي يدل على ما نقص من هذا السياق هنا .

واضطرب كاتب المخطوطة اضطراباً أشد من هذا ، لأنه كرر في متن الحديث : « فلما انتهى إلى قوله (غفرانك ربنا) ، قال الله عز وجل : قد غفرت لكم » — مرتين . ثم أسقط باقي الحديث فلم يذكره .

٦٥٣٦ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط قال : زعم السدى أن هذه الآية حين نزلت : « ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، فقال له جبريل : فعل ذلك يا محمد = « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ، فقال له جبريل فى كل ذلك : فَعَل ذلك يا محمد .

٦٥٣٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا سفيان قال ، حدثنا أبى = عن سفيان ، عن آدم بن سليمان ، مولى خالد قال ، سمعت سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أنزل الله عز وجل : « آمن الرسول بما أنزل من ربه » إلى قوله : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، فقرأ : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال فقال : قد فعلت = « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، فقال : قد فعلت = « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، قال : قد فعلت = « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ، قال : قد فعلت .[1]

٦٥٣٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إسحق بن سليمان ، عن مصعب بن ثابت ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : أنزل الله عز وجل : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال : أبى : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : نعم .[2]

٦٥٣٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن آدم بن

---

(١) الحديث : ٦٥٣٧ — هو مختصر من الحديث : ٦٤٥٧ ، بهذا الإسناد . وقد ثبت الإسناد هنا على الصواب ، كما أشرنا هناك .

(٢) الحديث : ٦٥٣٨ — هو مختصر من الحديث : ٦٤٥٦ ، بهذا الإسناد . وقد أشرنا إليه هناك .

سليمان ، عن سعيد بن جبير : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال ويقول : قد فعلت = « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، قال ويقول : قد فعلت . فأعطيت هذه الأمة خواتيم « سورة البقرة » ، ولم تعطها الأمم قبلها .(١)

١٠٧/٣

٦٥٤٠ — حدثنا علي بن حرب الموصلي قال ، حدثنا ابن فضيل قال ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » إلى قوله : « غفرانك ربنا » ، قال : قد غفرت لكم = « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » = إلى قوله : « لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال : لا أؤاخذكم = « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، قال : لا أحمل عليكم = إلى قوله : « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا » ، إلى آخر السورة ، قال : قد عفوت عنكم وغفرت لكم ، ورحمتكم ، ونصرتكم على القوم الكافرين .(٢)

* * *

(١) الحديث : ٦٥٣٩ — هو حديث مرسل . وهو بعض الحديث الماضي : ٦٤٦٤ ، بهذا الإسناد .

ولكن ثبت هنا في المخطوطة والمطبوعة « أبو حميد » ، بدل « أبو أحمد » . وهو خطأ يقيناً ، فإنه « أبو أحمد الزبيري ، محمد بن عبد الله بن الزبير » ، كما بينا في : ٦٤٦٣ .

ووقع في المخطوطة هنا بياض بين قوله « أبو حميد » ، وبين « سفيان » . وآخر بين قوله « عن سعيد بن جبير » ، وبين الآية .

ولعل كاتبها شك في قوله « عن سفيان » ، وظنه كالرواية الماضية « حدثنا سفيان » ، فترك مكان « حدثنا » بياضاً . ثم شك في ذكر الآية بعد اسم « سعيد بن جبير » ، دون تمهيد لها بقوله « فنزلت هذه الآية » ، كما في الرواية الماضية ، فترك لذلك بياضاً .

(٢) الحديث : ٦٥٤٠ — علي بن حرب بن محمد بن علي ، أبو الحسن الطائي الموصلي : ثقة ثبت ، وثقه الدارقطني وغيره . وكان عالماً بأخبار العرب ، أديباً شاعراً . روى عنه النسائي ، وأبو حاتم ، وابنه ، وترجمه ٣/١/١٨٣ . وله ترجمة جيدة في تاريخ بغداد ١١ : ٤١٨ — ٤٢٠ .

وهذا الحديث تكرار للحديث : ٦٥٣٤ ، بنحوه . وهذا موقوف لفظاً مرفوع معنى ، وذاك مرفوع لفظاً ومعنى . وذاك أرجح إسناداً وأصح ، كما بينا هناك .

=وروى عن الضحاك بن مزاحم أن إجابةَ الله للنبيِّ صلى الله عليه وسلم خاصّة :

٦٥٤١ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » : كان جبريل عليه السلام يقول له : سلها ! [1] فسألها نبيُّ الله رَبَّه جل ثناؤه ، فأعطاه إياها ، [2] فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصةً .

٦٥٤٢ — حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق : أن مُعاذاً كان إذا فرغ من هذه السورة : « وانصرنا على القوم الكافرين » ، قال : آمين . [3]

وذكر ابن كثير ٢ : ٨٩ قطعة منه ، من رواية ابن أبي حاتم ، عن علي بن حرب الموصلي ، بهذا الإسناد . فلا ندري : أرواه ابن أبي حاتم هكذا مختصراً ، أم اختصره ابن كثير ؟

(١) في المخطوطة : « . . . أو أخطأنا كان جبريل صلى الله عليه فسألها نبي الله » وما بين الكلام بياض ، وأتمته المطبوعة كما ترى . أما الدر المنثور ١ : ٣٧٨ فقال : « أخرج ابن جرير عن الضحاك في هذه الآية قال : كان ٣ عليه الصلاة والسلام فسألها نبي الله ربه . . . » ورقم « ٣ » دلالة على سقط في الكلام . فالظاهر أن السقط قديم في بعض النسخ ، ولذلك ترك له السيوطي بياضاً في نسخته من الدر المنثور .

(٢) في المخطوطة : « فأعطاها إياه » ، وأثبت ما في المطبوعة ، لأنه موافق لما في الدر المنثور .

(٣) الأثر : ٦٥٤٢ — في تفسير ابن كثير ٢ : ٩١ ، والدر المنثور ١ : ٣٧٨ وفيهما تخريجه .

وفي ختام الصورة من النسخة العتيقة ما نصه :

« آخر تفسير سورة البقرة »

« والحمد لله أولا وآخراً ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم »

« يتلوه تفسير سورة آل عمران . الحمد لله رب العالمين »

تفسير
سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد :[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ الٓمٓ ۝ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

قال أبو جعفر : قد أتينا على البيان عن معنى قوله : « الم » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.[2] وكذلك البيان عن قوله : « الله » .[3]

* * *

وأما معنى قوله : « لا إله إلاّ هو » ، فإنه خبرٌ من الله جل وعز ، أخبرَ عبادَه أن الألوهية خاصةٌ به دون ما سواه من الآلهة والأنداد ، وأن العبادة لاتصلحُ ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية وتوحُّده بالألوهية ، وأن كل ما دونه فلكه ، وأنّ كل ما سواه فخلقه ، لا شريك له فى سلطانه ومُلكه =[4] احتجاجاً منه تعالى ذكره عليهم بأن ذلك إذْ كان كذلك ، فغيرُ جائزة لهم عبادةُ غيره ، ولا إشراك أحد معه فى سلطانه ، إذ كان كلّ معبود سواه فملكه ، وكل معظَّم غيرُه فخلقهُ ، وعلى المملوك إفرادُ الطاعة لمالكه ، وصرفُ خدمته إلى مولاه ورازقه =

(١) فى المطبوعة : « أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، رضى الله عنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٠٥ – ٢٢٤ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ١٢٢ – ١٢٦ .

(٤) سياق العبارة : « أخبر عباده أن الألوهية خاصة به . . . احتجاجاً منه تعالى ذكره عليهم » .

ومعرِّفاً مَنْ كان مِنْ خَلقه[١] — يَوم أنزل ذلك إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتنزيله ذلك إليه، وإرساله به إليهم على لسانه صلوات الله عليه وسلامه — [٢] مقيماً على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو إنسي أو مَلَك أو غير ذلك من الأشياء التي كانت بنو آدم مقيمةً على عبادته وإلاهته[٣] — [٤] ومتَّخذَه دون مالكه وخالقه إلهاً وربًّا = [٥] أنه مقيم على ضلالة، ومُنعدلٌ عن المحجة، [٦] وراكبٌ غير السبيل المستقيمة، بصرفه العبادة إلى غيره، ولا أحدَ له الألوهة غيره.

* * *

قال أبو جعفر: وقد ذُكر أن هذه السورة ابتدأ الله بتنزيله فاتحتها بالذي ابتدأ به: من نفي «الألوهية» أن تكون لغيره، ووصفه نفسه بالذي وصفها به في ابتدائها، احتجاجاً منه بذلك على طائفة من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نَجْرَان فحاجُّوه في عيسى صلوات الله عليه، وألحدوا في الله. فأنزل الله عز وجل في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفاً وثمانين آية من أولها، [٧] احتجاجاً عليهم وعلى من كان على مثل مقالتهم، لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، فأبوا إلا المقام

---

(١) قوله: «ومعرفاً»، في المطبوعة والمخطوطة «ومعرف»، والصواب نصبها، لأن سياق الجملة «أخبر عباده أن الألوهية خاصة به ... معرفاً من كان من خلقه ...»، أما الواو العاطفة في قوله: «ومعرفاً»، فليست تعطف «معرفاً» على «احتجاجاً» فهذا غير جائز، بل هي عاطفة على جملة «أخبر عباده ...»، كأنه قال «وأخبرهم ذلك معرفاً».

(٢) السياق «ومعرفاً من كان من خلقه ... مقيما على عبادة وثن ...».

(٣) الإلاهة: عبادة إله، كما سلف في تفسيره ١: ١٢٤.

(٤) في المطبوعة: «ومتخذته دون مالكه ...»، وهو لا يستقيم، وقد أشكل عليه قوله قبل «التي كانت بنو آدم مقيمة على عبادته»، فظن هذا معطوفاً عليه، وهو خطأ مفسد للسياق، بل هو معطوف على قوله: «مقيما على عبادة وثن».

(٥) سياق الجملة: «ومعرفاً من كان من خلقه ... مقيما على عبادة وثن ... أنه مقيم على ضلالة ...».

(٦) في المطبوعة: «ومتعزل» وهو خطأ، لم يحسن قراءة المخطوطة، وهي فيها غير منقوطة، والدال شبيهة بالراء!! وانعدل عن الطريق: مال عنه وانحرف. يقال: عدل عن الشيء: حاد، وعدل عن الطريق: جار ومال واعوج سبيله.

(٧) في المطبوعة والمخطوطة: «نيفاً وثلاثين آية»، وهو خطأ صرف، فالتنزيل بين عدده، والأثر التالي فيه ذكر العدد صريحاً «... إلى بضع وثمانين آية».

على ضلالتهم وكفرهم، فدعاهم إلى المباهلة ، فأبوا ذلك ، وسألوا قبول الجزية منهم ، فقبلها صلى الله عليه وسلم منهم ، وانصرفوا إلى بلادهم .

غير أن الأمر وإن كان كذلك ، وإياهم قصد بالحجاج ، فإن من كان معناه من سائر الخلق معناهم في الكفر بالله، واتخاذ ما سوى الله ربًّا وإلهاً معبوداً ، معمومون بالحجة التي حجّ الله تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآيات فيه ، ومحجوجون في الفُرْقان الذي فَرَق به لرسوله صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم .[1] ١٠٨/٣

* * *

ذكر الرواية عمن ذكرنا قوله في نزول افتتاح هذه السورة أنه نزل في الذين وصفنا صفتهم من النصارى :—

٦٥٤٣ — حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثني محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران :[2] ستون راكباً ، فيهم أربعة عشرَ رجلاً من أشرافهم ، في الأربعة عشر ثلاثةٌ نفر إليهم يؤول أمرُهم : « العاقب » أميرُ القوم وذو رأيهم وصاحبُ مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمهُ « عبد المسيح » = و« السيد » ثِمالهم وصاحب رَحْلهم ومجتمعهم ، واسمه « الأيهم »=[2] وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، أسقفُّهم وحَبْرهم وإمامهم وصاحبُ مِدْرَاسهم .[3] وكان أبو حارثة قد شرُف فيهم ودَرَس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدَموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم .[4]

---

(١) في المطبوعة : « لرسول الله ... » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في ابن هشام : « وفد نصارى نجران » . ثمال القوم : عمادهم وغياثهم ومطعمهم وساقيهم والقائم بأمرهم في كل ذلك .

(٣) المدراس (بكسر الميم وسكون الدال) : هو البيت الذي يدرسون فيه كتبهم ، ويعني بقوله : « صاحب مدراسهم » ، عالمهم الذي درس الكتب ، يفتيهم ويتكلم بالحجة في دينهم .

(٤) في المطبوعة : « في دينه » ، وأثبت ما في المخطوطة وابن هشام . وقد أسقط الطبري من روايته هنا عن ابن إسحق ، ما أثبته ابن هشام في السيرة ٢ : ٢٢٢ — ٢٢٣ ، كما سيأتي في التخريج .

قال ابن إسحق قال ، محمد بن جعفر بن الزبير :[١] قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه فى مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثيابُ الحِبَرَات جُبب وأرْدية ، فى [جمال رجال] بَلْحارث بن كعب=[٢] قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم != وقد حانت صلاتُهم فقاموا يصلون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ! فصلوا إلى المشرق .

= قال : وكانت تسمية الأربعة عشر منهم الذين يؤول إليهم أمرهم : « العاقب » ، وهو «عبد المسيح» ، والسيد ، وهو « الأيهم » ، و« أبو حارثة بن علقمة » أخو بكر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونُبيه ، وخويلد ، وعمرو ،[٣] وخالد ، وعبد الله . ويُحَنَّس : فى ستين راكباً . فكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم : «أبو حارثة بن علقمة» ، و« العاقب » ، عبد المسيح ، و«الأيهم » السيد ، وهم من النصرانية على دين الملك ،[٤] مع اختلاف من أمرهم . يقولون : «هو الله » ، ويقولون : « هو ولد الله » ، ويقولون : « هو ثالث ثلاثة » ، وكذلك قول النصرانية .

فهم يحتجون فى قولهم : « هو الله » ، بأنه كان يُحيى الموتى ، ويبرئ الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بإذن الله ، ليجعله آية للناس .[٥]

---

(١) فى ابن هشام : « فلما قدموا ... » .

(٢) ما بين القوسين زيادة لابد منها ، من نص ابن هشام . والحبرات (بكسر الحاء وفتح الباء) جمع حبرة (بكسر الحاء وفتح الباء) : وهو ضرب موشى من برود اليمن منمر ، وهو من جياد الثياب .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وخويلد بن عمرو » ، وهو خطأ ، صوابه من ابن هشام .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهو من النصرانية » ، والصواب من ابن هشام .

(٥) فى ابن هشام : « ولنجعله آية للناس » ، كنص الآية .

ويحتجون فى قولهم : « إنه ولد الله » ، أنهم يقولون : « لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلم فى المهد ، شىءٌ لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله » .[1]

ويحتجون فى قولهم : « إنه ثالث ثلاثة » ، بقول الله عز وجل : « فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا » . فيقولون : « لو كان واحداً ما قال : إلا « فعلت ، وأمرتُ ، وقضيتُ ، وخلقت » ، ولكنه هو وعيسى ومريم » .

ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ، وذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه قولهم .

فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسلما ! قالا : قد أسلمنا . قال : إنكما لم تسلما ، فأسلما ! قالا : بلى قد أسلمنا قبلك ! قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله عز وجل ولداً ، وعبادتكما الصليبَ ، وأكلكما الخنزير . قالا : فمنْ أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله ، صدرَ « سورة آل عمران » إلى بضع وثمانين آية منها . فقال : « الم * اللهُ لا إله إلاّ هو الحىّ القيوم » ،[2] فافتتح السورة بتبرئته نفسَه تبارك وتعالى مما قالوا ،[3] وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لا شريك له فيه = ردًّا عليهم ما ابتدعوا من الكفر ،[4] وجعلوا معه من الأنداد = واحتجاجاً عليهم بقولهم فى صاحبهم ، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : « اللهُ لا إله إلاّ هو » ، أى : ليس معه شريك فى أمره .[5]

---

(١) فى المطبوعة : « بشىء لم يصنعه . . . » ، وهو كلام فاسد ، والصواب من المخطوطة . وفى ابن هشام : « وهذا لم يصنعه . . . » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة لم يذكر « الم » ، وأثبتها من ابن هشام .

(٣) فى المطبوعة : « بتبرئة نفسه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وفى ابن هشام : « بتنزيه نفسه » .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « ورداً عليه » بواو العطف ، وهو خطأ ، والصواب من ابن هشام .

(٥) الأثر : ٦٥٤٣ — فى ابن هشام : « ليس معه غيره شريك فى أمره » . والأثر رواه ابن هشام فى سيرته مطولا ، وسيأتى بعد تمامه فى الآثار التالية . سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ — ٢٢٥ .

٦٥٤٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « الم • اللهُ لا إله إلا هو الحي القيوم » ، قال : إنّ النصارى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخاصموه في عيسى بن مريم وقالوا له : من أبوه ؟ وقالوا على الله الكذبَ والبهتانَ ، لا إله إلاّ هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدٌ إلاّ وهو يشبه أباه ؟ قالوا : بلى ! قال : ألستم تعلمون أن ربّنا حيّ لا يموت ، وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء ؟ قالوا : بلى ! قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيّمٌ على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى ! قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً ؟ قالوا : لا ! قال : أفلستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ قالوا : بلى ! قال : فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما عُلِّم ؟ قالوا : لا ! قال : فإنّ ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء ، فهل تعلمون ذلك ؟ قالوا : بلى ! [1] قال : ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يُحدِث الحدَث ؟ قالوا : بلى ! قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ، [2] ثم وضعته كما تضع المرأة ولدَها ، ثم غُذّي كما يغذّى الصبيّ ، ثم كان يَطعم الطعام ، ويشرب الشرابَ ويُحدث الحدَث ؟ قالوا بلى ! قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ قال : فعرفوا ، ثم أبوا إلا جحوداً ، فأنزل الله عز وجل : « الم • اللهُ لا إله إلاّ هو الحي القيوم » .

* * *

(١) في المخطوطة والدر المنثور ٢ : ٣ ما نصه : « فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء قال : ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب » ، إلا أن الدر المنثور قد أسقط « قال » من هذه العبارة . أما البغوي (هامش تفسير ابن كثير) ٢ : ٩٣ : « فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء ، وربنا لا يأكل ولا يشرب » . وتركت ما في المطبوعة على حاله مخافة أن يكون من نسخة أخرى ، كان فيها هذا .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « أن عيسى حملته امرأة . . . » والصواب « أمه » ، كما في الدر المنثور والبغوي .

القول في تأويل قوله ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : اختلفت القرَأَةُ في ذلك .

فقرأته قرأة الأمصار ﴿ الْحَىُّ الْقَيُّوم ﴾ .

وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود فيما ذكر عنهما : ﴿ الْحَىُّ الْقَيَّامُ ﴾ .

* * *

وذكر عن علقمة بن قيس أنه كان يقرأ : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيِّمُ ﴾

٦٥٤٥ — حدثنا بذلك أبو كريب قال ، حدثنا عثام بن على قال ، حدثنا الأعمشُ ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر قال : سمعت علقمة يقرأ : « الحىّ القيِّم » . قلتُ : أنت سمعته ؟ قال : لا أدرى .

٦٥٤٦ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن علقمة مثله .

* * *

وقد روى عن علقمة خلاف ذلك ، وهو ما : —

٦٥٤٧ — حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا شيبان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن علقمة أنه قرأ : « الحىُّ القيَّام » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا يجوز غيرها عندنا في ذلك ، ما جاءت به قَرَأَة المسلمين نقلاً مستفيضاً ، عن غير تشاعُر ولا تواطؤ ، وراثةً ،[1] وما كان مثبتاً في مصاحفهم ، وذلك قراءة من قرأ : « الحى القيُّومُ » .

* * *

(١) في المطبوعة : « تشاغر » ، بالغين ، وهو خطأ ، وانظر ماسلف : ١٢٧ تعليق : ٢ . وانظر ما قلته عن قوله : « وراثة » فيما سبق ص : ١٢٧ تعليق : ٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ٱلْحَىُّ﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى قوله: «الحىّ».[1]

فقال بعضهم : معنى ذلك من الله تعالى ذكره : أنه وصف نفسه بالبقاء ، ونفى الموتَ — الذى يجوز على من سواه من خلقه — عنها .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٤٨ — حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنى محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : «الحى» ، الذى لا يموت ، وقد مات عيسى وصُلب فى قولهم = يعنى فى قول الأحْبار الذين حاجُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى أهل نجران .[2]

٦٥٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : «الحى» ، قال : يقول : حى لا يموتُ .

* * *

وقال آخرون : معنى «الحى» ، الذى عناه الله عز وجل فى هذه الآية ، ووصف به نفسه : أنه المتيسِّر له تدبير كل ما أراد وشاء ، لا يمتنع عليه شىء أراده ، وأنه ليس كمن لا تدبير له من الآلهة والأنداد .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أن له الحياةَ الدائمة التى لم تَزَل له صفةً ، ولا تزال كذلك . وقالوا ، إنما وصف نفسه بالحياة ، لأن له حياة = كما وصفها

---

(١) انظر تفسير : «الحى» فيما سلف ٥ : ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢) الأثر : ٦٥٤٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٥ ، وهو من بقية الأثر السالف : ٦٥٤٣ .

بالعلم ، لأن لها علماً = وبالقدرة ، لأن لها قدرةً .

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى ذلك عندى :[1] أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التى لا فناءَ لها ولا انقطاع ، ونفى عنها ما هو حالٌ بكل ذى حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجىء أجله. فأخبر عبادَه أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة ، والحى الذى لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا ، ويبيد كلُّ من ادعى من دونه إلهاً. واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى ، فلا يكون إلهاً يستوجب أن يعبد دون الإله الذى لا يبيد ولا يموت = وأنّ الإله ، هو الدائم الذى لا يموت ولا يبيد ولا يفنى ، وذلك الله الذى لا إله إلاّ هو .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾

قال أبو جعفر : قد ذكرنا اختلاف القرأة فى ذلك ، والذى نختار منه ، وما العلّة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك . ١١٠/٣

* * *

فأما تأويل جميع الوجوه التى ذكرنا أنّ القرّأة قرأت بها ، فمتقارب . ومعنى ذلك كله : القيّم بحفظ كل شىء ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحبّ من تغيير وتبديل وزيادة ونقص ، كما : —

٦٥٥٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ابن ميمون قال ، حدثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه : « الحى القيوم » ، قال : القائم على كل شىء .

(١) انظر تفسير « الحى » فيما سلف ٥ : ٣٨٦ ، ٣٨٧

٦٥٥١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٥٥٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « القيوم » ، قيِّم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه .

* * *

وقال آخرون : «معنى ذلك : القيام على مكانه» . ووجَّهوه إلى القيام الدائم الذى لا زوالَ معه ولا انتقال ، وأنّ الله عز وجل إنما نفى عن نفسه بوَصفها بذلك ، التغيُّرَ والتنقلَ من مكان إلى مكان ، وحدوثَ التبدّل الذى يحدث فى الآدميين وسائر خلقه غيرهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٥٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : «القيوم » ، القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى فى قولهم = يعنى فى قول الأحبار الذين حاجوا النبى صلى الله عليه وسلم من أهل نجران فى عيسى = عن مكانه الذى كان به ، وذهب عنه إلى غيره .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب ما قاله مجاهد والربيع ، وأنّ ذلك وصفٌ من الله تعالى ذكره نفسه بأنه القائم بأمر كل شيء ، فى رزقه والدفع عنه ، وكلاءَته وتدبيره وصرفه فى قدرته = من قول العرب : « فلان قائم بأمر هذه البلدة » ، يعنى بذلك : المتولى تدبيرَ أمرها .

---

(١) الأثر : ٦٥٥٣ — فى المخطوطة والمطبوعة : « عمر بن إسحق » وهو خطأ بين ، وهذا إسناد أبى جعفر إلى « محمد بن إسحق » ، الذى يدور فى تفسيره . وهذا الخبر تمام الخبرين السالفين : ٦٥٤٣ ، ٦٥٤٨ ، فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٥ . وفى المطبوعة والمخطوطة خطأ آخر : « القيام على مكانه » ، مكان « القائم على مكانه » والصواب من سيرة ابن هشام .

و « القيوم » = إذ كان ذلك معناه = « الفيعول » من قول القائل : « الله يقوم بأمر خلقه » . وأصله « القيووم » ، غير أن « الواو » الأولى من « القيووم » لما سبقتها « ياء » ساكنة وهى متحركة ، قلبت « ياء » ، فجعلت هى و « الياء » التى قبلها « ياء » مشدّدة . لأن العرب كذلك تفعل بـ « الواو » المتحركة إذا تقدمتها « ياء » ساكنة .(١)

* * *

وأما « القيّام » ، فإن أصله « القيوام » ، وهو « الفيعال » من « قام يقوم » ، سبقت « الواو » المتحركة من « قيوام » « ياء » ساكنة ، فجعلتا جميعاً « ياء » مشدّدة .

ولو أن « القيوم » « فَعّول » ، كان « القوّوم » ، ولكنه « الفيعول » . وكذلك « القيّام » ، لو كان « الفعّال » ، لكان « القوّام » ، كما قيل : « الصوّام والقوّام » ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة المائدة : ٨] ، ولكنه « الفيعال » ، فقيل : « القيام » .

* * *

وأما « القيّم » ، فهو « الفيعل » من « قام يقوم » ، سبقت « الواو » المتحركة « ياء » ساكنة ، فجعلتا « ياء » مشددة ، كما قيل : « فلان سيدُ قومه » من « ساد يسود » ، و « هذا طعام جيد » من « جاد يجود » ، وما أشبه ذلك .

* * *

وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ ، لأنه قصد به قصدَ المبالغة فى المدح ، فكان « القيوم » و « القيّام » و « القيم » أبلغ فى المدح من « القائم » ، وإنما كان عمر رضى الله عنه يختار قراءته ، إن شاء الله ، « القيام » ، لأنّ ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز فى ذوات الثلاثة من « الياء » « الواو » ، فيقولون للرجل الصوّاغ :

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « القيوم » : ٥ : ٣٨٨ ، ٣٨٩ . وهنا زيادة فى « القيام » و « القيم » لم يذكرها هناك .

« الصيّاغ » ، ويقولون للرجل الكثير الدّوران : « الدّيار » .[1] وقد قيل إن قول الله جل ثناؤه : ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [سورة نوح : ٢٦] إنما هو « دوّار » ، « فعّالا » من « دار يدُور » . ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز ، وأقِرّت كذلك في المصحف .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : يا محمد ، إنّ ربك وربّ عيسى وربّ كل شيء ، هو الرّبّ الذي أنزل عليك الكتاب = يعني بـ « الكتاب » ، القرآن = « بالحق » يعني : بالصّدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والإنجيل ، وفيما خالفك فيه محاجُّوك من نصارى أهل نجران وسائر أهل الشرك غيرهم = « مُصَدّقاً لما بين يديه » ، يعني بذلك القرآن ، أنه مصدّق لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله ، ومحقق ما جاءت به رُسل الله من عنده .[2] لأن منزّل جميع ذلك واحد ، فلا يكون فيه اختلاف ، ولو كان من عند غيره كان فيه اختلاف كثير .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٥٤ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، ١١١/٣

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ١١٠ .

(٢) في المخطوطة « ومحمو ما جاءت به رسل الله » ، وهو خطأ ، والصواب ما في المطبوعة .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مصدقاً لما بين يديه » . قال : لما قبله من كتاب أو رسول .

٦٥٥٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مصدقاً لما بين يديه » ، لما قبله من كتاب أو رسول .

٦٥٥٦ — حدثني محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « نزل عليك الكتاب بالحق » ، أي : بالصدق فيما اختلفوا فيه .[1]

٦٥٥٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه » ، يقول : القرآن ، = « مصدّقاً لما بين يديه » من الكتب التي قد خلت قبله .

٦٥٥٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدّثني ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه » ، يقول : مصدّقاً لما قبله من كتاب ورسول .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « وأنزل التوراة » ، على موسى = « والإنجيل » على عيسى = « من قبل » ، يقول : من قبل الكتاب الذي نزله عليك = ويعني بقوله : « هُدًى للناس » ، بياناً للناس من الله فيما اختلفوا فيه

(١) الأثر : ٦٥٥٦ — هو بقية الآثار السالفة ، التي آخرها آنفاً رقم : ٦٥٥٣ .

من توحيد الله وتصديق رسله ، ونَعْتيك يا محمد بأنك نبيّ ورسول ،[1] وفى غير ذلك من شرائع دين الله ، كما : —

٦٥٥٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس » ، هما كتابان أنزلهما الله ، فيهما بيانٌ من الله ، وعصمةٌ لمن أخذ به وصدّق به ، وعمل بما فيه .

٦٥٦٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « وأنزل التوراة والإنجيل » ، التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَنْزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : وأنزل الفصْل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الأحزابُ وأهلُ الملل فى أمر عيسى وغيره .

* * *

وقد بينا فيما مضى أنّ « الفرْقان » ، إنما هو « الفعلان » من قولهم : « فرق الله

---

(١) فى المطبوعة : « ومفيداً يا محمد أنك نبى رسول » ، وفى المخطوطة هكذا : « وحفيك يا محمد بأنك نبى ورسول » ، الحرف الأول حاء ، والثانى « فاء » والثالث « ياء » ، والرابع كالدال ، إلا أنه بالكاف أشبه . وقد رجحت أن تكون الكلمة : « نعتيك » ، لأن الله لما نعت محمداً بأنه نبيه ورسوله ، اختلف الناس فى صفته هذه . وكذلك فعل هذا الوفد من نصارى نجران ، كما هو واضح من حديثهم فى سيرة ابن هشام . وقوله « ونعتيك » معطوف على قوله : « من توحيد الله ، وتصديق رسوله » ، أى ومن نعتيك . أما ما جاء فى المطبوعة ، فهو فاسد فى السياق وفى المعنى جميعاً .

(٢) الأثر : ٦٥٦٠ — هو بقية الآثار السالفة ، التى آخرها رقم : ٦٥٥٦ ، وفى المطبوعة « على من كان قبلهما » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام .

بين الحق والباطل » ، فصل بينهما بنصره الحقَّ على الباطل ، [1] إما بالحجة البالغة، وإما بالقهر والغلبة بالأيد والقوة . [2]

* * *

وبما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويل ، غير أنّ بعضهم وجّه تأويله إلى أنه فصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى = وبعضهم : إلى أنه فصل بين الحق والباطل فى أحكام الشرائع .

* ذكر من قال : معناه: « الفصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى والأحزاب » :

٦٥٦١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وأنزل الفرقان » ، أى : الفصلَ بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره . [3]

* * *

* ذكر من قال : معنى ذلك : « الفصل بين الحق والباطل فى الأحكام وشرائع الإسلام » :

٦٥٦٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وأنزل الفرقان » ، هو القرآن ، أنزله على محمد ، وفرق به بين الحق والباطل ، فأحلّ فيه حلاله وحرّم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ، وحدّ فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضَه ، وبين فيه بيانه ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته .

٦٥٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع : « وأنزل الفرقان »، قال : الفرقان، القرآن، فرق بين الحق والباطل .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يفصل بينهما ... بالحق » مضارعاً ، والصواب أن يكون ماضياً كما أثبته .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٩٨ ، ٩٩ / ثم ٣ : ٤٤٨ . وفى المطبوعة « بالأيدى » بالياء فى آخره ، وهو خطأ . والأيد : الشدة والقوة .

(٣) الأثر : ٦٥٦١ — هو بقية الآثار التى آخرها : ٦٥٦٠ .

قال أبو جعفر : والتأويل الذى ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير فى ذلك، أولى بالصحة من التأويل الذى ذكرناه عن قتادة والربيع = وأن يكون معنى « الفرقان » فى هذا الموضع : فصل الله بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين حاجُّوه فى أمر عيسى ، وفى غير ذلك من أموره ، بالحجة البالغة القاطعة عذرَهم وعذرَ نُظرائهم من أهل الكفر بالله .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب ، لأن إخبارَ الله عن تنزيله القرآنَ — قبل إخباره عن تنزيله التوراة والإنجيل فى هذه الآية — قد مضى بقوله : « نَزَّل عليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه » . ولا شك أن ذلك « الكتاب » ، هو القرآن لا غيره ، فلا وجه لتكريره مرة أخرى ، إذ لا فائدة فى تكريره ، ليست فى ذكره إياه وخبره عنه ابتداءً .

١١٢/٣

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيده وألوهته ، وأن عيسى عبدٌ له ، واتخذوا المسيح إلهاً وربًّا أو ادّعوه لله ولداً ، لهم عذاب من الله شديدٌ يوم القيامة .

* * *

و« الذين كفروا » ، هم الذين جحدوا آيات الله = و« آيات الله » ، أعلامُ الله وأدلته وحججه . (١)

* * *

(١) انظر فهارس اللغة فيما سلف « كفر » و « أي » .

وهذا القول من الله عز وجل ينبئٌ عن معنى قوله : [١] « وأنزل الفرقان » أنه معنيٌّ به الفصل الذى هو حجة لأهل الحق على أهل الباطل .[٢] لأنه عقب ذلك بقوله : « إن الذين كفروا بآيات الله » ، يعنى : إن الذين جحدوا ذلك الفصل والفرقانَ الذى أنزله فرقاً بين الحق والمبطل = « لهم عذاب شديدٌ » ، وعيدٌ من الله لمن عاند الحقَّ بعد وضوحه له ، وخالف سبيلَ الهدى بعد قيام الحجة عليه = ثم أخبرهم أنه « عزيز » فى سلطانه لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم ، ولا يحول بينه وبينه حائل ، ولا يستطيع أن يعانده فيه أحدٌ = وأنه « ذو انتقام » ممن جحد حججه وأدلته بعد ثبوتها عليه ، وبعد وضوحها له ومعرفته بها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٦٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيزٌ ذو انتقام » ، أى : إن الله منتقم ممن كفرَ بآياته بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه فيها . [٣]

٦٥٦٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، « إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيزٌ ذو انتقام » ، . . . .
. . . . [٤]

* * *

(١) فى المخطوطة : « يعنى عن معنى قوله » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أنه معنى به الفصل عن الذى هو حجة . . . » ، وقوله : « عن » زائدة بلا ريب فى الكلام من عجلة الناسخ ، فلذلك أسقطتها . والسياق بعد يدل على صواب ذلك .

(٣) الأثر : ٦٥٦٤ — هو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٥٦١ .

(٤) مكان هذه النقط ما سقط من تتمة الخبر رقم : ٦٥٦٥ ، والأخبار بعده ، إن كانت بعده أخبار . وهكذا هو المطبوعة وسائر المخطوطات التى بين أيدينا .

القول فى تأويل قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ⓹

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله لا يخفى عليه شىء هو فى الأرض ولا شىء هو فى السماء . يقول : فكيف يخفى علىّ يا محمدُ — وأنا علاّمُ جميع الأشياء — ما يُضَاهى به هؤلاء الذين يجادلونك فى آيات الله من نصارى نجران فى عيسى بن مريم ، فى مقالتهم التى يقولونها فيه ؟ ! كما : —

٦٥٦٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « إنّ الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » ، أى : قد علم ما يريدون وما يَكيدون وما يُضَاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه ربًّا وإلهاً ، وعندهم من علمه غيرُ ذلك ، غِرّةً بالله وكفراً به . [١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : الله الذى يصوّركم فيجعلكم صوراً أشباحاً فى أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب ، فيجعل هذا ذكراً وهذا أنثى ، وهذا أسود وهذا أحمر . يُعرّف عباده بذلك أنّ جميع من اشتملت عليه أرحامُ النساء، فمنّ صوره وخلقه كيف شاء [٢]= وأنّ عيسى بن مريم ممن صوّره فى

(١) الأثر : ٦٥٦٦ — هو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٥٦٤ ، من سيرة ابن إسحق .

(٢) فى المطبوعة : « ممن صوره » بإسقاط الفاء من أولها . والصواب من المخطوطة .

رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحبّ ، وأنه لو كان إلهاً لم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه ، لأن خلاّق ما فى الأرحام لا تكون الأرحامُ عليه مشتملة ، وإنما تشتمل على المخلوقين ، كما : —

٦٥٦٧ — حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء » ، أى :[1] قد كان عيسى ممن صُوِّر فى الأرحام ، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه ، كما صُوِّر غيره من بنى آدم، فكيفَ يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل ؟[2]

٦٥٦٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن عن أبيه عن الربيع : « هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء »، أى : أنه صوّر عيسى فى الرحم كيف شاء .

* * *

• قال آخرون فى ذلك ما : —

٦٥٦٩ — حدثنا به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء » ، قال : إذا وقعت النطفة فى الأرحام طارت فى الجسد أربعين يوماً ، ثم تكون َعلقةً أربعين يوماً ، ثم تكون مُضْغة أربعين يوماً . فإذا بلغ أن يُخلق ، بعث الله ملكاً يصوِّرها . فيأتى الملك بتراب بين إصبعيه فيخلطه فى المضْغة ، ثم يعجنه بها ، ثم يصوّرها كما يؤمر ، فيقول : أذكر أو أنثى ؟ أشقى أو سعيد ؟ وما رزقه ؟ وما عمره ؟ وما أثره ؟ ١١٢/٣

---

(١) « أى » ساقطة من المخطوطة والمطبوعة ، وأثبتها من سيرة ابن هشام ، وقد مضى نهج ابن إسحق على ذلك فى الآثار السالفة .

(٢) الأثر : ٦٥٦٧ — هو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٥٦٦ عن ابن إسحق .

وما مصائبه ؟ فيقول الله ، ويكتب الملك . فإذا مات ذلك الجسدُ ، دُفن حيث أخذ ذلك التراب .[١]

٦٥٧٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء » ، قادرٌ والله ربُّنا أن يصوّر عبادَه فى الأرحام كيف يشاء ، من ذكر أو أنثى ، أو أسود أو أحمر ، تامّ خلقُه وغير تامّ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ⟨٦⟩

قال أبو جعفر : وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسَه أن يكون له فى ربوبيته ندّ أو مِثل ، أو أن تجوز الألوهة لغيره = وتكذيبٌ منه للذين قالوا فى عيسى ما قالوا ، من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسائر من كان على مثل الذى كانوا عليه من قولهم فى عيسى ، ولجميع من ادّعى مع الله معبوداً أو أقرّ بربوبية غيره .[٢] ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته ، وعيداً منه لمن عبد غيره ، أو أشرك فى عبادته أحداً سواه ، فقال : « هو العزيز » الذى لا ينصر من أرادَ الانتقام منه أحدٌ ، ولا ينجيه منه وَأْلٌ ولا لَجَأٌ ،[٣] وذلك لعزته التى يذلُّ لها كل مخلوق ، ويخضع لها كل موجود .[٤] ثم أعلمهم أنه « الحكيم »

---

(١) الأثر : ٦٥٦٩ — قد مضى الكلام فى هذا الإسناد فى رقم : ١٦٨ . وحديث خلق الآدمى فى بطن أمه بغير هذا اللفظ ، وبغير هذا الإسناد فى مسلم ١٦ : ١٨٩ — ١٩٥ ، وفى البخارى فى كتاب « بدء الخلق » فى باب ذكر الملائكة . وفى كتاب « الحيض » باب : مخلقة وغير مخلقة .

(٢) قوله : « ولجميع من ادعى . . . » معطوف على قوله : « وتكذيب للذين قالوا . . . » .

(٣) « وأل » (بفتح الواو وسكون الهمزة ، على وزن سمع) : هو الموئل ، وهو الملجأ الذى يفر إليه الخائف . و « لجأ » (بفتح اللام والجيم) : هو الملجأ ، وهو المعقل الذى يحتمى به .

(٤) انظر فهارس اللغة (عزز) فيما سلف .

فى تدبيره وإعذاره إلى خلقه ، ومتابعة حججه عليهم ، ليهلك من هلك منهم عن بيّنة ، ويحيى من حىّ عن بينة ،[1] كما : —

٦٥٧١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن اسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : ثم قال — يعنى الرب عز وجل — : إنزاهاً لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه : « لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم » ، قال : العزيز فى انتصاره ممن كفر به إذا شاء ،[2] والحكيم فى عُذْره وحجته إلى عباده .[3]

٦٥٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم » ، يقول : عزيز فى نقمته ، حكيمٌ فى أمره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « هو الذى أنزل عليك الكتاب » ، إن الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، هو الذى أنزل عليك الكتاب = يعنى بـ « الكتاب » ، القرآن .

* * *

(١) انظر فهارس اللغة (حكم) فيما سلف .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى نصرته » وهو خطأ فى المعنى ، فإن « النصرة » ، اسم من « النصر » ، وهو لا مكان له هنا . وأما « الانتصار » فهو : الانتقام . وانتصر منه : انتقم .

(٣) فى ابن هشام : « فى حجته وعذره إلى عباده » ، وهى أجود لمكان « إلى » من الكلام . أعذر إليه إعذاراً وعذراً : بلغ الغاية فى إرشاده حتى لم يبق موضع للاعتذار .

وقد أتينا على البيان فيما مضى عن السبب الذى من أجله سمى القرآن « كتاباً » بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع [١]

* * *

وأما قوله : « منه آيات محكمات » فإنه يعنى : من الكتاب آيات. يعنى بـ « الآيات » آيات القرآن .

وأما « المحكمات » ، فإنهن اللواتى قد أحكمن بالبيان والتفصيل ، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جُعلن أدلة عليه من حلال وحرام ، ووعد ووعيد ، وثواب وعقاب ، وأمر وزجر ، وخبر ومثل ، وعظة وعِبر ، وما أشبه ذلك .

* * *

ثم وصف جل ثناؤه : هؤلاء « الآيات المحكمات » ، بأنهن : « هُنَّ أمّ الكتاب »[٢] . يعنى بذلك : أنهن أصل الكتاب الذى فيه عماد الدين والفرائض والحدود ، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم ، وما كلفوا من الفرائض فى عاجلهم وآجلهم .

* * *

وإنما سماهن « أمّ الكتاب » ، لأنهن معظم الكتاب ، وموضع مَفزَع أهله عند الحاجة إليه . وكذلك تفعل العرب ، تسمى الجامعَ معظم الشىء « أمًّا » له . فتسمى راية القوم التى تجمعهم فى العساكر : « أمّهم » ، والمدبر معظم أمر القرية والبلدة : « أمها » .

وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته . [٣]

* * *

ووحَّد « أمّ الكتاب » ، ولم يجمع فيقول : هن أمّهات الكتاب ، وقد قال : « هُنّ » = لأنه أراد جميع الآيات المحكمات « أم الكتاب » ، لا أن كل آية منهن « أم الكتاب » . ولو كان معنى ذلك أن كل آية منهن « أم الكتاب » ،

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٩٩ / ثم ٣ : ٨٦ وفهارس اللغة .

(٢) فى المخطوطة « بأنهن من الكتاب » وهو خطأ ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٣) انظر ما سلف ١ : ١٠٧ ، ١٠٨ .

لكان لا شك قد قيل : « هن أمهات الكتاب » . ونظير قول الله عز وجل : « هن أمّ الكتاب » على التأويل الذى قلنا فى توحيد « الأم » وهى خبر لـ « هُنّ » ، قوله تعالى ذكره : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [سورة المؤمنون : ٥٠] ولم يقل : آيتين ، لأن معناه : وجعلنا جميعهما آية . إذ كان المعنى واحداً فيما جُعلا فيه للخلق عبرة .[1] ولو كان مراداً الخبرُ عن كل واحد منهما على انفراده ،[2] بأنه جعل للخلق عبرة ، لقيل : وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين ، لأنه قد كان فى كل واحد منهما لهم عبرة . وذلك أن مريم ولدت من غير رجل ، ونطق ابنها فتكلم فى المهد صبيًّا ، فكان فى كل واحد منهما للناس آية .

١١٤/٣

* * *

وقد قال بعض نحويى البصرة : إنما قيل : « هن أم الكتاب » ، ولم يَقل : « هن أمهات الكتاب » على وجه الحكاية ، كما يقول الرجل : « مالى أنصار » ، فتقول : « أنا أنصارك » = أو : « مالى نظير » ، فتقول : « نحن نظيرك » .[3] قال وهو شبيهُ : « دَعْنى من تَمْرَتان » ، وأنشد لرجل من فقعس :[4]

تَعَرَّضَتْ لِى بِمَكَانٍ حَلِّ   تَعَرُّضَ المُهْرَةِ فِى الطِّوَلِّ
تَعَرُّضاً لَمْ تَأْلُ عَنْ قَتْلاً لِى[5]

(١) فى المطبوعة : « إذا كان المعنى وإحداثهما جعلنا فيه للخلق عبرة » ، وهو كلام بلا معنى ، ولكن الناقل عن المخطوطة لم يحسن القراءة ، فإن الألف الأخيرة فى « واحداً » نزلت فى مستقر الفاء من « فيما » غير منقوطة ، فظنها « وإحداثهما » ، وبدل « جعلا » فصيرها « جعلنا » ، وهذا من عجائب الخلط .

(٢) فى المطبوعة : « ولو كان مراده الخبر . . . » ، والصواب الجيد من المخطوطة .

(٣) ربما كان الصواب : « مالى نصير » ، فتقول : « نحن نصيرك » ، والذى فى المطبوعة والمخطوطة صواب لا شك فيه .

(٤) هو منظور بن مرثد بن فروة الفقعسى الأسدى . ويقال : « منظور بن فروة بن مرثد » ، وهو نفسه « منظور بن حبة الفقعسى الأسدى » ، و « حبة » أمه ، ويعرف بها .

(٥) مجالس ثعلب : ٦٠٢ (أبيات كثيرة من هذا الرجز) وشرح شواهد الشافية : ٢٤٨ - ٢٥١ ، وسر صناعة الإعراب ١ : ١٧٧ - ١٧٩ / ثم ٢٣٥ ، واللسان (طول) (قتل) ، وغيرها . ورواية البيت الأول فى مجالس ثعلب « بمجاز حل » ، والأخير « عن قتللى » ، ولا شاهد فى هذه الرواية . وقد ذكر فى اللسان اختلاف روايته . « والطول » (بكسر الطاء وفتح الواو واللام غير

« حَلّ » أى : يحلّ به .(١)= على الحكاية، لأنه كان منصوباً قبل ذلك ، كما يقول : « نوديَ : الصلاةَ الصلاةَ »، يحكى قول القائل : « الصلاةَ الصلاةَ ».

وقال: قال بعضهم: إنما هى: « أنْ قتلاً لى»، ولكنه جعله « عيناً »،(٢) لأن «أن»فى لغته تجعل موضعها « عن »،والنصبُ على الأمر ، كأنك قلت: «ضرباً لزيد».

قال أبو جعفر : وهذا قول لا معنى له . لأن كل هذه الشواهد التى استشهدَها، (٣)لاشك أنهن حكايات حاكيهنّ ، (٤) بما حكى عن قول غيره وألفاظه التى نطق بهن= وأن معلوماً أن الله جل ثناؤه لم يحك عن أحد قوله: « أمّ الكتاب » ، فيجوز أن يقال : أخرج ذلك مُخرَجَ الحكاية عمن قال ذلك كذلك . (٥)

وأما قوله : « وأخَرُ » فإنها جمع « أُخْرَى » . (٦)

* * *

مشددة كما فى الرجز) : هو الجبل الذى يطول للدابة فترعى فيه ، وإنما شدد الراجز . لم تأل : لم تقصر . والضمير فى هذا الشعر إلى صاحبته التى يقول فيها قبل هذه الأبيات :

مَنْ لِيَ مِنْ هِجْرَانِ لَيْلَى؟ مَنْ لِي؟ وَالحَبْلِ مِنْ وِصَالِهَا الْمُنْحَلِّ ؟

(١) فى المطبوعة : « كل أى يحكى به على الحكاية » ، وهو كلام فاسد ، ولكن المعجب للذى أراد أن يصححه فقال : « لعل أصلها كما هو المفهوم من السياق : لم يقل ، عن قتل ، وأتى به على الحكاية » ، أراد أن يصحح ، فكرر الكلام ، وهو أضعف ما يكون . بيد أن القارئ الذى نقل عن المخطوطة ، لم يحسن قراءة نصها ، فأفسدها إفساداً ، ولكنها بينة كما كتبتها من رسم المخطوطة .

وقوله « بمكان حل » ضبط بالقلم فى اللسان وفى مجالس ثعلب بتنوين « مكان » و « مجاز » ، وكسر الحاء من « حل » . ولا أظنه صواباً ، فلم أجدهم يقولون : « مكان حل » بكسر الحاء ، وإنما هو بفتحها بالإضافة ، لا بالنعت: « حل بالمكان حلولا وحلا » . أى : نزل به .

وقوله : « على الحكاية » فى سياق قوله : « وأنشد لرجل من فقعس . . . » .

(٢) فى المطبوعة : « جعله عن » ، ولا خير فى هذا التغيير ، والذى فى المخطوطة عين الصواب .

(٣) فى المطبوعة : « استشهد بها » ، والذى فى المخطوطة صواب عريق فى العربية .

(٤) فى المطبوعة : « حكايات حالهن » ، وهو كلام لا مفهوم له . وفى المخطوطة « حالسهن » ولم يضع شرطة الكاف ، فلذلك اشتبهت على الناسخ .

(٥) فى المخطوطة « أخرج ذلك محلر الحكاية » ، وكأن الصواب المحض ما فى المطبوعة ، وهذا تحريف من عجلة الناسخ ، أراد أن يكتب « مخرج » ، فزاد القلم لاماً ، ثم راجع راء ، ثم أسقط الجيم .

(٦) انظر ما سلف ٣ : ٤٥٩ . وفى المطبوعة : « جمع آخر » ، وفى المخطوطة ، بغير مدة على الألف ، ورجحت أن تكون « أخرى » ، لما مضى من قوله فى ذلك ولما سيأتى بعد قليل ، ولأنه القياس .

ثم اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها لم يصرف « أخَر » .

فقال بعضهم : لم يصرف « أخر » من أجل أنها نعتٌ ، واحدتها « أخرى » ، كما لم تصرف « جُمَع » و « وكُتَع » ، لأنهن نعوتٌ .

* * *

وقال آخرون : إنما لم تصرف « الأخر » ، لزيادة الياء التى فى واحدتها ، وأنّ جمعها مبنيٌّ على واحدها فى ترك الصرف . قالوا : وإنما ترك صرف « أخرى » ، كما ترك صرف « حمراء » و « بيضاء » ، فى النكرة والمعرفة ، لزيادة المدة فيها والهمزة بالواو .[1] ثم افترق جمع « حمراء » و « أخرى » ، فبنى جمع « أخرى » على واحدته فقيل : « فُعَلٌ » و « أخر » ،[2] فترك صرفها كما ترك صرف « أخرى » = وبنى جمع « حمراء » و « بيضاء » على خلاف واحدته فصرف ، فقيل : « حمر » و « بيض » ، فلاختلاف حالتّهما فى الجمع ، اختلفَ إعرابهما عندهم فى الصرف . ولاتفاق حالتيهما فى الواحدة ، اتفقت حالتاهما فيها .

* * *

وأما قوله : « متشابهات » ، فإن معناه : متشابهات فى التلاوة ، مختلفات فى المعنى ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ [سورة البقرة : ٢٥] ، يعنى فى المنظر ، مختلفاً فى المطعم[3] ــ وكما قال مخبراً عمن أخبر عنه من بنى إسرائيل أنه قال : ﴿ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٧٠] ، يعنون بذلك : تشابه علينا فى الصفة ، وإن اختلفت أنواعه .[4]

* * *

(١) تركت قوله : « بالواو » على حاله ، فإنى لم أستطع أن أرجح زيادتها ، ولم أعرف ما أراد بها إلا أن يكون أراد بها ألف التأنيث المقصورة ، كالتى فى « حبلى » . والأخرى ألف التأنيث الممدودة .

(٢) المرجح عندى أن قوله : « فعل » زيادة من الناسخ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٣٨٥ - ٣٩٤ .

(٤) انظر ما سلف ٢ : ٢٠٩ - ٢١١ .

فتأويل الكلام إذاً : إن الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، هو الذى أنزل عليك يا محمد القرآن ، منه آيات محكمات بالبيان ، هن أصل الكتاب الذى عليه عمادُك وعماد أمتك فى الدّين ، وإليه مفزعُك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام = وآيات أخر ، هنّ متشابهاتٌ فى التلاوة ، مختلفات فى المعانى .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخَر متشابهات » ، وما المحكم من آى الكتاب ، وما المتشابه منه ؟

فقال بعضهم : « المحكمات » من آى القرآن ، المعمول بهن ، وهنّ الناسخات أو المثبتاتُ الأحكامَ = « والمتشابهات» من آيه ، المتروك العملُ بهنّ ، المنسوخاتُ .

• ذكر من قال ذلك :

٦٥٧٣ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا العوّام ، عمن حدثه ، عن ابن عباس فى قوله : « منه آيات محكمات » ، قال : هى الثلاث الآيات من ههنا : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الأنعام : ١٥١ ، ١٥٢] ، إلى ثلاث آيات ،[1] والتى فى « بنى إسرائيل » : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣ — ٣٩] ، إلى آخر الآيات .[2] ١١٥/٣

---

(١) فى المطبوعة : « التى ههنا » ، وهو خطأ ، فإن الآيات كما ترى من سورة الأنعام وأثبت ما فى الدر المنثور ٢ : ٤ ، وانظر التخريج فى آخر الأثر .

(٢) الأثر : ٦٥٧٣ — هكذا إسناده فى المخطوطة والمطبوعة ، وأنا أخشى أن يكون سقط من إسناده « عن أبى إسحق » ، بعد « قال أخبرنا العوام » . و « العوام » هو العوام بن حوشب ، يروى أبى إسحق السبيعى . أما قوله فى الإسناد « عمن حدثه » فإن ذلك كذلك ، لأن الذى روى عنه أبو إسحق السبيعى ، هو « عبد الله بن قيس » ، مذكور بروايته هذا الأثر ، وراويه عنه هو هو أبو إسحق السبيعى ، ولم يُعرف من روى عنه غير أبى إسحق . (تهذيب التهذيب ٥ : ٣٦٥). والأثر نفسه رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٨٨ من طريق : « على بن صالح بن حى ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن قيس ، عن ابن عباس» . ونصه : «آيات محكمات ، هى التى فى الأنعام : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم — إلى آخر الثلاث الآيات » . وقال الحاكم : « صحيح » ، ووافقه الذهبى . من أجل ذلك خشيت أن يكون سقط من إسناد الطبرى « عن أبى إسحق » ، ولكنى لم أثبته فى نصه .

٦٥٧٤ — حدثني المثنى قال : حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب »، المحكمات : ناسخه ، وحلالُه وحرامه ، وحدوده وفرائضُه ، وما يؤمن به ويعمل به = قال : « وأخر متشابهات » ، والمتشابهات : منسوخه ، ومقدّمه ومؤخره ، وأمثاله وأقسامه ، وما يؤمن به ولا يُعمل به .

٦٥٧٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « هو الذي أنزل عليك الكتاب » إلى « وأخر متشابهات » ، فالمحكمات التي هي أمّ الكتاب : الناسخ الذي يُدان به ويعمل به . والمتشابهات ، هن المنسوخات التي لا يُدان بهنّ .

٦٥٧٦ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » إلى قوله : « كل من عندنا ربنا » ، أما « الآيات المحكمات » : فهن الناسخات التي يعمَل بهن = وأما « المتشابهات » فهن المنسوخات .

٦٥٧٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » ، و« المحكمات » : الناسخ الذي يعمل به ، ما أحلّ الله فيه حلاله وحرّم فيه حرامه = وأما « المتشابهات » : فالمنسوخ الذي لا يُعمل به ويُؤمن به .

٦٥٧٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « آيات محكمات » ، قال : المحكم ما يعمل به .

٦٥٧٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات » ،قال:« المحكمات »، الناسخ الذى يعمل به = و« المتشابهات» : المنسوخ الذى لا يعمل به ويؤمن به .

٦٥٨٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « آيات محكمات هن أم الكتاب » ، قال : الناسخات = « وأخر متشابهات » ، قال : ما نُسخ وتُرك يُتلى .

٦٥٨١ — حدثنى ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم قال : المحكم ، ما لم ينسخ = وما تشابه منه : ما نسخ .

٦٥٨٢ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « آيات محكمات هن أم الكتاب » ، قال : الناسخ = « وأخر متشابهات » ، قال : المنسوخ .

٦٥٨٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يحدث قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « منه آيات محكمات » ، يعنى الناسخ الذى يعمل به = « وأخر متشابهات » ، يعنى المنسوخ ، يؤمن به ولا يعمل به .

٦٥٨٤ — حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سلمة ، عن الضحاك : « منه آيات محكمات » ، قال : ما لم ينسخ = « وأخر متشابهات » ، قال : ما قد نسخ .

* * *

وقال آخرون : « المحكمات » من آى الكتاب : ما أحكم الله فيه بيانَ حلاله وحرامه = « والمتشابه » منها : ما أشبه بعضُه بعضاً فى المعانى ، وإن اختلفت ألفاظه .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٨٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « منه آيات محكمات » ، ما فيه من الحلال والحرام ، وما سوى ذلك فهو « متشابه » ، يصدّق بعضُه بعضاً = وهو مثل قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢٦] ، ومثل قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٥] ، ومثل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [سورة محمد : ١٧] .

٦٥٨٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : « المحكمات » من آى الكتاب : ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد = « والمتشابه » منها : ما احتمل من التأويل أوجهاً . ١١٦/٣

• ذكر من قال ذلك :

٦٥٨٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات » ، فيهن حجة الربّ ، وعصمةُ العباد ، ودفع الخصُوم والباطل ، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه = [1] « وأخَرُ متشابهات » ، في الصدق ، [2] لهن تصريف وتحريف وتأويل ، [3] ابتلى الله فيهن العبادَ ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، لا يُصرفن إلى الباطل ولا يحرّفن عن الحق . [4]

* * *

(١) في نص ابن هشام : « ليس لهن تصريف . . . عما وضعن » .

(٢) في المطبوعة : « وأخر متشابهة » ، والصواب من المخطوطة وابن هشام . وليس في نص ابن هشام : « في الصدق » ، ولكنها ثابتة في المخطوطة .

(٣) ليس في نص رواية ابن هشام « وتحريف » .

(٤) الأثر ٦٥٨٧ — هو بقية الآثار السالفة التي آخرها : ٦٥٧١ ، من روايته عن ابن إسحق .

وقال آخرون : معنى « المحكم » : ما أحكم الله فيه من آى القرآن، وقَصص الأمم ورُسلهم الذين أرسلوا إليهم ، ففصّله ببيان ذلك لمحمد وأمته = « والمتشابه » ، هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السور ، بقَصّه باتفاق الألفاظ واختلاف المعانى، وبقصّه باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى .[1]

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٨٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد وقرأ : ﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود : ١]، قال : وذكر حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربع وعشرين آية منها :[2] وحديثَ نوح فى أربع وعشرين آية منها . ثم قال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ [سورة هود: ٤٩] ، ثم ذكر ﴿وَإِلَى عَادٍ﴾، فقرأ حتى بلغ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾[3] ثم مضى . ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وفرغ من ذلك . وهذا تبيين ذلك، تبيين « أحكمت آياته ثم فصلت » =[4] قال : والمتشابهُ ، ذكر موسى فى أمكنة

---

(١) فى المطبوعة : « فقصة باتفاق الألفاظ . . . وقصة باختلاف الألفاظ . . . » وهو فاسد ، والصواب من المخطوطة .

(٢) يعنى من « سورة هود » ، وهذا التعداد الآتى على الترتيب فى المصحف .

(٣) كأنه يعنى أنه قرأ حتى بلغ هذه الآية من سورة هود : ٨٩ — ولكن هذه الآية فى ذكر خبر شعيب عليه السلام ، فلا أدرى ما قوله بعد : « ثم مضى ، ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً » . وظنى أن نص عبارته :

« ثم مضى . ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً . . » بإسقاط « ثم » الثانية. وانظر التعليق التالى.

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : وهذا يقين ذلك يقين أحكمت . . . » وكأن الصواب ما أثبت . هذا ولم أجد هذا الأثر فى مكان ، ولكنى وجدت السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٣٢٠ ، فى تفسير « سورة هود » قال : « أخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن زيد رضى الله عنه أنه قرأ : « الر كتاب أحكمت آياته » قال : هى كلها مكية محكمة — يعنى سورة هود — « ثم فصلت » . قال : ثم ذكر محمداً صلى الله عليه وسلم ، فحكم فيما بينه وبين من خالفه ، وقرأ : « مثل الفريقين » ، الآية كلها . ثم ذكر قوم نوح ، ثم قوم هود ، فكان هذا تفصيل ذلك ، وكان أوله محكماً . قال : وكان أبى رضى الله عنه يقول ذلك — يعنى : زيد بن أسلم » .

فمن أجل ذلك ، رجحت التصحيح السالف فى التعليق الماضى ، ورجحت أن تكون « يقين » فى الموضعين : « تبيين » .

كثيرة ، وهو متشابه ، وهو كله معنى واحد . ومتشابهه : ﴿ اسْلُكْ فِيهَا ﴾ ﴿ احْمِلْ فِيهَا ﴾، ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ ﴾ ﴿ أَدْخِلْ يَدَكَ ﴾، ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ =[1] قال : ثم ذكر هوداً فى عشر آيات منها ،[2] وصالحاً فى ثمانى آيات منها ، وإبراهيم فى ثمانى آيات أخرى ، ولوطاً فى ثمانى آيات منها ، وشعيباً فى ثلاث عشرة آية ، وموسى فى أربع آيات ، كلّ هذا يقضى بين الأنبياء وبين قومهم فى هذه السورة ، فانتهى ذلك إلى مئة آية من سورة هود ، ثم قال : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [سورة هود : ١٠٠] . وقال فى المتشابه من القرآن : من يرد الله به البلاء والضلالة يقول : ما شأن هذا لا يكون هكذا ؟ وما شأن هذا لا يكون هكذا ؟

* * *

وقال آخرون : بل « المحكم » من آى القرآن : ما عرف العلماءُ تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره = و « المتشابه » : ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل ، مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت مَخْرج عيسى بن مريم ، ووقت طُلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة ، وفناءِ الدنيا ، وما أشبه ذلك ، فإن ذلك لا يعلمه أحدٌ . وقالوا : إنما سمى الله من آى الكتاب « المتشابه » ، الحروف المقطّعة التى فى أوائل بعض سور القرآن ، من نحو « ألم » و« ألمص » ، و« ألمر » ، و« ألر » ، وما أشبه ذلك ، لأنهن متشابهات فى الألفاظ ، وموافقات حروف حساب الجمَّل . وكان قومٌ من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم طَمِعوا أن يدركوا من قِبَلها معرفة مدّة الإسلام وأهله ، ويعلموا نهايةَ أُكْلِ

(١) من أول قوله : « قال : والمتشابه . . . » معترض فى سياق حديثه عن تفصيل القصص فى « سورة هود » وتعداد آيات كل قصة . أما الآيات المذكورة هنا ، فهذا بيان مواضعها على الترتيب : « سورة المؤمنون : ٢٧ » / « سورة هود : ٤٠ » / « سورة القصص : ٣٢ » / « سورة النمل : ١٢ » / « سورة طه : ٢٠ » / « سورة الأعراف : ١٠٧ » و « سورة الشعراء : ٣٢ » .

(٢) « منها » يعنى من « سورة هود » ، وكذلك سائر ما بعده

محمد وأمته ،[1] فأكذب الله أحدوثتهم بذلك ، وأعلمهم أنّ ما ابتغوا علمه من ذلك من قِبَل هذه الحروف المتشابهة لا يدركونه ولا من قبل غيرها ، وأن ذلك لا يعلمه إلا الله .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ ذُكر عن جابر بن عبد الله بن رئاب :[2] أن هذه الآية نزلت فيه ،[3] وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحو مقالته ، في تأويل ذلك في تفسير قوله : ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[4] [سورة البقرة : ٢]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتأويل الآية. وذلك أن جميع ما أنزل الله عز وجل من آى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنما أنزله عليه بياناً له ولأمته وهدًى للعالمين . وغيرُ جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه ، ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجةُ ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل. فإذْ كان ذلك كذلك ، فكل ما فيه بخلقه إليه الحاجة ،[5] وإن كان فى بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى = [وإن اضطرته الحاجة إليه فى معان كثيرة][6] = وذلك

(١) فى المطبوعة : « أجل أمته » ، وهو تحريف من الطابع ، وأثبت ما فى المخطوطة ؛ والأكل (بضم فسكون) : مدة العمر ، وانظر التعليق ص : ١٩٦ ، تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « بن رباب » وهو خطأ ، والصواب ما أثبت و « رئاب » بكسر الراء . وانظر ما سلف ١ : ٢١٦ وما سيأتى فى التعليق : ٤ ، وفيه المرجع .

(٣) قوله : « فيه » ، أى : فى هذا القول . لا فى « جابر بن عبد الله » .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٢٢٤ — ٢٤٥ فى تفسير « الم » ، والأثر رقم : ٢٤٦ والتعليق عليه .

(٥) فى المطبوعة : « لخلقه » ، وفى المخطوطة : « محلمه » غير منقوطة ، والحرف الأول كأنه ميم مطموسة ، وصواب قراءته ما أثبت .

(٦) هذه الجملة التى بين القوسين ، هكذا جاءت فى المطبوعة ، ومثلها فى المخطوطة وإن كان قوله « اصطربه » غير منقوطة هكذا . وهى عبارة غير واضحة المعنى ، وأنا أخشى أن يكون الناسخ قد أغفل أسطراً من هذا الموضع ، فاختلط الكلام علينا وعليه ! وإسقاط هذه الجملة من سياق الكلام لا يضر . ولكنى تركتها على حالها ، ووضعتها بين قوسين ، وحصرتها بين الخطوط ، ليعرف مكانها ، ومكان السقط الذى رجحت أنه سهو من الناسخ .

كقول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٨] ، فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه عبادَه أنها إذا جاءت لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك ، هي طُلوع الشمس من مغربها.[1] فالذي كانت بالعباد إليه الحاجة من علم ذلك ، هو العلم منهم بوقت نَفع التوبة بصفته ، بغير تحديده بعدد السنين والشهور والأيام.[2] فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب ، وأوضحه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مفسَّراً . ١١٧/٣

والذي لا حاجة بهم إلى علمه منه ،[3] هو العلم بمقدار المدة التي بين وقت نزول هذه الآية ووقت حدوث تلك الآية ، فإن ذلك مما لا حاجة بهم إلى علمه في دين ولا دنيا . وذلك هو العلم الذي استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه ، فحجبه عنهم . وذلك وما أشبهه ، هو المعنى الذي طلبت اليهودُ معرفته في مدّة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من قبل قوله : « الم » و « المص » و « الر » و « المر » ونحو ذلك من الحروف المقطّعة المتشابهات ، التي أخبر الله جل ثناؤه أنهم لا يدركون تأويل ذلك من قبله ، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله .

فإذْ كان المتشابه هو ما وصفنا ، فكل ما عداه فمحكم . لأنه لن يخلو من أن يكون محكماً بأنه بمعنى واحد لا تأويل له غير تأويل واحد ، وقد استغنى بسماعه عن بيان يُبينه =[4] أو يكون محكماً ، وإن كان ذا وُجوه وتأويلات وتصرف في

---

(١) انظر تفصيل ذلك والعلة في تفسير الآية من تفسير الطبري ٨ : ٧١ – ٧٧ (بولاق) .

(٢) في المطبوعة : « بعد بالسنين . . . » ، وفي المخطوطة : « بعد السنين . . . » ، وظاهر أن الناسخ أسقط الدال الثانية من « بعدد » .

(٣) في المطبوعة : « لا حاجة لهم » باللام ، وأثبت صوابها من المخطوطة .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة « مبينة » ، ولكن ميم المخطوطة كأنها ليست « ميما » ، وصواب قراءة النص هو ما أثبت .

معان كثيرة . فالدلالة على المعنى المراد منه، إما من بيان الله تعالى ذكره عنه ،أو بيان رسوله صلى الله عليه وسلم لأمته . ولن يذهبَ علم ذلك عن علماء الأمة لما قد بيَّنَّا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾

قال أبو جعفر : قد أتينا على البيان عن تأويل ذلك بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلناه فيه .(١) ونحن ذاكرو اختلاف أهل التأويل فيه ، وذلك أنهم اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معنى قوله : « هن أم الكتاب » ، هنّ اللائى فيهن الفرائض والحدود والأحكام ، نحو قولنا الذى قلنا فيه .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٨٩ ــ حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر أنه قال فى هذه الآية : «محكمات هنّ أم الكتاب » . قال يحيى : هن اللاتى فيهنّ الفرائضُ والحدودُ وعمادُ الدين = وضرب لذلك مثلا فقال : « أمّ القرى » مكة ، « وأم خراسان » ، مَرْو ، « وأمّ المسافرين » ، الذى يجعلون إليه أمرَهم ، ويُعنى بهم فى سفرهم ، قال : فذاك أمهم.(٣)

٦٥٩٠ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « هن أم الكتاب » ، قال : هن جماع الكتاب .

* * *

(١) انظر ما سلف قريباً : ١٧٠

(٢) فى المطبوعة : « نحو قلنا » وهو سهو صوابه من المخطوطة .

(٣) الأثر : ٦٥٨٩ ــ « عمران بن موسى القزاز » ، و « عبد الوارث بن سعيد » مضت ترجمتهما برقم ٢١٥٤ . وانظر التعليق على الأثر رقم : ٦٥٩١ ، التالى

وقال آخرون : بل يعنى بذلك :(١) فواتح السور التى منها يستخرج القرآن .

• ذكر من قال ذلك :

٦٥٩١ — حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال، حدثنا إسحق بن سويد، عن أبى فاختة أنه قال فى هذه الآية : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب » ، قال : « أم الكتاب » فواتح السور ، منها يستخرج القرآن — ﴿الٓمٓ • ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾، منها استخرجت « البقرة »، و﴿الٓمٓ • اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ منها استخرجت « آل عمران » .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فأما الذين فى قلوبهم ميل عن الحق وانحرافٌ عنه .

* * *

يقال منه : « زاغ فلان عن الحق، فهو يَزيغ عنه زَيْغاً وزيَغاناً وزيْغوغة وزُيوغاً » ، و « أزاغه الله » — إذا أماله — « فهو يُزيغه » ، ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا تملها عن الحق = ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [سورة آل عمران : ٨].

* * *

(١) فى المطبوعة : « معنى بذلك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ٦٥٩١ — « أبو فاختة » هو « سعيد بن علاقة الهاشمى » ، مولى أم هانئ ، ثقة مترجم فى التهذيب . وانظر الأثر السالف رقم : ٦٥٨٩ . فقد خرجهما السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٤ ، أثراً واحداً مختصراً وقال : « عن إسحق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا هذه الآية : هن أم الكتاب ، فقال أبو فاختة . . . وقال يحيى بن يعمر . . . » وساق ما فى هذين الأثرين مختصراً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل : —

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٩٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنى ابن إسحق، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ، أى : ميل عن الهدى.[1]

٦٥٩٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فى قلوبهم زيغ » ، قال : شك .

٦٥٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١١٨/٣ ٦٥٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: « فأما الذين فى قلوبهم زيغ» ، قال : من أهل الشك .

٦٥٩٦ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ، أما الزيغ فالشك .

٦٥٩٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : قال : « زيغ » شك = قال ابن جريج : « الذين فى قلوبهم زيغ »، المنافقون .

* * *

(١) الأثر : ٦٥٩٢ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٥٨٧ ، من ابن إسحق .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فيتبعون ما تشابه » ، ما تشابهت ألفاظه وتصرَّفت معانيه بوجوه التأويلات ، ليحققوا = بادّعائهم الأباطيلَ من التأويلات فى ذلك = ما هم عليه من الضلالة والزّيغ عن محجة الحقّ ، تلبيساً منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه ، كما : —

٦٥٩٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فيتبعون ما تشابه منه » ، فيحملون المحكم على المتشابه ، والمتشابه على المحكم ، ويلبِّسون ، فلبَّس الله عليهم .

٦٥٩٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « فيتبعون ما تشابه منه » ، أى : ما تحرَّف منه وتصرف ،[1] ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ، ليكون لهم حجة على ما قالوا وشُبْهةً .[2]

٦٦٠٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « فيتبعون ما تشابه منه » ، قال : الباب الذى ضلُّوا منه وهلكوا فيه ابتغاءَ تأويله .

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : —

---

(١) فى ابن هشام : « أى : ما تصرف منه » ، وليس فيه « تحرف » .

(٢) الأثر : ٦٥٩٩ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٥٩٢ ، بإسناده عن ابن إسحق . ونص ما فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ « لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شبهة » . وتركت ما فى التفسير هنا على حاله ، لأن روايته عن ابن إسحق ، غير رواية ابن هشام .

٦٦٠١ — حدثني به موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط عن السدى فى قوله: « فيتبعون ما تشابه منه » ، يتبعون المنسوخَ والناسخَ فيقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا مكان هذه الآية ،(١) فتركت الأولى وعُمل بهذه الأخرى ؟ هلاَّ كان العمل بهذه الآية قبل أن تجيء الأولى التى نُسخت ؟ وما باله يعد العذابَ مَنْ عمل عملا يعذبه [فى] النار ،(٢) وفى مكان آخر : مَنْ عمله فإنه لم يُوجب النار ؟

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عُنى به الوفدُ من نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحاجُّوه بما حاجُّوه به، وخاصموه بأن قالوا: ألست تزعم أنّ عيسى روح الله وكلمته ؟ وتأولوا فى ذلك ما يقولون فيه من الكفر .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٠٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : عَمدوا — يعنى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى نجران — فخاصموا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ألست تزعم أنه كلمةُ الله ورُوحٌ منه؟ قال: بلى ! قالوا : فحسبُنا ! فأنزل الله عز وجل : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة » ، ثم

---

(١) فى المطبوعة : « مجاز هذه الآية » ، أما المخطوطة ، فهى غير بينة ، وآثرت قراءتها « مكان » .

(٢) فى المطبوعة : « يعد به النار » بالدال المهملة ، ولا معنى له . وفى المخطوطة « نعد به » غير منقوطة ، وصواب قراءتها « يعذبه » ، وما بين القوسين زيادة يقتضيها سياق الكلام .

إنّ الله جل ثناؤه : أنزل : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [سورة آل عمران : ٥٩]، الآية .

* * *

وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية فى أبى ياسر بن أخطب ، وأخيه حُيىّ بن أخطب ، والنفر الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قَدْر مُدة أُكُلِه وأُكْل أمته ،[1] وأرادوا علم ذلك من قِبَل قوله : « الم ، و« المص » ، و« المر » و« الر » ، فقال الله جل ثناؤه فيهم : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » — يعنى هؤلاء اليهود الذين قُلوبهم مائلة عن الهدى والحق = « فيتبعون ما تَشابه منه » يعنى : معانى هذه الحروف المقطّعة المحتملة التصريف فى الوجوه المختلفة التأويلات = « ابتغاءَ الفتنة » .

وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل ، فى أول السورة التى تذكر فيها « البقرة » .[2]

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع فى دينه بدعة مخالفةً لما ابتعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، بتأويل يتأوله من بعض آى القرآن المحتملة التأويلات ، وإن كان الله قد أحكم بيانَ ذلك : إما فى كتابه ، وإما على لسان رسوله . ١١٩/٣

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٠٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فأما الذين فى قُلوبهم زَيْغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة » ، وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » قال : إن لم يكونوا الحرُورِيّة والسبائية ،[3] فلا أدرى من هم ! ولعمرى لقد كان فى أهل بدر

(١) فى المطبوعة : « أجله وأجل أمته » ، وانظر تفسير « الأكل » فيما سلف ص : ١٨٠ ، تعليق : ١.

(٢) انظر الأثر السالف رقم : ٢٤٦ .

(٣) « الحرورية » ، هم الخوارج ، اجتمعوا بحروراء بظاهر الكوفة ، فكان هناك أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا علياً ، وأما « السبائية » ، فهم منسوبون إلى ابن السوداء اليهودى « عبد الله بن

والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرّضوان من المهاجرين والأنصار خبرٌ لمن استخبر ، وعبرةٌ لمن استعبر ، لمن كان يَعْقِل أو يُبصر .[١] إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثيرٌ بالمدينة والشأم والعراق ، وأزواجه يومئذ أحياء . والله إنْ خرَج منهم ذكرٌ ولا أنثى حروريًّا قط ، ولا رضوا الذى هم عليه ، ولا مالأوهم فيه ، بل كانوا يحدّثون بعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم ونعتِه الذى نعتهم به ، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ، ويعادونهم بألسنتهم ، وتشتدّ والله عليهم أيديهم إذا لقوهم . ولعمرى لو كان أمر الخوارج هدًى لاجتمع ، ولكنه كان ضلالاً فتفرّق . وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافاً كثيراً . فقد ألاصوا هذا الأمر منذ زمان طويل .[٢] فهل أفلحوا فيه يوماً أو أنجحوا ؟ يا سبحان الله ؟ كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأوّلهم ؟ لو كانوا على هدى ، قد أظهره الله وأفلجه ونصره ،[٣] ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه . فهم كما رأيتهم ، كلما خرج لهم قَرْنٌ أدحض الله حجتهم ، وأكذب أحدوثتهم ، وأهرَاق دماءهم . إن كتموا كان قَرْحاً فى قلوبهم ،[٤] وغمًّا عليهم . وإن أظهروه أهرَاق الله دماءهم . ذاكم والله دينُ سَوْءٍ فاجتنبوه . والله

سبأ » وهو الذى قال لعلى : « أنت أنت » يعنى أن الأمام فيه الجزء الإلهى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فنفاه على إلى المدائن . هذا وقد كتبت فى المخطوطة « السبائية » ، وفى المطبوعة « السبئية » ، وآثرت ما فى المخطوطة لأنها هكذا هى فى أكثر الكتب .

(١) يعنى بذلك العبرة التى كانت فى بدر ، حين أشار على رسول الله أصحابه أن يدع منزله الأول الذى نزله ، إلى المنزل الذى أشاروا به عليه — والعبرة التى كانت فى الحديبية حين قال بعض أصحاب بيعة الرضوان ما قالوا فى كراهة الصلح الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين قريش . وفى ذلك برهان على فساد مقالة الخوارج ، ومقالة السبائية .

(٢) ألاص الأمر : أداره وحاوله . وألاص فلاناً على هذا الأمر : أداره على الشىء الذى يريده .

(٣) فى المطبوعة : « أفلحه » بالحاء المهملة ، وهو فى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءته بالجيم . أفلج الله حجته : أظهرها ، وجعل له الفلج ، أى الفوز والغلبة .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « وإن كتموا . . . » ، والسياق يقتضى حذف الواو .

إنّ اليهودية لبدعة ، وإن النصرانية لبدْعة ،[1] وإن الحرورية لبدعة ، وإن السبائية لبدعة ، ما نزل بهن كتابٌ ولا سنّهنّ نبيّ .

٦٦٠٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » ، طلب القوم التأويل ، فأخطأوا التأويل وأصابوا الفتنة ، فاتبعوا ما تشابه منه ، فهلكوا من ذلك . لعمرى لقد كان فى أصحاب بدر والحديبية الذى شهدوا بيعة الرضوان = وذكر نحو حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عنه .

٦٦٠٥ — حدثنى محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا إسماعيل بن علية ، عن أيوب ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن عائشة قالت : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو الذى أنزل عليك الكتاب » إلى قوله : « وما يذّكّر إلاّ أولوا الألباب » ، فقال : فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنى الله ، فاحذرُوهم .[2]

---

(١) عنى باليهودية والنصرانية ، ما ابتدعه اليهود والنصارى من القول فى عزير ، وأنه ابن الله ، وغير ذلك من مذاهبهم — ومن القول فى المسيح ، وأنه ابن الله ، وغير ذلك من مقالاتهم .

(٢) الحديث : ٦٦٠٥ — هذا الحديث رواه الطبرى هنا بأحد عشر إسناداً ، كلها من رواية ابن أبى مليكة ، إلا واحداً ، وهو الحديث : ٦٦١١ .

واختلف الرواة عن ابن أبى مليكة ، فبعضهم يرويه عنه عن عائشة مباشرة ، وبعضهم يرويه عنه عن القاسم عن عائشة . وكل صحيح ، كما سيأتى .

وابن أبى مليكة : هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبى مليكة ، القرشى المكى . وهو تابعى كبير ثقة ، سمع عائشة وغيرها من الصحابة . ترجمه البخارى فى الصغير ، ص : ١٣١ ، وابن سعد ٥ : ٣٤٧ — ٣٤٨ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٩٩ — ١٠٠ ، والمصعب فى نسب قريش ، ص : ٢٩٣ .

فقال الترمذى ٤ : ٨٠ ، بعد أن روى الحديث بالوجهين ، كما سيأتى — : « هكذا روى غير واحد هذا الحديث عن ابن أبى مليكة عن عائشة ، ولم يذكروا فيه : عن القاسم بن محمد . وإنما ذكره يزيد بن إبرهيم : عن القاسم بن محمد ، فى هذا الحديث . وابن أبى مليكة ، هو « عبد الله ابن عبيد الله بن أبى مليكة . وقد سمع من عائشة أيضاً » .

ولم ينفرد يزيد بن إبرهيم بذكر « القاسم » فى الإسناد ، كما زعم الترمذى . وسيجىء بيان ذلك ، إن شاء الله .

٦٦٠٦ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أيوب ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة أنها قالت : قرأ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « هو الذى أنزل عليك الكتاب » إلى « وما يذكر إلا أولو الألباب » ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه — أو قال : يتجادلون فيه — فهم الذين عنى الله ، فاحذرهم = قال مطر ، عن أيوب أنه قال : فلا تجالسوهم ، فهم الذين عنىَ الله فاحذروهم .(١)

وقال الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٧ : « قد سمع ابن أبى مليكة من عائشة كثيراً ، وكثيراً ما يدخل بينها وبينه واسطة . وقد اختلف عليه فى هذا الحديث . . . »

والحديث — من هذا الوجه ، من رواية ابن علية ، عن أيوب — : رواه أحمد فى المسند ٦ : ٤٨ (حلبى) ، عن ابن علية ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه ابن ماجة : ٤٧ ، عن محمد بن خالد بن خداش — شيخ الطبرى هنا — عن ابن علية ، به .

ومحمد بن خالد بن خداش ، هذا : مترجم فى التهذيب . وقال : « ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : ربما أغرب عن أبيه » .

ولم يترجمه ابن أبى حاتم ، ولم يذكره الخطيب فى تاريخ بغداد ، مع أنه سكنها ، كما فى التهذيب .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٩٧ ، عن رواية المسند . ثم قال : « هكذا وقع هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد ، من رواية ابن أبى مليكة ، عن عائشة رضى الله عنها ، ليس بينهما أحد » . ثم أشار إلى رواية ابن ماجة ، وإلى روايات أخر ، تذكر فيما سيأتى .

ولكن وقع فى ابن كثير « يعقوب » بدل « أيوب » ! وهو خطأ ناسخ أو طابع . وثبت فى المسند على الصواب « أيوب » .

(١) الحديث : ٦٦٠٦ — ابن عبد الأعلى : هو محمد بن عبد الأعلى الصنعانى . مضت ترجمته فى : ١٢٣٦ .

مطر : هو ابن طهمان — بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء — الوراق . وهو ثقة ، تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه . مات سنة ١٢٥ .

والحديث — من هذا الوجه — رواه ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ٧٥ بتحقيقنا ، من طريق عاصم بن النضر الأحول ، عن المعتمر بن سليمان ، بهذا الإسناد .

وقال ابن حبان عقب روايته : « سمع هذا الخبر أيوب عن مطر الوراق وابن أبى مليكة جميعاً » .

وهذا خطأ ، فاتنا أن ننبه إليه هناك ، إذ فهمناه على المعنى الصحيح ، لم نتنبه إلى اللفظ ! فابن حبان يريد أن يقول : « سمع هذا الخبر أيوب ومطر الوراق ، جميعاً عن ابن أبى مليكة » . فإما كان ما ثبت فيه سبق قلم من ابن حبان ، وإما كان سهواً من الناسخين . فما كان ابن حبان ليخفى عليه أن مطراً الوراق لم يدرك عائشة . وهو قد ذكره فى الثقات ، ص : ٣٤٤ — ٣٤٥ ، وذكر أنه يروى عن أنس بن مالك ، وأنه مات سنة ١٢٥ ، قيل : ١٢٩ . ومع ذلك فلم يسلم له هذا ،

٦٦٠٧ — حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو معناه.[١]

٦٦٠٨ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه.[٢]

٦٦٠٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنا الحارث، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: «هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات» الآية كلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، والذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله، أولئك الذين قال الله، فلا تجالسوهم.[٣]

١٢٠/٣

فقد روى ابن أبي حاتم فى المراسيل، ص: ٧٨، عن أبي زرعة، قال: «مطر لم يسمع من أنس شيئاً. وهو مرسل».

ولكن يعكر على كلام ابن حبان — إذا قرئ على الوجه الصواب الذى ذكرنا —: أن رواية الطبرى هنا صريحة فى أن مطراً سمعه من أيوب بالزيادة التى زادها فى لفظ الحديث. ويكون المعتمر ابن سليمان سمعه من أيوب مختصراً، بلفظ «فاحذروهم»، وسمعه من مطر الوراق عن أيوب مطولا، باللفظ الآخر. وهذا هو الصواب إن شاء الله. ومطر وأيوب من طبقة واحدة.

(١) الحديث: ٦٦٠٧ — عبد الوهاب: هو ابن عبد المجيد الثقفى. مضت ترجمته فى: ٢٠٣٩.

والحديث — من هذا الوجه —: رواه ابن ماجة: ٤٧، عن أحمد بن ثابت الجحدرى، ويحيى بن حكيم، كلاهما عن عبد الوهاب، به.

وأشار إليه ابن كثير ٢: ٩٧، من رواية ابن ماجة. ثم قال: «ورواه محمد بن يحيى العبدى، فى مسنده، عن عبد الوهاب الثقفى، به».

(٢) الحديث: ٦٦٠٨ — هو الحديث السابق. وهو من رواية معمر عن أيوب. وأشار إليه ابن كثير ٢: ٩٧، قال: «وكذا رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب. وكذا رواه غير واحد عن أيوب».

ولم يذكر ابن كثير تخريجاً آخر لرواية معمر هذه. وتفسير عبد الرزاق، مخطوطة دار الكتب المصرية — فيه خرم من أواخر سورة البقرة، إلى أوائل سورة النساء.

(٣) الحديث: ٦٦٠٩ — الحارث: هو ابن نبهان الجرمى البصرى. وهو ضعيف جداً. قال البخارى فى الكبير ١/٢/٢٨٢: «منكر الحديث». وكذلك قال فى الصغير، ص: ١٨٥. وفى التهذيب عن الترمذى فى العلل الكبير، عن البخارى: «منكر الحديث، لا يبالى ما حدث.

٦٦١٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن أبي مليكة قال : سمعت القاسم بن محمد يحدث ، عن عائشة قالت : تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنّ أم الكتاب » ، ثم قرأ إلى آخر الآيات ، فقال : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمّى الله ، فاحذروهم .[1]

٦٦١١ — حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : نزع رسول الله

وضعفه جداً » . وروى ابن أبي حاتم ١/٢/٩١ — ٩٢ ، عن أحمد بن حنبل ، قال : « رجل صالح ، ولم يكن يعرف بالحديث ، ولا يحفظه ، منكر الحديث » .

وعلى الرغم من ضعف الحارث هذا ، فإن أصل الحديث صحيح ، بالأسانيد الأخر : السابقة واللاحقة .

(١) الحديث : ٦٦١٠ — ابن وكيع : هو سفيان بن وكيع . وهو ضعيف ، كما بينا فى : ١٦٩٢ .

أبو أسامة : هو حماد بن أسامة الكوفى الحافظ . مضت ترجمته : ٢٩٩٥ .

يزيد بن إبرهيم التسترى البصرى الحافظ : ثقة ثبت . وثقه أحمد ، ووكيع ، وأبو حاتم ، وغيرهم . وجعله ابن معين أثبت من جرير بن حازم .

وهذا الإسناد أحد الروايات فى هذا الحديث ، التى فيها زيادة « القاسم بن محمد » ، بين ابن أبى مليكة وعائشة . وكل صحيح . فهو من المزيد فى متصل الأسانيد : سمعه ابن أبى مليكة من عائشة ، وسمعه من القاسم عن عائشة . فحدث به على الوجهين ، تارة هكذا ، وتارة هكذا .

والحديث — من هذا الوجه — : رواه أبو داود الطيالسى : ١٤٣٣ ، عن يزيد بن إبرهيم ، بهذا الإسناد ، نحوه ، مختصراً قليلا .

ورواه البخارى ٨ : ١٥٧ — ١٥٩ (فتح) . ومسلم ٢ : ٣٠٣ — ٣٠٤ . وأبو داود : ٤٥٩٨ — ثلاثتهم عن القعنبى ، عن يزيد بن إبرهيم ، بهذا الإسناد .

ورواه الترمذى ٤ : ٨٠ ، عن عبد بن حميد ، عن أبى الوليد الطيالسى ، عن يزيد بن إبرهيم به ، نحوه . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

ورواه ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ٧٢ بتحقيقنا ، من طريق عبد الله — وهو ابن المبارك الإمام شيخ الإسلام — عن يزيد بن إبرهيم ، به .

ولم ينفرد يزيد بن إبرهيم بزيادة « القاسم » بين ابن أبى مليكة وعائشة ، فسيأتى بإسناد آخر : ٦٦١٥ ، بزيادة القاسم ، وسيأتى أيضاً عقب هذا : ٦٦١١ من رواية عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه .

صلى الله عليه وسلم : « يتبعُون ما تشابه منه » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد حذركم الله ، فإذا رأيتموهم فاعرفوهم .(١)

٦٦١٢ — حدثنا علي قال ، حدثنا الوليد ، عن نافع بن عمر ، عن [ابن أبي مليكة ، حدثني] عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتموهم فاحذروهم ، ثم نزع : «فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه » ، ولا يعملون بمحكمه .(٢)

(١) الحديث : ٦٦١١ — علي بن سهل الرملي ، شيخ الطبري : مضت ترجمته في : ١٣٨٤ .
الوليد بن مسلم الدمشقي ، عالم الشام : مضت ترجمته في : ٢١٨٤ .
عبد الرحمن : هو ابن القاسم بن محمد بن أبي بكر . مضت ترجمته في : ٢٨٣٦ .
وهذا إسناد صحيح . وهو متابعة صحيحة قوية لرواية ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد .
وقد نقله ابن كثير ٢ : ٩٨ . ثم قال : « ورواه ابن مردويه ، من طريق أخرى ، عن القاسم ، عن عائشة ، به » .
وانظر الحديث الآتي : ٦٦١٥ .
وقوله : « نزع رسول الله » — يقال : انتزع بالآية والشعر : تمثل . ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية من كتاب الله : « قد انتزع معنى جيداً » و « نزعه » ، أي استخرجه . ولعلها عنت بقولها « نزع » هنا — : استشهد ، أو قرأ مستشهداً . وانظر الحديث التالي لهذا .
(٢) الحديث : ٦٦١٢ — نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل ، الجمحي القرشي المكي : ثقة ، قال أحمد بن حنبل : « ثبت ثبت صحيح الحديث » . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٨٦ ، وابن سعد ٥ : ٣٦٣ . ونسب قريش للمصعب : ٤٠٠ . وابن أبي حاتم ٤/١/٤٥٦ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢١٣ .
ووقع في المخطوطة والمطبوعة هنا : « نافع عن عمر » ! بدل « نافع بن عمر » . وهو خطأ . تصويبه عن الفتح ٨ : ١٥٧ ، حيث ذكر فيمن روى هذا الحديث « عن ابن أبي مليكة دون ذكر القاسم » — « . . . ونافع بن عمر ، وابن جريج ، وغيرهما » . وكذلك صححناه عن ابن كثير ، كما سنذكر .
ثم وقع في الأصلين خطأ آخر أشد من ذاك وأشنع ! ففيهما : « عن نافع ، عن عمر ، عن عائشة » ! ! فحذف « ابن أبي مليكة » من الإسناد . ثم حذف تصريحه بالسماع من عائشة .
فصححنا الإسناد ، وأثبتنا ما سقط منه خطأ من الناسخين ، وهو ما زدناه بعد كلمة « عن » ، بين علامتي الزيادة : [ابن أبي مليكة ، حدثني] .
وهذه الزيادة أخذناها من ابن كثير ٢ : ٩٨ ، حيث قال : « ورواه ابن جرير ، من حديث روح بن القاسم ، ونافع بن عمر الجمحي ، كلاهما عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة . وقال نافع في روايته : عن ابن أبي مليكة ، حدثتني عائشة . فذكره » .
فهذا هو الصواب ، الذي أفادنا ما سقط هنا من الإسناد من الناسخين . والحمد لله .
ثم إن الحديث سيأتي : ٦٦١٤ ، من هذا الوجه ، على الصواب ، من رواية خالد بن نزار ، عن نافع — وهو ابن عمر الجمحي — « عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة » .

٦٦١٣ — حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، أخبرنا عمي قال ، أخبرني شبيب بن سعيد ، عن روح بن القاسم ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن هذه الآية : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم » ، فقال : فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنى الله ، فاحذروهم.(١)

٦٦١٤ — حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة في هذه الآية ، « هو الذي أنزل عليك الكتاب » ، الآية ، « يتبعها » ، يتلوها ، ثم يقول : فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فاحذروهم ، فهم الذين عنى الله .(٢)

---

(١) الحديث : ٦٦١٣ — أحمد بن عبد الرحمن بن وهب : مضت ترجمته في : ٢٧٤٧ . وعمه : هو عبد الله بن وهب .

شبيب بن سعيد التميمي الحبطي البصري : قال ابن المديني : « ثقة ، كان يختلف إلى مصر في تجارة ، وكتابه كتاب صحيح » . وفي مصر سمع منه ابن وهب . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٣٤ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٥٩ .

و « الحبطي » : بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة ، نسبة إلى « الحبطات » ، بطن من تميم .

روح بن القاسم التميمي العنبري البصري : ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . وقال سفيان بن عيينة : « لم أر أحداً طلب الحديث وهو مسن أحفظ من روح بن القاسم » .

وهذا الإسناد أشار إليه ابن كثير ٢ : ٩٨ ، كما نقلنا كلامه عند الإسناد الذي قبله .

(٢) الحديث : ٦٦١٤ — خالد بن نزار بن المغيرة الأيلي : ثقة . مترجم في التهذيب فقط . وشيخه نافع : هو ابن عمر الجمحي .

وهذا الحديث تكرار للحديث : ٦٦١٢ ، من رواية نافع الجمحي ، ومؤيد لما ذكرنا أنه سقط من ذلك الإسناد .

فهؤلاء : أيوب ، ونافع بن عمر ، وخالد بن نزار رووه عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة — مباشرة ، دون واسطة « القاسم » بينهما ، بل صرح نافع بن عمر بسماع ابن أبي مليكة إياه من عائشة ، كما مضى في : ٦٦١٢ .

وتابعهم على ذلك أبو عامر الخزاز :

فرواه الترمذي ٤ : ٨٠ ، عن محمد بن بشار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن أبي عامر الخزاز ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة — دون ذكر القاسم .

٦٦١٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون، عن حماد بن سلمة، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب» إلى آخر الآية ، قال : هم الذين سمّاهم الله ، فإذا أريتموهم فاحذروهم .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والذي يدل عليه ظاهرة هذه الآية ، أنها نزلت في الذين جادلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمتشابه ما أنزل إليه من كتاب الله ، إمّا

وأبو عامر الخزاز — بمعجمات — هو صالح بن رستم . مضت ترجمته : ٥٤٥٨ .

وهذه المتابعة ذكرها ابن كثير ٢ : ٩٨ ، والحافظ في الفتح ٨ : ١٥٧ . وإسنادها صحيح .

ورواه أيضاً سعيد بن منصور ، عن حماد بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة . عن عائشة . نقله ابن كثير ٢ : ٩٨ . وهو إسناد صحيح .

وتابعهم أيضاً ابن جريج . ذكره الحافظ في الفتح ٨ : ١٥٧ ، ولكن لم يذكر من خرجه . ولم أجده في مصدر آخر مما بين يدي من المصادر .

(١) الحديث : ٦٦١٥ — وهذا إسناد صحيح أيضاً . ولكنه بزيادة « القاسم » بين ابن أبي مليكة وعائشة ، كمثل رواية يزيد بن إبرهيم عن ابن أبي مليكة ، الماضية : ٦٦١٠ .

وهو يرد ادعاء الترمذي أن يزيد بن إبرهيم انفرد بهذه الزيادة ، كما ذكرنا في ٦٦٠٥ . فقد تابعه على ذلك حماد بن سلمة ، في هذا الإسناد .

وكذلك رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : ١٤٣٢ ، عن حماد بن سلمة ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة .

وقد جمع الروايتين : رواية يزيد ورواية حماد — أبو الوليد الطيالسي في روايته عنهما . فرواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي الوليد الطيالسي ، عن يزيد بن إبرهيم التستري وحماد بن سلمة — معاً — عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة . نقله ابن كثير ٢ : ٩٨ ، عن ابن أبي حاتم ، وأشار إليه الحافظ في الفتح ٨ : ١٥٧ .

وقد مضت من قبل : ٦٦١١ رواية حماد بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة . فدل هذا وذاك على أن حماد بن سلمة رواه عن شيخين عن القاسم : رواه عن عبد الرحمن ابن القاسم ، وعن ابن أبي مليكة — كلاهما عن القاسم .

وهناك متابعة أخرى عن القاسم ، لا نعرف تفصيل إسنادها . إذ قال ابن كثير ٢ : ٩٨ « ورواه ابن مردويه ، من طريق أخرى ، عن القاسم ، عن عائشة ، به » . فلم يذكر ما هي ، ولا ما إسنادها ، ولم يشر إليها الحافظ في الفتح .

والحديث — في أصله — ذكره السيوطي ٢ : ٥ ، وزاد نسبته إلى البيهقي في الدلائل .

فى أمر عيسى ، وإما فى مدة أكله وأكل أمته . [١] وهو بأن تكون فى الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابهه فى مدّته ومدّة أُمّته ، أشبهُ . لأن قوله : « وما يعلَمُ تأويلَه إلاّ الله » ، دالٌّ على أن ذلك إخبار عن المدة التى أرادوا علمها من قِبَل المتشابه الذى لا يعلمه إلاّ الله . فأما أمرُ عيسى وأسبابه ، فقد أعلم الله ذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته ، وبيّنه لهم . فمعلومٌ أنه لم يعن به إلا ما كان عليه خفيًّا من الآجال . [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . [٣]

فقال بعضهم : معنى ذلك : ابتغاء الشرك .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦١٦ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « ابتغاء الفتنة » ، قال : إرادة الشرك .

٦٦١٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ابتغاء الفتنة » ، يعنى الشرك .

* * *

(١) فى المطبوعة : « إما مدة أجله وأجل أمته » ، والتصحيح من المخطوطة ، وقد سلف مثل ذلك التحريف فى ص : ١٨٠ ، تعليق : ١ ، وص : ١٨٧ ، تعليق : ١ وفى الجزء الأول من التفسير ص: ٢١٧ تعليق : ٤ . والأكل » (بضم الألف وسكون الكاف) : الرزق، لأنه يؤكل . ومنه قيل لمدة العمر التى يعيشها المرء فى الدنيا « أكل » . يقال للميت : « انقطع أكله » ، انقضت مدته ، وفنى عمره .

(٢) فى المطبوعة : « . . . أنه لم يعن إلا ما كان خفياً عن الآحاد » ، ولا معنى لها . وفى المخطوطة : « أنه يعره إلا ما كان عليه خفياً عن الاحاد » ، فرجحت أن صواب قراءتها كما أثبتّها ، « الآجال » جمع أجل ، وهو الذى أرادوا معرفته من مدة هذه الأمة . والناسخ هنا كثير السهو والتحريف من عجلته .

(٣) انظر تفسير « الابتغاء » فيما سلف ٣ : ٥٠٨ / ثم ٤ : ١٦٣ . وتفسير « الفتنة » فيما سلف ، ٢ : ٤٤٣ ، ٤٤٤ / ثم ٣ : ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ / ثم ٤ : ٣٠١ .

وقال آخرون : معنى ذلك : ابتغاءَ الشُّبهات .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦١٨ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ابتغاء الفتنة » ، قال : الشبهات ، بها أهْلِكوا .

٦٦١٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ابتغاء الفتنة »، الشبهات . قال : هلكوا به .

٦٦٢٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « ابتغاء الفتنة » ، قال : الشبهات . قال: والشبهات ما أهلكوا به .

٦٦٢١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « ابتغاء الفتنة » ، أي : اللَّبْس .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : « إرادةُ الشبهات واللبس » .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : فأما الذين في قلوبهم ميلٌ عن الحق وحَيْفٌ عنه، فيتبعون من آي الكتاب ما تَشابهت ألفاظه، واحتمل َصرْفَ صارفه في وجوه التأويلات[2] — باحتماله المعاني المختلفة — إرادةَ اللبس على نفسه وعلى غيره ، احتجاجاً به على باطله الذي مالَ إليه قلبه ، دون الحق الذي أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آي كتابه . ١٢١/٣

* * *

(١) الأثر : ٦٦٢١ — هو بقية الآثار السالفة التي آخرها رقم ٦٥٩٩ ، بإسناده عن ابن إسحق .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « واحتمل صرفه في وجوه التأويلات » ، وقد قطعت بأن ذلك خطأ من الناسخ ، لأن الضمائر السابقة كلها جموع ، والتي تليها كلها أفراد ، وهو لا يستقيم . فرجحت أن الناسخ قرأ « صرف صرفه » (بغير ألف في : صارفه) كما كانت تكتب قديماً ، فظنها خطأ ، فحذف الأولى « صرف » وأبقى الأخرى « صرفه » ، فاضطربت الضمائر .

قال أبو جعفر : وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فإنه معنيٌّ بها كل مبتدع في دين الله بدعةً فمال قلبه إليها ، تأويلاً منه لبعض مُتشابه آي القرآن ، ثم حاجّ به وجادل به أهل الحق ، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات ، إرادةً منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين ، وطلباً لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك ، كائناً من كان ، وأيّ أصناف المبتدعة كان [1] : من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية ، أو كان سبئياً ، [2] أو حرورياً ، أو قدرياً ، أو جهمياً ، كالذي قال صلى الله عليه وسلم : « فإذا رأيتم الذين يجادلون به ، فهم الذين عنى الله ، فاحذروهم » ، وكما : —

٦٦٢٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس — وذُكر عنده الخوارجُ وما يُلْقَوْنَ عند القرآن ، [3] فقال : يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه ! وقرأ ابن عباس : « وما يعلم تأويله إلاّ الله » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا القول الذي ذكرنا أنه أولى التأويلين بقوله : « ابتغاء الفتنة » ، لأن الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهلَ شرك ، وإنما أرادوا بطلب تأويل ما طلبوا تأويله ، اللبسَ على المسلمين ، والاحتجاجَ به عليهم ، ليصدّوهم

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « البدعة » ، وصواب قراءتها إن شاء الله « المبتدعة » ، كما يدل عليه السياق .

(٢) هكذا كتبت هنا « سبئياً » ، وقد أسلفنا أنها كتبت في المواضع الماضية « سباتياً » ، فتركت هذا الرسم كما هو ، وهو صواب .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « وما يلقون عند القرار » ، وهو كلام لا معنى له ، وإنما أراد أنه ذكر عند ابن عباس ما عليه الخوارج من الخشوع والعبادة والإخبات عند سماع القرآن ، وذلك من أمر الخوارج مشهور ، وهم الذين جاء في صفتهم : « تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم » في الحديث المشهور . ولذلك قطعت بأن قراءة ما في المخطوطة هو ما أثبت . ويؤيد ذلك جواب ابن عباس : « يؤمنون بمحكمه ، ويهلكون عند متشابهه » متعجباً من فعلهم في خشوعهم ، وضلالهم في تأويلهم المبتدع الذي استحلوا به دماء المسلمين وأموالهم

عما هم عليه من الحق . فلا معنى لأن يقال : « فعلوا ذلك إرادةَ الشرك » ، وهم قد كانوا مشركين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « التأويل » ، الذى عَنى الله جل ثناؤه بقوله : « وابتغاء تأويله » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : الأجل الذى أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مُدّة أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر أمته ، من قبل الحروف المقطعة من حساب الجُمَّل ، كـ « ألم » ، و« ألمص » ، و« ألر » ، و« ألمر » ، وما أشبه ذلك من الآجال .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٢٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس أما قوله : « وما يعلم تأويله إلاّ الله » ، يعنى تأويله يوم القيامة = « إلا الله » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « عواقبُ القرآن » . وقالوا : « إنما أرادوا أن يعلموا متى يجىء ناسخ الأحكام التى كان الله جل ثناؤه شرَعها لأهل الإسلام قبل مجيئه ، فنسخَ ما قد كان شرَعه قبل ذلك » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٢٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وابتغاء تأويله » ، أرادوا أن يعلموا تأويلَ القرآن — وهو عواقبه — قال

الله : « وما يعلم تأويله إلا الله » ، وتأويله ، عواقبه = متى يأتى الناسخ منه فينسخ المنسوخ؟

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « وابتغاء تأويل ما تشابه من آى القرآن ، يتأولونه — إذ كان ذا وجوه وتصاريفَ فى التأويلات — على ما فى قلوبهم من الزَّيغ ، وما ركبوه من الضلالة » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٢٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وابتغاء تأويله » ، وذلك على ما ركبوا من الضلالة فى قولهم =[1] « خلقنا » ، و « قضينا » .

* * *

قال أبو جعفر : والقول الذى قاله ابن عباس : من أنّ : « ابتغاء التأويل » الذى طلبه القوم من المتشابه ، هو معرفة انقضاء المدة ووقتِ قيام الساعة = والذى ذكرنا عن السدى : من أنهم طلبوا وأرادوا معرفة وَقتٍ هو جاءٍ قبل مجيئه =[2] أوْلى بالصواب . وإن كان السدّى قد أغفل معنى ذلك من وجهٍ صَرَفَه إلى حصره على أن معناه : أن القوم طلبوا معرفة وقت مجىء الناسخ لما قد أحكِم قبل ذلك .

وإنما قلنا : إن طلب القوم معرفة الوقت الذى هو جاءٍ قبل مجيئه المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم ، بمتشابه آى القرآن —[3] أولى بتأويل قوله : « وابتغاء تأويله » ،

---

(١) فى المطبوعة « فى قوله » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ . وقوله بعد ذلك : « خلقنا ، وقضينا » ، كلام منقطع ، إشارة إلى ما مضى من صدر هذا الأثر الطويل المتتابع ، الذى يرويه الطبرى مفرقاً عن ابن إسحاق ، وذلك مذكور فى الأثر رقم : ٦٥٤٣ فيما سلف ص : ١٥٣ س: ٣، ٤ . إذ قال : « ويحتجون فى قولهم : « إنه ثالث ثلاثة » ، بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا . فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا : فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم » .

(٢) « جاء » اسم فاعل من الفعل « جاء يجىء فهو جاء » . وسياق الجملة : « والقول الذى قاله ابن عباس . . . والذى ذكرنا عن السدى . . . أولى بالصواب » .

(٣) قوله : « بمتشابه آى القرآن . . . » من صلة قولهم : « إن طلب القوم معرفة الوقت . . . » جار ومجرور ، متعلق بقوله : « طلب » .

لما قد دللنا عليه قبلُ من إخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلمه إلاّ الله .
ولا شكّ أن معنى قوله : « قضينا » « فعلنا » ، قد علم تأويله كثيرٌ من جهلة ١٢٢/٣
أهل الشرك ، فضلاً عن أهل الإيمان وأهل الرسوخ فى العلم منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : وما يعلم وقتَ قيام الساعة ، وانقضاء مدة أكل محمد وأمته ،[1] وما هو كائن ، إلا الله ، دون مَنْ سواه من البشر الذين أمّلوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة . وأما الراسخون فى العلم فيقولون : « آمنا به ، كل من عند ربنا » — لا يعلمون ذلك ، ولكن فَضْل عِلمهم فى ذلك على غيرهم ، العلمُ بأن الله هو العالم بذلك دون مَنْ سواه من خلقه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، وهل « الراسخون » معطوف على اسم « الله » ، بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه ، أمْ هم مستأنَفٌ ذكرهم ،[2] بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون : آمنا بالمتشابه وصدّقنا أنّ علم ذلك لا يعلمه إلا الله ؟

فقال بعضهم : معنى ذلك : وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفرداً بعلمه . وأما الراسخون فى العلم ، فإنهم ابتُدئ الخبر عنهم بأنهم يقولون : آمنا بالمتشابه والمحكم ، وأنّ جميع ذلك من عند الله .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « مدة أجل محمد ... » ، والصواب ما فى المخطوطة ، وانظر التعليق السالف ص : ١٩٦ رقم : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « أوهم مستأنف ... » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٦٦٢٦ — حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قوله : « والراسخون في العلم يقولون آمنا به » ، قالت : كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ، ولم يعلموا تأويله .(١)

٦٦٢٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : كان ابن عباس يقول : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ [فِي الْعِلْمِ] آمَنَّا بِهِ ﴾(٢)

٦٦٢٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني ابن أبي الزناد قال ، قال هشام بن عروة : كان أبي يقول في هذه الآية ، « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » ، أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ، ولكنهم يقولون : « آمنا به كل من عند ربنا » .

٦٦٢٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد الله ، عن أبي نهيك الأسدي قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » ، فيقول : إنكم تصلون هذه الآية ، وإنها مقطوعة : « وما يعلم تأويله إلا الله = والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ، فانتهى علمهم إلى قولهم الذي قالوا .

---

(١) الأثر : ٦٦٢٦ — انظر الأثر السالف رقم : ٦٦١٤ ، والتعليق عليه .

(٢) في المطبوعة « يقول الراسخون » بحذف الواو . والصواب إثباتها ، لأنه سيأتي في ص : ٢٠٤ س : ١٣ أن ابن عباس هكذا كان يقرأها . وأنا أرجح أن الصواب كان في الأصل « كان ابن عباس يقرأ » « وما يعلم تأويله . . . » ، ولكن الناسخ مضى على عجلته ، فكتب مكان « يقرأ » « يقول » ، ثم أسقط الواو من « ويقول الراسخون . . . » . فلذلك أثبت الواو ، وهي الصواب المحض إن شاء الله . ومن أجل ذلك زدت بين القوسين [في العلم] ، لأن هذه قراءة في الآية ، لا تفسير من ابن عباس ، ولم يرو إسقاط [في العلم] من قراءة أحد من القرأة .

٦٦٣٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا ابن دكين قال ، حدثنا عمرو بن عثمان ابن عبد الله بن موهب قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : « والراسخون فى العلم » ، انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا ، « آمنا به كلٌّ من عند ربنا » .

٦٦٣١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا أشهب ، عن مالك فى قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله » ، قال : ثم ابتدأ فقال : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ، وليس يعلمون تأويله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم ، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم فى العلم يقولون : « آمنا به كلٌّ من عند ربنا » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٣٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، ، عن ابن عباس أنه قال : أنا ممن يعلم تأويله .

٦٦٣٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والراسخون فى العلم » يعلمون تأويله ، ويقولون : « آمنا به » .

٦٦٣٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والراسخون فى العلم يعلمون تأويله ، ويقولون : « آمنا به » .

٦٦٣٥ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « والراسخون فى العلم » يعلمون تأويله ويقولون : « آمنا به » .

٦٦٣٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وما يعلم تأويله » الذى أراد ، ما أراد ، [1] « إلاّ الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا » ، فكيف يختلف ، وهو قولٌ واحدٌ

(١) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة وتفسير ابن كثير ٢ : ١٠٠ ، أما سيرة ابن هشام ٢ ، ٢٢٦ ففيها « أى : الذى به أرادوا ما أرادوا » ، وكأن الصواب ما فى التفسير ، وقوله : « ما أراد » استفهام . أما قوله : « الذى أراد » ، أى الذى أراده الله سبحانه . وما فى سيرة ابن هشام صواب أيضاً ، والضمير فى « أرادوا » يعنى به الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فهذا ما أرادوا .

١٢٣/٣ من ربّ واحد ؟[١] ثم ردّوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لاتأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فاتّسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضاً، فنفذَت به الحجة، وظهر به العذر ، وزاحَ به الباطل،[٢] ودُمغ به الكفر .[٣]

* * *

قال أبو جعفر : فمن قال القول الأول فى ذلك ، وقال : إن الراسخين لايعلمون تأويل ذلك ، وإنما أخبر الله عنهم بإيمانهم وتصديقهم بأنه من عند الله ، فإنه يرفع «الراسخين فى العلم» بالابتداء فى قول البصريين، ويجعل خبره: « يقولون آمنا به » . وأما فى قول بعض الكوفيين، فبالعائد من ذكرهم فى « يقولون » . وفى قول بعضهم : بجملة الخبر عنهم ، وهى : « يقولون » .

* * *

ومن قال القول الثانى ،وزعم أنّ الراسخين يعلمون تأويله ، عطف بـ «الراسخين» على اسم « الله » ، فرفعهم بالعطف عليه .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب عندنا فى ذلك أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو : « يقولون » ، لما قد بينا قبل من أنهم لا يعلمون تأويل المتشابه الذى ذكره الله عز وجل فى هذه الآية . وهو فيما بلغنى مع ذلك فى قراءة أبىّ : ﴿ وَيَقُولُ ٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ كما ذكرناه عن ابن عباس أنه كان يقرؤه .[٤] وفى قراءة عبد الله : ﴿ إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ ٱللهِ وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ﴾

* * *

قال أبو جعفر : وأما معنى « التأويل » فى كلام العرب ، فإنه التفسير والمرجع والمصير . وقد أنشد بعضُ الرواة بيتَ الأعشى :

---

(١) من أول قوله : «كل من عند ربنا» إلى قوله : «من رب واحد» زيادة من نص رواية ابن هشام فى السيرة ٢ : ٢٢٦ ، ولا شك أن الناسخ قد أسقطها من عجلته وسهوه .

(٢) زاح الشىء يزيح زيحاً وزيوحاً ، وانزاح هو أيضاً (كلاهما لازم) : ذهب وتباعد وزال .

(٣) الأثر ٦٦٣٦ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٦٢٥ بإسناده عن ابن إسحق ، وهو فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ .

(٤) انظر التعليق السالف على الأثر : ٦٦٢٧ ، ص : ٢٠٢ س : ٧، تعليق : ٢ .

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأَوَّلُ حُبِّهَا تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا[١]

وأصلهُ من: « آل الشيء إلى كذا » — إذا صار إليه ورَجع « يَؤُول أَوْلاً » و« أوّلته أنا » صيرته إليه. وقد قيل إنّ قوله: ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء ٥٩/ سورة الإسراء: ٣٥] أي جزاءً. وذلك أن «الجزاء» هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه.

ويعني بقوله: « تأوّلُ حُبها »: تفسير حبها ومرجعه.[١] وإنما يريد بذلك أنّ حبها كان صغيراً في قلبه، فآلَ من الصّغر إلى العظم، فلم يزل ينبت حتى أصحَب، فصار قديماً، كالسَّقب الصغير الذي لم يزل يَشبّ حتى أصحَبَ فصار كبيراً مثل أمه.[٢]

---

(١) ديوانه : ٨٨ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٨٦ الصاحبي : ١٦٤ ، اللسان (صحب) (ربع) (أول) (ولى) ، ثم ما سيأتي بعد قليل من ذكر رواية أخرى ، لم أجدها في غيره بعد.

أما الرواية الأخرى التي جاءت في اللسان (ربع) ،(ولى) فهي :

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ نَوًى أَجْنَبِيَّةً تَوَالِيَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا

الربعي : الذي ولد في أول النتاج . والسقاب جمع سقب (بفتح فسكون) : وولد الناقة ساعة تضعها يقال له « سليل » قبل أن يعرف أذكر هو أم أنثى ، فإذا علم أنه ذكر فهو « سقب » . وأصحب : ذل وانقاد وأطاع . وهذا البيت بهذه الرواية التي ذكرتها هنا ، قد فسرها الأزهري وقال : « هكذا سمعت العرب تنشده . وفسروا «توالى ربعي السقاب» أنه من الموالاة : وهو تمييز شيء من شيء . يقال : « والينا الفصلان عن أمهاتها فتوالت » ، أي فصلناها عنها عند تمام الحول ، وتشتد عليها الموالاة ، ويكثر حنينها في إثر أمهاتها ، ويتخذ لها خندق تحبس فيه وتسرح الأمهات في وجه من مراتعها . فإذا تباعدت عن أولادها سرحت الأولاد في جهة غير جهة الأمهات ، فترعى وحدها ، فتستمر على ذلك وتصحب بعد أيام . أخبر الأعشى أن نوى صاحبته اشتدت عليه ، فحن إليها حنين ربعي السقاب إذا ولى (فصل) عن أمه . وأخبر أن هذا الفصيل يستمر على الموالاة ، وأنه يصحب إصحاب السقب . قال الأزهري : وإنما فسرت هذا البيت ، لأن الرواة لما أشكل عليهم معناه ، تخبطوا في استخراجه وخلطوا ، ولم يعرفوا منه ما يعرفه من شاهد القوم في باديتهم » .

أما الرواية الأولى ، فقد شرحها أبو جعفر فيما يلي . وأما روايته الثانية ، وهي قوله : « توابع حبها » ، فإني لم أدر ما معناها ، وأخشى أن يكون صوابها : « نزائع حبها » . والنزائع جمع نزيعة ، يقال : ناقة نازع من نوق نوازع . وناقة نزيعة : وهي التي تحن إلى وطنها . نزع البعير إلى وطنه : حن واشتاق .

(٢) في المخطوطة : « وتفسير حبها . . . » بزيادة الواو ، وهو خطأ . وهذا نص أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٨٧ ، على خطأ فيه ، إذ ظن الناشر أن قوله : « تفسيره » ، بمعنى الشرح والبيان لهذه الكلمة فوضع بعد نقطتان هكذا : « تفسيره : ومرجعه » وعندئذ فلا معنى للواو في « ومرجعه » ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٨٧ .

وقد يُنشد هذا البيت :

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَوَابِعُ حُبِّهَا تَوَالِيَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بـ«الراسخين فى العلم» ، العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووَعَوْه فحفظوه حفظاً ، لا يدخلهم فى معرفتهم وعلمهم بما علموه شَكٌّ ولا لبس .

* * *

وأصل ذلك من : «رسوخ الشيء فى الشيء» ، وهو ثبوته وولوجه فيه . يقال منه : « رسخ الإيمان فى قلب فلان ، فهو يَرْسَخُ رَسْخاً ورُسُوخاً ». [2]

* * *

وقد روى فى نعتهم خبرٌ عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو ما : —

٦٦٣٧ — حدثنا موسى بن سهل الرملى قال ، حدثنا محمد بن عبد الله قال ، حدثنا فياض بن محمد الرقى قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد بن آدم ، عن أبى الدرداء وأبى أمامة قالا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن الراسخ فى العلم ؟ قال : من بَرَّت يمينهُ ، وصَدَقَ لسانه ، واستقام به قلبه ، وعفَّ بطنه ، فذلك الراسخُ فى العلم . [3]

---

(١) انظر ص ٢٠٤ ، تعليق : ٤

(٢) قوله : « رسخاً » ، هذا مصدر لم تذكره كتب اللغة .

(٣) الحديث : ٦٦٣٧ — فياض بن محمد الرقى : ترجمه البخارى ١٣٥/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٨٧/٢/٣ ، فلم يذكرا فيه جرحاً .

عبد الله بن يزيد بن آدم : ترجمه ابن أبى حاتم ١٩٧/٢/٢ ، قال : « روى عن أبى الدرداء ، وأبى أمامة ، وواثلة بن الأسقع : أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل : كيف تبعث الأنبياء ؟ روى عنه فياض بن محمد الرقى . . . سألت أبى عنه ؟ فقال : لا أعرفه . وهذا حديث باطل » .

وترجمه الذهبى فى الميزان ، والحافظ فى اللسان . وذكرا عن أحمد ، قال : « أحاديثه موضوعة » . وليس فى ترجمته كلمة طيبة عنه . وكفى أن يرميه أحمد بالوضع .

* * *

٦٦٣٨ — حدثني المثنى وأحمد بن الحسن الترمذي قال ، حدثنا نعيم بن حماد قال ، حدثنا فياض الرقي قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد الأودي = قال : وكان أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم = قال ، حدثنا أنس بن مالك وأبو أمامة وأبو الدرداء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الراسخين في العلم فقال : من برَّت يمينه ، وصدق لسانه ، واستقام به قلبه ، وعفّ بطنه وفرجه ، فذلك الراسخ في العلم .[1]

* * *

وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنما سمى الله عز وجل هؤلاء القوم « الراسخين

---

(١) الحديث : ٦٦٣٨ — هو الحديث الماضي بزيادة قليلة ، وزيادة « أنس بن مالك » .

ولكن في هذا الإسناد « عبد الله بن يزيد الأودي » . والراجح أن هذا خطأ من أحد الرواة ، أو من الناسخين ، وأن صوابه كالإسناد السابق « عبد الله بن يزيد بن آدم » . وأما « عبد الله بن يزيد الأودي » ، فهو غير هذا يقيناً . وقد مضى في : ٥٤٦١ . وترجمته عند ابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ٢٠٠ : أنه « روى عن سالم بن عبد الله ، عن حفصة ، في الصلاة الوسطى . روى عنه أبو بشر جعفر بن أبي وحشية » . والمباينة بينهما في الطبقة واضحة . ثم الأودي ثقة ، والراوي هنا كذاب .

والحديث رواه أيضاً ابن أبي حاتم ، عن محمد بن عوف الحمصي ، عن نعيم بن حماد ، عن فياض الرقي « حدثنا عبد الله بن يزيد » ، بهذا الإسناد . ولم يذكر أنه « الأودي » . ووقع في ابن كثير « عبيد الله » ، بدل « عبد الله » ، وهو خطأ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٤ « عن عبد الله بن يزيد بن آدم ، قال : حدثني أبو الدرداء ، وأبو أمامة ، وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك . . . » . وقال : « رواه الطبراني ، وعبد الله ابن يزيد : ضعيف » . فزاد في رواية الطبراني صحابياً رابعاً ، هو واثلة بن الأسقع .

وذكره السيوطي ٢ : ٧ ، عن هؤلاء الصحابة الأربعة ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والطبراني . وهو تساهل منه ، فليس في رواية الطبري ولا ابن أبي حاتم « واثلة بن الأسقع » ، بل هو في رواية الطبراني فقط .

ثم ذكر السيوطي نحو معناه من رواية ابن عساكر : « من طريق عبد الله بن يزيد الأودي ، سمعت أنس بن مالك يقول . . . » .

فهذا يرجح أن زيادة « الأودي » — خطأ من أحد الرواة ، لا من الناسخين .

فى العلم » ، بقولهم : « آمنا به كل من عند ربنا » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » ،[1] قال : « الراسخون » الذين يقولون : « آمنا به كل من عند ربنا » .

٦٦٤٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والراسخون فى العلم » ، هم المؤمنون ، فإنهم يقولون : « آمنّا به » ، بناسخه ومنسوخه = « كلٌّ من عند ربنا » .

١٢٤/٣

٦٦٤١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس قال ، عبد الله بن سلام : « الراسخون فى العلم » ، وعلمهم قولهم = قال ابن جريج : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » ، وهم الذين يقولون = : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ ويقولون : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الآيةَ .

* * *

وأما تأويل قوله : « يقولون آمنا به » ، فإنه يعنى أنّ الراسخين فى العلم يقولون : صدقنا بما تشابه من آى الكتاب ، وأنه حقّ وإن لم نعلم تأويله ، وقد : —

٦٦٤٢ — حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » ، قال : المحكم والمتشابه .

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « الراسخون فى العلم . . . » ، بغير واو ، وأثبت نص الآية .

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « كل من عند ربنا » ، كلّ المحكم من الكتاب والمتشابه منه = « من عند ربنا » ، وهو تنزيله ووحيه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، كما :—

٦٦٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « كل من عند ربنا » ، قال : يعنى ما نُسخ منه وما لم يُنسخ .

٦٦٤٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون فى العلم » ، قالوا : « كلّ من عند ربنا » ، آمنوا بمتشابهه ، وعملوا بمحكمه .

٦٦٤٥ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « كل من عند ربنا » ، يقولون : المحكم والمتشابه من عند ربنا .

٦٦٤٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ، نؤمن بالمحكم وندين به ، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به ، وهو من عند الله كله . (١)

٦٦٤٧ — حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « والراسخون فى العلم » يعملون به ، يقولون : نعمل بالمحكم ونؤمن به ، ونؤمن بالمتشابه ولا نعمل به ، وكل من عند ربنا .

* * *

(١) فى المطبوعة : « يؤمن . . . ويدين » جميعاً بالياء ، والسياق يقتضى أن تكون بالنون .

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية فى حكم « كلّ » إذا أضمر فيها .

فقال بعض نحويى البصريين : إنما جاز حذفُ المراد الذى كان معها الذى « الكل » إليه مضاف فى هذا الموضع ،[1] لأنها اسمٌ ، كما قال : ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ [سورة غافر: ٤٨]، بمعنى : إنا كلنا فيها . قال : ولا يكون « كل » مضمراً فيها وهى صفة ، لا يقال : « مررت بالقوم كل » وإنما يكون فيها مضمرٌ إذا جعلتها اسماً . لو كان : « إنا كُلاًّ فيها » على الصفة لم يجز ، لأن الإضمار فيها ضعيفٌ لا يتمكن فى كلّ مكان .

* * *

وكان بعض نحويى الكوفيين يرى الإضمار فيها وهى صفةٌ أو اسم ، سواءٌ . لأنه غير جائز أن يُحذف ما بعدها عنده إلاّ وهى كافية بنفسها عما كانت تضاف إليه من المضمر . وغير جائز أن تكون كافية منه فى حال ، ولا تكون كافية فى أخرى . وقال : سبيل « الكل » و« البعض » فى الدلالة على ما بعدهما بأنفسهما وكفايتهما منه بمعنى واحد فى كل حال ، صفةً كانت أو اسماً .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الثانى أولى بالقياس ، لأنها إذا كانت كافية بنفسها مما حذف منها فى حالٍ لدلالتها عليها ، فالحكم فيها أنها كلما وجدت دالة على ما بعدها فهى كافية منه .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « إذا جاز حذف المراد » ، وعلق الطابعون السابقون أنها زائدة من قلم الناسخ !! وسبب ذلك سوء كتابة الناسخ ، فلم يحسنوا قراءته .

(٢) انظر ما سلف عن « كل » ٣ : ١٩٥ / ثم ٥ : ٥٠٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وما يتذكر ويتّعظ وينزجر عن أن يقول فى متشابه آى كتاب الله مالا علم له به ، إلاّ أولو العقول والنهى ،[1] وقد :—

٦٦٤٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : «وما يذكر إلاّ أولو الألباب» ، يقول : وما يذكر فى مثل هذا = يعنى : فى ردّ تأويل المتشابه إلى ما قد عرف من تأويل المحكم ، حتى يتّسقا على معنى واحد = «إلاّ أولو الألباب» .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنّ الراسخين فى العلم يقولون : آمنا بما تشابه من آى كتاب الله ، وأنه والمحكم من آيه من تنزيل ربنا ووحيه . ويقولون أيضاً : «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا» ، يعنى أنهم يقولون = رغبةً منهم إلى ربهم فى أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه آى القرآن ، ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويله الذى لا يعلمه غيرُ الله= : يا ربنا ، لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك =«لا تزغ قلوبنا» ، ١٢٥/٣

(١) انظر ما سلف فى تفسير «يذكر» ٥ : ٥٨٠/٦ = ٥ : وفى تفسير «الألباب» ٣ : ٦٨ / ثم ٤ : ١٦٢ / ثم ٥ : ٨٠ .

(٢) الأثر : ٦٦٤٨ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٦٣٦ بإسناده عن ابن إسحق.

لا تَمِلها فتصرفها عن هُداك بعد إذ هديتنا له ، فوفقتنا للإيمان بمحكم كتابك ومتشابهه = « وهب لنا » ياربنا = « من لدنك رحمة » ، يعني : من عندك رحمة ، يعني بذلك : هب لنا من عندك توفيقاً وثباتاً للذى نحن عليه من الإقرار بمحكم كتابك ومتشابهه = « إنك أنتَ الوهاب » ، يعنى : إنك أنت المعطى عبادك التوفيقَ والسدادَ للثبات على دينك ، وتصديق كتابك ورسلك ، كما : —

٦٦٤٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » ، أى : لا تَمِل قلوبنا وإن مِلنا بأحداثنا[1] = « وهب لنا من لدنك رحمة » .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وفى مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به = من رغبتهم إليه فى أن لا يزيغ قلوبهم ، وأن يعطيهم رحمةً منه معونة لهم للثبات على ما هُم عليه من حسن البصيرة بالحق الذى هم عليه مقيمون = ما أبان عن خطأ قول الجهَلة من القدَرية :[3] أن إزاغة الله قلب من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته وإمالته له عنها ، جَوْرٌ . لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان الذين قالوا : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعدَ إذ هدَيتنا » ، بالذم أولى منهم بالمدح . لأن القول لو كان كما قالوا ، لكان القوم إنما سألوا ربَّهم = بمسألتهم إياه أن لا يزيغ قلوبهم[4] = أن لا يظلمهم ولا يجورَ عليهم . وذلك من السائل جهلٌ ، لأن الله جل ثناؤه لا يظلم عبادَه ولا يجور عليهم . وقد أعلم عبادَه ذلك ونَفاه عن نفسه بقوله : { وَمَا رَبُّكَ

---

(١) فى المطبوعة : « بأجسادنا » ، وهو لا معنى له ، وهو تحريف الرواية عن ابن إسحق . وصوابها من المخطوطة وابن هشام ٢ : ٢٢٦ . والأحداث جمع حدث : وهو الفعل . يسألون الله أن يثبت قلوبهم بالإيمان ، وإن مالت أفعالهم إلى بعض المعصية .

(٢) الأثر : ٦٦٤٩ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٦٤٨ .

(٣) القدرية : هم نفاة القدر والصفات ، ويعنى المعتزلة .

(٤) فى المطبوعة : « مسألتهم » بحذف الباء ، والصواب من المخطوطة .

بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] . ولا وجه لمسألته أن يكون بالصفة التي قد أخبرهم أنه بها . وفي فساد ما قالوا من ذلك ، الدليلُ الواضح على أن عدلاً من الله عز وجل : إزاغةُ من أزاغَ قلبه من عباده عن طاعته ، فلذلك استحقّ المدحَ مَنْ رغب إليه في أن لا يزيغه ، لتوجيهه الرغبة إلى أهلها ، ووضعه مسألته موضعها ، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برغبته إلى ربه في ذلك ، مع محله منه وكرامته عليه .

٦٦٥٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك ! ثم قرأ : « ربنا لا تُزِغْ قُلوبنا بعدَ إذ هديتنا » ، إلى آخر الآية .[1]

٦٦٥١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .[2]

---

(١) الحديث : ٦٦٥٠ — هذا إسناد صحيح .

عبد الحميد بن بهرام : ثقة ، مضت ترجمته في : ١٦٠٥ . وشهر بن حوشب : ثقة أيضاً ، كما قلنا في : ١٤٨٩ .

وهذا الحديث مختصر . وسيأتي مطولا في : ٦٦٥٢ ، ونخرجه هناك ، إن شاء الله . ويأتي بأطول من هذا ومختصراً عن ذاك ، في : ٦٦٥٨ .

(٢) الحديث : ٦٦٥١ — وهذا إسناد صحيح أيضاً . ولكنه هنا من رواية شهر عن أسماء ، وهي بنت يزيد بن السكن الأنصارية . والذي قبله من رواية شهر عن أم سلمة أم المؤمنين .

ولم أجده من حديث أسماء إلا في هذه الرواية عند الطبري ، وإلا رواية ذكرها ابن كثير ، عن ابن مردويه .

قال ابن كثير ٢ : ١٠٢ بعد ذكر رواية أم سلمة الماضية : « ورواه ابن مردويه ، من طريق محمد بن بكار ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، عن أسماء بنت يزيد ابن السكن ، سمعتها تحدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعائه . . . » — فذكر نحو الرواية التالية لهذا الحديث .

ثم قال ابن كثير : « وهكذا رواه ابن جرير ، من حديث أسد بن موسى ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به ، مثله » .

٦٦٥٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام الفزارى قال ، حدثنا شهر بن حوشب قال : سمعت أم سلمة تحدّث : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن يقول : اللهم مُقلِّبَ القلوب ثبِّت قلبى على دينك ! قالت : قلتُ : يا رسول الله ، وإن القلب ليقلَّب؟ قال : نعم ، ما خلق الله من بنى آدم من بشر إلاّ وقلبه بين إصبعين من أصابعه ، فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهبَ لنا من لدنه رحمةً إنه هو الوهاب . قالت : قلتُ : يا رسول الله ، ألا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسى ؟ قال : بلى ؛ قولى : اللهم ربَّ النبى محمد ، اغفرلى ذنبى ، وأذهب غيظَ قلبى ، وأجرنى من مُضِلاَّت الفتن . (١)

ثم قال : « ورواه أيضاً عن المثنى ، عن الحجاج بن منهال ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به ، مثله » .

ومن البين الواضح أن قوله فى رواية ابن مردويه « عن أم سلمة ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن » — خطأ لاشك فيه . والظاهر أنه خطأ من الناسخين ، فى زيادة حرف « عن » . وأن صوابه « عن أم سلمة أسماء . . . . » .

و « أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية » : صحابية معروفة ، وهى بنت عم معاذ بن جبل ، وكنيتها « أم سلمة » . وشهر بن حوشب معروف بالرواية عنها ، بل قال ابن السكن : « هو أروى الناس عنها » ، وكان من مواليها .

ولم نسمع قط أن « أم سلمة أم المؤمنين » روت عن أسماء هذه ، ولا روت عن غيرها من الصحابة .

وأما إشارة ابن كثير إلى روايتى الطبرى من حديث « أسد بن موسى » و « الحجاج بن منهال » — عن عبد الحميد بن بهرام — وهما الروايتان الآتيتان : ٦٦٥٢ ، ٦٦٥٨ — : فهى مشكلة ، إذ توهم أنها مثل رواية ابن مردويه : « عن أم سلمة أسماء بنت يزيد » .

ولعل ابن كثير ذهب إلى هذا ، ظناً منه أن هذه الروايات التى فى الطبرى : ٦٦٥٠ ، ٦٦٥٢ ، ٦٦٥٨ ، التى فيها « عن أم سلمة » مراد بها « أم سلمة أسماء بنت يزيد » .

فإن يكن هذا ظنه يكن أخطأ الظن . فإن « أم سلمة » فى هذه الروايات الثلاث — هى أم المؤمنين يقيناً ، كما سيأتى فى تخريج الحديث التالى لهذا : ٦٦٥٢ .

(١) الحديث : ٦٦٥٢ — هذه هى الرواية المطولة ، التى أشرنا إليها فى : ٦٦٥٠ ، وسيأتى مختصراً قليلا : ٦٦٥٨ ، كما قلنا من قبل .

والحديث رواه أحمد مختصراً — فى مسند أم سلمة أم المؤمنين — ٦ : ٢٩٤ (حلبى) ، عن وكيع ،

٦٦٥٣ — حدثني محمد بن منصور الطوسي قال ، حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول : يا مقلِّبَ القلوب ثبِّت قلبي على دينك. فقال له بعض أهله : يُخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به ؟! قال : إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن تبارك وتعالى ، يقول بهما هكذا = وحرّك أبو أحمد إصبعيه = قال أبو جعفر : وإن الطوسي وَسَق بين إصبعيه .[1]

عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » . وهذا نحو الرواية الماضية : ٦٦٥٠ ، إلا أن أبا كريب زاد فيه قراءة الآية .

ورواه أحمد أيضاً — في مسندها — ٦ : ٣٠١ — ٣٠٢ ، عن هاشم — وهو ابن القاسم أبو النضر — عن عبد الحميد بن بهرام ، بهذا الإسناد ، نحوه . إلا أنه قال في آخره : « وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتنا » .

ثم رواه مختصراً ، بدون ذكر الآية ، ولا قوله « فنسأل الله ربنا » — إلخ ، ٦ : ٣١٥ (حلبي) ، عن معاذ بن معاذ ، قال : « حدثنا أبو كعب صاحب الحرير ، قال : حدثني شهر بن حوشب ، قال : قلت لأم سلمة : يا أم المؤمنين ، ما كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندك ؟ ..» . ثم قال عبد الله بن أحمد — عقبه — : سألت أبي عن أبي كعب ؟ فقال : ثقة ، واسمه عبد ربه بن عبيد» .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٢٦٦ ، عن أبي موسى الأنصاري ، عن معاذ بن معاذ ، به . وقال : « هذا حديث حسن » .

وأبو كعب صاحب الحرير ، عبد ربه بن عبيد الأزدي الجرموزي : وثقه أيضاً يحيى بن سعيد ، وابن معين وغيرهما . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٤١— ٤٢ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ثلاث مرات ، ٦ : ٣٢٥ ، ٧ : ٢١٠ ، ١٠ : ١٧٦ ، عن رواية المسند ، وأشار إلى أن الترمذي روى بعضه ، وأعله في موضعين بشهر بن حوشب ، « وهو ضعيف وقد وثق » . وقال في الأخير : « إسناده حسن » .

وذكره السيوطي ٢ : ٨ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة . دون فصل بين الروايات .

ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ، في كتاب التوحيد ، ص : ٥٥ ، من رواية ابن وهب ، عن إبراهيم بن نشيط الوعلاني ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، بنحوه . وهذا إسناده صحيح أيضاً .

ورواه أبو بكر الآجري ، في كتاب الشريعة ، ص : ٣١٦ ، من وجهين آخرين ، عن أم سلمة .

ووقع في المطبوعة : « ما خلق الله من بشر ، من بني آدم » ، بالتقديم والتأخير . وأثبتنا ما في المخطوطة ، وهو الموافق لسائر الروايات التي فيها هذه الكلمة .

(١) الحديث : ٦٦٥٣ — محمد بن منصور بن داود ، الطوسي العابد ، شيخ الطبري : ثقة ، أثنى عليه أحمد ، ووثقه النسائي وغيره .

١٢٦/٣ ٦٦٥٤ — حدثني سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا أبو معاوية قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول : يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك . قلنا : يا رسول الله ، قد آمنا بك ، وصدّقنا بما جئت به ، فيُخاف علينا ؟! قال : نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، يقلبها تبارك وتعالى .[1]

والحديث رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٨ — ٢٨٩ ، من طريق الأعمش ، بهذا الإسناد . وصححه على شرط مسلم . ولكن أول إسناده ، من الحاكم إلى الأعمش — غير مذكور ، لأن في أصول المستدرك خرماً في هذا الموضع . وأثبت مكانه من تلخيص الذهبي .

وذكره السيوطي ٢ : ٩ : وزاد نسبته للطبراني في السنة .

وأشار إليه الترمذي ٣ : ١٩٩ ، كما سنذكر في الحديث بعده .

وقوله : « يقول بهما » ، هو الصواب الثابت في المخطوطة . وفي المطبوعة « يقول به » .

قوله : « وسق بين إصبعيه » ، وسق الشيء : جمعه . يريد : ضم إصبعيه .

(١) الحديث : ٦٦٥٤ — رواه أحمد في المسند : ١٢١٣٣ ، (ج ٣ ص : ١١٢ حلبي) ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد .

ثم رواه : ١٣٧٣١ (ج ٣ ص : ٢٥٧ حلبي) ، عن عفان ، عن عبد الواحد ، عن سليمان بن مهران — وهو الأعمش — به .

ورواه الترمذي ٣ : ١٩٩ ، عن هناد ، عن أبي معاوية ، به . ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح وهكذا روى غير واحد عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس . وروى بعضهم عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وحديث أبي سفيان عن أنس — أصح » .

يريد الترمذي تعليل الحديث الذي قبل هذا . وهي علة غير قائمة . وأبو سفيان طلحة بن نافع : تابعي ثقة ، سمع من جابر ومن أنس ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة . وكثيراً ما يسمع التابعي الحديث الواحد من صحابيين .

ورواه الحاكم ١ : ٥٢٦ ، مختصراً ، من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش ، وصححه هو والذهبي .

ورواه ابن ماجة — مطولا — من وجه آخر ، فرواه : ٣٨٣٤ ، من طريق ابن نمير ، عن الأعمش ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس . وقال البوصيري في زوائده : « مدار الحديث على يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف » .

وقد وهم الحافظ الدمياطي — كما ترى — في زعمه أن مداره على يزيد الرقاشي ؛ وها هو ذا من رواية الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس ، كمثل رواية الرقاشي . فلم ينفرد به .

وقد جمع البخاري الوجهين في الأدب المفرد ، ص : ١٠٠ . فرواه مختصراً ، من طريق أبي الأحوص : « عن الأعمش ، عن أبي سفيان ويزيد ، عن أنس » .

وذكره السيوطي ٢ : ٨ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة .

٦٦٥٥ — حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا بشر بن بكر = وحدثني علي بن سهل قال ، حدثنا أيوب بن بشر = جميعاً ، عن ابن جابر قال : سمعت بُسْر بن عبيد الله قال، سمعت أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت النوّاس بن سمعان الكلابي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من قلب إلاّ بين إصبعين من أصابع الرحمن : إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك — والميزان بيَد الرحمن ، يرفع أقواماً ويخفضُ آخرين إلى يوم القيامة .(١)

---

(١) الحديث : ٦٦٥٥ — بشر بن بكر التنيسي : ثقة مأمون . روى عنه الشافعي ، والحميدي، وغيرهما . وأخرج له البخاري .

أيوب بن بشر : لم أجد راوياً بهذا الاسم ، ولا ما يقاربه في الرسم ، إلا رواة باسم « أيوب بن بشير » ليسوا من هذه الطبقة ، ولا يكونون في هذا الإسناد . ومن الرواة عن ابن جابر : « أيوب بن سويد الرملي » . ومن القريب جداً أن يروي عنه بلديه « علي بن سهل الرملي » . ولكن تصحيف « سويد » إلى « بشر » صعب .

ابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، الأزدي الشامي الداراني . وهو ثقة ، أخرج له الجماعة . وقال ابن المديني : « يعد في الطبقة الثانية من فقهاء أهل الشام بعد الصحابة » .

بسر بن عبيد الله الحضرمي الشامي : تابعي ثقة . أخرج له الجماعة . وقال أبو مسهر : « هو أحفظ أصحاب أبي إدريس » يعني الخولاني .

و « بسر » : بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة . وأبوه « عبيد الله » : بالتصغير . ووقع في المطبوعة هنا « بشر » . وهو تصحيف . وكذلك وقع في بعض مراجع الحديث التي سنذكر ، ووقع في بعضها اسم أبيه « عبد الله » . وهو خطأ أيضاً . فيصحح هذا وذاك حيث وقع .

أبو إدريس الخولاني : عائذ الله بن عبد الله . مضت ترجمته في : ٤٨٤٠ .

النواس : بفتح النون وتشديد الواو ، وهو صحابي معروف . والحديث رواه أحمد في المسند : ١٧٧٠٧ (ج ٤ ص : ١٨٢ حلبي) ، عن الوليد بن مسلم ، عن ابن جابر ، بهذا الإسناد .

ورواه ابن ماجة : ١٩٩ ، من طريق صدقة بن خالد ، عن ابن جابر ، به . وقال البوصيري في زوائده : « إسناده صحيح » .

ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ، في كتاب التوحيد ، ص : ٥٤ ، وأبو بكر الآجري ، في كتاب الشريعة ، ص : ٣١٧ — ٣١٨ ، كلاهما من طريق الوليد بن مسلم ، عن ابن جابر .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٩ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، ص : ٢٤٨ — عن الحاكم، من طريق محمد بن شعيب بن شابور ، عن ابن جابر . وصححه الحاكم والذهبي على شرط الشيخين .

٦٦٥٦ — حدثني عمر بن عبد الملك الطائي قال ، حدثنا محمد بن عبيدة قال ، حدثنا الجرّاح بن مليح البهراني ، عن الزبيدي، عن جويبر ، عن سمرة بن فاتك الأسْدي — وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الموازين بيد الله ، يرفع أقواماً ويضع أقواماً ، وقلبُ ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إذا شاء أزاغه ، وإذا شاء أقامه .(١)

وهذا الموضع في المستدرك ، مخروم في أصله المطبوع عنه ، فأثبته الناشر عن مختصر الذهبي . ولكن يستفاد إسناد هذا الطريق من رواية البيهقي عن الحاكم .

ورواه الحاكم أيضاً ٤ : ٣٢١ ، عن أبي العباس الأصم ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم — شيخ الطبري في الإسناد الأول هنا ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضاً ١ : ٥٢٥ . عن الأصم ، عن بحر بن نصر ، عن بشر بن بكر ، عن ابن جابر ، به

وقال الحاكم في الموضعين : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم » ! ومن عجب أن يوافقه الذهبي على تصحيحه على شرط الشيخين من رواية ابن شابور . وابن شابور ، وإن كان ثقة ، فإنه لم يخرج له شيء في الصحيحين ؛ ثم يوافقه على تصحيحه على شرط مسلم من رواية بشر بن بكر . وبشر بن بكر خرج له البخاري ، ولم يخرج له مسلم شيئاً ! !

والحديث ذكره السيوطي ٢ : ٩ ، وزاد نسبته للنسائي . فهو يريد السنن الكبرى ، لأنه لم يروه في السنن الصغرى .

(١) الحديث : ٦٦٥٦ — عمر بن عبد الملك بن حكيم الطائي الحمصي — شيخ الطبري : لم أجد له إلا ترجمة موجزة في التهذيب ، فيها : « روى عنه النسائي وقال : صالح » .

محمد بن عبيدة : لا أدري من هو ؟ ولا وجدت له ترجمة ، إلا أن التهذيب ذكره شيخاً لعمر بن عبد الملك الطائي ، وذكره باسم : « محمد بن عبيدة ، المددي ، اليماني » . ولم أجد معنى لنسبة « المددي » هذه ، بدالين . ومن المحتمل أن تكون محرفة عن « المدري » بالراء ، نسبة إلى « مدر » بفتح الميم والدال وآخرها راء ، وهي قرية باليمن ، على عشرين ميلا من صنعاء ، كما في معجم البلدان ٧ : ٤١٦ .

الجراح بن مليح البهراني — بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء — الحمصي : ثقة ، وهو مشهور في أهل الشام . وهو غير « الجراح بن مليح بن عدي » والد « وكيع بن الجراح » .

الزبيدي — بضم الزاي : هو محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي ، أبو الهذيل الحمصي ، قاضيها . وهو ثقة ثبت ، قال ابن سعد ٧/٢/١٦٩ : « كان أعلم أهل الشأم بالفتوى والحديث » . وكان الأوزاعي « يفضل محمد بن الوليد على جميع من سمع من الزهري » .

جويبر : هكذا وقع في الطبري . والراجح الظاهر أنه تحريف من الناسخين ، ولا شأن لجويبر — وهو ابن سعيد الأزدي — في هذا الحديث . وجويبر : ضعيف جداً ، كما بينا في : ٢٨٤ . وإنما الحديث معروف عن « جبير بن نفير » ، كما سيأتي .

٦٦٥٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ،

سمرة بن فاتك الأسدي : هكذا ثبت في الطبري « سمرة » بالميم ، فتكون مضمومة مع فتح السين المهملة . وهو قول في اسمه .

والصحيح الراجح أن اسمه « سبرة » ، بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة .

وهناك صحابي آخر ، اسمه : « سمرة بن فاتك الأسدي » . غير هذا . كذلك فرق البخاري بينهما في التاريخ الكبير : ٢/٢/١٨٨ ، في « سبرة » و : ١٧٨ في « سمرة » . وذكر هذا الحديث في « سبرة » وكذلك فرق بينهما ابن أبي حاتم ٢/١/٢٩٥ ، « سبرة » ، و : ١٥٥ ، « سمرة » .

وقد قيل أيضاً في الصحابي الآخر ، الذي اسمه « سمرة » — « سبرة » . وهو اضطراب من الرواة أو تصحيف . والراجح الذي صححه الحافظ في الإصابة ٣ : ٦٣ — ٦٤ ، ١٣١ — ١٣٢ : أنهما اثنان ، كما قلنا ، وأن راوي هذا الحديث هو « سبرة » .

ولم أستجز تغيير ما في نص الطبري إلى الصحيح الراجح : « سبرة » — لوجود القول الآخر . فلعله وقع له في روايته هكذا .

و « سبرة » : بسكون الباء الموحدة ، كما قلنا . ووقع في ضبطه في ترجمته في الإصابة خطأ شديد ، إذ قال الحافظ : « بفتح أوله وكسر ثانيه » ؛ ولم يقل أحد ذلك في ضبط اسم « سبرة » مطلقاً ، بل هو نفسه ضبط اسم « سبرة » ، في غير هذه الترجمة « بسكون الموحدة » . وضبط اسم هذا الصحابي بالسكون أيضاً ، في المشتبه للذهبي ، ص : ٢٥٥ . ولم يذكر اسم آخر بهذا الرسم بكسر الموحدة . وكذلك صنع الحافظ في تبصير المنتبه . فما وقع في الإصابة إنما هو سهو منه — رحمه الله — وسبق قلم .

و « الأسدي » — في هذه الترجمة : « بفتح الهمزة وسكون السين » . وهو : الأزدي . هكذا يقال بالسين والزاي . صرح بذلك أبو القاسم في طبقات حمص » . قاله الحافظ في الإصابة .

وهذا الحديث رواه البخاري في الكبير ، في ترجمة « سبرة بن فاتك » . قال : « حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا محمد بن حرب ، عن الزبيدي ، عمن حدثه ، عن جبير بن نفير ، عن سبرة بن فاتك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : الموازين بيد الله ، يرفع قوماً ويضع قوماً ، وقلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرب عز وجل ، فإذا شاء أقامه ، وإذا شاء أزاغه » .

فهكذا ثبت براو مبهم بين الزبيدي وجبير بن نفير — عند البخاري .

وقال الحافظ في الإصابة : « وقد وقع لي في غرائب شعبة ، لابن مندة ، من طريق جبير بن نفير ، عن سبرة بن فاتك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الميزان بيد الرحمن ، يرفع أقواماً ويضع آخرين — الحديث . وأخرجه من طريق أخرى ، فقال : سمرة » .

فلم نعرف رواية ابن مندة : أفيها الرجل المبهم عن جبير بن نفير ، أم عرف باسمه فيها ؟ وأنا أظن أن لو كان فيها اسمه مبهماً لبين الحافظ ذلك . ومن المحتمل أن يكون هذا المبهم — هو « عبد الرحمن ابن جبير بن نفير » فإنه يروي عن أبيه ، ويروي عنه الزبيدي .

ومما يرجح — عندي — أن هذا المبهم مذكور باسمه في بعض الروايات : أن الهيثمي ذكر هذا الحديث في مجمع الزوائد ٧ : ٢١١ « عن سمرة بن فاتك الأسدي » ، ثم قال : « رواه الطبراني ، ورجاله ثقات » .

وذكره السيوطي ٢ : ٨ ، ونسبه للبخاري في تاريخه ، وابن جرير ، والطبراني . ولم يزد .

في المطبوعة : « إن شاء . . . وإن شاء » . وأثبت ما في المخطوطة . وهو الموافق لرواية الكبير للبخاري.

عن حيوة بن شريح قال ، أخبرني أبو هانئ الخولاني : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرّحمن كقلب واحد ، يصرّف كيف يشاء . ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ مصرّف القلوب صرّف قلوبنا إلى طاعتك .(١)

٦٦٥٨ — حدثنا الربيع بن سليمان قال ، حدثنا أسد بن موسى قال ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال ، حدثنا شهر بن حوشب قال : سمعت أم سلمة تحدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول : اللهم ثبت قلبي على دينك . قالت : قلت : يا رسول الله ، وإن القلوب لتقلّب؟ قال : نعم ، ما من خلق الله من بني آدم بشرٌ إلاّ إنّ قلبه بين إصبعين من أصابع الله ، إن شاءَ أقامه ، وإن شاء أزاغه ، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدُنه رحمةً إنه هو الوهاب .(٢)

* * *

(١) الحديث : ٦٦٥٧ — أبو هانئ الخولاني — بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو : هو حميد بن هانئ المصري . وهو ثقة معروف .

أبو عبد الرحمن الحبلي — بضم الحاء المهملة والباء الموحدة : هو عبد الله بن يزيد المعافري — بفتح الميم والعين المهملة — المصري . وهو تابعي ثقة . وهو أحد العشرة من التابعين الذين ابتعثهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم . انظر كتاب رياض النفوس لأبي بكر المالكي ، ج ١ ص : ٦٤ — ٦٥ ، وطبقات علماء إفريقية لأبي العرب ، ص : ٢١ .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٦٥٦٩ ، عن أبي عبد الرحمن ، وهو المقرئ ، عن حيوة بن شريح ، بهذا الإسناد .

ورواه مسلم ٢ : ٣٠١ ، عن زهير بن حرب وابن نمير — كلاهما عن أبي عبد الرحمن المقرئ .

ورواه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة ، ص : ٣١٦ ، بإسنادين ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، ص : ٢٤٨ — كلاهما من طريق المقرئ .

وذكره السيوطي ٢ : ٩ ، وزاد نسبته للنسائي .

(٢) الحديث : ٦٦٥٨ — هو مختصر من الحديث : ٦٦٥٢ . وقد وفينا تخريجه ، وأشرنا إلى هذا هناك .

ووقع هنا في المخطوطة والمطبوعة : « من بني آدم بشر » . ولعل الأجود أن يكون « من بشر » ، كالروايات الأخر .

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ ﴿٩﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه أنهم يقولون أيضاً = مع قولهم : آمنا بما تشابه من آى كتاب ربّنا ، كلّ المحكم والمتشابه الذى فيه من عند ربنا = : يا ربنا ، « إنك جامعُ الناس ليوم لا ريب فيه إنّ الله لا يخلف الميعاد » .

وهذا من الكلام الذى استُغنى بذكر ما ذكر منه عما ترك ذكره . وذلك أن معنى الكلام : ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة ، فاغفر لنا يومئذ واعف عنا ، فإنك لا تخلف وَعْدك : أنّ من آمن بك، واتّبع رَسُولك ، وعمل بالذى أمرتَه به فى كتابك، أنك غافره يومئذ .

وإنما هذا من القوم مسألة ربّهم أن يثبّتهم على ما هم عليه من حُسن بَصيرتهم ،[1] بالإيمان بالله ورسوله ، وما جاءهم به من تنزيله ، حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وإيمانهم ، فإنه إذا فعل ذلك بهم ، وجبتْ لهم الجنة ، لأنه قد وعد من فعل ذلك به من عباده أنه يُدخله الجنة .

فالآية ، وإن كانت قد خرجت مخرج الخبر ، فإن تأويلَها من القوم : مسألةٌ ودعاءٌ ورغبة إلى ربهم .

* * *

وأما معنى قوله : « ليوم لا ريب فيه » ، فإنه : لا شك فيه . وقد بينا ذلك بالأدلة على صحته فيما مضى قبل .[2]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « من حسن نصرتهم » ، ولا معنى لها ، وفى المخطوطة : « نصرتهم » . غير منقوطة ، والذى أثبته هو صواب قراءتها .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٢٨ ، ٣٧٨/ثم ٦ : ٧٨ .

ومعنى قوله : « ليوم » ، فى يوم . وذلك يومٌ يجمع الله فيه خلقَه لفصل القضاء بينهم فى موقف العَرْض والحساب .

* * *

« والميعاد » « المفعال » ، من « الوعد » .

* * *

١٢٧/٣ القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إنّ الذين كفروا » ، إن الذين جحدوا الحق الذى قد عرفوه من نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل ومنافقيهم ومنافقى العرب وكفارهم ، الذين فى قلوبهم زَيغٌ فهم يتّبعون من كتاب الله المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله = « لنْ تُغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً » ، يعنى بذلك أنّ أموالهم وأولادهم لن تُنجيهم من عقوبة الله إن أحلّها بهم — عاجلا فى الدنيا على تكذيبهم بالحق بعد تبيُّنهم ، [1] واتباعهم المتشابه طلبَ اللبس — فتدفعها عنهم ، ولا يغنى ذلك عنهم منها شيئاً ، وهم فى الآخرة = « وقودُ النار » ، يعنى بذلك : حَطبُها . [2]

* * *

(١) فى المطبوعة : « بعد تثبيتهم » ، ولا معنى لها . وفى المخطوطة « تسهم » غير منقوطة ، والذى أثبته هو صواب قراءتها .

(٢) انظر تفسير « الوقود » فيما سلف ١ : ٣٨٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً عند حلول عقوبتنا بهم ، كسُنَّة آل فرعون وعادتهم[1] = « والذين من قبلهم » من الأمم الذين كذبوا بآياتنا ، فأخذناهم بذنوبهم ، فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا ، فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً حين جاءهم بأسنا ، [2] كالذين عوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم ربَّهم من قبل آل فرعون : من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « كدأب آل فرعون » .

فقال بعضهم : معناه : كسُنَّتهم .

• ذكر من قال ذلك :

٦٦٥٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا عبد الله ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « كدأب آل فرعون » ، يقول : كسنتهم .

* * *

وقال بعضهم : معناه : كعملهم .

• ذكر من قال ذلك :

٦٦٦٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان =

---

(١) فى المخطوطة : « ودعاتهم » غير منقوطة ، والصواب ما فى المطبوعة ، وإنما هو سبق قلم من الناسخ . وهذا اللفظ هو نص أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٨٧ .

(٢) فى المطبوعة : « فلن تغنى عنهم . . . » ، وهو مخالف للسياق . وفى المخطوطة : « فلن تغن عنهم . . . » وهو سهو من الناسخ ، والصواب ما أثبت .

وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان = جميعاً ، عن جويبر ، عن الضحاك : « كدأب آل فرعون » ، قال : كعمل آل فرعون .

٦٦٦١ — حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « كدأب آل فرعون » ، قال : كعمل آل فرعون .

٦٦٦٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « كدأب آل فرعون » ، قال : كفعلهم ، كتكذيبهم حين كذّبوا الرسل = وقرأ قول الله : ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [سورة غافر : ٣١] ، أن يصيبكم مثل الذى أصابهم عليه من عذاب الله . قال : الدأبُ العمل .

٦٦٦٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة يحيى بن واضح ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد فى قوله : « كدأب آل فرعون » ، قال : كفعل آل فرعون ، كشأن آل فرعون .

٦٦٦٤ — حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « كدأب آل فرعون » ، قال : كصنع آل فرعون .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كتكذيب آل فرعون .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٦٥ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم » ، ذكر الذين كفروا وأفعالَ تكذيبهم ، كمثل تكذيب الذين من قبلهم فى الجحود والتكذيب .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « الدأب » من : « دأبت فى الأمر دأباً » ، إذا أدمنت

العمل والتعب فيه . ثم إن العرب نقلت معناه إلى : الشأن ، والأمر ، والعادة ، كما قال امرؤ القيس بن حجر :

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ (١)
كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

١٢٨/٣ يعني بقوله : « كدأبك » ، كشأنك وأمرك وفعلك . يقال منه : « هذا دأبي ودأبك أبداً » . يعني به : فعلي وفعلك ، وأمري وأمرك ، وشأني وشأنك . يقال منه : « دَأَبْتُ دُؤُوباً ودَأْبًا » . وحكي عن العرب سماعاً : « دأَبْتُ دأَباً » ، مثقلة محركة الهمزة ، كما قيل : « هذا شعَرٌ ، ونهَر » ، (٢) فتحرك ثانيه لأنه حرفٌ من الحروف الستة ، (٣) فألحق « الدأب » إذ كان ثانية من الحروف الستة ، كما قال الشاعر : (٤)

لَهُ نَعَلٌ لاَ تَطَّبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ بَيْنَ الْمَجَالِسِ شُمَّتِ (٥)

* * *

وأما قوله : « واللهُ شديدُ العقاب » ، فإنه يعني به : والله شديد عقابه لمن كفر به وكذّب رسله بعد قيام الحجة عليه .

* * *

(١) ديوانه : ١٢٥ من معلقته المشهورة ، ثم يأتي في التفسير ١٢ : ١٣٦ (بولاق) البيت الثاني . وهو شعر مشهور خبره ، فاطلبه في موضعه .

(٢) في المطبوعة : « بهر » بالباء ، وهي في المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها بالنون .

(٣) « الحروف الستة » ، يعني حروف الحلق .

(٤) هو كثير عزة .

(٥) ديوانه ٢ : ١١٢ ، الحيوان ١ : ٢٦٦ ، والبيان ٣ : ١٠٩ ، ١١٢ واللسان (نعل) . ورواية اللسان « وسط المجالس » ، أما رواية الديوان فبخلاف هذا ولا شاهد فيها ، كما سترى . والشعر مما قاله كثير حين بلغه وفاة عبد العزيز بن مروان بمصر ، فرثاه ، فكان مما قال فيه :

يَؤُوبُ أُولُو الحَاجَاتِ مِنْهُ إِذَا بَدَا إِلَى طَيِّبِ الأَثْوَابِ غَيْرِ مُؤَمَّتِ
كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَبْدُو فَتَنْجَلِي سُجُوفُ الخِبَاءِ عَنْ مَهِيبٍ مُشَمَّتِ

القول في تأويل قوله ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في ذلك .

فقرأه بعضهم : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ بالتاء ، على وجه الخطاب للذين كفروا بأنهم سيغلبون . واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ . قالوا : ففي ذلك دليل على أن قوله : «ستغلبون» ، كذلك ، خطابٌ لهم . وذلك هو قراءة عامة قرأة الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين .

وقد يجوز لمن كانت نيته في هذه الآية : أنّ الموعودين بأن يُغلبوا ، هم الذين أُمِر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول ذلك لهم = أن يقرَأه بالياء والتاء . لأن الخطابَ بالوحي حين نزل ، لغيرهم . فيكون نظير قول القائل في الكلام : « قلت للقوم : إنكم مغلوبون » ، و« قلت لهم : إنهم مغلوبون » . وقد ذكر أن في قراءة عبد الله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال : ٣٨] ، وهي في قراءتنا : ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ﴾ .

* * *

وقرأت ذلك جماعة من قرأة أهل الكوفة : ﴿سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ﴾ ، على معنى : قل لليهود : سيغلب مشركو العرب ويحشرون إلى جهنم . ومن قرأ ذلك

مُقَارِبُ خَطْوٍ لا يُغَيِّرُ نَعْلَهُ رَهِيفَ الشِّرَاكِ ، سَهْلَةَ المُتَيَمَّمِ

إِذَا طُرِحَتْ لَمْ تَطَّبِ الكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ القَوْمِ شُمَّتِ

يقول : لا يلبس من النعال إلا المدبوغ الجلد ، فذهبت رائحة الجلد منها ، لأن النعل إذا كانت من جلد غير مدبوغ ، وظفر بها كلب أقبل عليها بريحها فأكلها . يصفه بأنه من أهل النعمة واليسار والترف . ثم زادها صفة أخرى بأن جعلها قد كسبت من طيب رائحته طيباً ، حتى لو وضعت في مجلس قوم ، تلفتوا يتشممون شذاها من طيبها . وقوله : « يطبي » من : « اطباه » أي : دعاه إليه .

كذلك على هذا التأويل ، لم يجز فى قراءته غير الياء .[1]

* * *

قال أبو جعفر : والذى نختار من القراءة فى ذلك ، قراءةُ من قرأه بالتاء ، بمعنى : قل يا محمد للذين كفروا من يهود بنى إسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آى الكتاب الذى أنزلته إليك ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويله : « ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » .

وإنما اخترنا قراءةَ ذلك كذلك ، على قراءته بالياء ، لدلالة قوله : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ ، على أنهم بقوله : « ستغلبون » ، مخاطبون خطابهم بقوله : « قد كان لكم » ، فكان إلحاق الخطاب بمثله من الخطاب ، أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب .

= وأخرى أنّ :—

٦٦٦٦ — أبا كريب حدثنا قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدْر فقدم المدينة ، جمع يهودَ فى سوق بنى قَينُقاع . فقال : يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً ! فقالوا : يا محمد ، لا تغرّنك نفسك أنك قتلتَ نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ،[2] إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تأت مثلنا ! ![3] فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : « قلْ للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » إلى قوله : « لأولى الأبصار » .

---

(١) انظر هذا كله فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٩١ — ١٩٢

(٢) فى سيرة ابن هشام : « لا يغرنك من نفسك » . والأغمار جمع غمر (بضم فسكون) : وهو الجاهل الغر الذى لم يجرب الأمور ، ولم تحنكه التجارب .

(٣) فى ابن هشام : « لم تلق مثلنا » .

٦٦٦٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا محمد بن إسحق، عن عاصم بن عُمر بن قتادة، قال: لما أصاب الله قريشاً يوم بدر، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ في سوق بني قينقاع حين قدم المدينة = ثم ذكر نحو حديث أبي كريب، عن يونس. (١)

٦٦٦٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال: كان من أمر بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قَينُقاع، ثم قال: يا معشر اليهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النِّقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مُرْسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم! فقالوا: يا محمد، إنك ترى أنا كقومك! (٢) لا يغرَّنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبتَ فيهم فرصة! إنا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنا نحن الناس. (٣)

١٢٩/٣

٦٦٦٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق، عن محمد ابن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: ما نزلت هؤلاء الآيات إلا فيهم: «قُلْ للذين كفروا ستغلبون وتحشرونَ إلى جهنم وبئس المهاد» إلى «لأولي الأبصار». (٤)

٦٦٧٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة في قوله: «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد»، قال فِنْحاص اليهودي في يوم بدر: لا يغرَّنَّ محمداً أنْ غلب قريشاً وقتلهم! إنّ قريشاً لا تُحسنُ القتال! فنزلت هذه الآية: «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد».

* * *

(١) الأثر: ٦٦٦٦، ٦٦٦٧ — في سيرة ابن هشام ٢: ٢٠١.

(٢) في ابن هشام: «أنا قومك» بحذف الكاف، وهي جيدة جداً، ولكن ما في التفسير موافق لما في التاريخ.

(٣) الأثر: ٦٦٦٨ — سيرة ابن هشام ٣: ٥٠ / تاريخ الطبري ٢: ٢٩٧.

(٤) الأثر ٦٦٦٩ — سيرة ابن هشام ٣: ٥١.

قال أبو جعفر : فكل هذه الأخبار تنبئ عن أن المخاطبين بقوله : « ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » ، هم اليهود المقولُ لهم : « قد كان لكم آية فى فئتين » ، الآية — وتدل على أن قراءَة ذلك بالتاء ، أولى من قراءته بالياء .

* * *

ومعنى قوله : « وتحشرون » ، وتجمعون ، فتجلبون إلى جهنم .[1]

* * *

وأما قوله : « وبئس المهاد » ، وبئس الفراش جهنم التى تحشرون إليها .[2] وكان مجاهد يقول كالذى : —

٦٦٧١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وبئس المهاد » ، قال : بئسما مَهدُوا لأنفسهم .

٦٦٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قُلْ ، يا محمد ، للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهرانَيْ بلدك : « قد كان لكم آية » ، يعنى : علامةٌ ودلالةٌ على صدق ما أقول : إنكم ستغلبون ، وعبرة ،[3] كما : —

٦٦٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

---

(١) لم يفسر أبو جعفر « تحشرون » فيما سلف ٤ : ٢٢٨ ، وذلك دليل على ما روى من اختصاره هذا التفسير اختصاراً .

(٢) انظر ما سلف ٤ : ٢٤٦

(٣) انظر تفسير « الآية » فى (أيى) من فهارس اللغة .

« قد كان لكم آية » ، عبرةٌ وتفكر .

٦٦٧٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله = إلا أنه قال : ومُتَفَكَّر .

* * *

= « في فئتين » ، يعني : في فرقتين وحزبين = و « الفئة » الجماعة من الناس .[1]

= « التقتا » للحرب ، وإحدى الفئتين رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معه ممن شهد وقعة بدر ، والأخرى مشركو قريش .

= « فئة تُقاتل في سبيل الله » ، جماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه ،[2] وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه = « وأخرى كافرة » ، وهم مشركو قريش ، كما : —

٦٦٧٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس : « قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله » ، أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر = « وأخرى كافرة » ، فئة قريش الكفار .[3]

٦٦٧٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله .[3]

٦٦٧٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن

---

(١) انظر ما سلف في تفسير « فئة » ٥ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف ٢ : ٤٩٧ / ثم ٣ : ٥٦٣ ، ٥٨٣ / ثم ٤ : ٣١٨ / ثم ٥ : ٢٨٠ .

(٣) الأثران : ٦٦٧٥ ، ٦٦٧٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ٥١ باختلاف في اللفظ ، لاختلاف الرواية عنه .

جريج ، عن عكرمة : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله » ، محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه = « وأخرى كافرة » ، قريش يوم بدر .

٦٦٧٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين » ، قال : فى محمد وأصحابه ، ومشركى قريش يوم بدر .

٦٦٧٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٦٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله » ، قال : ذلك يوم بدر ، التقى المسلمون والكفار . ١٣٠/٣

* * *

قال أبو جعفر : ورفعت : « فئةٌ تقاتل فى سبيل الله » ، وقد قيل قبل ذلك : « فى فئتين » ، بمعنى : إحداهما تقاتل فى سبيل الله — على الابتداء ، كما قال الشاعر : [1]

فَكُنْتُ كَذِى رِجْلَيْنِ رِجْلٌ صَحِيحَةٌ ... وَرِجْلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ [2]

---

(١) هو كثير عزة .

(٢) ديوانه ١ : ٤٦ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٩٢ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨٧ ، وسيبويه ١ : ٢١٥ ، والخزانة ٢ : ٣٧٦ وغيرها كثير ، وسيأتى فى التفسير ٣٠ : ٥٨ (بولاق) ، وهو من قصيدته التائية المشهورة ، وهذا البيت معطوف على أمنية تمناها فى الأبيات السالفة :

فَلَيْتَ قَلُوصِى عِنْدَ عَزَّةَ قُيِّدَتْ ... بِحَبْلٍ ضَعِيفٍ غُرَّ مِنْهَا فَضَلَّتِ

وغُودِرَ فِى الحَىِّ المُقِيمِينَ رَحْلُهَا ... وكَانَ لَهَا بَاغٍ سِوَاىَ فَبَلَّتِ

وَكُنْتُ كَذِى رِجْلَيْنِ : رِجْلٌ صَحِيحَةٌ ... .

قال الأعلم : « تمنى أن تشل إحدى رجليه وهو عندها ، وتضل ناقته فلا يرحل عنها » . وقال آخرون : « تمنى أن تضيع قلوصه فيبقى فى حى عزة ، فيكون ببقائه فى حى عزة كذى رجل صحيحة ، ويكون من عدمه لقلوصه كذى رجل عليلة » . وقال ابن سيدة : « لما خانته عزة العهد فزلت عن عهده ، وثبت هو

وكما قال ابن مفرّغ : (١)

فَكُنْتُ كَذِى رِجْلَيْنِ : رِجْلٍ صَحِيحَةٍ وَرِجْلٍ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الحَدَثَانِ (٢)
فَأَمَّا الَّتِى صَحَّتْ فَأَزْدُ شَنُوءَةٍ ، وَأَمَّا الَّتِى شَلَّتْ فَأَزْدُ عُمَانِ

وكذلك تفعل العرب فى كل مكرر على نظير له قد تقدمه ، إذا كان مع المكرر خبر : تردُّه على إعراب الأوّل مرة ، وتستأنفه ثانيةً بالرفع ، وتنصبه فى التامّ من الفعل والناقص . وقد جُرّ ذلك كله ، فخفض على الردّ على أوّل الكلام ، كأنه يعنى إذا خفض ذلك : فكنت كذلك رجلين : كذى رجل صحيحة ورجل سقيمة . وكذلك الخفض فى قوله : « فئة »، جائز على الردّ على قوله : « فى فئتين التقتا » ، فى فئة تقاتل فى سبيل الله .

وهذا وإن كان جائزاً فى العربية ، فلا أستجيز القراءة به ، لإجماع الحجة من القرأة على خلافه . ولو كان قوله : « فئة » ، جاء نصباً ، كان جائزاً أيضاً على قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا » ، مُختلفتين . (٣)

* * *

على عهدها ، صار كذى رجلين : رجل صحيحة : هو ثباته على عهدها ، وأخرى مريضة : وهو زللها عن عهده ». وقال آخرون : « معنى البيت : أنه بين خوف ورجاء ، وقرب وتناء » ، ولى فى معنى الأبيات رأى ليس هذا موضع بيانه .

(١) لم أعرف نسبة هذا الشعر إلى ابن مفرغ ، وهو بلا شك للنجاشى الحارثى ، من قصيدته فى معاوية وعلى ، وأكثرها فى الوحشيات لأبى تمام ، ووقعة صفين : ٦٠١ — ٦٠٥ .

(٢) الوحشيات رقم : ١٨٣ ، وحماسة ابن الشجرى : ٣٣ ، وخزانة الأدب ٢ : ٣٧٨ . وأزد شنوءة ، وأزد عمان ، كانا من القبائل التى قاتلت يوم صفين ، وكانت أزد شنودة مع أهل الشام ، وأزد عمان فى أهل العراق . ورواية الشعر : « وكنتم كذى رجلين . . . » ، والخطاب لبنى تميم وغطفان فى قوله قبل ذلك :

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ تَمِيمًا ، وَهٰذَا الحَىَّ مِنْ غَطَفَان

بيد أن رواية البيت :

فأَمَّا التى شَلَّتْ فَأَزْدُ شَنُوءةٍ وأَمَّا التى صَحَّتْ فَأَزْدُ عُمَانِ

لأن النجاشى كان مع على ، وكانت أزد عمان معه . أما أزد شنوءة فكانت مع معاوية .

(٣) انظر أكثر هذا وأبسط منه فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٢ — ١٩٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨٧ ، ٨٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأةُ فى قراءة ذلك .

فقرأته قرأة أهل المدينة : ﴿ تَرَوْنَهُمْ ﴾ بالتاء ، بمعنى : قد كان لكم أيها اليهود آيةٌ فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله ، والأخرى كافرةٌ ، ترونَ المشركين مِثْلَى المسلمين رأىَ العين . يريد بذلك عِظَتَهم ، يقول : إن لكم عبرةً ، أيها اليهود ، فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين ، وظفر هؤلاء مع قلة عددهم ، بهؤلاء مع كثرة عددهم .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة والبصرة وبعض المكيين : ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ ﴾ بالياء ، بمعنى : يرى المسلمون الذين يقاتلون فى سبيل الله ، الجماعةَ الكافرةَ مثلى المسلمين فى القدْر . فتأويل الآية على قراءتهم : قد كان لكم ، يا معشر اليهود ، عبرةٌ ومتفكرٌ فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ، يرى هؤلاء المسلمون مع قلة عددهم ، هؤلاء المشركين فى كثرة عددهم .

* * *

فإن قال قائل : وما وجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء ؟ وأىّ الفئتين رأت صاحبتها مثليها ؟ الفئة المسلمةُ هى التى رأت المشركة مثليها ، أم المشركة هى التى رأت المسلمة كذلك ، أم غيرهما رأت إحداهما كذلك ؟

قيل : اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم : الفئةُ التى رأت الأخرى مثلى أنفسها ، الفئةُ المسلمة رأت عدَدَ الفئة المشركة مثلى عدد الفئة المسلمة ، قلّلها الله عز وجل فى أعينها حتى رأتها مثلى عدد أنفسها ،[1] ثم قللها فى حال أخرى فرأتها مثلَ عدَدِ أنفسها .

(١) قوله : « قللها الله عز وجل فى أعينها » ، وذلك أن المشركين كانوا أكثر منهم أمثالا ، فأراهم الله عددهم مثليهم وحسب . وسيأتى بيان ذلك بعد قليل . وانظر التعليق التالى .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٨١ — حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى في خبر ذكره، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود : « قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين »، قال : هذا يوم بدر. قال عبد الله بن مسعود : قد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يُضْعِفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٤٤]

* * *

فمعنى الآية على هذا التأويل : قد كان لكم، يا معشر اليهود، آيةٌ في فئتين التقتا : إحداهما مسلمة والأخرى كافرة، كثيرٌ عدد الكافرة، قليلٌ عدد المسلمة، ترى الفئة القليلُ عددُها الكثيرَ عددُها أمثالاً، أنها إنما تكثر من العدد بمثل واحد، (١) فهم يرونهم مثليهم. فيكون أحدُ المثلين عند ذلك، العددُ الذى هو مثل عدد الفئة التى رأتهم، والمثل الآخر الضّعف الزائد على عددهم. فهذا أحد معني التقليل الذى أخبر الله عز وجل المؤمنين أنه قلّلهم فى أعينهم.

١٣١/٣

والمعنى الآخر منه : التقليل الثانى، على ما قاله ابن مسعود : وهو أنْ أراهم عددَ المشركين مثل عددهم، لا يزيدون عليهم. فذلك التقليل الثانى الذى قال الله جل ثناؤه : ﴿ وإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾.

* * *

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : إن الذين رأوا المشركين مثلىْ أنفسهم، هم

(١) فى المطبوعة : « ... أمثالا لها أنها تكثرها ... »، والصواب من المخطوطة، وكأن الطابع خفى عليه معنى الحصر فى هذا الكلام، فغيره. وانظر التعليق السالف.

المسلمون . غير أن المسلمين رَأوهم على ما كانوا به من عددهم لم يقلّلوا فى أعينهم ، ولكن الله أيدهم بنصره . قالوا : ولذلك قال الله عز وجل لليهود : قد كان لكم فيهم عبرةٌ ، يخوّفهم بذلك أنْ يحل بهم منهم مثل الذى أحَلَّ بأهل بدر على أيديهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٨٢ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة » ، أنزلت فى التخفيف يوم بدر ، فإن المؤمنين كانوا يومئذ ثلثمئة وثلاثة عشر رجلا ، [1] وكان المشركون مثليهم ، فأنزل الله عز وجل : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين » ، وكان المشركون ستةً وعشرين وستمئة ، فأيد الله المؤمنين . فكان هذا الذى فى التخفيف على المؤمنين .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الرواية خلافُ ما تظاهرت به الأخبار عن عدة المشركين يوم بدر . وذلك أن الناس إنما اختلفوا فى عددهم على وجهين .

فقال بعضهم : كان عددهم ألفاً = وقال بعضهم : ما بين التسعمئة إلى الألف .

* ذكر من قال : « كان عددهم ألفاً » .

٦٦٨٣ — حدثنى هرون بن إسحق الهمدانى قال ، حدثنا مصعب بن المقدام قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن حارثة ، عن على قال : سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين ، منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط . فأما القرشىّ فانفلت ، وأما مولى

---

(١) فى المطبوعة : « كأن المؤمنين كانوا . . . » ، وهو فاسد جداً ، لم يحسن الناشر أن يقرأ المخطوطة ، فقرأها على وجه لا يصح .

عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير شديدٌ بأسُهم ! فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، [١] حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : كم القوم؟ فقال : هم والله كثير شديدٌ بأسهم ! فجهد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يخبره كم هم ، فأبى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله : كم يَنحرون من الجزُر ؟ قال : عشرة كل يوم . [٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القومُ ألفٌ . [٣]

٦٦٨٤ — حدثني أبو سعيد بن يوشع البغدادي قال ، حدثنا إسحق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : أسرنا رجلا منهم — يعني من المشركين — يوم بدر ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً . [٤]

* * *

* ذكر من قال : « كان عددهم ما بين التسعمئة إلى الألف » :

٦٦٨٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق ، حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبرَ له عليه ، [٥] فأصابوا راويةً من قريش : [٦] فيها أسلم ، غلام بني الحجاج ، وعَريض أبو يسار غلام بني العاص . فأتوا بهما

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « إذا قال ذلك صدقوه » ، وهو خطأ بين ، والصواب من تاريخ الطبري ، وسيأتي مرجعه في آخر الأثر .

(٢) في التاريخ : « عشراً » ، وهي الأجود . والجزر جمع جزور : وهي الناقة المجزورة أو البعير المجزور ، فهو يقع على الذكر والأنثى .

(٣) الأثر : ٦٦٨٣ — تاريخ الطبري ٢ : ٢٦٩ .

(٤) الأثر : ٦٦٨٤ — « أبو سعيد بن يوشع البغدادي » ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب ، وانظر رقم : ٦٦٩٠ أيضاً .

(٥) في المخطوطة : « يلتمسون له عليه » بينهما بياض ، وأتمتها المطبوعة ، كنص ابن هشام .

(٦) الراوية : هي المزادة فيها الماء ، ثم سمي البعير الذي يستسقي عليه الماء « راوية » ، وسمي الرجل المستسقي أيضاً « راوية » . وجاء في روايته هنا بالإفراد « راوية » ، وهي بمعنى الجمع ، أي الذين يستقون للقوم ، أو الإبل التي يستقى عليها .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما : كم القوم ؟ قالا : كثير ! قال : ما عدّتهم ؟ قالا : لا ندرى ! قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : القومُ ما بين التسعمئة إلى الألف .[1]

٦٦٨٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين » ، ذلكم يوم بدر ، ألفٌ المشركون أو قاربوا ،[2] وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمئة وبضعة عشر رجلا .

٦٦٨٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة » إلى قوله : « رأى العين » ، قال : يُضْعفون عليهم ، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين ، يوم بدر . ١٣٢/٣

٦٦٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين » ، قال : كان ذلك يوم بدر ، وكان المشركون تسعمئة وخمسين ، وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمئة وثلاثة عشر .

٦٦٨٩ — حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمئة وبضعة عشر ، والمشركون ما بين التسعمئة إلى الألف .

* * *

---

(١) الأثر : ٦٦٨٥ — هو مختصر ما فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٢٧٥

(٢) فى المخطوطة : « ألف » ، وعلى اللام الأولى شدة ، وأظنه كان أراد أن يكتب : « لألف » .

قال أبو جعفر : فكل هؤلاء الذين ذكرنا مخالفون القولَ الذى رويناه عن ابن عباس فى عدد المشركين يوم بدر . فإذْ كان ما قاله من حكينا قوله — ممن ذكر أن عددهم كان زائداً على التسعمئة —[صحيحاً] ،[١] فالتأويل الأول الذى قلناه على الرواية التى روينا عن ابن مسعود ، أولى بتأويل الآية .

* * *

وقال آخرون : كان عددُ المشركين زائداً على التسعمئة ، فرأى المسلمون عدَدَهم على غير ما كانوا به من العدد . وقالوا : أرى اللهُ المسلمين عددَ المشركين قليلاً ، آيةً للمسلمين . قالوا : وإنما عنى الله عز وجل بقوله : « يرونَهم مثليهم » ، المخاطبين بقوله : « قد كان لكم آية فى فئتين » . قالوا : وهم اليهود ، غيرَ أنه رجع من المخاطبة إلى الخبر عن الغائب ، لأنه أمرٌ من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك لهم ، فحسن أن يخاطب مرة ، ويخبرَ عنهم على وجه الخبر مرّة أخرى ، كما قال : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[٢]
[سورة يونس : ٢٢]

وقالوا : فإن قال لنا قائل : فكيف قيل : « يَرَوْنَهم مثليهم رأى العين » ، وقد علمتم أن المشركين كانوا يومئذ ثلاثة أمثال المسلمين ؟

قلنا لهم : كما يقول القائل وعنده عبد : « أحتاج إلى مثله » ، فأنت محتاج إليه وإلى مثله ،[٣] ثم يقول : « أحتاج إلى مثليه » ، فيكون ذلك خبراً عن حاجته إلى مثله ، وإلى مثلَيْ ذلك المثل .[٤] وكما يقول الرجل : « معى ألفٌ وأحتاج

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فإذا كان ما قاله من حكيناه ممن ذكر أن عددهم كان زائداً على التسعمئة فالتأويل الأول . . . » ، وهى عبارة غير مستقيمة ، وسهو الناسخ كثير ، فرجحت أن صوابها : « حكينا قوله » فى الموضع الأول ، وزيادة « صحيحاً » فى آخر الجملة كما وضعتها بين القوسين .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٥ .

(٣) فى المطبوعة : « أنا محتاج إليه وإلى مثله » ، وهو إفساد . والصواب من المخطوطة ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٩٤ .

(٤) عبارة الفراء أوضح وهى : « فأنت إلى ثلاثة محتاج » .

إلى مثليه » . فهو محتاج إلى ثلاثة .[١] فلما نوى أن يكون « الألف » داخلاً في معنى « المثل » صار « المثل » اثنين ، والاثنان ثلاثة .[٢] قال : ومثله في الكلام :[٣] «أراكم مثلكم» ، كأنه قال : أراكم ضعفكم =[٤] « وأراكم مثليكم » .يعني : أراكم ضعفيكم . قالوا : فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم .[٥]

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنّ الله أرى الفئةَ الكافرةَ عددَ الفئة المسلمة مثلَيْ عددهم .

وهذا أيضاً خلاف ما دلّ عليه ظاهر التنزيل . لأن الله جل ثناؤه قال في كتابه : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٤٤] ، فأخبر أن كلا من الطائفتين قلل عددها في مرأى الأخرى .

* * *

قال أبو جعفر : وقرأ آخرون ذلك : ﴿ تُرَوْنَهُمْ ﴾ بضم التاء ، بمعنى : يريكموهم الله مثليهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه القراآت بالصواب ، قراءةُ من قرأ : « يرونهم » بالياء ، بمعنى : وأخرى كافرة ، يراهم المسلمون مثليهم — يعني : مثلي عدد

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وهو محتاج » ، والسياق يقتضي الفاء ، كما في معاني القرآن للفراء : « فهو يحتاج » . . . »

(٢) في المطبوعة : « صار المثل أشرف والاثنان ثلاثة » ، وهو تصحيف ، وفي المخطوطة : « اسرب » غير واضحة بل مضطربة ، والصواب من معاني القرآن للفراء .

(٣) قوله : « قال » يعني الفراء ، فالذي مضى والذي يأتي نص كلامه أو شبيه بنص كلامه أحياناً ، وقلما يصرح أبو جعفر باسم الفراء ، كما رأيت في جميع المواضع التي أشرنا إليها مراراً ، أنه نقل عنه نص كلامه .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « كما يقال إن لكم ضعفكم » ، وهو كلام بلا معنى ، واستظهرت صوابه من نص الفراء في معاني القرآن وهو : « ومثله في الكلام أن تقول : أراكم مثلكم — كأنك قلت : أراكم ضعفكم » .

(٥) أكثر هذا بنصه من معاني القرآن للفراء ١ : ١٩٤ .

المسلمين، لتقليل الله إياهم فى أعينهم فى حال ، فكان حَزْرهم إياهم كذلك ، ثم قللهم فى أعينهم عن التقليل الأول ، فحزروهم مثل عدد المسلمين ،(١) ثم تقليلاً ثالثاً ، فحزروهم أقل من عدد المسلمين ، كما :—

٦٦٩٠ — حدثنى أبو سعيد البغدادى قال ، حدثنا إسحق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : لقد قُلِّلوا فى أعيننا يوم بدر ، حتى قلت لرجل إلى جنبى : تَرَاهم سبعين ؟ قال : أراهم مئة . قال : فأسرنا رجلا منهم فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً .

* * *

وقد روى عن قتادة أنه كان يقول : لو كانت : « ترونهم » ، لكانت « مثليكم » .

٦٦٩١ — حدثنى المثنى قال، حدثنى عبد الرحمن بن أبى حماد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بذلك .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : ففى الخبرين اللذين روينا عن عبد الله بن مسعود ، ما أبان عن اختلاف حَزْر المسلمين يومئذ عددَ المشركين فى الأوقات المختلفة . فأخبر الله عز وجل —عما كان من اختلاف أحوال عددهم عند المسلمين— اليهودَ ، على

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « مثل عدد المسلمين » هنا أيضاً ، وهو خطأ ظاهر ، والسياق الماضى والآتى يدل على خلافه ، وهو كما أثبت .

(٢) الأثر : ٦٦٩١ — « عبد الرحمن بن أبى حماد » لم أعرف من هو على التحقيق . وقد مر « عبد الرحمن بن أبى حماد الكوفى القارئ » فى رقم : ٣١٠٩ ، ٤٠٧٧ ، ولكن لم يرو عنه « المثنى » إلا بالواسطة ، وإسناده : « حدثنى المثنى قال حدثنا إسحق ، عن عبد الرحمن بن أبى حماد » ، ولا أظنه هو هو . وقد جاء فى تاريخ الطبرى ١ : ١٧١ : « حدثنى المثنى قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى حماد . . . » ، فأكبر الظن أنهما رجلان .

أما « ابن المبارك » فهو « عبد الله المبارك » فيما رجحت ، وقد كان فى المطبوعة « عن ابن المعرك » ، ولم أجد من يسمى بهذا الاسم ، وفى المخطوطة : « عن ابن المسرك » كأنها ميم وسين ثم راء ثم كاف أو لام . فلعلها كانت مكتوبة فى الأصل « ابن المبرك » بغير ألف بين الباء والراء ، فقرأها الناسخ هكذا . والله أعلم .

ما كان به عندهم ،[١] مع علم اليهود بمبلغ عدد الفئتين =[٢] إعلاماً منه لهم أنه مؤيد المؤمنين بنصره ، لئلا يغترّوا بعددهم وبأسهم ، وليحذروا منه أن يُحلّ بهم من العقوبة على أيدى المؤمنين ، مثلَ الذى أحلّ بأهل الشرك به من قريش على أيديهم ببدر .[٣] ١٣٣/٣

* * *

وأما قوله : « رأى العين » ، فإنه مصدر : « رَأيتهُ » يقال : « رأيته رأياً ورُؤْية » ، و« رأيت فى المنام رؤيَا حسنةً » ، غير مُجْراة . يقال : « هو منى رَأىَ العين ، ورِئاءَ العين » ،[٤] بالنصب والرفع ، يراد : حيث يقع عليه بصرى ، وهو من « الرأى » مثله . و« القوم رِئاءٌ » ،[٥] إذا جلسوا حيث يرى بعضُهم بعضاً .

* * *

فمعنى ذلك : يرونهم — حيث تلحقهم أبصارُهم وتراهم عيونُهم — مثليْهم .

* * *

---

(١) هكذا جاءت فى المطبوعة ، وهى جملة لا تكاد تستقيم ، وقوله : « اليهود » مفعول به لقوله : « فأخبر الله عز وجل . . . » . وقوله : « على ما كان به عندهم » ، مما لم أعرف له وجهاً أرضاه . أما المخطوطة فهكذا نصها : « فأخبر الله عز وجل عما كان من اختلاف أحوال عددهم عرم المسلمن اليهود على ما كان به عندهم » ، وهو كلام مضطرب أخشى أن يكون قد سقط منه شيء .

(٢) سياق الكلام على ماترى : « فأخبر الله عز وجل . . . اليهود . . . إعلاماً منه لهم » .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « ببدرهم » ، وهو كلام ليس بعربى ، فآثرت حذف الضمير ، وجعلتها « ببدر » ، إلا أن يكون فى الكلام تحريف لم أتبينه . هذا والناسخ كما ترى ، فى كثير من هذه الصفحات قد عجل فزاد وحرف ونقص . غفر الله له .

(٤) فى المطبوعة : « ورأى العين » ، وفى المخطوطة « ورآ ا العين » ، وصواب قراءتها ما أثبت وإنما حمل الناشر الأول أن يقرأها كذلك ، أنه لم يجد نصها فى كتب اللغة ، ولكن قوله بعد : « وهو من الرأى مثله » ، إنما يعنى به هذه الكلمة ، ثم ما سيأتى فى الجملة التالية : « والقوم رئاء » ، مما استدل به على ذلك أيضاً . ولكن الناشر الأول ، لم يحسن قراءة المخطوطة فتصرف فيه ، وأعانه ذلك على التصرف فى رسم الذى قبله ، كما سترى فى التعليق التالى . وانظر أيضاً مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨٨ .

(٥) فى المطبوعة : « والقوم رأوا » ، ولا أدرى كيف أراد أن يقرأها الناشر الأول ، وماذا ظنها ! ! والصواب ما أثبت ، ورسمه فى المخطوطة « والقوم رآء » وتحت الراء كسرة ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وانظر التعليق السالف .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ ⑬

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : [1] «والله يؤيد» ، يقوّى = «بنصره من يشاء» .

* * *

= من قول القائل : «قد أيَّدت فلاناً بكذا» ، إذا قوّيته وأعنته ، «فأنا أؤيّده تأييداً» . و«فَعَلْت» منه : «إدته فأنا أئيده أيداً» ، [2] ومنه قول الله عز وجل : ﴿ واذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الأَيْدِ ﴾ [سورة ص : ١٧]، يعنى : ذا القوة . [3]

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : قد كان لكم = [4] يا معشر اليهود ، فى فئتين التقتا ، إحداهما تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ، يراهم المسلمون مثليهم رأى أعينهم ، فأيدنا المسلمة وهم قليلٌ عددهم ، على الكافرة وهم كثير عدَدُهم حتى ظفروا بهم = [4] معتبر ومتفكر ، والله يقوّى بنصره من يشاء .

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : «يعنى بذلك جل ثناؤه» ، ولكن السياق كما ترى يقتضى ما أثبت .

(٢) لم تذكر كتب اللغة هذا الفعل الثلاثى متعدياً ، بل قالوا : «آد يئيد أيداً ، إذا اشتد وقوى» ؛ فهذه زيادة لم أجدها فى غير هذا التفسير الجليل .

(٣) انظر تفسير «الأيد» و«أيد» فيما سلف ٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠ / ثم ٥ : ٣٧٩

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : «قد كان لكم آية» ، وذكر «آية» هنا سبق قلم من الناسخ لسبق الآية على لسانه ، فإن اسم «كان» سيأتى بعد قليل وهو «معتبر ومتفكر» ، وهو معنى «آية» هنا ، كما سلف فى أول تفسير هذه الآية

وقال جل ثناؤه « إنّ فى ذلك » ، يعنى : إن فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم : من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها ، على الفئة الكافرة مع كثرة عددها = « لعبرة »، يعنى : لمتفكراً ومتَّعظاً لمن عقل وادّكر فأبصر الحق ، كما : —

٦٦٩٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إن فى ذلك لعبرةً لأولى الأبصار » ، يقول : لقد كان لهم فى هؤلاء عبرة وتفكر ، أيَّدهم الله ونصرهم على عدوّهم .

٦٦٩٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : زُيِّن للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عدّ . وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثرُوا الدنيا وحبَّ الرياسة فيها ، على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه .

* * *

وكان الحسن يقول : منْ زَيَّنها ، ما أحدٌ أشدّ لها ذمًّا من خالقها .[1]

٦٦٩٤ — حدثنى بذلك أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا أبو الأشعث عنه .

---

(١) فى القرطبى ٤ : ٢٨ : « من زينها ؟ » استفهام « زينها » فعل . ولم أجد خبر الحسن ، ولكنى أذكر كأنى قرأته قديماً ، وهو يسخر من أمر الدنيا ، ويقول : من حسنها ، أن الذى يذمها ويقبحها هو الذى خلقها ! و « الزين » خلاف الشين ، مصدر « زان الشىء يزينه زيناً » .

٦٦٩٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي بكر ابن حفص بن عمر بن سعد قال، قال عمر: لما نزل: «زُيِّن للناس حب الشهوات» ، قلت : الآن يا رَبِّ حين زيَّنتها لنا! فنزلت: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة آل عمران: ١٥]، الآية .

* * *

وأما «القناطير» فإنها جمع «القنطار» .

واختلف أهل التأويل في مبلغ القنطار .

فقال بعضهم : هو ألف ومئتا أوقية .

• ذكر من قال ذلك :

٦٦٩٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معاذ بن جبل قال : القنطار ألف ومئتا أوقية .

٦٦٩٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا أبو حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معاذ مثله .

٦٦٩٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا — يعني حفص ابن ميسرة — عن أبي مروان ، عن أبي طيبة ، عن ابن عمر قال : القنطار ألف ومئتا أوقية .

٦٦٩٩ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ،حدثنا القاسم بن مالك المزني قال ، أخبرني العلاء بن المسيب ، عن عاصم بن أبي النجود قال : القنطار ألف ومئتا أوقية .

٦٧٠٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مثله .[1]

(١) الأثر : ٦٧٠٠ — ذكره ابن كثير في تفسيره ٢ : ١٠٩ ، ١١٠ ، وأشار إلى رواية

٦٧٠١ — حدثني زكريا بن يحيى الضرير قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا مخلد بن عبد الواحد ، عن على بن زيد ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن زرّ بن حبيش ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القنطار ألف أوقية ومئتا أوقية .(١)

١٣٤/٣

* * *

وقال آخرون : القنطار ألف دينار ومئتا دينار .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٠٢ — حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطارُ ألف ومئتا دينار .

أحمد : « حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القنطار اثنا عشر ألف أوقية ، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض » وذكر رواية ابن ماجة ووكيع ، وصحح أن هذا الأثر موقوف ، كما رواه ابن جرير ووكيع .

(١) الأثر : ٦٧٠١ — « زكريا بن يحيى الضرير » هو : « زكريا بن يحيى بن أيوب ، أبو على الضرير المدائني » ، حدث عن زياد البكائي ، وشبابة بن سوار ، وسليمان بن سفيان الجهني . روى عنه محمد بن على المعروف بمعدان ، ومحمد بن غالب التمتام ، ويحيى بن صاعد ، والقاضي المحاملي. مترجم في تاريخ بغداد ٨ : ٤٥٧ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « زكريا بن يحيى الصديق » ، وهو خطأ ، والصواب من تفسير ابن كثير ٢ : ١١٠ .

و « شبابة » ، هو « شبابة بن سوار الفزارى » . قال أحمد :«تركته لم أكتب عنه للإرجاء ، كان داعية » . وقال زكريا الساجي : « صدوق ، يدعو إلى الإرجاء . كان أحمد يحمل عليه ». وقد وثقه ابن معين وابن سعد على إرجائه . مترجم في التهذيب ، و « مخلد بن عبد الواحد » أبو الهذيل البصرى روى عن على ابن زيد بن جدعان، وروى عنه شبابة . قال ابن حبان :«منكر الحديث جداً ». وقال أبو حاتم :«ضعيف الحديث . مترجم في لسان الميزان ، وابن أبي حاتم ٣٤٨/١/٤ . و « على بن زيد بن جدعان » مضى برقم : ٤٠ . و« عطاء بن أبي ميمونة » روى عن أنس وعمران وجابر بن سمرة ، وغيرهم . وثقه أبو زرعة والنسائي . وقال أبو حاتم : « لا يحتج بحديثه، وكان قدرياً» ، وقال ابن عدى : « في أحاديثه بعض ما ينكر عليه » .

وقد روى ابن كثير هذا الأثر في تفسيره ٢ : ١١٠ وقال : « وهذا حديث منكر أيضاً » . والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب ، كغيره من الصحابة » — يعنى كالأثر السالف الموقوف على أبي هريرة ، وما قبله من معاذ بن جبل وابن عمر .

٦٧٠٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال : القنطار ألف ومئتا دينار .

٦٧٠٤ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : القنطار ألف ومئتا دينار ، ومن الفضة ألف ومئتا مثقال .

٦٧٠٥ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : « القناطير المقنطرة » ، يعني المالَ الكثير من الذهب والفضة ، والقنطار ألف ومئتا دينار ، ومن الفضة ألف ومئتا مثقال .

* * *

وقال آخرون : القنطار اثنا عشر ألف درهم ، أو ألف دينار .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٠٦ — حدثني علي بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : القنطار اثنا عشر ألف درهم ، أو ألف دينار .

٦٧٠٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : القنطار ألف دينار ، ومن الوَرِق اثنا عشر ألف درهم .[1]

٦٧٠٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : أن القنطار اثنا عشر ألفا .

٦٧٠٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا عوف ، عن الحسن : القنطار اثنا عشر ألفا .

---

(١) الورق (بفتح الواو وكسر الراء) : الفضة ، أو الدراهم من الفضة .

٦٧١٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا . . . . قال أخبرنا عوف ، عن الحسن : اثنا عشر ألفا .[١]

٦٧١١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد، عن قتادة ، عن الحسن بمثله .

٦٧١٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن قال : القنطار ألفُ دينار ، ديةُ أحدكم .

* * *

وقال آخرون : هو ثمانون ألفاً من الدراهم ، أو مئة رطل من الذهب .

• ذكر من قال ذلك :

٦٧١٣ — حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سليمان التيمى ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال : القنطار ثمانون ألفاً .

٦٧١٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : القنطار ثمانون ألفاً .

٦٧١٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كنا نُحدَّث أن القنطار مئة رطل من ذهب ، أو ثمانون ألفاً من الوَرِق .

٦٧١٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنامعمر ، عن قتادة قال : القنطار مئة رطل من ذهب ، أو ثمانون ألف درهم من وَرِق .

٦٧١٧ — حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل ، عن أبي صالح قال : القنطار مئة رطل .

٦٧١٨ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) الأثر : ٦٧١٠ — هذا إسناد ناقص بلا ريب ، وقد وضعت مكان الخرم هذه النقط ، وسبب ذلك أن الناسخ انتهى فى آخر الصفحة بقوله : « حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا » وانتقل إلى الصفحة التالية فبدأها : « قال أخبرنا عوف » فهو سهو منه . وإسناد « محمد بن بشار » إلى « عوف عن الحسن » ، مختلف، منه الأسناد رقم : ٢٥٧٠ مثلا : «حدثنا محمد بن بشار ، قال حدثنا يحيى ، عن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن » ، وغيره مما لم أستطع أن أتتبعه الآن

السدى : القنطار يكون مئة رطل ، وهو ثمانية آلاف مثقال .

* * *

وقال آخرون : القنطار سبعون ألفاً .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧١٩ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « القناطير المقنطرة » ، قال : القنطار سبعون ألف دينار .

٦٧٢٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٧٢١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا عمر ابن حوشب قال ، سمعت عطاء الخراساني قال : سئل ابن عمر عن القنطار فقال : سبعون ألفاً .[1]

* * *

وقال آخرون : هي ملء مَسْك ثور ذهباً .[2]

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٢٢ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا سالم بن نوح قال ، حدثنا سعيد الجرَيْري ، عن أبي نضرة قال : ملء مَسك ثور ذهباً .

٦٧٢٣ — حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو الأشعث ، عن أبي نضرة : ملء مَسك ثور ذهباً . ١٣٥/٣

* * *

---

(١) الأثر : ٦٧٢١ — « عمر بن حوشب الصنعاني » ، روى إسماعيل بن أمية . وروى عنه عبد الرزاق ذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن القطان : « لا يعرف حاله » ، مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم ٣/١/١٠٥

(٢) المسك (بفتح الميم وسكون السين) : هو مسلاخ الجلد الذي يكون فيه الثور وغيره .

وقال آخرون : هو المال الكثير .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٢٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : « القناطير المقنطرة » ، المال الكثير ، بعضُه على بعض .

* * *

وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب :[1] أن العرب لا تحدّ القنطار بمقدار معلوم من الوزن ، ولكنها تقول : « هو قَدْرُ وزنٍ » .[2]

قال أبو جعفر : وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك ، لأن ذلك لو كان محدوداً قدرُه عندها ، لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كلّ هذا الاختلاف .

* * *

قال أبو جعفر : فالصواب في ذلك أن يقال : هو المال الكثير ، كما قال الربيع ابن أنس ، ولا يحدُّ قدرُ وزنه بحدٍّ على تعسُّف .[3] وقد قيل ما قيل مما روينا .

* * *

وأما « المقنطرة » ، فهي المضعَّفة ، وكأن « القناطير » ثلاثة ، و « المقنطرة » تسعة .[4] وهو كما قال الربيع بن أنس : المال الكثيرُ بعضه على بعض ، كما : —

٦٧٢٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد ، عن قتادة : « القناطير المقنطرة من الذهب والفضة » ، والمقنطرة المال الكثيرُ بعضه على بعض .

---

(١) يعني أبا عبيدة معمر بن المثنى ، كما أشار إليه بذلك مراراً سلفت ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٨٨

(٢) نص أبي عبيدة « هو قدر وزن ، لا يحدونه » ، بإضافة « قدر » إلى « وزن » ، وهو كذلك في المخطوطة ، ولكن المطبوعة زادت واواً فجعلته « قدر ووزن »

(٣) في المطبوعة : « على تعنف » ، وفي المخطوطة : « على تعسف » غير منقوطة ، وأظن صواب قراءتها ما أثبت .

(٤) هذا من كلام الفراء في معاني القرآن ١ : ١٩٥ بتصرف ، ونصه « والقناطير ثلاثة ، والمقنطرة تسعة ، كذلك سمعت » .

٦٧٢٦ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « القناطير المقنطرة » ، يعنى المال الكثير من الذهب والفضة .

* * *

وقال آخرون : معنى « المقنطرة » : المضروبة دراهم أو دنانير .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٢٧ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى أما قوله : « المقنطرة » ، فيقول : المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم .

* * *

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « وآتيتم إحداهن قنطاراً » — خبرٌ لو صحّ سندُه ، لم نعدُه إلى غيره . وذلك ما : —

٦٧٢٨ — حدثنا به ابن عبد الرحمن البرقى قال ، حدثنى عمرو بن أبى سلمة قال ، حدثنا زهير بن محمد قال ، حدثنى أبان بن أبى عياش وحميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ [سورة النساء : ٢٠] ، قال : ألفا مئين يعنى = ألفين .[1]

* * *

(١) الحديث : ٦٧٢٨ — ابن عبد الرحمن البرقى : هكذا ثبت فى المخطوطة والمطبوعة ، ولم أعرف من هو .

ونقل ابن كثير ٢ : ١١٠ هذا الحديث من تفسير ابن أبى حاتم : أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقى ، أنبأنا عمرو بن أبى سلمة . . . » . فلم أجد أيضاً « أحمد بن عبد الرحمن الرقى » — ولم يترجمه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل . ويبعد جداً أن لا يترجم لشيخه .

ولكن من شيوخ الطبرى : أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى الحافظ . روى عنه فى : ٢٢ باسم « ابن البرقى » . وفى : ١٦٠ ، باسم « أحمد بن عبد الرحيم البرقى » . نسب إلى جده . وفى : ٥٤٤٤ ، باسم « ابن البرقى » . وهو فى الرواية الأخيرة يروى عن عمرو بن أبى سلمة ، كمثل الرواية التى هنا .

فمن المحتمل أن يكون هو الذى هنا ، وأن تكون كتابة « ابن عبد الرحمن » بدلا من « ابن عبد الرحيم » خطأ من الناسخين

ولكن يعكر عليه اتفاق « بن عبد الرحمن » فى رواية ابن أبى حاتم وما ثبت هنا . فإنه يبعد جداً اتفاق الناسخين على خطأ واحد معين ، فى كتابين مختلفين ، لمؤلفين ، ليس أحدهما ناقلا عن الآخر .

فلعل « أحمد بن عبد الرحمن الرقى » أو « البرقى » — شيخ آخر روى عنه الطبرى وابن أبى حاتم لم تقع إلينا ترجمته .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى «المسوَّمة» .

فقال بعضهم : هى الراعية .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٢٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب بن

عمرو بن أبى سلمة : مضت ترجمته فى : ٥٤٤٤ .

زهير بن محمد التميمى الخراسانى المروزى : ثقة ، وثقه أحمد وغيره .

أبان بن أبى عياش ، واسم أبى عياش « فيروز » : تابعى روى عن أنس ، ولكنه ضعيف . قال أحمد : « منكر الحديث » . وقال ابن معين : « ليس حديثه بشىء » . وقال أبوحاتم : « متروك الحديث ، وكان رجلا صالحاً ، ولكن بلى بسوء الحفظ » . وقال البخارى : « كان شعبة سيء الرأى فيه » .

ولكن ضعف أبان لا يؤثر فى صحة هذا الحديث ، لأن زهير بن محمد سمعه منه ، وسمعه أيضاً من « حميد الطويل »، وحميد : ثقة ، كما مضت ترجمته فى : ٣٨٧٧ .

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ١٧٨ ، عن أبى العباس الأصم ، عن أحمد بن عيسى بن زيد اللخمى ، عن عمرو بن أبى سلمة ، عن زهير بن محمد : « حدثنا حميد الطويل ، ورجل آخر ، عن أنس بن مالك ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : (والقناطير المقنطرة)؟ قال : القنطار ألفا أوقية » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى . ووقع فى مختصر الذهبى المطبوع مع المستدرك « ألف أوقية » بالإفراد، وهو خطأ مطبعى ، وثبت على الصواب فى مخطوطة المختصر التى عندى ، موافقاً لما فى أصل المستدرك .

ونقله ابن كثير ٢ : ١١٠ — كما قلنا من قبل — عن رواية ابن أبى حاتم ، عن أحمد بن عبد الرحمن الرقى ، عن عمرو بن أبى سلمة ، عن زهير بن محمد : « أنبأنا حميد الطويل ، ورجل آخر قد سماه ، يعنى يزيد الرقاشى ، عن أنس » . وفيه : « يعنى ألف دينار » .

فالرجل الآخر المبهم فى رواية الحاكم ، يحتمل أن يكون أبان بن أبى عياش ، كما فى رواية الطبرى هذه ، ويحتمل أن يكون يزيد الرقاشى ، كما فى رواية ابن أبى حاتم . ويزيد بن أبان الرقاشى : ضعيف أيضاً ، كما مضى فى شرح : ٦٦٥٤ .

وقد ذكر السيوطى رواية الحاكم ، فى هذا الموضع من تفسير آية آل عمران ٢ : ١٠ . وذكر رواية الطبرى التى هنا ، فى موضعها من تفسير الآية : ٢٠ من سورة النساء ، الدر المنثور ٢ : ١٣٣ .

ولفظ الحديث هنا اضطربت فيه النسخ ، فى المطبوعة : « ألفامئين ، يعنى ألفين » . وذكر مصححها بالهامش أن هذا فى بعض النسخ ، وأن فى بعضها : « ألفاً ومئين » . ورواية السيوطى — نقلا عن الطبرى : « ألفا ومئتين ، يعنى ألفين » .

والراجح عندى أن هذا كله تحريف ، وأن الصحيح اللفظ الذى فى رواية الحاكم .

أبي ثابت، عن سعيد بن جبير: «الخيل المسوّمة»، قال: الراعية، التي ترعى.

٦٧٣٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، مثله.

٦٧٣١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير مثله.

٦٧٣٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير: هي الراعية، يعني: السائمة.

٦٧٣٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن طلحة القناد قال، سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى يقول: الراعية.

٦٧٣٤ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «والخيل المسومة». قال: الراعية.

٦٧٣٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، : «والخيل المسومة» المسرَّحة في الرَّعي.

٦٧٣٦ — حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: «والخيل المسوّمة»، قال: الخيل الراعية.

٦٧٣٧ — حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن ليث، عن مجاهد: أنه كان يقول: الخيل الراعية

* * *

وقال آخرون: «المسوّمة»: الحسان.

* ذكر من قال ذلك:

٦٧٣٨ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن حبيب قال: قال مجاهد: «المسوّمة»، المطهَّمة.

٦٧٣٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد في قوله: «والخيل المسومة»، قال: المطهَّمة الحسان.

١٣٦/٣

٦٧٤٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «والخيل المسوّمة»، قال: المطهمة حسنًا.

٦٧٤١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٦٧٤٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن حبيب، عن مجاهد: المطهمة.

٦٧٤٣ — حدثنا ابن حميد قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ قال، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن بشير بن أبي عمرو الخولاني قال: سألت عكرمة عن «الخيل المسوّمة»، قال: تسويمها، حُسنها.[1]

٦٧٤٤ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن بشير بن أبي عمرو الخولاني قال: سمعت عكرمة يقول: «الخيل المسوّمة»، قال: تسويمها الحُسن.[2]

٦٧٤٥ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «الخيل المسوّمة والأنعام»، الرائعة.

* * *

وقد حدثني بهذا الحديث عن عمرو بن حماد غيرُ موسى، قال: الراعية.

* * *

وقال آخرون: «الخيل المسوّمة»، المعلّمة.

---

(١) الأثر: ٦٧٤٣ — «أبو عبد الرحمن المقرئ» هو: «عبد الله بن يزيد العدوي مولى آل عمر» مترجم في التهذيب. و «بشير بن أبي عمرو الخولاني» مصري، روى عن عكرمة والوليد بن قيس التجيبي، روى عنه سعيد بن أبي أيوب والليث وابن لهيعة. ثقة مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ١/١/٣٧٧. وفي المطبوعة والمخطوطة: «بشر بن أبي عمرو الخولاني» وهو خطأ.

(٢) الأثر: ٦٧٤٤ — في المخطوطة والمطبوعة: «بشر بن أبي عمرو الخولاني» وهو خطأ. انظر التعليق السالف.

• ذكر من قال ذلك :

٦٧٤٦ — حدثني علي بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « والخيل المسوّمة » ، يعني المعلَّمة .

٦٧٤٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والخيل المسوّمة » ، وسيماها ، شِيَتُها . [1]

٦٧٤٨ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « والخيل المسوّمة » ، قال : شِيَة الخَيل في وُجوهها .

* * *

وقال غيرهم : « المسوّمة » ، المعدّة للجهاد .

• ذكر مَن قال ذلك :

٦٧٤٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « والخيل المسومة » ، قال : المعدّة للجهاد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : « والخيل المسوّمة » ، المعلَّمة بالشِّيات ، الحسان ، الرائعة حسناً من رآها . لأن « التسويم » في كلام العرب : هو الإعلام . فالخيل الحسان مُعلَّمةٌ بإعلام الله إياها بالحسن من ألوانها وشِياتها وهيئاتها ، وهي « المطهَّمة » ، أيضاً . ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان في صفة الخيل :

بِضُمْرٍ كَالقِدَاحِ مُسوَّماتٍ ... عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أَشْبَاهُ جِنِّ [2]

---

(١) « الشية » : كل ما خالف اللون من جميع جسد الفرس أو غيره ، وجمعها « شيات » ، وأصلها من « الوشي » . وشي الثوب وشياً وشية : حسنه ونمنمه ونقشه .

(٢) ديوانه : ٨٦ ، من قصيدته حين قتلت بنو عبس نضلة الأسدي ، وقتلت بنو أسد منهم رجلين ، فأراد عيينة بن حصن عون بني عبس ، وأن يخرج بني أسد من حلف بني ذبيان ، فقال :

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا ... فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

يعنى بـ«المسوّمات»، المعلمات، وقول لبيد :

وَغَدَاةَ قَاعِ القُرْنَتَيْنِ أَتَيْنَهُمْ زُجَلًا يُلُوحُ خِلَالَهَا التَّسْوِيمُ(١)

فمعنى تأويل من تأول ذلك : «المطهمة، والمعلمة، والرائعة»، واحدٌ .

* * *

وأما قول من تأوّله بمعنى : الراعية ، فإنه ذهب إلى قول القائل : «أسمْتُ الماشية فأنا أُسيمها إسامة»، إذا رعيتها الكلأ والعشب ، كما قال الله

ثم أثنى عليهم ، وذكر أيامهم ، فما ذكر :

وَقَدْ زَحَفُوا لِغَسَّانٍ بِزَحْفٍ رَحِيبِ السِّرْبِ أَرْعَنَ مُرْجَحِنٍّ
بِكُلِّ مُحَرَّبٍ كَاللَّيْثِ يَسْمُو عَلَى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنٍّ
وضُمْرٍ كَالقِدَاحِ . . . .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «بسمر»، وليس من صفة الجياد أن يقال «سمر»، بل السمر الرماح . أما الضمر (بضم فسكون) فجمع ضامر ، وقياس جمعه ضوامر ، إلا أن (فاعل) الصفة منه ما يجمع على(فعل) بضم الفاء والعين ، مثل «بازل وبزل ، وشارف وشرف»، شبهوه بفعول لمناسبته له فى عدد الحروف . ثم يخفف (فعل) عند بنى تميم فتسكن عينه . والقداح جمع قدح (بكسر فسكون) : وهو السهم إذا قوم وأنى له أن يراش . تشبه به الخيل الضوامر .

(١) ديوان قصيدة : ١٦ ، البيت : ٤١ ، والبيت من أبيات فى القصيدة يذكر فيها عزه وعز قومه ، أولها :

إنِّى أمْرُؤٌ مَنَعَتْ أَرُومَةُ عَامِرٍ ضَيْمِى، وقد جَنَفَتْ عَلَىَّ خُصُومُ
جَهَدُوا العَدَاوَةَ كُلَّهَا ، فَأَصَدَّهَا عَنِّى مَنَاكِبُ عِزُّهَا مَعْلُومُ
مِنْهَا : حُوَىٌّ ، والذُّهابُ، وقَبْلَهُ يَوْمٌ بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ كَرِيمُ
وغَدَاةَ قَاعِ القُرْنتين . . . .

و «حوى»، و «الذهاب» و «برقة رحرحان» و «قاع القرنتين» كلها مواضع كانت لقومه فيها وقائع ، ظفروا فيها . وقوله : «أتينهم» الضمير للخيل عليها أصحابها . والضمير الآخر لأعدائه . والزجل جمع زجلة (بضم فسكون) : الجماعة من الناس والخيل . ورواية ديوانه : «رهواً»، أى متتابعة . وخلالها : وسطها .

عز وجل : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٠] ، بمعنى : ترعَوْن ، ومنه قول الأخطل :

مِثْلَ ٱبْنِ بَزْعَةَ أَوْ كَآخَرَ مِثْلِهِ ، أَوْلَى لَكَ ٱبْنَ مُسِيمَةِ الأَجْمَالِ ! [1]

يعني بذلك : راعية الأجمال . فإذا أريد أنّ الماشية هي التي رعت ، قيل : « سامت الماشية تسوم سوماً » ، ولذلك قيل : « إبل سائمة » ، بمعنى : راعية ، غير أنه غير مستفيض في كلامهم : « سوَّمتُ الماشيةَ » ، بمعنى أرعيتها ، وإنما يقال إذا أريد ذلك : « أسمتها » .

* * *

(١) ديوانه : ١٥٩ ، والأغاني ٨ : ٣١٩ ، وطبقات فحول الشعراء : ٤١٨ ، وسيأتي في التفسير ١٤ : ٦٠ (بولاق) ، وهو من قصيدته التي رفع فيها ذكر عكرمة بن ربعي الفياض ، كاتب بشر بن مروان . وذلك أن الأخطل أتى حوشب بن رويم الشيباني فقال : إني تحملت حمالتين لأحقن بهما دماء قومي ! فنهره . فأتى شداد بن البزيعة ، (هو شداد بن المنذر الذهلي ، أخو الحضين بن المنذر صاحب راية علي يوم صفين) ، ، فسأله ، فاعتذر إليه شداد . فأتى عكرمة الفياض فأخبره بما قال له الرجلان ، فقال : أما إني لا أنهرك ولا أعتذر إليك ، ولكني أعطيك إحداهما عيناً ، والأخرى عرضاً . فأشاد به الأخطل وهجا الرجلين فقال :

وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَى رَبِيعَةَ كُلِّهَا وَكَفَيْتَ كُلَّ مُوَاكِلٍ خَذَّالِ
كَزْمِ اليَدَيْنِ عَنِ العَطِيَّةِ مُمْسِكٍ لَيْسَتْ تَبِضُّ صَفَاتُهُ بِبِلَالِ
كَٱبْنِ البَزِيعَةِ ، أَوْ كَآخَرَ مِثْلِهِ ، أَوْلَى لك ٱبْنَ مُسِيمَةِ الأَجْمَالِ !
إِنَّ اللَّئِيمَ إِذَا سَأَلْتَ بَهَرْتَهُ ، وتَرَى الكَرِيمَ يَرَاحُ كَالمُخْتَالِ

وفي المخطوطة : « أولى ابن مسيمة . . . » ، خطأ . « وابن البزيعة » ، هو « ابن بزعة » في رواية الطبري هنا . والبزيعة (على وزن كريمة) أم شداد بن المنذر . وقد ضبطتها في طبقات فحول الشعراء بالتصغير ، اتباعاً لما في تاريخ الطبري مضبوطاً بالقلم . ولكني هنا أستدرك هذا ، وأرجح أني كما ضبطته هنا . « البزيعة » : الجارية الظريفة المليحة الذكية القلب . وقد ذكر شداد بن بزيعة عند زياد بن أبي سفيان في الشهود وهو (زياد بن سمية ، وابن أبيه) فلما قيل : « ابن بزيعة » قال : « ما لهذا أب ينسب إليه ؟ ألقوا هذا من الشهود » . فقيل له : إنه أخو حضين بن المنذر ! قال : فانسبوه إلى أبيه . فبلغ ذلك شداداً فقال : ويلي على ابن الزانية ! أو ليست أمه أعرف منه بأبيه ؟ والله ما ينسب إلا إلى أمه سمية !! (تاريخ الطبري ٦ : ١٥١) .

فإذْ كان ذلك كذلك، فتوجيه تأويل « المسوَّمة » إلى أنها « المعلمة» بما وصفنا من المعانى التى تقدم ذكرها، أصحّ .

* * *

وأما الذى قاله ابن زيد: من أنها المعدّة فى سبيل الله، فتأويل من معنى « المسوَّمة » : بمعزِلٍ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾

قال أبو جعفر : فـ« الأنعام » جمع « نَعَم » ، وهى الأزواج الثمانية التى ذكرها فى كتابه: من الضأن والمعز والبقر والإبل .[1]

١٣٧/٣

* * *

وأما « الحرث » ، فهو الزّرع .[2]

* * *

وتأويل الكلام : زُيّن للناس حب الشهوات من النساء، ومن البنين، ومن كذا، ومن كذا ، ومن الأنعام والحرث .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ذلك » ، جميعَ ما ذُكر فى هذه الآية من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّة والخيل المسوّمة

(١) فى سورة الأنعام : ١٤٢ - ١٤٤

(٢) انظر تفسير « الحرث » فيما سلف ٤ : ٢٤٠ - ٢٤٣ ، ٣٩٧ .

والأنعام والحرث . فكنى بقوله : « ذلك » عن جميعهن . وهذا يدل على أن « ذلك » يشتمل على الأشياء الكثيرة المختلفة المعانى ، ويكنى به عن جميع ذلك .

* * *

وأما قوله : «متاع الحياة الدنيا» ، فإنه خبر من الله عن أن ذلك كله مما يَستمتع به فى الدنيا أهلها أحياءً ، فيتبلّغون به فيها ، ويجعلونه وُصْلة فى معايشهم ، وسبباً لقضاء شهواتهم التى زُيِّن لهم حبها فى عاجل دنياهم ،[1] دون أن تكون عدّة لمعادهم ، وقُرْبة لهم إلى ربهم ، إلاّ ما أسلِك فى سبيله ، وأنفق منه فيما أمَر به .[2]

* * *

وأما قوله : « والله عنده حسن المآب » ، فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وعند الله حُسن المآب = يعنى : حسن المرْجع ، كما : —

٦٧٥٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدّى : « والله عنده حسن المآب » ، يقول : حسن المنقلب ، وهى الجنة .

* * *

= وهو مصدر على مثال « مَفْعَل » من قول القائل : « آب الرجل إلينا » ، إذا رجع ، « فهو يؤوب إياباً وأوبة وأيبةً وَمَآباً » ،[3] غير أن موضع الفاء منها مهموز ، والعين مبدلة من « الواو » إلى « الألف » بحركتها إلى الفتح . فلما كان حظها الحركة إلى الفتح ،[4] وكانت حركتها منقولة إلى الحرف الذى قبلها — وهو فاء الفعل — انقلبت فصارت « ألفا » ، كما قيل : « قال » فصارت عين الفعل « ألفاً » ، لأن حظها الفتح . « والمآب » مثل « المقال » و « المعاد » و « المحال » ،[5] كل ذلك

---

(١) فى المخطوطة : « زين لهم حملها . . . » ، وهو من أوهام صاحبنا الناسخ .

(٢) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ ، ٥٤٠/ثم ٣ : ٥٥/ثم ٥ : ٢٦٠ .

(٣) « أيبة » بفتح الهمزة وكسرها وسكون الياء ، وهى على المعاقبة من الواو .

(٤) فى المخطوطة : « قلنا كان حظها . . . » وهى من لطائف صاحبنا غفر الله له .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « المحال » بالحاء ، والصواب ما أثبت .

« مفعَل» منقولة حركة عينه إلى فائه ، فصيِّرَةٌ واوه أو ياؤه « ألفاً » لفتحة ما قبلها .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « والله عنده حسن المآب » ، وقد علمتَ ما عنده يومئذ من أليم العذاب وشديد العقاب ؟

قيل : إن ذلك معنىً به خاصٌ من الناس ، ومعنى ذلك :[1] والله عنده عنده حسن المآب للذين اتقوا ربهم . وقد أنبأنا عن ذلك في هذه الآية التي تليها .

* * *

فإن قال : وما « حسن المآب » ؟ قيل : هو ما وصفه به جل ثناؤه ، وهو المرجع إلى جنات تجرى من تحتها الأنهار مُخلَّداً فيها ، وإلى أزواج مطهرة ورضوان من الله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه : قل ، يا محمد ، للناس الذين زُيِّن لهم حب الشهوات من النساء والبنين ، وسائر ما ذكر ربنا جل ثناؤه : « أؤنبئكم » ، أأخبركم وأعلمكم[2]= « بخير من ذلكم » ، يعني : بخير وأفضل لكم = « من

(١) في المخطوطة كتب « ومن » والواو متصلة بما بعدها ، حتى ما تكاد تقرأ ، والذي في المطبوعة لا بأس به في قراءة هذه الكلمة .

(٢) انظر تفسير « أنبأ » فيما سلف ١ : ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

ذلكم » ، يعنى : مما زُيِّن لكم فى الدنيا حبُّ شهوته من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وأنواع الأموال التى هى متاع الدنيا .

* * *

ثم اختلف أهل العربية فى الموضع الذى تناهى إليه الاستفهام من هذا الكلام .

فقال بعضهم : تناهى ذلك عند قوله : « من ذلكم » ، ثم ابتدأ الخبر عما للذين اتقوا عند ربهم ، فقيل : « للذين اتقوا عند ربهم جناتٌ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها » ، فلذلك رفع « الجنات » .

* * *

ومن قال هذا القول لم يجز فى قوله : « جنات تجرى من تحتها الأنهار » إلا الرفع ، وذلك أنه خبر مبتدأ غيرُ مردود على قوله : « بخير » ، فيكون الخفض فيه جائزاً . وهو وإن كان خبراً مبتدأ عندهم ، ففيه إبانة عن معنى « الخير » الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : للناس : أؤنبئكم به ؟ « والجنات » على هذا القول مرفوعة باللام التى فى قوله : « للذين اتقوا عند ربهم » .

* * *

وقال آخرون منهم بنحو من هذا القول ، إلا أنهم قالوا : إن جعلت اللام التى فى قوله : « للذين » من صلة « الإنباء » ، جاز فى « الجنات » الخفض والرفع : الخفضُ على الرد على « الخير » ، والرفع على أن يكون قوله : « للذين اتقوا » خبرَ مبتدأ ، على ما قد بيّناه قبلُ .

* * *

وقال آخرون : بل منتهى الاستفهام قوله : « عند ربهم » ، ثم ابتدأ : « جناتٌ تجرى من تحتها الأنهار » . وقالوا : تأويل الكلام : « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم» ، ثم كأنه قيل : «ماذا لهم » . أو : « ما ذاك » ؟[1] فقال : هو « جناتٌ تجرى من تحتها الأنهار » ، الآية .

١٣٨/٣

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة بعد هذا ، وقيل قوله : « فقال : هو جنات . . . » ما نصه : « أو على أنه يقال : ماذا لهم ؟ أوما ذاك ؟» ومن البين أن هذا تكرار لا معنى له ، وأنه من سهو الناسخ الكثير السهو . فمن أجل ذلك طرحته من المتن .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من جعل الاستفهام متناهياً عند قوله : « بخير من ذلكم » ، والخبر بعده مبتدأ عمن له الجنات بقوله : « للذين اتقوا عند ربهم جنات » ، فيكون مخرج ذلك مخرج الخبر ، وهو إبانة عن معنى « الخير » الذي قال : أؤنبئكم به ؟ [١] فلا يكون بالكلام حينئذ حاجة إلى ضمير . [٢]

* * *

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : وأما قوله : « خالدين فيها » ، فمنصوب على القطع . [٣]

* * *

ومعنى قوله : « للذين اتقوا » ، للذين خافوا الله فأطاعوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه [٤] = « عند ربهم » ، يعني بذلك : لهم جنات تجري من تحتها الأنهار عند ربهم .

* * *

« والجنات » ، البساتين ، وقد بينا ذلك بالشواهد فيما مضى = وأنّ قوله : « تجري من تحتها الأنهار » ، يعني به : من تحت الأشجار ، وأن « الخلود » فيها دوام البقاء فيها ، وأن « الأزواج المطهرة » ، هن نساء الجنة اللواتي طُهِّرن من كل

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « أنبئكم به » ، والصواب ما أثبت ، وانظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للفراء ١ : ١٩٥ — ١٩٨

(٢) عند هذا انتهى آخر جزء من التقسيم القديم الذي نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه : وأما قوله : ﴿ خالدين فيها ﴾ فمنصوب على القطع .
وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ وعلى آله الطاهرين وسلّم كثيراً »

ويتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

(٣) « القطع » ، يعني : الحال ، كما بينت في ٢ : ٣٩٢ ، والمراجع هناك ، وانظر فهرس المصطلحات في الأجزاء السالفة . ثم انظر ما سيأتي : ص ٢٧٠ ، تعليق : ٣

(٤) انظر تفسير « اتقى » في فهارس اللغة مادة « وقى »

أذًى يكون بنساء أهل الدنيا ، من الحيض والمنىّ والبوْل والنفاس وما أشبه ذلك من الأذى = بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.[١]

* * *

وقوله: « ورِضْوَانٌ من الله » ، يعنى : ورضى الله ، وهو مصدر من قول القائل : « رَضِى الله عن فلان فهو يَرْضى عنه رضًى » منقوص « ورِضْواناً ورُضْواناً ومَرْضاةً » . فأما « الرُّضوان » بضم الراء ، فهو لغة قيس ، وبه كان عاصم يقرأ .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخير = رضْوانَه ، لأن رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنة ، كما : —

٦٧٥١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنى أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : إذا دخل أهلُ الجنة الجنة ، قال الله تبارك وتعالى : أعطيكم أفضلَ من هذا ! فيقولون : أىْ ربنا ، أىّ شىء أفضل من هذا ؟ قال : رِضْوانى .[٢]

* * *

وقوله : « والله بصير بالعباد » ، يعنى بذلك : واللهُ ذو بصر بالذى يتقيه من عباده فيخافه ،[٣] فيطيعه ، ويؤثر ما عنده مما ذكر أنه أعدّه للذين اتقوه على حُبِّ ما زُيِّنَ له فى عاجل الدنيا من شهوات النساء والبنين وسائر ما عدّد منها تعالى

---

(١) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف ١ : ٣٨٤ / ثم ٥ : ٥٣٥ ، ٥٤٢ = وتفسير « الخلود » فيما سلف ١ : ٣٩٧ ، ٣٩٨ / ٢ : ٢٨٦/٤ : ٣١٧/٥ : ٤٢٩ = وتفسير « الأزواج المطهرة » فيما سلف ١ : ٣٩٥ — ٣٩٧

(٢) الأثر : ٦٧٥١ — هذا خبر غير مرفوع ، ولكن شاهده من المرفوع ما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ! يقولون : لبيك ربنا وسعديك ! فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ! فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ! قالوا : يا رب ، وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى ، فلا أسخط عليكم أبداً » .

وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى حديث جابر فى الفتح ١١ : ٣٦٤ ، وقال : عند البزار وصححه ابن حبان » . ولم أجد لفظه .

(٣) انظر تفسير « بصير » فيما سلف ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٦ ، ٥٠٦ / ثم ٥ : ٧٦ ، ١٦٧ .

ذكره = وبالذى لا يتقيه فيخافه ، ولكنه يعصيه ويطيع الشيطان ويؤثر ما زيَّن له فى الدنيا من حب شهوة النساء والبنين والأموال، على ما عنده من النعيم المقيم = عالمٌ تعالى ذكره بكلِّ فريق منهم ، حتى يجازى كلَّهم عند معادهم إليه جزاءَهم ، المحسنَ بإحسانه، والمسىءَ بإساءته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : ومعنى ذلك . قل هل أنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا ، [الذين]يقولون : « ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » .

* * *

وقد يحتمل « الذين يقولون » ، وجهين من الإعراب : الخفض على الردّ على « الذين » الأولى ، والرفع على الابتداء ، إذ كان فى مبتدأ آية أخرى غير التى فيها « الذين » الأولى ، فيكون رفعها نظير قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ١١١] ، ثم قال فى مبتدأ الآية التى بعدها : ﴿ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١١٢] . ولو كان جاء ذلك مخفوضاً كان جائزاً .[1]

* * *

ومعنى قوله : « الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا » : الذين يقولون : إننا صدّقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك = « فاغفر لنا ذنوبنا » ، يقول : فاستر علينا ذنوبنا ، بعفوك عنها ، وتركك عقوبتنا عليها = « وقنا عذاب النار » .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٨ .

ادفع عنا عذابك إيانا بالنار أن تعذبنا بها . وإنما معنى ذلك : لا تعذبنا يا ربنا بالنار .

وإنما خصّوا المسألةَ بأن يقيهم عذاب النار ، لأن من زُحزح يومئذ عن النار فقد فاز بالنجاة من عذاب الله وحسن مآبه .

* * *

وأصل قوله : « قنا » من قول القائل : « وقى الله فلاناً كذا » ، يراد : دفع عنه ، « فهو يقيه » . فإذا سأل بذلك سائلٌ قال : « قِـنِي كذا » .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله « الصابرين » ، الذين صبروا في البأساء والضراء وحين البأس .

١٣٩/٣ ويعني بـ« الصادقين » ، الذين صدقوا الله في قولهم بتحقيقهم الإقرارَ به وبرسوله وما جاء به من عنده ، بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه .

ويعني بـ« القانتين » ، المطيعين له .

* * *

وقد أتينا على الإبانة عن كل هذه الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها ، وبالأخبار عمن قال فيها قولا ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .[2]

* * *

وقد كان قتادة يقول في ذلك بما : —

٦٧٥٢ — حدثنا به بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر تفسير « قنا » و « وقى » فيما سلف ٤ : ٢٠٦ .

(٢) انظر تفسير « الصابرين » فيما سلف ٢ : ١١ / ثم ٣ : ٢١٤ ، ٣٤٩ = وتفسير « الصادقين » فيما سلف ٣ : ٣٥٦ = وتفسير « القانتين » فيما سلف ٢ : ٥٣٨ ، ٥٣٩ / ثم ٥ : ٢٢٨—٢٣٧ .

قوله : « الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين » ، « الصادقين » : قوم صدّقت أفواههم واستقامت قلوبهم وألسنتهم ، وصدقوا فى السرّ والعلانية = « والصابرين » ، قوم صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن محارمه = « والقانتون » ، هم المطيعون لله .

* * *

وأما «المنفقون» ، فهم المؤتون زكوات أموالهم ، وواضعوها على ما أمرهم الله بإتيانها ، والمنفقون أموالهم فى الوجوه التى أذن الله لهم جل ثناؤه بإنفاقها فيها .[1]

* * *

وأما « الصابرين » و« الصادقين » ، وسائر هذه الحروف ، فخفوض ردًّا على قوله : « الذين يقولون ربنا إننا آمنا » ، والخفض فى هذه الحروف يدل على أن قوله : « الذين يقولون » خفض ، ردًّا على قوله : « للذين اتقوا عند ربهم » .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى القوم الذين هذه الصفة صفتهم .

فقال بعضهم : هم المصلون بالأسحار .

• ذكر من قال ذلك :

٦٧٥٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والمستغفرين بالأسحار » ، هم أهل الصلاة .

٦٧٥٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : « والمستغفرين بالأسحار » ، قال : يصلون بالأسحار .

* * *

(١) انظر تفسير « الإنفاق » فيما سلف : ٥ : ٥٥٥ ، ٥٨٠ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٩ .

وقال آخرون : هم المستغفرون .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن حريث بن أبى مطر، عن إبراهيم بن حاطب، عن أبيه قال : سمعت رجلا فى السحر فى ناحية المسجد وهو يقول : ربِّ أمرتنى فأطعتك، وهذا سحرٌ، فاغفر لى . فنظرت فإذا ابنُ مسعود .(١)

٦٧٥٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال : سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن قول الله عز وجل : «والمستغفرين بالأسحار»، قال : حدثنى سليمان بن موسى قال، حدثنا نافع : أن ابن عمر كان يحيى الليل صلاةً ثم يقول : يا نافع، أسحَرْنا ؟ فيقول : لا . فيعاود الصلاة، فإذا قلت : نعم ! قعد يستغفر ويدعو حتى يُصْبح .

٦٧٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن بعض البصريين، عن أنس بن مالك قال : أمرنا أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة .

٦٧٥٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا زيد بن الحباب قال، حدثنا أبو يعقوب الضبى قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : من صلَّى من الليل ثم استغفر فى آخر الليل سبعين مرة، كتب من المستغفرين بالأسحار .

* * *

وقال آخرون : هم الذين يشهدون الصّبح فى جماعة .

---

(١) الأثر : ٦٧٥٥ — «حريث بن أبى مطر عمرو الفزارى، أبو عمر الحناط» روى عن الشعبى والحكم بن عتيبة، وروى عنه شريك، وابن نمير، ووكيع . قال ابن معين : «لا شىء»، وقال أبو حاتم «ضعيف الحديث» . وقال البخارى : «فيه نظر، ليس بالقوى عندهم» . وعلق له البخارى فى الأضاحى، مترجم فى التهذيب . وأما «إبراهيم بن حاطب» فلم أجد له ولا لأبيه «حاطب» ترجمة، وأخشى أن يكون فى اسمه تحريف أو سقط، وأن يكون «حاطب» هذا، هو «حاطب بن أبى بلتعة» صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأثر بنصه هذا فى تفسير ابن كثير ٢ : ١١٣، ولم يقل فيه شيئاً .

• ذكر من قال ذلك :

٦٧٥٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسمعيل بن مسلمة أخو القعنبي قال ،[1] حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن قال ، قلت لزيد بن أسلم : مَنْ « المستغفرين بالأسحار » ، قال : هم الذين يشهدون الصُّبح .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله : « المستغفرين بالأسحار » ، قول من قال : هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها .

* * *

= « بالأسحار » وهي جمع « سَحَر » .

* * *

وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء . وقد يحتمل أن يكون معناه : تعرّضهم لمغفرته بالعمل والصلاة ، غيرَ أنّ أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر يعني بذلك جل ثناؤه : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وشهدت الملائكة وأولو العلم .

= فـ « الملائكة » معطوف بهم على اسم « الله » ، و « أنه » مفتوحة بـ « شهد » .

* * *

قال أبو جعفر : وكان بعض البصريين يتأول قوله : « شهد الله » ، قضى الله ، ويرفع « الملائكة » ، بمعنى : والملائكة شهود وأولو العلم .[2] ١٤٠/٣

* * *

---

(١) أخوه هو : « عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي القعنبي » ، شيخ البخاري ومسلم وأبي داود.

(٢) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٨٩ ، ولم يسمه الطبري ، بل قال « بعض البصريين » . وانظر رد الطبري قوله في ص : ٢٧٢

وهكذا قرأت قرأة أهل الإسلام بفتح الألف من « أنه » ، على ما ذكرت من إعمال « شهد » فى « أنه » الأولى ، وكسر الألف من « إن » الثانية وابتدائها .[1] سوى أنّ بعض المتأخرين من أهل العربية ، [2] كان يقرأ ذلك جميعاً بفتح ألفيهما ، بمعنى : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وأنّ الدين عند الله الإسلام — فعطف بـ «أن الدين » على « أنه » الأولى ، ثم حذف « واو » العطف ، وهى مرادة فى الكلام . واحتج فى ذلك بأن ابن عباس قرأ ذلك : ﴿شَهِدَ اللهُ إِنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية . ثم قال : « أنّ الدين » ، بكسر « إنّ » الأولى ، وفتح « أنّ » الثانية بإعمال « شهد » فيها ، وجعل « أن » الأولى اعتراضاً فى الكلام غير عامل فيها « شَهِد » = وأن ابن مسعود قرأ : « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو » بفتح « أن » وكسر « إنّ » من : « إنّ الدّين عند الله الإسلام » = على معنى إعمال « الشهادة » فى « أن » الأولى ، و«أن » الثانية مبتدأة . فزعم أنه أراد بقراءته إياهما بالفتح ، جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود .[3] فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت ، جميعَ قرأة أهل الإسلام المتقدّمين منهم والمتأخرين ، بدعوى تأويلٍ على ابن عباس وابن مسعود ، زعم أنهما قالاه وقرآ به . وغيرُ معلوم ما ادّعى عليهما برواية صحيحة ولا سقيمة . وكفى شاهداً على خطأ قراءته ، خروجها من قراءة أهل الإسلام .

* * *

قال أبو جعفر : فالصواب إذ كان الأمر على ما وصفنا من قراءة ذلك — فتحُ الألف من « أنه » الأولى ، وكسر الألف من « إنّ » الثانية ، أعنى من قوله :

---

(١) يعنى ، فى قوله فى صدر الآية التالية : « إن الدين عند الله الإسلام » .

(٢) هو الكسائى ، انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٠ وتفسير القرطبى ٤ : ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٩ — ٢٠٠ .

« إنّ الدين عند الله الإسلام »، ابتداءً .

* * *

وقد روى عن السدى فى تأويل ذلك قول كالدالّ على تصحيح ما قرأ به فى ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية ، فى فتح « أنّ » من قوله : « إنّ الدين » ، وهو ما : —

٦٧٦٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة » إلى « لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم »، [1] قال : الله يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس : أنّ الدين عند الله الإسلام .

* * *

فهذا التأويل يدل على أن « الشهادة » إنما هى عاملة فى « أنّ » الثانية التى فى قوله : « أن الدين عند الله الإسلام » . فعلى هذا التأويل جائز فى « أن » الأولى وجهان من التأويل : [2]

=أحدهما : أن تكون الأولى منصوبةً على وجه الشرط ، بمعنى : شهد الله بأنه واحد = فتكون مفتوحة بمعنى الخفض فى مذهب بعض أهل العربية ، وبمعنى النصب فى مذهب بعضهم = « والشهادة » عاملة فى « أن » الثانية ، كأنك قلت : شهد الله أن الدّين عند الله الإسلام ، لإنه واحدٌ . ثم تقدم « لأنه واحد » ، فتفتحها على ذلك التأويل .

=والوجه الثانى : أن تكون « إنّ » الأولى مكسورة بمعنى الابتداء ، لأنها معترضٌ بها ، « والشهادة» واقعة على « أنّ » الثانية : فيكون معنى الكلام : شهد

---

(١) فى المطبوعة : « فإن الله يشهد » ، وفى المخطوطة : فأن الله يشهد » ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « فى أن فى الأولى وجهان »، أما المخطوطة فقد وضع فوق « أن » « فى » صغيرة . كأنه أراد : « جائز فى الأولى » ، بحذف « أن » ، لأنه لم يضع علامة تدل على الزيادة . فلذلك أسقطتها .

الله = فإنه لا إله إلا هو — والملائكة ، أنّ الدين عند الله الإسلام ، كقول القائل : « أشهد — فإني محقٌّ — أنك مما تعاب به برئ » ، فـ « إن » الأولى مكسورة ، لأنها معترضة ، « والشهادة » واقعة على « أنّ » الثانية .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « قائماً بالقسط » ، فإنه بمعنى : أنه الذي يلي العدل بين خلقه .

* * *

« والقسط » ، هو العدل من قولهم : « هو مقسط » و « قد أقسط » ، إذا عَدَل .[2]

* * *

ونصب « قائماً » على القطع .[3]

* * *

وكان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أنه حال من « هو » التي في « لا إله إلا هو » .

* * *

وكان بعض نحويي الكوفة يزعم أنه حالٌ من اسم « الله » الذي مع قوله : « شهد الله » ، فكان معناه : شهد الله القائمُ بالقسط أنه لا إله إلاّ هو . وقد ذُكر أنها في قراءة ابن مسعود كذلك : ﴿ وَأُولُو الْعِلْمِ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ ﴾ ، ثم حذفت « الألف واللام » من « القائم » ، فصار نكرة وهو نعت لمعرفة ، فنصب .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي ، قولُ من جعله قَطعاً ،[3]

---

(١) انظر بيان ذلك أيضاً في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٠٠

(٢) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ص : ٧٧ .

(٣) « القطع » هو الحال ، كما سلف منذ قريب : ص : ٢٦١ . تعليق : ٣ . وقد بينه الفراء في كلامه في معاني القرآن ١ : ٢٠٠ إذ قال : « منصوب على القطع ، لأنه نكرة نعت به معرفة » . وبين أن الحال ضرب من النعت . تقول : « جاءني زيد الراكب » بالرفع ، فيكون نعتاً لأنه معرفة نعت بمعرفة ، فإذا نعته بالنكرة لم يجز أن تقول : « جاءني زيد راكب » بالرفع ، إلا أن تجعله بدلا من المعرفة ، وإنما الوجه أن تقطعه عن إعراب النعت ، فتنصبه ، فيكون حالا . فذلك تفسير « القطع » على أنه الحال .

على أنه من نعت الله جل ثناؤه ، لأن « الملائكة وأولى العلم » ، معطوفون عليه . فكذلك الصحيح أن يكون قوله : « قائماً » حالاً منه .

* * *

وأما تأويل قوله : « لا إله إلا هو العزيز الحكيم » ، فإنه نفى أن يكون شيء يستحق العُبودَة غير الواحد الذى لا شريك له فى ملكه .[1]

* * *

ويعنى بـ « العزيز » ، الذى لا يمتنع عليه شيء أراده ، ولا ينتصر منه أحد عاقبه أو انتقم منه[2] = « الحكيم » فى تدبيره ، فلا يدخله خَلل .[3]

١٤١/٣

* * *

قال أبو جعفر : وإنما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نَفْىَ ما أضافت النصارَى الذين حاجُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى من البنوّة ، وما نسب إليه سائرُ أهل الشرك من أنّ له شريكاً ، واتخاذهم دونه أرباباً . فأخبرهم الله عن نفسه أنه الخالقُ كلّ ما سواه ، وأنه ربّ كلّ ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربًّا دونه ، وأنّ ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهلُ العلم به من خلقه . فبدأ جل ثناؤه بنفسه ، تعظيماً لنفسه وتنزيهاً لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به — ما نسبوا إليها ، كما سنّ لعباده أن يبدأوا فى أمورهم بذكره قبل ذكر غيره ، مؤدِّباً خلقه بذلك .

ولم أجد تفسيره فى كتاب مما بين يدى . وهو من اصطلاح أهل الكوفة فيما أرجح ، لاستعمال الفراء إياه ، ولذكر الطبرى له فى مقالة الكوفيين كثيراً ، كما سلف . وكما سيتبين من قول الطبرى بعد ذلك « أنه حال » فى الجمل الآتية .

(١) قوله : « العبودة » هو مصدر من « عبد » على وزن « شرف » يقال : « هو عبد بين العبودة والعبودية والعبدية » وقد استعملها الطبرى بهذا المعنى فيما سلف ٣ : ٣٤٧ ، وانظر التعليق هناك . وهو بمعنى الخضوع والتذلل ، فكأنه استعمله هنا أيضاً بذلك المعنى ، كأنه قال : فإنه نفى أن يكون شيء يستحق الخضوع له والتذلل ، غير الواحد الذى لا شريك له فى ملكه . وقد صرح ابن القطاع فى كتاب الأفعال ٢ : ٣٣٧ أن مصدر « عبد الله يعبده » : « عبادة وعبودة وعبودية » ، أى : خدم ، وذل أشد الذل .

(٢) انظر تفسير « العزيز » فيما سلف ٣ : ٨٨ / ثم هذا ص : ١٦٨ ، ١٦٩ وفهارس اللغة (عزز) .

(٣) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف ٣ : ٨٨ ، وفهارس اللغة (حكم) .

والمرادُ من الكلام ، الخبرُ عن شهادة من ارتضاهم من خلقه فقدّسوه :[١] من ملائكته وعلماء عباده . فأعلمهم أن ملائكته — التي يعظّمها العابدون غيره من أهل الشرك ويعبدُها الكثير منهم — وأهلَ العلم منهم ،[٢] منكرون ما هم عليه مقيمون من كفرهم وقولهم في عيسى ، وقولَ من اتخذ ربًّا غيره من سائر الخلق ،[٣] فقال : شهدت الملائكة وأولُو العلم أنه لا إله إلا هو ، وأن كل من اتخذ ربًّا دون الله فهو كاذبٌ = احتجاجاً منه لنبيه عليه السلام على الذين حاجُّوه من وفد نجران في عيسى .

* * *

واعترض بذكر الله وصفته ، على ما بيَّنتُ ،[٤] كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] ، افتتاحاً باسمه الكلام ،[٥] فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادةَ بما وصفناه : من نَفْي الألوهة عن غيره ، وتكذيب أهل الشرك به .

* * *

فأما ما قال الذى وصفنا قوله : من أنه عنى بقوله : « شهد » ، قضى — فمما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم ، لأن « الشهادة » ، معنًى ، و « القضاء » غيرها .[٦]

* * *

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « فقدموه » كأنه أراد معنى : « البدء بذكره تعالى » ، ولو كان كذلك لكان أجود أن يقول : « فقدموا ذكره » ، ولكني أستظهر من سياق كلامه معنى التنزيه ، فلذلك رأيت أنها تصحيف قوله : « فقدسوه » .

(٢) سياق الكلام : فأعلمهم أن ملائكته . . . وأهل العلم منهم ، منكرون . . . »

(٣) قوله : « وقول من اتخذ رباً غيره . . . » بنصب « وقول » عطفاً على قولهم « ما هم عليه مقيمون » ، وهو مفعول به لقوله : « منكرون » .

(٤) في المطبوعة : « على ما تبينه » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، ولكنه لم يحسن قراءتها .

(٥) معنى ذلك : أن ذكر « الله » في آية الأنفال هذه ، إنما هي افتتاح كلام ، قال أبو جعفر في تفسيرها (١٠ : ٣ بولاق) : « قال بعضهم : قوله : « فأن لله خمسه » مفتاح كلام ، ولله الدنيا والآخرة وما فيهما . وإنما معنى الكلام : فأن للرسول خمسه » . وهذا القول هو الذى رجحه الطبرى في تفسير الآية هناك .

(٦) هذا رد على مقالة أبي عبيدة في مجاز القرآن ، كما سلف في ص : ٢٦٧ تعليق : ٢ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى عن بعض المتقدمين القول فى ذلك .

٦٧٦١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم » ، بخلاف ما قالوا — يعنى : بخلاف ما قال وفدُ نجران من النصارى = « قائماً بالقسط » ، أى بالعدل .(١)

٦٧٦٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « بالقسط » ، بالعدل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى « الدين » ، فى هذا الموضع : الطاعة والذّلة ، من قول الشاعر :(٢)

وَيَوْمُ الحَزْنِ إِذْ حُشِدَتْ مَعَدٌّ وَكَانَ النَّاسُ، إِلَّا نَحْنُ، دِينَا(٣)

---

(١) الأثر : ٦٧٦١ — هو ما رواه ابن هشام من سيرة ابن إسحق ٢ : ٢٢٧ ، وهو من بقية الآثار التى آخرها فيما سلف رقم : ٦٦٤٩ .

(٢) لم أعرف قائله بعد .

(٣) سيأتى فى التفسير ٢٦ : ١١٥ (بولاق) ومعه بيت سنذكره . والشطر الثانى من البيت الأول فى اللسان (دين) ، وفى غيره من كتب اللغة . وأنا فى شك من صحة هذا البيت ، ولم أعرف « يوم الحزن » ، ما أراد به . وأظن « حشدت » ، « حشرت » من « الحشر » ، والبيت الذى يليه :

عَصَيْنَا عَزْمَةَ الجَبَّارِ ، حتّى صَبَحْنَا الجُرْفَ ألفاً مُعْلِمِينَا

هكذا صححته هنا من معانى القرآن للفراء ، تفسير سورة (ق) مخطوطة ، وهو فى المطبوعة من التفسير (٢٦ : ١١٥) « صبحنا الحوف أكفاً » وهو كلام لا معنى له . وقد قال الطبرى بعد هذا البيت هناك « ويروى : الحوف. وقال : أراد بالجبار : المنذر ، لولايته » وصوابه « الجرف » فإذا كان ذلك كذلك ، فأكبر ظنى أنه كما أثبته « الجرف » (بضم الجيم وسكون الراء) : وهو موضع بالحيرة كانت به منازل المنذر .

يعنى بذلك : مطيعين على وجه الذل ، ومنه قول القطامى :

* كانَتْ نَوَارُ تَدِينُكَ الأَدْيانا *[1]

يعنى : تُذلك ، وقول الأعشى ميمون بن قيس :

هُوَ دَانَ الرِّبَابَ إِذْ كَرِهُوا الدِّيـــنَ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ[2]

يعنى بقوله : « دان » ذلل = وبقوله : « كرهوا الدين » ، الطاعة .

* * *

وكذلك « الإسلام » ، وهو الانقياد بالتذلل والخشوع ، والفعل منه : « أسلم » بمعنى : دخل فى السلم ، كما يقال : « أقحط القوم » ، إذا دخلوا فى القحط ،

وفى الطبرى هناك « صحبنا » وهو خطأ . و « صبحنا » ، من قولهم : « صبح القوم شرًا » أى جاءهم به ، و « صبحتهم الخيل » ، جاءتهم صبحاً . و « ألفاً » يعنى : ألف فرس عليها فرسانها . و « المعلم » : الفارس يجعل لنفسه علامة الشجعان ، أو جعل على فرسه علامة ، فهو فرس معلم . يريد : غزونا معقل المنذر الجبار ومنازله ، وصبحناه فدمرنا عليه منازله . وفى الطبرى « حرمة الجبار » ، والتصحيح من معانى القرآن للفراء ، كما أسلفت .

(١) ديوانه : ١٥ ، من أبيات جياد وصف فيها صاحبته « أميمة » ، وسماها « جنوب » فى البيت الذى رواه الطبرى ، وسماها « نوار » ، ويروى : « ظلوم » ، فكان مما قال :

رَمَتِ المَقَاتِلَ مِنْ فُؤَادِكَ ، بَعْدَ ما كانَتْ جَنُوبُ تَدِينُكَ الأَدْيانَا

« أى : تفعل بك الأفاعيل . ويقال : تستعبدك ، أو : أنها كانت تعذبك . أو تدينك : تجزيك » .

وَأَرَى الغَوَانِي إِنَّمَا هِيَ جِنَّةٌ شَبَهُ الرِّيَاحِ تَلَوَّنُ الأَلْوَانَا
فَإِذَا دَعَوْنَكَ عَمَّهُنَّ ، فَلَا تُجِبْ فَهُنَاكَ لَا يَجِدُ الصَّفَاءُ مَكَانَا
نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ حَقَارَةً وعَلَى ذَوَاتِ شَبَابِهِنَّ هَوَانَا
وَإِذَا وَعَدْنَ ، فَهُنَّ أَكْثَرُ واعِدٍ خُلْفًا ، وَأَمْلَحُ حانِثٍ أَيْمَانَا
وَإِذَا رَأَيْنَ مِنَ الشَّبَابِ لُدُونَةً ، فَعَسَتْ حِبَالُكَ أَنْ تَكُونَ مِتَانَا !

وهذا شعر بارع مقدم .

(٢) مضى بيان هذا البيت فيما سلف ٣ : ٥٧١ .

« وأربعوا » ، إذا دخلوا فى الربيع = فكذلك « أسلموا » ، إذا دخلوا فى السلم ، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة .(١)

* * *

فإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويل قوله : « إنّ الدّين عند الله الإسلام » : إنّ الطاعةَ التى هى الطاعة عنده ، الطاعةُ له ، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذّلة ، وانقيادُها له بالطاعة فيما أمر ونهى ، وتذلُّلها له بذلك ، من غير استكبار عليه ، ولا انحراف عنه ، دون إشراك غيره من خلقه معه فى العبودة والألوهة .(٢)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٦٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنّ الدين عندَ الله الإسلام » ، والإسلام : شهادة أنّ لا إله إلاّ الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ،(٣) وهو دين الله الذى شرع لنفسه ، وبعث به رسله ، ودلّ عليه أولياءه ، لا يقبل غيرَه ، ولا يجزى إلاّ به . ١٤٢/٣

٦٧٦٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال ، حدثنا أبو العالية فى قوله : « إن الدين عند الله الإسلام » ، قال : « الإسلام » ، الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا شريك له ،

---

(١) انظر تفسير « الإسلام » و « السلم » فيما سلف ٢ : ٥١٠ ، ٥١١ / ثم ٣ : ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٠ /ثم ٤ : ٢٥١ — ٢٥٥ .

(٢) فى المطبوعة : « فى العبودية والألوهية » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وقد مضى استعماله العبودة فيما سلف ص : ٢٧١ ، تعليق : ١ . و « الألوهة ، والإلاهة ، والألوهية » : العبادة ، وانظر ما سلف ١ : ١٢٤ وما قبلها .

(٣) قوله : « بما جاء به » ، الضمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنه قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، ولا تتم شهادة إلا به ، بأبى هو وأمى . وهكذا ذكره السيوطى بنصه فى الدر المنثور ٢ : ١٢ ، ونسبه إلى عبد بن حميد أيضاً بهذا اللفظ .

وإقامُ الصّلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، وسائرُ الفرائض لهذا تبعٌ .

٦٧٦٥ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : ﴿ أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات : ١٤] ، قال : دخلنا في السِّلْم ، وتركنا الحرب .(١)

٦٧٦٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « إنّ الدين عند الله الإسلام » ، أي : ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للربّ ، والتصديق للرسل .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وما اختلف الذين أوتوا الإنجيل — وهو « الكتاب » الذي ذكره الله في هذه الآية — في أمر عيسى ، وافترائهم على الله فيما قالوه فيه من الأقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم ، وتشتّتت بها كلمتهم ، وباين بها بعضهم بعضاً حتى استحلّ بها بعضُهم دماءَ بعض — « إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » ، يعني : إلا من بعد ما علموا الحقّ فيما اختلفوا فيه من أمره ، وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم الفِرْية مبطلون .(٣) فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطل ، وقالوا من القول الذي هو كفر بالله ، على علم منهم بخطأ

---

(١) الأثر : ٦٧٦٥ — سيأتي في تفسير « سورة الحجرات » (٢٦ : ٩٠ بولاق) ، بغير هذا اللفظ مطولا : « وأسلمنا : استسلمنا ، دخلنا في السلم ، وتركنا المحاربة والقتال » . وإسناده هو هو .

(٢) الأثر : ٦٧٦٦ — رواه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحق ٢ : ٢٢٧ ، وأسقط « من » من قوله : « من التوحيد » . وهو من بقية الآثار التي آخرها رقم : ٦٧٦١ .

(٣) انظر تفسير « البغي » فيما سلف ٢ : ٣٤٢/ثم تفسير مثل هذه الآية فيما سلف ٤ : ٢٨١ ، ٢٨٢ .

ما قالوه ، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم بخطئه ، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلافَ الذى هم عليه، تعدّياً من بعضهم على بعض ، وطلبَ الرياسات والملك والسلطان ، كما : —

٦٧٦٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » ، قال : قال أبو العالية ، إلا من بعد ما جاءهم الكتابُ والعلم = « بغياً بينهم » ، يقول : بغياً على الدنيا ، وطلبَ ملكها وسلطانها ، فقتل بعضهم بعضاً على الدنيا ، من بعد ما كانوا علماءَ الناس .

٦٧٦٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن ابن عمر : أنه كان يكثر تلاوة هذه الآية : « إنّ الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم »، يقول : بغياً على الدنيا، وطلبَ ملكها وسلطانها . مِنْ قِبَلها والله أتينا ! ما كان علينا مَنْ يكون علينا ، [1] بعد أن يأخذ فينا كتابَ الله وسنة نبيه ؟ ولكنا أتينا من قبلها .

٦٧٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : إن موسى لما حضره الموتُ دعا سبعين حَبراً من أحبار بنى إسرائيل ، فاستودعهم التوراة ، وجعلهم أمناء عليه ، كلّ حبر جُزءًا منه ، [2] واستخلف موسى يوشع بن نون . فلما مضى القرن الأول ومضى الثانى ومضى الثالث ، وقعت الفرقة بينهم — وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين — حتى

---

(١) فى المطبوعة : « ما كان علينا من يكون بعد أن يأخذ فينا . . . » حذف « علينا » الثانية فاختلط الكلام اختلاطاً ، والصواب من المخطوطة . ومعناه : ما كان يضيرنا أن يكون علينا والياً كائناً من كان ، بعد أن يقيم فينا كتاب الله وسنة رسوله ؟

(٢) هكذا جاء نص هذه العبارة فى المخطوطة أيضاً ، وفى الدر المنثور ٢ : ١٣ ، كأنه قال : استودع كل حبر جزءاً منه . وهى عبارة فيها ما فيها .

أهَرَاقوا بينهم الدماء ، ووقع الشرّ والاختلاف . وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم ، بغياً بينهم على الدنيا ، طلباً لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها ، فسلَّط الله عليهم جبابرتهم ، فقال الله : « إن الدّين عند الله الإسلام » إلى قوله : « والله بصير بالعباد » .

* * *

فقولُ الربيع بن أنس هذا ، [1] يدلّ على أنه كان عنده أنه معنىٌّ بقوله : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب » ، اليهودُ من بنى إسرائيل ، دون النَّصارى منهم ، وغيرهم . [2]

* * *

وكان غيره يوجه ذلك إلى أن المعنىّ به النصارى الذين أوتوا الإنجيل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٧٠ — حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءهم العلم » ، الذى جاءك ، أى : أنّ اللهَ الواحدُ الذى ليس له شريك = « بغياً بينهم » ، يعنى بذلك النصارى . [3]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يقول الربيع بن أنس هذا يدل . . . » ، وهو فاسد جداً . فإن هذا قول الطبرى وتعليقه على خبر الربيع . والصواب ما أثبت ، كما هو ظاهر .

(٢) قوله : « دون النصارى منهم » معناه : دون النصارى من الذين أوتوا العلم . أما قوله : « وغيرهم » ، أى : ودون غير النصارى من الذين أوتوا العلم ، إشارة إلى ما جاء فى خبر ابن عمر السالف رقم ٦٧٦٨ . وكان فى المطبوعة : « دون النصارى منهم ومن غيرهم » ، وهى جملة لا يستقيم معناها ، فحذفت « من » لذلك .

(٣) الأثر : ٦٧٧٠ — رواه ابن هشام فى سيرته عن ابن إسحق ٢ : ٢٢٧ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٧٦٦ . وقوله : « يعنى بذلك النصارى » ، ليس فى ابن هشام ، وكأنه من تفسير الطبرى للخبر .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ ⑲ ١٤٣/٣

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : ومن يجحد حُجج الله وأعلامه التى نصبَها ذكرَى لمن عقل ، وأدلةً لمن اعتبر وتذكر ، فإن الله محص عليه أعماله التى كان يعملها فى الدنيا ، فمجازيه بها فى الآخرة ، فإنه جل ثناؤه « سريع الحساب » ، يعنى : سريع الإحصاء . وإنما معنى ذلك أنه حافظ على كل عامل عمله ، لا حاجة به إلى عقد كما يعقده خلقه بأكفّهم ، أو يعونه بقلوبهم ، ولكنه يحفظ ذلك عليهم ، بغير كلفة ولا مؤونة ، ولا معاناة لما يعانيه غيرُه من الحساب .[1]

* * *

* وبنحو الذى قلنا فى معنى « سريع الحساب » ، كان مجاهد يقول :

٦٧٧١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « ومن يكفر بآيات الله فإنّ الله سريع الحساب » ، قال : إحصاؤه عليهم .

٦٧٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب » ، إحصاؤه .

* * *

---

(١) انظر معنى « الكفر » و « الآيات » فيما سلف من فهارس اللغة (كفر) ، و (أيى) . وتفسير « سريع الحساب » فيما سلف ٤ : ٢٠٧ ، وأيضاً : ٢٧٤ ، ٢٧٥/ثم : هذا : ١٠١، ١٠٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن حاجّك : يا محمد ، النفرُ من نصارى أهل نجران فى أمر عيسى صلوات الله عليه ، فخاصموك فيه بالباطل ،[1] فقل : انقدت لله وحده بلسانى وقلبى وجميع جوارحى . وإنما خَصّ جل ذكره بأمره بأن يقول : « أسلمت وجهى لله » ، لأن الوجه أكرمُ جوارح ابن آدم عليه ، وفيه بهاؤه وتعظيمه ، فإذا خضع وجهه لشيء ، فقد خضع له الذى هو دونه فى الكرامة عليه من جوارح بدنه .[2]

* * *

وأما قوله : « ومن اتبعنى » ، فإنه يعنى : وأسلم من اتبعنى أيضاً وجهه لله معى . و« من » معطوف بها على « التاء » فى « أسلمت » ، كما : —

٦٧٧٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « فإن حاجُّوك » أى : بما يأتونك به من الباطل ، من قولهم : « خلَقنا ، وفعلنا ، وجعلنا ، وأمرنا » ، فإنما هى شبه باطلة قد عرفوا ما فيها من الحق = « فقل أسلمت وَجهى لله ومن اتبعنى » .[3]

---

(١) انظر تفسير « حاج » فيما سلف ٣ : ١٢٠ ، ٢٠١ / ثم ٥ : ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٢) انظر تفسير « أسلم وجهه » فيما سلف ٢ : ٥١٠ — ٥١٢ ، وتفسير « الإسلام » فى مراجعه التى ذكرتها آنفاً ص : ٢٧٥ تعليق : ١ .

(٣) الأثر : ٦٧٧٣ — رواه ابن هشام فى سيرته ٢ : ٢٢٧ ، وهو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٧٧٠

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وقل » ، يا محمد ، = للذين أوتوا الكتاب » من اليهود والنصارى = « والأميين » الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب = « أأسلمتم » ، يقول : قل لهم : هل أفردتم التوحيد وأخلصتم العبادة والألوهة لرب العالمين ، دون سائر الأنداد والأشراك التى تشركونها معه فى عبادتكم إياهم وإقراركم بربوبيتهم ،[1] وأنتم تعلمون أنه لا ربّ غيره ولا إله سواه = « فإن أسلموا » ، يقول : فإن انقادوا لإفراد الوحدانية لله وإخلاص العبادة والألوهه له = « فقد هتدوا » ، يعنى : فقد أصابوا سبيل الحق ، وسلكوا مَحَجَّة الرشد .[2]

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فإن أسلموا فقد اهتدوا » عقيب الاستفهام ؟ وهل يجوز على هذا فى الكلام أن يقال لرجل : « هل تقوم ؟ فإن تقم أكرمك » ؟

قيل : ذلك جائز ، إذا كان الكلام مراداً به الأمر ، وإن خرج مخرج الاستفهام ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٩١] ، يعنى : انتهوا ، وكما قال جل ثناؤه مخبراً عن الحواريين أنهم قالوا لعيسى : ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة المائدة : ١١٢] ، وإنما هو مسألة ، كما يقول الرجل : « هل أنت

---

(١) « الأشراك » جمع « شريك » ، كما يقال : يتيم وأيتام وشريف وأشراف . وقياسه شركاء ، مثل شرفاء .

(٢) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف فى فهارس اللغة . وتفسير « الأميين » فيما سلف : ٢٥٧ – ٢٥٩ ، والأثر رقم : ٥٨٢٧ ، وفى كلام الطبرى نفسه ٥ : ٤٤١ ، تعليق : ٢ .

كافٌّ عنا » ؟ بمعنى : اكفف عنا ، وكما يقول الرجل للرجل : « أين َ، أين »؟ بمعنى : أقم فلا تبرح . ولذلك جُوزى فى الاستفهام كما جوزى فى الأمر فى قراءة عبد الله ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، آمِنُوا﴾[سورة الصف : ١٠، ١١]، ففسرها بالأمر ،[1] وهى فى قراءتنا على الخبر . فالمجازاة فى قراءتنا على قوله : « هل أدلكم » ، وفى قراءة عبد الله على قوله : « آمنوا » ، على الأمر ، لأنه هو التفسير .[2]

* * *

وبنحو معنى ما قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل :

٦٧٧٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين » ، الذين لا كتاب لهم = « أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا » الآية .[3]

٦٧٧٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين » ، قال : الأميون الذين لا يكتبون . ١٤٤/٣

* * *

(١) فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٢ « ففسر (هل أدلكم) بالأمر » ، وما ههنا شبيه بالصواب أيضاً . هذا ، وقراءتنا فى مصحفنا « تؤمنون بالله » مكان « آمنوا » فى قراءة عبد الله .

(٢) هذا نص ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٢ .

(٣) الأثر : ٦٧٧٤ — ابن هشام فى سيرته عن ابن إسحق ٢ : ٢٢٧ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٧٧٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإن تولوا » ، وإن أدبروا مُعرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام وإخلاص التوحيد لله رب العالمين ،[1] فإنما أنت رسولٌ مبلِّغ ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقى ، وأداء ما كلَّفتك من طاعتى = « والله بصيرٌ بالعباد » ،[2] يعنى بذلك : والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به إليه فيطيعك بالإسلام ، وبمن يتولَّى منهم عنه معرضاً فيردّ عليك ما أرسلتك به إليه ، فيعصيك بإبائه الإسلامَ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه :[3] « إن الذين يكفرون بآيات الله » ، أى : يجحدون حجج الله وأعلامه فيكذبون بها ، من أهل الكتابين التوراة والإنجيل ، كما : —

٦٧٧٦ — حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير قال : ثم جمع أهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وابتدعوا ،

---

(١) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢ — ١٦٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩/ثم ٣ : ١١٥ ، ١٣١/ثم ٤ : ٢٣٧.

(٢) انظر تفسير « بصير بالعباد » فيما سلف آنفاً : ٢٦٢ . والمراجع فى التعليق : ٣ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناءه » والسياق يقتضى ما أثبت .

من اليهود والنصارى فقال : « إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقّ » إلى قوله : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء » .[1]

* * *

وأما قوله : « ويقتلون النبيين بغير حقّ » ، فإنه يعنى بذلك — أنهم كانوا يقتلون رُسل الله الذين كانوا يُرسَلون إليهم بالنهى عما يأتون من معاصى الله ، وركوب ما كانوا يركبونه من الأمور التى قد تقدم الله إليهم فى كتبهم بالزجر عنها ، نحو زكريا وابنه يحيى ، وما أشبههما من أنبياء الله .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة أهل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة وسائر قرأة الأمصار : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ ﴾ ، بمعنى القتل .

* * *

وقرأه بعض المتأخرين من قرأة الكوفة : ﴿ وَيُقَاتِلُونَ ﴾ ، بمعنى القتال ، تأوّلا منه قراءةَ عبد الله بن مسعود ، وادعى أن ذلك فى مصحف عبد الله : ﴿وَقَاتَلُوا﴾ ، فقرأ الذى وصفنا أمرَه من القراءة بذلك التأويل : ﴿ وَيُقَاتِلُونَ ﴾

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه : « ويقتلون » ، لإجماع الحجة من القرأة عليه به ،[3] مع مجىء التأويل من أهل التأويل بأن ذلك تأويله .

---

(١) الأثر : ٦٧٧٦ — ابن هشام ٢ : ٢٢٧ من بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٧٧٤ .

(٢) انظر تفسير « يقتلون النبيين بغير الحق » فيما سلف ٢ : ١٤٠ — ١٤٢ .

(٣) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، وهى عبارة لا أرتضيها ، وأظن صوابها « لإجماع الحجة من القرأة على القراءة به » . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٢ فى بيان قراءة الكسائى هذه .

• ذكر من قال ذلك :

٦٧٧٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن معقل بن أبي مسكين في قول الله : « ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » ، قال : كان الوحي يأتي إلى بني إسرائيل فيذكِّرون [قومهم] — ولم يكن يأتيهم كتاب — فيقتلون ،[1] فيقوم رجال ممن اتبعهم وصدقهم : فيذكِّرون قومهم فيقتلون ، فهم : الذين يأمرون بالقسط من الناس .

٦٧٧٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، في قوله : « ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » ، قال : هؤلاء أهل الكتاب ، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكّرونهم ، فيقتلونهم .

٦٧٧٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج في قوله : « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » ، قال : كان ناس من بني إسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب ، كان الوحي يأتي إليهم فيذكِّرون قومهم فيقتلون على ذلك ،[2] فهم : الذين يأمرون بالقسط من الناس .

٦٧٨٠ — حدثني أبو عبيد الوصّابي محمد بن حفص قال ، حدثنا ابن حِمْير قال ، حدثنا أبو الحسن مولى بني أسد ، عن مكحول ، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قلت : يا رسول الله ، أيُّ الناس أشدّ

---

(١) هكذا نص الطبري ، ونقله كذلك في الدر المنثور ٢ : ١٣ ، وزدت منه ما بين القوسين . ومعنى عبارته أن الوحي كان يأتي إلى أنبياء بني إسرائيل ، كما هو بين في الروايات الأخرى ، التي رواها البغوي في تفسيره (هامش ابن كثير) ٢ : ١١٧ ، ١١٨ ، والقرطبي ٤ : ٤٦ .

(٢) قوله : « كان ناس من بني إسرائيل . . . كان الوحي يأتي إليهم » بحذف خبر « كان » الأولى ، عبارة فصيحة محكمة في العربية ، قد نبهت إلى مثلها مراراً فيما سلف .

عذاباً يوم القيامة ؟ قال : رجل قتل نبيًّا ، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس »[1] إلى أن انتهى إلى « ومالهم من ناصرين » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأبا عبيدة ، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا من أول النهار في ساعة واحدة ! فقام مئة رجل واثنا عشر رجلا من عُبَّاد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم ، وهم الذين ذكر الله عزّ وجل .[2]

١٤٥/٣

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً: إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون آمريهم بالعدل في أمر الله ونهيه ، الذين يَنهونهم عن قتل أنبياء الله وركوب معاصيه .

* * *

(١) في المخطوطة والمطبوعة، والدر المنثور ٢ : ١٣ « الذين يقتلون النبيين » ، وفي غيرها « ويقتلون » وأثبت ما جاء في رواية ابن أبي حاتم ، فيما أخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ١١٨ ، وهو نص التلاوة .

(٢) الأثر : ٦٧٨٠ - « أبو عبيد الوصابي : محمد بن حفص الحمصي » مضت ترجمته برقم : ١٢٩ (وانظر ما سيأتي رقم : ٧٠٠٩) ، وكان هناك في الإسناد « حدثني أبو عبيد الوصابي ، قال حدثنا محمد بن حفص» فرجح أخي السيد أحمد أن يكون خطأ ، وقد أصاب ، وكان الأجود حذف « قال حدثنا » من ذلك الإسناد .

وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا « أبو عبيد الرصافي محمد بن جعفر » والصواب من تفسير ابن كثير ٢ : ١١٨ . «وابن حمير» هو : «محمد بن حمير بن أنيس القضاعي» ، روى عن إبراهيم بن أبي عبلة، ومحمد بن زياد الألهاني، ومعاوية بن سلام وغيرهم . سئل عنه أحمد فقال : «ما علمت إلا خيراً » ، وقال ابن معين : « ثقة » وقال ابن أبي حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » . وكان في المطبوعة : « ابن حميد » بالدال ، وهو خطأ ، صوابه من ابن كثير ، والبغوي بهامشه : ٢ : ١١٨ . وهو مترجم في التهذيب . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ، وذكر أبا عبيد الوصابي هذا فقال : « أدركته وقصدت السماع منه ، فقال لي بعض أهل حمص : ليس بصدوق ، ولم يدرك محمد بن حمير ، فتركته » . أما « أبو الحسن مولى بني أسد » ، فقد ترجمه الحافظ في لسان الميزان ٦ : ٣٦٤ قال : « أبو الحسن الأسدي » حدثنا عنه أبو كريب . مجهول ، انتهى . ولم ينفرد عنه أبو كريب ، بل روى عنه محمد بن حمير . وقال في روايته « مولى بني أسد ، عن مكحول » ، أخرج حديثه الطبري وابن أبي حاتم ، وذكره أبو حاتم فيمن لا يعرف اسمه » . هذا وقد خرجه البغوي من طريق محمد بن عمرو بن حنان الكلبي ، عن محمد بن حمير » (بهامش تفسير ابن كثير ٢ : ١١٨) .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ ﴿٢٢﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فبشّرهم بعذاب أليم » ، فأخبرهم يا محمد وأعلمهم : أنّ لهم عند الله عذاباً مؤلماً لهم ، وهو الموجع . [١]

* * *

وأمّا قوله : « أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة » ، فإنه يعنى بقوله : « أولئك » ، الذين يكفرون بآيات الله . ومعنى ذلك : أنّ الذين ذكرناهم ، هم = « الذين حبطت أعمالهم » ، يعنى : بطلت أعمالهم [٢] = « فى الدنيا والآخرة » . فأما فى الدنيا ، [٣] فلم ينالوا بها محمدةً ولا ثناء من الناس ، لأنهم كانوا على ضلال وباطل ، ولم يرفع الله لهم بها ذكراً ، بل لعنهم وهتك أستارهم ، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله فى كتبه التى أنزلها عليهم ، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمّةً ، فذلك حبوطها فى الدنيا . وأما فى الآخرة ، فإنه أعدّ لهم فيها من العقاب ما وصف فى كتابه ، وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بُوراً لا ثوابَ لها ، لأنها كانت كفراً بالله ، فجزاءُ أهلها الخلودُ فى الجحيم .

* * *

وأما قوله : « وما لهم من ناصرين » ، فإنه يعنى : وما لهؤلاء القوم من ناصر ينصرهم من الله ، إذا هو انتقم منهم بما سلف من إجرامهم واجترائهم عليه ، فيستنقذُهم منه . [٤]

* * *

---

(١) انظر معنى « بشر » فيما سلف ١ : ٣٨٣ / ٢ : ٣٩٣ / ٣ : ٢٢١ = ثم تفسير : « أليم » فيما سلف ١ : ٢٨٣ / ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٤٦٩ ، ٥٤٠ / ٣ : ٣٣٠ .

(٢) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ٤ : ٣١٧ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فأما قوله : فى الدنيا . . . » ، وحذفت قوله ، لأنى أرجح أنها سبق قلم من الناسخ ، لأن سياق كلامه وسياق قوله بعد : « وأما فى الآخرة » يقتضى حذفها .

(٤) انظر معنى « نصر » فيما سلف ٢ : ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٨٩ ، ٥٦٤ / ثم ٥ : ٥٨١ .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ألم تر » ، يا محمد[١] = « إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » ، يقول : الذين أعطوا حظًّا من الكتاب = « يدْعون إلى كتاب الله » . [٢]

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الكتاب » الذى عنى الله بقوله : « يدعون إلى كتاب الله ».

فقال بعضهم : هو التوراة ، دعاهم إلى الرضى بما فيها ، إذ كانت الفِرَق المنتحِلةُ الكتبَ تقرُّ بها وبمافيها : أنها كانت أحكامَ الله قبل أن ينسخ منها ما نُسخ.

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٨١ — حدثنا أبوكريب قال ، حدثنا يونس قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير وعكرمة ، عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المِدْرَاس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له نعيم بن عمرو ، [٣] والحارث

---

(١) انظر تفسير « ألم تر » فيما سلف ٣ : ١٦٠ / ثم ٥ : ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٢) انظر تفسير « نصيب » فيما سلف ٤ : ٢٠٦ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « نعيم بن عمرو » وكذلك جاء فى تفسير القرطبى ٤ : ٥٠ ، وتفسير البغوى (بهامش ابن كثير) ٢ : ١١٩ ، ولكن الذى جاء فى رواية ابن هشام عن ابن إسحق فى سيرته ٢ : ٢٠١ ، « نعمان بن عمرو » ، وكذلك جاء ذكره قبل ذلك فى أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيرة ابن هشام ٢ : ١٦١ ، وكذلك جاء أيضاً فيما أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٤ ، ونسبه إلى ابن إسحق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والاختلاف فى أسماء يهود كثير مشكل ! !

ابن زيد : على أيّ دين أنت يا محمد ؟ فقال : على ملة إبراهيم ودينه . فقالا : فإنّ إبراهيم كان يهوديًّا ! فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلمُّوا إلى التوراة ، فهى بيننا وبينكم ! فأبيا عليه ،[1] فأنزل الله عز وجل : « ألم تَر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدْعونَ إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يَتولى فريق منهم وهم معرضون » إلى قوله : « ما كانوا يفترون » .

٦٧٨٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم : بيت المدراس = فذكر نحوه ، إلا أنه قال : فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلمَّا إلى التوراة[2] = وقال أيضاً : فأنزل الله فيهما : « ألم تَر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » = وسائر الحديث مثل حديث أبي كريب .[3] ١٤٦/٣

* * *

وقال بعضهم : بل ذلك كتابُ الله الذى أنزله على محمد ، وإنما دُعيت طائفةٌ منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم بالحقّ ، فأبتْ .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٨٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم

---

(١) فى المطبوعة : « فأبوا عليه » ، وهو تصرف من سوء رأى الناشر الأول ، والصواب من المخطوطة ، وسائر المراجع المذكورة فى التعليق على الأثر التالى .

(٢) « فهلما » ، يعنى بالتثنية ، وأما الرواية السالفة « فهلموا » » جميعاً . وجاء فى مطبوعة سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠١ « فهلم » مفردة ، وهو خطأ ، فإن النسخة الأوربية من سيرة ابن هشام ، التى نشرت عنها طبعة الحلبى هذه ، نصها «فهلما » . فوافقت رواية الطبرى . فهذا تحريف آخر من الطابعين ! ! وانظر إلى دقة أبى جعفر الطبرى فى إثبات الاختلاف اليسير فى الرواية ، وإلى استخفاف الناشرين من أهل دهرنا فى إهمال ما هو مكتوب مرقوم بين أيديهم وتحت أبصارهم ! !

(٣) الأثران : ٦٧٨١ ، ٦٧٨٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠١ ، وتفسير القرطبى ٤ : ٥٠ ، وتفسير البغوى (بهامش ابن كثير) ٢ : ١١٩ ، والدر المنثور ٢ : ١٤ .

ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » ، أولئك أعداء الله اليهود ، دُعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، وإلى نبيه ليحكم بينهم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، ثم تولوا عنه وهم معرضون .

٦٧٨٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » ، الآية قال : هم اليهود ، دُعوا إلى كتاب الله وإلى نبيه ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم ، ثم يتولون وهم معرضون !

٦٧٨٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم » ، قال : كان أهل الكتاب يُدْعون إلى كتاب ليحكم بينهم بالحق يكون ، وفى الحدود . [1] وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام ، فيتولون عن ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود = الذين كانوا بين ظَهرانى مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهده ، ممن قد أوتى علماً بالتوراة = أنهم دُعوا إلى كتاب الله الذى كانوا يقرّون أنه من عند الله — وهو التوراة — فى بعض ما تنازعوا فيه هم ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وقد يجوز أن يكون تنازعهم الذى كانوا

(١) هكذا جاءت فى المخطوطة والمطبوعة « . . . بالحق يكون وفى الحدود » ، وفى الدر المنثور ٢ : ١٤ « بالحق وفى الحدود » بإسقاط « يكون » ، وكلتاهما لا أراها تستقيم ، وأنا أرجح أن صواب السياق يقتضى أن تكون : « بالحق يكون فى الحدود » بحذف الواو . فقد جاء فى رواية ابن الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس : أن الآية نزلت فى أمر اليهودى واليهودية من أهل خيبر ، فزنيا ، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما ، فرفعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحكم برجمهما ، فقالت الأحبار : ليس عليهما الرجم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينى وبينكما التوراة . فلما جاءوا بالتوراة ، وانتهوا إلى آية الرجم ، وضع ابن صوريا يده عليها وقرأ ما بعدها . والخبر مشهور . ثم إن كلام الطبرى بعد مرجح لما قلت : وذلك قوله بعد : « ويجوز أن يكون ذلك كان فى حد » .

تنازعوا فيه ، ثم دعوا إلى حكم التوراة فيه فامتنعوا من الإجابة إليه ، كان أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم وأمرَ نبوته = ويجوز أن يكون ذلك كان أمرَ إبراهيم خليل الرّحمن ودينه = ويجوز أن يكون ذلك ما دُعوا إليه من أمر الإسلام والإقرار به = ويجوز أن يكون ذلك كان فى حدّ . فإن كل ذلك مما قد كانوا نازعوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم فيه إلى حكم التوراة ، فأبى الإجابة فيه وكتمه بعضهم .

ولا دلالة فى الآية على أىّ ذلك كان من أىٍّ، [1] فيجوز أن يقال : هو هذا دون هذا . ولا حاجة بنا إلى معرفة ذلك ، لأن المعنى الذى دُعوا إلى حكمه ، [2] هو مما كان فرضاً عليهم الإجابة إليه فى دينهم ، فامتنعوا منه ، فأخبر الله جل ثناؤه عنهم بردّتهم ، وتكذيبهم بما فى كتابهم ، وجحودهم ما قد أخذ عليهم عهودَهم ومواثيقهم بإقامته والعمل به . فلن يعدُوا أن يكونوا فى تكذيبهم محمداً وما جاء به من الحق ، مثلهم فى تكذيبهم موسى وما جاء به وهم يتولونه ويقرّون به .

* * *

ومعنى قوله : « ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » ، [3] ثم يستدبر عن كتاب الله الذى دعا إلى حكمه ، معرضاً عنه منصرفاً ، وهو بحقيقته وحجته عالم . [4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « ولا دلالة فى الآية على أن ذلك كان مما أبى » ، وهو كلام بلا معنى . وفى المخطوطة : « على أن ذلك كان من أبى » ، وهو مثله ، والصواب ما أثبت . والمعنى : ولا دلالة فى الآية على تعيين أحد هذه الأسباب ، وأيها هو الذى كان . وهذا تعبير قد سلف مراراً فى كلام الطبرى ، انظر ١ : ٥٢٠ « ولو كان فى العلم بأى ذلك من أى رضاً ، لم يخل عباده من نصب دلالة عليها . . . » و ٢ : ٥١٧ « إذ لم يكن فى الآية دلالة على أى من أى . . . » و ٣ : ٦٤ « ولا علم عندنا بأى ذلك كان من أى » .

(٢) فى المطبوعة : « الذى دعوا إليه جملته » ، وهو كلام لا معنى له . وفى المخطوطة : « الذى دعوا إليه حمله » غير منقوطة ، والصواب ما أثبت ، لأن الآية دالة عليه ، وذلك قوله تعالى : « يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم » ، ولأن السياق يقتضى ما أثبت . وسيأتى ، بعد ، س : ١٣ ما يدل على صواب ذلك أيضاً .

(٣) انظر معنى « التولى » فيما سلف ص : ١٤٤ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر معنى « الإعراض » فيما سلف ٢ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

وإنما قلنا إن ذلك « الكتاب » هو التوراة ، لأنهم كانوا بالقرآن مكذبين ، وبالتوراة بزعمهم مصدّقين ، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به فى زعمهم مقرُّون ، أبلغَ ، وللعذر أقطعَ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (٢٤)

يعنى جل ثناؤه بقوله : « بأنهم قالوا » ، بأنّ هؤلاء الذين دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق فيما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أبوا الإجابة إلى حكم التوراة وما فيها من الحق : من أجل قولهم :[١] « لن تمسنا النارُ إلاّ أياماً معدودات » = وهى أربعون يوماً ، وهن الأيام التى عبدوا فيها العجل[٢] = ثم يخرجنا منها ربنا ، اغتراراً منهم = « بما كانوا يفترون » ، يعنى : بما كانوا يختلقون من الأكاذيب والأباطيل ، فى ادعائهم أنهم أبناء الله وأحِبّاؤه ، وأن الله قد وعد أباهم يعقوبَ أن لا يُدْخل أحَداً من ولده النار إلاّ تَحِلَّةَ القسم .[٣] فأكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم ، وأخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل النار هم فيها خالدون ، دون المؤمنين بالله ورُسله وما جاؤوا به من عنده .

* * *

(١) قوله : « من أجل قولهم » تفسير لمعنى الباء فى قوله : « ذلك بأنهم قالوا » ، وانظر تفسير ذلك وبيانه فيما سلف ٢ : ١٣٩ فى تفسير قوله تعالى : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » .

(٢) انظر تفسير قولهم : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » فيما سلف ٢ : ٢٧٤ – ٢٧٨ .

(٣) التحلة (بفتح التاء وكسر الحاء ، وتشديد اللام المفتوحة) : هو ما تكفر به عن يمينك . ويقال : « لم يفعل هذا الأمر إلا تحلة القسم » : أى لم يفعله إلا بمقدار ما يحلل به قسمه ويخرج منه ، غير مبالغ فى ذلك الفعل . والمعنى : أن النار لا تمسهم إلا مسة يسيرة مثل تحلة قسم الحالف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٨٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودات » ، قالوا : لن تمسنا النار إلاّ تحلة القسم التى نصبنا فيها العجل ، ثم ينقطع القسم والعذاب عنا = قال الله عز وجل : « وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون » ، أى قالوا : « نحنُ أبناء الله وأحباؤه » .

٦٧٨٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودات » ، الآية ، قال : قالوا : لن نعذب فى النار إلاّ أربعين يوماً ، قال : يعنى اليهود = قال : وقال قتادة مثله = وقال : هى الأيام التى نَصَبوا فيها العجل . يقول الله عز وجل : « وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون » ، حين قالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .

٦٧٨٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد قوله : « وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون » ، قال : غرّهم قولهم : « لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودات » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فكيف إذا جمعناهم » ، فأىُّ حال يكون حالُ هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول، وفعلوا ما فعلوا من إعراضهم عن كتاب الله ، واغترارهم بربهم ، وافترائهم الكذب ؟ وذلك من الله عز وجل وعيدٌ لهم شديد، وتهديدٌ غليظٌ .

وإنما يعنى بقوله : « فكيف إذا جمعناهم » الآية : فما أعظم ما يلقوْن من عقوبة الله وتنكيله بهم ، إذا جمعهم ليوم يُوفَّى كلَّ عامل جزاءَ عمله على قدر استحقاقه ، غير مظلوم فيه ، لأنه لا يعاقب فيه إلاّ على ما اجترم ، ولا يؤاخذُ إلا بما عمل ، يُجزَى المحسنُ بإحسانه ، والمسئ بإساءته ، لا يخاف أحدٌ من خلقه منه يومئذ ظلماً ولا هضماً .[(١)]

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه » ، ولم يقل : فى يوم لا رَيب فيه ؟

قيل: لمخالفة معنى « اللام » فى هذا الموضع معنى « » . وذلك أنه لو كان مكان « اللام » « فى » ، لكان معنى الكلام : فكيف إذا جمعناهم فى يوم القيامة ، ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب ؟ وليس ذلك المعنى فى دخول « اللام » ، ولكن معناه مع « اللام » : فكيف إذا جمعناهم لما يحدُث فى يوم لا ريب فيه ، ولما يكون فى ذلك اليوم من فَصْل الله القضاءَ بين خلقه ، ماذا لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب ؟ فمع « اللام » فى « ليوم لا ريب فيه » نيَّة فِعْل، وخبرٌ مطلوب قد

(١) انظر ألفاظ هذه الآية مفسرة فيما سلف ، واطلبها فى فهارس اللغة من الأجزاء الماضية .

ترك ذكره، أجزأت دلالةُ دخول « اللام » فى « اليوم » عليه، منه .[١] وليس ذلك مع « فى » ، فلذلك اختيرت « اللام » فأدخلت فى « اليوم » ، دون « فى » .[٢]

* * *

وأما تأويل قوله : « لا ريب فيه » ، فإنه : لا شك فى مجيئه . وقد دللنا على أنه كذلك بالأدلة الكافية ، مع ذكر من قال ذلك فى تأويله فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .[٣]

* * *

وعنى بقوله : « ووُفِّيت » ، ووَفَّى الله = « كلُّ نفس ما كسبت » ، يعنى : ما عملت من خير وشر[٤] = « وهم لا يظلمون » ، يعنى أنه لا يبخس المحسن جزاءَ إحسانه ، ولا يعاقب مسيئاً بغير جرمه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ ﴾

قال أبو جعفر : أما تأويل : « قل اللهم » ، فإنه : قل يا محمد : يا اللهُ .

* * *

واختلف أهل العربية فى نصب « ميم » « اللهم » ، وهو منادًى ، وحكم المنادى المفرد غير المضافِ الرفعُ = وفى دخول « الميم » فيه ، وهو فى الأصل « الله » بغير « ميم » .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « قد ترك ذكره أخيراً بدلالة دخول اللام فى اليوم عليه منه » ، وهو كلام خلو من المعنى ، والظاهر أن الناسخ رأى تاء « أجزأت » متصلة بدال « دلالة » ، فجعلها « بدلالة » وجعل « أجزأ » « أخيراً » فذهب الكلام هدراً ولغواً . وسياق العبارة كما أثبتناها : « أجزأت منه دلالة دخول اللام فى اليوم » فأخر « منه » على عادته فى تأخير مثل ذلك فى كل كلامه .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وعبارته هناك . « تقول فى الكلام : جمعوا ليوم الخميس، وكأن اللام لفعل مضمر فى « الخميس » ، كأنهم جمعوا لما يكون يوم الخميس . وإذا قلت : جمعوا فى يوم الخميس = لم تضمر فعلا . وقوله : جمعناهم ليوم لا ريب فيه = أى للحساب والجزاء » .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٢٨ ، ٣٧٨ / ثم ٦ : ٢٢١ .

(٤) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ / ٣ : ١٠١ ، ١٢٨ / ٤ : ٤٤٩ / ٦ : ١٣١ .

فقال بعضهم : إنما زيدت فيه « الميمان » ، لأنه لا ينادى بـ « يا » كما ينادى الأسماء التى لا « ألف » فيها ولا « لام » . وذلك أن الأسماء التى لا « ألف » ولا « لام » فيها تنادى بـ « يا » كقول القائل : « يا زيد ، ويا عمرو » . قال فجعلت « الميم » فيه خلفاً من « يا » ، كما قالوا : « فم ، وابنم ، وهم ، وزُرْقُم ،[1] وسُتْهُم » ،[2] وما أشبه ذلك من الأسماء والنعوت التى يحذف منها الحرف ، ثم يبدل مكانه « ميم » . قال : فكذلك حذفت من « اللهم » « يا » التى ينادى بها الأسماء التى على ما وصفنا ، وجعلت « الميم » خلفاً منها فى آخر الاسم .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « ودم ، وهم » ، والأولى « ودم » خطأ لا شك فيه ، وسيأتى صوابه بعد أسطر ، حين عاد فذكر الثلاثة جميعاً : « فم ، وابنم ، وهم » ، على تصرف المطبوعة هناك فى نص المخطوطة ، ليوافق الذى كتبه هنا .

أما قوله : « وهم » ، فلم أعرف لها وجهاً أرتضيه ، وهذه الكلمة جاءت فى كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٠٣ ، وستأتى أيضاً كذلك بعد أسطر . وقد راجعتها فى نسختى مخطوطة معانى القرآن ، فإذا هى كذلك « وهم » ، وعلى الميم شبيه بالشدة فى النسختين المخطوطتين ، وأغفلت ذلك المطبوعة . وقد وقف ناشرو معانى القرآن عليها ، فعلقوا بما نصه : (كأنه يريد « هم » الضمير ، وأصلها « هوم » ، إذ هى جمع « هو » ، فحذفت الواو وزيدت ميم الجمع ، وإن كان هذا الرأى يعزى إلى البصريين . وانظر شرح الرضى للكافية فى مبحث الضمائر) ، وعلق بعض طابعى تفسير الطبرى بما يأتى : (قوله : « ودم » كذا فى النسخ ، والكلمتان دم ، وهم ، لعلهما محرفتان عن : ابنم ، ودلهم ، أو دلقم ، من الكلمات التى زيدت فى آخرها الميم ، وذكرها السيوطى فى المزهر ٢ : ١٣٥) .

والذى قاله ناشرو معانى القرآن ، لا يقوم ، لأن الميم فى هم ، وإن كانت زائدة من وجه ، إلا أنها أتى بها لمعنى هو غير ما جاءت به الزيادة فى « فم » و « ابنم » ، ولعلة اختلف عليها النحويون اختلافاً كثيراً . وأما ما قاله ناشر الطبرى من أنها محرفة عن « دلهم أو دلقم » ، فليس بشىء ، لأن مطبوعات الطبرى ومخطوطاته قد اتفقت عليه ، وعجيب أن يتفق تصحيفها ، وتصحيف نسختين من معانى القرآن ، الذى ينقل الطبرى نص كلامه . وبعد هذا كله أجدنى عاجزاً كل العجز عن معرفة أصل هذه الكلمة ، وعن وجه يرتضى فى تصحيفها أو تحريفها أو قراءتها ، وقد استقصيت أمرها ما استطعت ، ولكنى لم أنل إلا النصب فى البحث ، فعسى أن أجد عند غيرى من علمها ما حرمنى الله علمه ، وفوق كل ذى علم عليم .

(٢) « زرقم ، وستهم » (كلتاهما بضم الأول وسكون الثانى وضم الثالث) : رجل زرقم وامرأة زرقم ، أزرق شديد الزرق . فلما طرحت الألف من أوله ، زيدت الميم فى آخره . وكذلك « رجل ستهم وامرأة ستهم » : أسته ، وهو العظيم الاست ، الكبير العجز ، فعل به ما فعل بصاحبه . وقال الراجز فى امرأة :

لَيْسَتْ بِكَحْلَاءَ وَلَـكِنْ زُرْقُمُ ... وَلَا بِرَسْحَاءَ وَلَـكِنْ سُتْهُمُ

وأنكر ذلك من قولهم آخرون، وقالوا : قد سمعنا العرب تنادى « اللهم » بـ « يا » كما تناديه ولا « ميم » ، فيه . قالوا : فلو كان الذى قال هذا القولَ مصيباً فى دعواه، لم تدخل العربُ « يا» ، وقد جاؤوا بالخلف منها .[1] وأنشدوا فى ذلك سماعاً من العرب :

وَمَا عَلَيْكِ أَنْ تَقُولِي كُلَّمَا ... صَلَّيْتِ أَوْ كَبَّرْتِ يَا أَللَّهُمَّا

أُرْدُدْ عَلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلَّمَا[2]

١٤٨/٣

ويُرْوَى : « سبَّحت أو كبرَّت » . قالوا : ولم نر العرب زادت مثل هذه «الميم » إلاّ مخففة فى نواقص الأسماء مثل : « الفم ، وابنم ، وهم » ،[3] قالوا : ونحن نرى أنها كلمة ضُمّ إليها « أمّ » ، بمعنى : « يا ألله أمَّنا بخير » ، فكثرت فى الكلام فاختلطت به . قالوا : فالضمة التى فى « الهاء » من همزة «أم » ، لما تركت انتقلت إلى ما قبلها . قالوا : ونرى أن قول العرب : « هلم إلينا » ، مثلها . إنما كان «هلم» ، «هل» ضم إليها « أمّ » ، فتركت على نصبها . قالوا : من العرب من يقول إذا طرح « الميم » : « يا اللهُ اغفر لى » و « يا أللهُ اغفر لى » بهمز « الألف » من « الله » مرة، ووصلها أخرى . فمن حذفها أجراها على أصلها ، لأنها « ألف ولام » ، مثل « الألف واللام » اللتين يدخلان فى الأسماء المعارف زائدتين . ومن همزها توهم أنها من الحرف ،

---

(١) فى المطبوعة : « لم تدخله العرب يا » ، وفى المخطوطة : « لم تدخله العرسه يا » ، وهذا من عجلة الناسخ ، فرددتها جميعاً إلى أصلهما .

(٢) لم يعرف قائله ، والأبيات فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٣ ، والجمل للزجاجى : ١٧٧ والإنصاف : ١٥١ ، والخزانة ١ : ٣٥٩ ، واللسان (أله) وغيرها من كتب العربية والنحو ، ومختلف فى روايته ، وجاءوا به شاهداً على زيادة « ما » بعد « ياللهم » فروايته عند بعضهم « يا اللهم ما » ، وبعد الأبيات زيادة زادها الكوفيون :

مِنْ حَيْثُمَا وَكَيْفَمَا وَأَيْنَمَا ... فإنَّنَا مِنْ خَيْرِهِ لَنْ نَعْدَمَا

(٣) فى المطبوعة : « مثل فم ودم وهم » ، وأثبت نص المخطوطة ، وهو موافق لنص الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٠٣ ، وهو نص كلامه .

إذ كانت لا تسقط منه ، وأنشدوا فى همز الألف منها :

مُبَارَكٌ هُوَ وَمَنْ سَمَّاهُ عَلَى اسْمِكَ اللَّهُمَّ يَا أَللهْ[1]

قالوا : وقد كثرت «اللهم» فى الكلام ، حتى خففت ميمها فى بعض اللغات . وأنشدوا : [2]

كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِى رِيَاحٍ يَسْمَعُهَا اللَّهُمُ الْكُبَارُ[3]

والرواة تنشد ذلك :

يَسْمَعُهَا لَاهُهُ الْكُبَارُ

---

(١) لم يعرف قائله ، والبيتان فى معانى القرآن ١ : ٢٠٣ ، والإنصاف : ١٥٠ ، واللسان (أله)

(٢) هو الأعشى .

(٣) ديوانه : ١٩٣ ، ومعانى القرآن ١ : ٢٠٣ ، والخزانة ١ : ٣٤٥ ، واللسان (أله) ، وغيرها . من قصيدة يعاتب بها بنى جحدر ، وكانت بينه وبينهم نائرة ، ذكرها فى قصائد من شعره . وقبل البيت وهو أول القصيدة :

أَلَمْ تَرَوْا إِرَمًا وَعَادًا أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
بَادُوا ، فَلَمَّا أَنْ تَآدَوْا قَفَّى عَلَى إِثْرِهِمْ قُدَارُ
كَحَلْفَةٍ . . . .

أودى بها : أهلكها وذهب بها . وقوله : « فلما أن تآدوا » من قولهم : «تآدى القوم تآديًا وتعادوا تعاديًا» : تتابعوا موتًا . وأصله من آدى الرجل : إذا كان شاك السلاح قد لبس أداة الحرب ، يعنى أخذوا أسلحتهم فتقاتلوا حتى تفانوا . ومن شرح البيت « تآدوا » بمعنى تماونوا وكثروا ، فقد أخطأ ، وذهب مذهبًا باطلا . يقول : لما هلكت إرم وعاد ، أتت على آثارهم ثمود ، و « قدار » هو عاقر الناقة من ثمود فسموا القبيلة باسمه ، إذ كان سببًا فى هلاكهم إذ دمدم عليهم ربهم فسواها . وأبو رياح (بياء تحتية) رجل من بنى ضبيعة ، كان قتل رجلا من بنى سعد بن ثعلبة جارًا لهم ، فسألوه أن يحلف ، أو يعطى الدية ، فحلف لهم ، ثم قتل بعد حلفته . فضربته العرب مثلا لما لا يغنى من الحلف . وفى المطبوعة « رباح » بالباء الموحدة ، وهو خطأ . وهذا البيت الأخير ، جاء فى هذا الموضع من الشعر فى ديوانه ، ولكن الأرجح ما رواه أبو عبيدة فى قول الأعشى لبنى جحدر :

أَقْسَمْتُمُ لَا نُعْطِيَنَّكُمْ إِلَّا عِرَارًا ، فَذَا عِرَارُ

وقد أنشده بعضهم : [١]

يَسْمَعُهَا اللهُ واللهُ كُبَارُ[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : يا مالك الملك ، يا مَنْ له مُلك الدنيا والآخرة خالصاً دون وغيره ، كما : —

٦٧٨٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير قوله : « قل اللهم مالك الملك » ، أى ربَّ العباد الملكَ ، لا يقضى فيهم غيرك . [٣]

* * *

وأما قوله : « تؤتى الملك من تشاء » ، فإنه يعنى : تُعطى الملك من تَشاء ، فتملكه وتسلِّطه على من تشاء .

وقوله : « وتنزع الملك ممن تشاء » ، يعنى : وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه ، [٤]

والعرار : القتال . يقول : أقسمتم أن لا تعطونا إلا بعد قتال ، فهذا هو القتال ، قضى عليكم كما قضت على أبى رياح حلفته الكاذبة إذ سمعها ربه الأكبر . والكبار (بضم الكاف) صيغة المبالغة من « كبير » .

(١) قال الفراء : « وأنشدنى الكسائى » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يسمعها الله والكبار » ، وهو خطأ من الناسخ ، والصواب ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٣ ، والذى مضى جميعه هو من نص كلامه مع قليل من التصرف . وكذلك رواها شارح ديوانه ، وكذلك سائر الكتب . وروى أبو عبيدة : « يسمعها الواحد الكبار » .

(٣) الأثر : ٦٧٨٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٧ ، ونصه : « أى رب العباد ، والملك الذى لا يقضى فيهم غيره » ، وهو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٧٧٦ .

(٤) سقط من المطبوعة : « يعنى : وتنزع الملك ممن تشاء » ، فأثبتها من المخطوطة .

فترك ذكر «أن تنزعه منه»، اكتفاءً بدلالة قوله : «وتنزع الملك ممن تشاء»، عليه ، كما يقال : «خذ ما شئتَ = وكنْ فيما شئت» ، يراد : خذ ما شئت أن تأخذه، وكن فيما شئت أن تكون فيه؛ وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [سورة الانفطار : ٨] ،يعني : في أيّ صورة شاءَ أن يركبك فيها ركبك . [١]

* * *

وقيل إنّ هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جواباً لمسألته ربَّه أن يجعل مُلك فارسَ والروم لأمته . [٢]

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٩٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : وذكر لنا : أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارسَ والروم في أمته ، فأنزل الله عز وجل : «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء» إلى «إنك على كل شيء قدير» .

٦٧٩١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قال : ذُكر لنا والله أعلم : أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم في أمته ، ثم ذكر مثله .

* * *

وروى عن مجاهد أنه كان يقول : معنى «الملك» في هذا الموضع : النبوة .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

٦٧٩٢ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : «تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء» ، قال : النبوّة.

---

(١) ما سلف مختصر ما في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٠٤ — ٢٠٥ ، وقد وفاه حقه .

(٢) انظر تفسير «الملك» فيما سلف ١ : ١٤٨ ، ٢/١٤٩ : ٤٨٨/ : ٥ : ٣١٢، ٣١٥، ٣٧١

٦٧٩٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه : « وتعز من تشاء » ، بإعطائه الملك والسلطان ، وَبسط القدرة له = « وتذلّ من تشاء » بسلبك ملكه ، وتسليط عدوه عليه = « بيدك الخير » ، أي : كل ذلك بيدك وإليك ، لا يقدر على ذلك أحد ، لأنك على كل شيء قديرٌ دون سائر خلقك ، ودون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والأمّيين من العرب إلهاً وربًّا يعبدونه من دونك ، كالمسيح والأنداد التي اتخذها الأميون ربًّا ، كما : — ١٤٩/٣

٦٧٩٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير قوله : « تؤتي الملك من تشاء » ، الآية ، أي : إنّ ذلك بيدك لا إلى غيرك[1] = « إنك على كل شيء قدير » ، أي : لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقُدْرَتك .[2]

* * *

(١) نص رواية ابن هشام : « أي : لا إله غيرك » .

(٢) الأثر : ٦٧٩٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٧ وهو بقية الآثار التي آخرها رقم : ٦٧٨٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « تولج » تُدْخل ، يقال منه : « قد ولَجَ فلان منزله » ، إذا دخله ، « فهو يَلِجه وَلْجاً ووُلوجاً ولِجَةً » [1] — و« أولجته أنا » ، إذا أدخلته .

* * *

ويعنى بقوله : « تولج الليل فى النهار» تدخل ما نقصتَ من ساعات الليل فى ساعات النهار ، فتزيد من نقصان هذا فى زيادة هذا = « وتولج النهارَ فى الليل » ، وتدخل ما نقصتَ من ساعات النهار فى ساعات الليل ، فتزيد فى ساعات الليل ما نقصت من ساعات النهار ، كما : —

٦٧٩٥ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « تولج الليلَ فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، حتى يكون الليل خمسَ عشرةَ ساعة ، والنهارُ تسعَ ساعاتٍ ، وتدخل النهار فى الليل حتى يكون النهار خمسَ عشرة ساعة ، والليل تسع ساعات .

٦٧٩٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما نقص من النهار يجعله فى الليل ، وما نقص من الليل يجعله فى النهار . [2]

٦٧٩٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله الله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى

---

(١) قوله : « ولجا » مصدر لم تذكره كتب اللغة . وقوله « لجة » بوزن « عدة وزنة » .

(٢) الأثر : ٦٧٩٦ — « حفص بن عمر العدنى » ، مترجم فى الكبير ١/٢/٣٦٢ ، وابن أبى حاتم ١/٢/١٨٢ . وقد مضى هذا الإسناد برقم : ٥٣٣ ، ١٤٠٦ ، وسيأتى أيضاً برقم : ٦٨١٤ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا : « حفص عن عمر » ، وهو خطأ .

الليل » قال : ما ينقص من أحدهما فى الآخر ، يعتقبان = أو : يتعاقبان ، شك أبو عاصم = ذلك من الساعات . [1]

٦٧٩٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، ما ينقص من أحدهما فى الآخر ، يتعاقبان ذلك من الساعات .

٦٧٩٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قوله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، نقصان الليل فى زيادة النهار ، ونقصان النهار فى زيادة الليل .

٦٨٠٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، قال : هو نقصان أحدهما فى الآخر .

٦٨٠١ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة فى قوله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، قال : يأخذ الليل من النهار ، ويأخذ النهار من الليل . يقول : نقصان الليل فى زيادة النهار ، ونقصان النهار فى زيادة الليل .

٦٨٠٢ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، [2] سمعت الضحاك يقول فى قوله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، يعنى أنه يأخذ أحدُهما من الآخر ، فيكون الليل أحياناً أطول من النهار ، والنهار أحياناً أطول من الليل .

---

(١) فى المطبوعة : « ما ينقص من أحدهما يدخل فى الآخر ، متعاقبان . . . » بزيادة « يدخل » وليست فى المخطوطة ، وانظر الأثر التالى . وقوله « يعتقبان » فى المخطوطة : « معتصان » غير منقوطة ، وهو تحريف ، والذى فى المطبوعة تصرف لا معنى له .

(٢) فى المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، وهو خطأ ، وهو إسناد دائر فى التفسير .

٦٨٠٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل » ، قال : هذا طويل وهذا قصير ، أخذ من هذا فأولجه في هذا ، حتى صار هذا طويلاً وهذا قصيراً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : « تأويل ذلك : أنه يخرج الشيء الحيَّ من النطفة الميتة ، ويخرج النطفة الميتة من الشيء الحيّ » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٨٠٤ — حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ،عن الأعمش ،عن إبراهيم ،عن عبد الله في قوله : « تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحيّ » ، قال : هي النطفة تخرج من الرّجل وهي ميتة وهو حي ، ويخرج الرجل منها حيًّا وهي ميتة .

٦٨٠٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ،حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي » ، قال : الناس الأحياء من النُّطف والنُّطف ميتة ، ويخرجها من الناس الأحياء ، والأنعام .

١٠٠/٣

٦٨٠٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٨٠٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك فى قوله : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، فذكر نحوه .

٦٨٠٨ - حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ » ، فالنطفة ميتة تكون ، تخرج من إنسان حىّ ، ويخرج إنسان حىّ من نطفة ميتة .

٦٨٠٩ - حدثنى محمد بن عمر بن على بن عطاء المقدمى قال ، حدثنا أشعث السجستانى قال ، حدثنا شعبة ، عن إسمعيل بن أبى خالد فى قوله : « تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ » ، قال : تخرج النطفة من الرجل ، والرجل من النطفة .[1]

٦٨١٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ » ، قال : تخرج الحىّ من هذه النطفة الميتة ، وتخرج هذه النطفة الميتة من الحىّ .

٦٨١١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ » الآية ، قال : الناس الأحياء من النطف ، والنطف ميّتة من الناس الأحياء ، ومن الأنعام والنَّبْت كذلك = قال ابن جريج : وسمعت يزيد بن عويمر يخبر ، عن سعيد ابن جبير قال : إخراجه النطفة من الإنسان ، وإخراجه الإنسان من النطفة .[2]

---

(١) الأثر : ٦٨٠٩ - « محمد بن عمر بن على بن عطاء المقدمى » ، ثقة . روى عن أشعث بن عبد الله السجستانى ، وروى عنه الأربعة ، والطبرى وغيرهم ، مترجم فى التهذيب . وقد مضى فى رقم : ٦٢٥٥ . وكان فى المطبوعة : « حدثنى محمد بن عمرو ، وابن على ، عن عطاء المقدمى » ، وفى المخطوطة : « محمد بن عمرو بن على ، عن عطاء المقدمى » ، وكلاهما خطأ ، والصواب ما أثبت .

(٢) الأثر : ٦٨١١ - « يزيد بن عويمر » ، لم أجد فى الرواة من يسمى بذلك ، وأخشى أن يكون فى اسمه تحريف أو تصحيف لم أهتد إليه .

٦٨١٢ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ » ، قال : النطفة ميتة، فتخرج منها أحياء = « وتخرج الميت من الحىّ » ، تخرج النطفة من هؤلاء الأحياء ، والحبّ ميتٌ تخرج منه حيًّا = « وتُخرج الميت من الحىّ » ، تخرج من هذا الحىّ حبًّا ميتاً .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « أنه يخرج النخلة من النواة ، والنواةَ من النخلة ، والسنبل من الحب ، والحبّ من السنبل ، والبيض من الدجاج ، والدجاج من البيض » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٨١٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا عبد الله ، عن عكرمة قوله : « تخرج الحى من الميت » ، قال : هى البيضة تخرج من الحىّ وهى ميتة ، ثم يخرج منها الحىّ .

٦٨١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة فى قوله : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، قال : النخلة من النواة والنواة من النخلة ، والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة .

* * *

وقال آخرون : « معنى ذلك : أنه يخرج المؤمن من الكافر ، والكافرَ من المؤمن » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٨١٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، يعنى المؤمن من الكافر والكافرَ من المؤمن ، والمؤمن عبدٌ حىُّ الفؤاد ، والكافر عبدٌ ميّتُ الفؤاد .

٦٨١٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال الحسن فى قوله : « تُخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، قال : يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن . [1]

٦٨١٩ ــ حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث ، عن سعيد بن عمرو ، عن الحسن قرأ : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، قال : تخرج المؤمن من الكافر ، وتخرج الكافر من المؤمن . [2]

٦٨٢٠ ــ حدثنى حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، أو عن ابن مسعود = وأكبر ظنى أنه عن سلمان = قال : إن الله عزّ وجل خمّر طينة آدم أربعين ليلة ــ أو قال : أربعين يوماً ــ ثم قال بيده فيه ، [3] فخرج كل طيِّب فى يمينه ، وخرج كل خبيث فى يده الأخرى ، ثم خلط بينهما ، ثم خلق منها آدم ، [4] فمن ثم يخرج الحىّ من الميت ويخرجُ الميت من الحى ، يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن . [5] ١٥١/٣

---

(١) سقط من الترقيم ٦٨١٧ ، ٦٨١٨ .

(٢) الأثر : ٦٨١٩ ــ « سعيد بن عمرو » ، لم أجد له ترجمة ، وأخشى أن يكون سقط من إسناده شىء ، وأن صوابه « عبد الوارث بن سعيد ، عن . . . » . وعبد الوارث مترجم فيما سلف رقم : ٢١٥٤ .

(٣) فى المخطوطة : « ثم قال بعده فيه » ، خطأ ؛ وقوله : « قال بيده » ، أى حرك يده .

(٤) فى المخطوطة ــ : « ثم خلط بينهما وقال . . . فمن ثم يخرج » ، وبين الكلام بياض ، وأتمته المطبوعة من الدر المنثور .

(٥) الأثر : ٦٨٢٠ ــ « بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشى » من شيوخ أحمد وإسحق . قال أحمد : « إليه المنتهى فى التثبت بالبصرة » . مترجم فى التهذيب . و « سليمان التيمى » ، هو : « سليمان بن طرخان التيمى » ، روى عن أنس بن مالك وطاوس ، ثقة . مترجم فى التهذيب . « وأبو عثمان » هو « أبو عثمان الصنعانى : شراحيل بن مرثد » ، روى عن سلمان وأبى الدرداء ومعاوية وأبى هريرة وكعب الأحبار . قال ابن حبان فى الثقات : « صاحب الفتوح ، يروى المراسيل » . وهذا الأثر أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٥ ، ونسبه لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ، وأبو الشيخ فى العظمة ، (أخرج مثله ، ونسبه لابن مردويه مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم) .

٦٨٢١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه ، فإذا بامرأة حسنة النَّعْمة ، [1] فقال : من هذه ؟ قالت إحدى خالاتك ! قال : إن خالاتي بهذه البلدة لغرائب ! [2] وأيّ خالاتي هذه ؟ قالت : خالدة ابنة الأسود ابن عبد يغوث . [3] قال : سبحان الذي يخرج الحيّ من الميت ! وكانت امرأة صالحةً ، وكان أبوها كافراً . [4]

٦٨٢٢ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : « تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي » ، قال : هل علمتم أن الكافر يلد مؤمناً ، وأن المؤمن يلد كافراً ؟ فقال : هو كذلك . [5]

* * *

---

(١) قوله : « حسنة النعمة » ، في المطبوعة : « النغمة » بالغين المعجمة ، وهو خطأ ، والنعمة (بفتح النون وسكون : العين) المسرة والفرح والترفه ، وكأنه يعني ما يبين عليها من أثر الترف والنعمة . بيد أن الذي رواه ابن سعد ، وما نقله الحافظ ابن حجر في الإصابة : « حسنة الهيئة » .

(٢) في المطبوعة : « بهذه البلد » ، وتاء « البلدة » في المخطوطة شبكت في دالها ، واختلطت بها لام « لغرائب » ، والذي أثبته هو نص ما في الإصابة ، وفي ابن سعد « بهذه الأرض » .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « خلدة ابنة الأسود » ، وأخشى أن يكون أصلها « خالدة » كما في سائر الكتب ، ورسمت بحذف الألف كما كانوا يكتبون قديماً . وهي خالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها : خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمنة بنت وهب بن عبد مناف » ، فهي أختُ يغوث بن وهب . أما الأسود بن يغوث ، فهو أحد المستهزئين حنى جبريل ظهره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ، فقال رسول الله : « خالي ! خالي ! » ، فقال جبريل : « دعه عنك ! » ، فمات الأسود .

(٤) الأثر : ٦٨٢١ — رواه ابن سعد في الطبقات ٨ : ١٨١ ، وذكر طرقه الحافظ ابن حجر في الإصابة ، في ترجمة « خالدة بنت الأسود » .

(٥) الأثر : ٦٨٢٢ — « محمد بن سنان القزاز » سلفت ترجمته برقم : ١٩٩٩ ، ٢٠٥٦ ، و « أبو بكر الحنفي » ، هو « عبد الكبير بن عبد المجيد بن عبيد الله بن شريك البصري » ، روى عنه أحمد وإسحق وابن المديني ومحمد بن بشار ، ثقة . مترجم في التهذيب . « وعباد بن منصور الناجي » ، روى عن عكرمة ، وعطاء والحسن ، والقاسم بن محمد وغيرهم . مترجم في التهذيب . وانظر الأثر رقم : ٦٨٢٧ فيما يلي .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب ، تأويلُ من قال : « يخرج الإنسان الحيّ والأنعام والبهائم الأحياءَ من النُّطف الميتة= وذلك إخراجُ الحيّ من الميت = ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي والأنعام والبهائم الأحياء = وذلك إخراج الميت من الحيّ ».

وذلك أن كل حيّ فارقه شيء من جسده ، فذلك الذي فارقه منه ميت . فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه ، ثم ينشىء الله منها إنساناً حياً وبهائمَ وأنعاماً أحياءً . وكذلك حكم كل شيء حيّ زايله شيء منه ، فالذي زايله منه ميت . وذلك هو نظير قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] .

* * *

وأما تأويل من تأوّله بمعنى الحبة من السنبلة ، والسنبلة من الحبة ، والبيضة من الدجاجة ، والدجاجة من البيضة ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن = فإن ذلك ، وإن كان له وجه مفهوم ، فليس ذلك الأغلب الظاهرَ في استعمال الناس في الكلام . وتوجيهُ معاني كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل في الناس ، أولى من توجيهها إلى الخفيّ القليل في الاستعمال .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته جماعة منهم : ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ بالتشديد ، وتثقيل « الياء » من « الميِّت » ، بمعنى أنه يخرج الشيء الحيّ من الشيء الذي قد ماتَ ومما لم يمت .

* * *

وقرأت جماعة أخرى منهم : ﴿تُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيْتِ وتُخْرِجُ المَيْتَ مِنَ الحَىِّ﴾ بتخفيف « الياء » من « الميْت »، بمعنى أنه يخرج الشىء الحىّ من الشىء الذى قد مات ، دون الشىءْ الذى لم يمت ، ويُخرج الشىء الميت ، دون الشىء الذى لم يمت ، من الشىء الحى .

* * *

وذلك أن « الميِّت » مثقل « الياء » عند العرب : ما لم يَمتْ وسيموت ، وما قد مات .

وأما « الميْت » مخففاً، فهو الذى قد مات ، فإذا أرادوا النعتَ قالوا : « إنك مائتٌ غداً ، وإنهم مائتون » . وكذلك كل ما لم يكن بعد ، فإنه يخرج على هذا المثال الاسمُ منه . يقال : « هو الجائد بنفسه = والطائبة نفسه بذلك » ، وإذا أريد معنى الاسم قيل : « هو الجوادُ بنفسه = والطيِّبة نفسه » . [1]

* * *

قال أبو جعفر : فإذ كان ذلك كذلك ، فأولى القراءتين فى هذه الآية بالصواب ، قراءةُ من شدّد « الياء » من « الميِّت ». لأن الله جل ثناؤه يخرج الحى من النطفة التى قد فارقت الرجلَ فصارت ميِّتة ، وسيخرجه منها بعد أن تُفارقه وهى فى صلب الرجل = « ويخرج الميِّت من الحىّ » النطفةَ التى تصير بخروجها من الرجل الحىّ ميِّتاً ، وهى قبل خروجها منه حيَّة . فالتشديد أبلغ فى المدح وأكملُ فى الثناء .

* * *

(١) انظر ما سلف فى « الميت » ٣ : ٣١٨ ، ٣١٩ ، وهذا البيان عن معناه هنا ، أجود مما تجده فى كتب اللغة .

القول في تأويل قوله ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : أنه يُعطي من يشاء من خلقه فيجود عليه ،[1] بغير محاسبة منه لمن أعطاه ، لأنه لا يخاف دخولَ انتقاص في خزائنه ، ولا الفناءَ على ما بيده ،[2] كما : —

٦٨٢٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وترزق من تشاء بغير حساب » ، قال : يخرج الرزق من عنده بغير حساب ، لا يخاف أن ينقُص ما عنده تبارك وتعالى .

* * *

قال أبو جعفر فتأويل الآية إذاً : اللهمّ يا مالك الملك تُؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعزّ من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، دون من ادّعى الملحدون أنه لهم إله وربٌّ وعبدوه دونك ، أو اتخذوه شريكاً معك ،[3] أو أنه لك ولدٌ = وبيدك القدرة التي تفعل هذه الأشياء وتقدر بها على كل شيء ، تُولج الليل في النهار وتُولج النهارَ في الليل ، فتنقص من هذا وتزيد في هذا ، وتنقص من هذا وتزيد في هذا ، وتخرج من ميّتٍ حيّاً ومن حي ميّتاً ، وترزق من تشاء بغير حساب من خلقك ، لا يقدر على ذلك أحدٌ سواك ، ولا يستطيعه غيرك ، كما : — ١٥٢/٣

٦٨٢٤ — حدثني ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « تولج الليلَ في النهار وتولج النهارَ في الليل وتخرجُ الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ » ، أي : بتلك القدرة = يعني : بالقدرة التي تؤتي

---

(١) انظر معنى « الرزق » فيما سلف ٤ : ٢٧٤ / ٥ : ٤٣ ، ٤٤

(٢) انظر تفسير « بغير حساب » فيما سلف ٤ : ٢٧٤ ، ٢٧٥

(٣) في المطبوعة : « واتخذوه » والصواب من المخطوطة .

الملك بها من تشاء وتنزعهُ ممن تشاء = «وترزُق من تشاء بغير حساب» ، لا يقدر على ذلك غيرُك، ولا يصنعه إلاّ أنت . أي: فإن كنتُ سلَّطتُ عيسى على على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله = : من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، والخلق للطير من الطين ، والخبر عن الغيوب ، لنجعله آية للناس ، [1] وتصديقاً له في نبوّته التي بعثته بها إلى قومه — فإنّ من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه : تمليكُ الملوك ، [2] وأمرُ النبوّة ووضعها حيث شئت ، [3] وإيلاجُ الليل في النهار والنهار في الليل ، وإخراجُ الحيّ من الميت والميت من الحيّ ، ورزقُ من شئت من برّ أو فاجر بغير حساب . فكلّ ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، فلم تكن لهم في ذلك عبرةٌ وبينة : أنْ لو كان إلهاً ، [4] لكان ذلك كله إليه ، وهو في علمهم يهرُب من الملوك ، وينتقل منهم في البلاد من بلد إلى بلد ! ! [5]

• • •

---

(١) نص ابن هشام : «لأجعله آية للناس» .

(٢) في المطبوعة : «كتمليك الملوك» ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٣) في ابن هشام : «بأمر النبوة» .

(٤) في المطبوعة : «فلم يكن» ، وأثبت ما في ابن هشام وفي مطبوعة الحلبي من السيرة «أفلم تكن» ، من إحدى نسخه ، وهي جيدة . وفي مطبوعة الطبري : «إذ لو كان إلهاً . . .» ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٥) الأثر : ٦٨٢٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وهو بقية الآثار التي آخرها رقم : ٦٧٩٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾

قال أبو جعفر : وهذا نَهْيٌ من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفارَ أعواناً وأنصاراً وظهوراً ، ولذلك كسر « يتخذِ » ، لأنه فى موضع جزم بالنهى ، ولكنه كسر « الذال » منه ، للساكن الذى لقيه وهى ساكنة .[1]

• • •

ومعنى ذلك : لا تتخذوا ، أيها المؤمنون، الكفارَ ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين،[2] وتدلُّونهم على عوراتهم ، فإنه مَنْ يفعل ذلك = « فليس من الله فى شىء » ، يعنى بذلك : فقد برئ من الله وبرئ الله منه ، بارتداده عن دينه ودخوله فى الكفر = « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، إلاّ أن تكونوا فى سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمروا لهم العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل ، كما :—

٦٨٢٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ، قال : نَهى الله سبحانه المؤمنين أن يُلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجةً من دون المؤمنين ، إلاّ أن يكون الكفارُ عليهم ظاهرين ، فيظهرون لهم اللُّطف ، ويخالفونهم فى الدين . وذلك قوله : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاةً » .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٥

(٢) انظر تفسير « الولى » و « الأولياء » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ ، ٥٦٤ / ثم : ٥ : ٤٢٤ / ٦ : ١٤١ ، ١٤٢ = والقول فى « من دون » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ .

٦٨٢٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الحجاجُ بن عمرو حليفُ كعب بن الأشرف ، وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بَطَنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر بن زَنْبَر ،[1] وعبد الله بن جبير ، وسعد بن خيثمة ، لأولئك النفر : اجتنبوا هؤلاء اليهود ، واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم ! فأبى أولئك النفر إلا مُباطنتهم ولزومهم ، فأنزل الله عز وجل : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » إلى قوله: « والله على كل شيء قدير » .[2]

٦٨٢٧ — حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ، يقول : لا يتخذ المؤمن كافراً وليًّا من دون المؤمنين .[3]

٦٨٢٨ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين » إلى « إلاَّ أن تتقوا منهم تقاة » ، أما « أولياء » ٣/١٥٢ فيواليهم في دينهم ، ويظهرهم على عورة المؤمنين ، فمن فعل هذا فهو مشرك ، فقد برئ الله منه = إلا أن يتقى تقاةً ، فهو يظهر الولاية لهم في دينهم ، والبراءةَ من المؤمنين .

٦٨٢٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ،

---

(١) في المطبوعة : « بن زبير » ، وصححته من سيرة ابن هشام ، ومن ترجمته في الإصابة . وتسميته « رفاعة بن عبد المنذر » ، ولكن هكذا جاء هنا ، وكذلك في تفسير البغوي ، وأظنه خطأ ، فلم يذكروا ذلك في ترجمته .

(٢) الأثر : ٦٨٢٦ — لم أجده في سيرة ابن هشام التي بين أيدينا من سيرة ابن إسحق . وقوله : « بطنوا بنفر من الأنصار » ، يقال : « بطن فلان بفلان يبطن بطوناً وبطانة » إذا كان خاصاً به ، ذا علم بداخلة أمره ، مؤانساً له ، مطلعاً على سره . ومنه المباطنة .

(٣) الأثر : ٦٨٢٧ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ٦٨٢٢ .

عن ابن جريج ، عمن حدثه ، عن ابن عباس : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : التقاة التكلم باللسان، وقلبُه مطمئن بالإيمان .

٦٨٣٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة فى قوله : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : ما لم يُهرِق دم مسلم، وما لم يستحلّ ماله .

٦٨٣١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ، إلا مصانعةً فى الدنيا ومُخالقة .(١)

٦٨٣٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٨٣٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » إلى « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : قال أبو العالية : التقيّة باللسان وليس بالعمل .

٦٨٣٤ — حُدِّثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عُبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة » ، قال: التقيةُ باللسان. مَنْ حُمل على أمر يتكلم به وهو لله معصيةٌ ، فتكلم مخافةً على نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا إثم عليه . إنما التقيّة باللسان .

٦٨٣٥ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبى قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة » ، فالتقية باللسان . مَنْ حُمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله، فيتكلم به مخافة

(١) خالق الناس يخالقهم مخالقة : عاشرهم على أخلاقهم ، مثل « تخلق » ، أى : تصنع وتجمل وتحسن .

الناس وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإن ذلك لا يضره . إنما التقية باللسان .

* * *

وقال آخرون : معنى : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، إلا أن يكون بينك وبينه قرابة.

* ذكر من قال ذلك :

٦٨٣٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين إلاّ أن تتقوا منهم تقيَّة » ، نهى الله المؤمنين أن يوادّوا الكفار أو يتولَّوْهم دون المؤمنين . وقال الله : « إلا أن تتقوا منهم تقيَّة » ، [1] الرحم من المشركين ، من غير أن يتولوهم فى دينهم ، إلا أن يَصل رحماً له فى المشركين .

٦٨٣٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء » ، قال : لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافراً وليًّا فى دينه ، وقوله : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : أن يكون بينك وبينه قرابة ، فتصله لذلك .

٦٨٣٨ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : صاحبهم فى الدنيا معروفاً ، الرحم وغيره . فأما فى الدّين فلا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله قتادة تأويلٌ له وجه ، وليس بالوجه الذى يدل عليه ظاهر الآية : إلا أن تتقوا من الكافرين تقاة = فالأغلب من معانى هذا الكلام : إلا أن تخافوا منهم مخافةً . فالتقية التى ذكرها الله فى هذه الآية ، إنما هى تقية من الكفار لا من غيرهم . ووجَّهه قتادة إلى أن تأويله : إلاّ أن تتقوا الله من أجل القرابة التى بينكم وبينهم تقاة ، فتصلون رحمها . وليس ذلك الغالب على

---

(١) فى المطبوعة فى هذا الموضع « تقاة » ، وهى فى المخطوطة : « تقية » بتشديد الياء بالقلم ، وكذلك أثبتها ، وهى إحدى القراءتين كما سيذكر الطبرى بعد .

معنى الكلام . والتأويلُ فى القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمَل فيهم .

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة »

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ، على تقدير «فُعَلة» مثل : «تُخَمَة ، وتؤَدَة وتُكأة » ، من « اتقيت » .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تَقِيَّةً ﴾ ، على مثال « فعيلة » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى هى القراءةُ عندنا ، قراءةُ من قرأها : « إلا أن تتقوا منهم تُقاة» ، لثبوت حجة ذلك بأنه القراءةُ الصحيحة ، بالنقل المستفيض الذى ٣/١٠٤ يمتنع منه الخطأ .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك ، ويخوّفكم الله من نفسه أن تركبوا معاصيه ، أو توالوا أعداءه ، فإن لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ، ويوم حشركم لموقف الحساب =[1] يعنى بذلك : متى صرتم إليه وقد خالفتم ما أمركم به ، وأتيتم ما نهاكم عنهُ من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، نالكم من عقاب ربكم ما لا قِبَل لكم به . يقول : فاتقوه واحذرُوه أن ينالكم ذلك منه ، فإنه شديد العقاب .

* * *

(١) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ٣ : ٥٦ / ٦ : ١٢٨ .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل » يا محمد، للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين= « إن تخفوا ما فى صدوركم » من موالاة الكفار فتُسِرُّوه، أو تبدوا ذلكم من نفوسكم بألسنتكم وأفعالكم فتظهروه = « يعلمه الله »، فلا يخفى عليه . يقول : فلا تُضمروا لهم مودّةً ولا تظهروا لهم موالاة، فينالكم من عقوبة ربكم ما لا طاقة لكم به ، لأنه يعلم سرّكم وعلانيتكم ، فلا يخفى عليه شيء منه ، وهو مُحصيه عليكم حتى يجازيكم عليه بالإحسان إحساناً ، وبالسيئة مثلها ، كما : —

٦٨٣٩ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أخبرهم أنه يعلم ما أسرّوا من ذلك وما أعلنوا ، فقال : « إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه » .

* * *

وأما قوله : « ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض » ، فإنه يعنى أنه إذ كان لا يخفى عليه شيء هو فى سماء أو أرض أو حيث كان ، فكيف يخفى عليه — أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين — ما فى صدوركم من الميْل إليهم بالمودة والمحبة ، أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلاً وقولاً ؟

* * *

وأما قوله : « والله على كل شيء قدير » ، فإنه يعنى : والله قديرٌ على معاجلتكم بالعقوبة على مُوالاتكم إياهم ومظاهرتكموهم على المؤمنين ، وعلى ما يشاء من الأمور كلها ، لا يتعذّر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه شيء طلبه .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ويحذركم الله نفسه فى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً موفَّراً ، « وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » = يعنى غاية بعيدة ، فإن مصيركم أيها القوم يومئذ إليه ، فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم .

* * *

وكان قتادة يقول فى معنى قوله : « محضراً » ،[1] ما : —

٦٨٤٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً » ، يقول : موفَّراً .

* * *

قال أبو جعفر : وقد زعم [بعض] أهل العربيّة أنّ معنى ذلك :[2] واذكر يوم تجد . وقال : إن ذلك إنما جاء كذلك ، لأن القرآن إنما نزل للأمر والذكر ، كأنه قيل لهم : اذكروا كذا وكذا، لأنه فى القرآن فى غير موضع : « واتقوا يوم كذا ، وحين كذا » .

* * *

وأما « ما » التى مع « عملت » ، فبمعنى « الذى » ، ولا يجوز أن تكون جزاءً ، لوقوع « تجد » عليه .[3] وأما قوله : « وما عملت من سوء » ، فإنه معطوف على قوله : « ما » الأولى ، و « عملت » صلةٌ بمعنى الرّفع ، لمَّا قيل : « تود » .[4]

---

(١) هذا المعنى قلما تصيبه فى كتب اللغة ، فأثبته فيها .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٣) الوقوع : التعدى ، وقد سلف شرح ذلك فاطلبه فى فهرس المصطلحات .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « كما قيل تود » ، والصواب ما أثبت . وقد استظهرت قراءتها من كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٠٦ ، ونص كلامه : « وقوله : وما عملت من سوء — فإنك ترده أيضاً

فتأويل الكلام : يوم تجد كل نفس الذى عملت من خير محضراً ، والذى عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً .

* * *

« والأمد » الغاية التى ينتهى إليها ، ومنه قول الطرماح :

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ العُمْـــرِ ، ومُودٍ إِذَا انْقَضَى أَمَدُهْ[1]

١٥٥/٣ يعنى : غاية أجله ، وقد :ـ

٦٨٤١ ـ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » ، مكاناً بعيداً .

٦٨٤٢ ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « أمداً بعيداً » ، قال : أجلاً .

٦٨٤٣ ـ حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا

على (ما) ، فتجعل (عملت) صلة لها فى مذهب رفع لقوله (تود لو أن بينها) » ، ويعنى بذلك أن جملة « تود » مفعول ثان لقوله : « تجد » ، كما كان « محضراً » مفعولا ثانياً .وسيأتى ذلك بعد قليل فى تفسيره .

(١) ديوانه : ١١٢ ، وهذه رواية الطبرى ، وكان يروى ديوان الطرماح ، وقرأه بالمسجد الجامع بمصر ، وأملاه على الناس ، وشرح غريبه . ولا أدرى أأخطأ أم عنده رواية أخرى غير التى وصلتنا ، فالشعر فى ديوانه كما يلى : بعد أن ذكر دار صاحبته ، وما بقى بها من النؤى والرماد :

تَرَكَ الدَّهْرُ أهــلَهُ شُعَباً فَاسْتَمَرَّتْ مِنْ دُونِهِمْ عُقَدُهْ

وَكَذَاكَ الزَّمَانُ يَطْرُدُ بالنَّا سِ إلى اليَوْمِ ، يَوْمُهُ وغَدُهْ

لَا يُلِيثَانِ باخْتِلَافِهِمَا المَرْ ءَ ، وَإنْ طَالَ فِيهِمَا أَمَدُهْ

كُلُّ حَيٍّ مُستَكْمِلٌ عِدَّةَ العُمْ رِ ، وَمُودٍ إِذَا انْقَضَى عَدَدُهْ

وقوله : « شعباً » ، أى متفرقون ، واستمرت : اشتدت وأحكمت عقدة حبال الدهر ، فلم يعد له أمل فى اجتماع أحبابه بعد الفراق . وقوله : « لا يليثان » ، من ألاثه يليثه : أخره ، وهو من « اللوث » ، وهو البطء والتأخير . يقول : إن اختلاف الأيام من يوم وغد ، لا يؤخران أجل المرء وإن طال عمره ، حتى يفنياه ويذهبا به . وقوله : « مود » أى : هالك ، إذا انقضى عدد أيامه وأكله فى هذه الحياة الدنيا .

عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » ، قال : يسر أحدَهم أن لا يلقى عمله ذاكَ أبداً ، يكونُ ذلك مناه . وأما فى الدنيا فقد كانت خطيئةً يستلذّها .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه : ويحذركم الله نفسه: أن تُسخِطوها عليكم بركوبكم ما يسخطه عليكم ، فتوافونه يومَ تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، وهو عليكم ساخط ، فينالكم من أليم عقابه ما لا قِبَل لكم به .

ثم أخبر عز وجل أنه رؤوف بعباده رحيمٌ بهم ، وأنّ من رأفته بهم :(٢) تحذيرَه إياهم نفسه ، وتخويفهم عقوبته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معاصيه ، كما : —

٦٨٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن الحسن فى قوله : « ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد » ، قال : من رأفته بهم أن حذَّرهم نفسه .(٣)

* * *

(١) فى المطبوعة : « خطيئته » ، وفى المخطوطة : « حطيته » هكذا نقطت ، ورأيت الصواب أن أقرأها كما أثبتها .

(٢) فى المطبوعة : « ومن رأفته بهم » ، وفى المخطوطة : « وأرض رأفته بهم » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٣) الأثر : ٦٨٤٤ — « والحسن » ، هو الحسن البصرى بلا ريب ، فقد نسب هذا الأثر إليه

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى السبب الذى أنزلت هذه الآية فيه .

فقال بعضهم : أنزلت فى قوم قالوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا نحب ربنا » ، فأمر الله جل وعز نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : إن كنتم صادقين فيما تقولون ، فاتبعونى ، فإن ذلك علامة صِدْقكم فيما قلتم من ذلك .

• ذكر من قال ذلك :

٦٨٤٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بكر بن الأسود قال ، سمعت الحسن يقول : قال قومٌ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إنا نحبّ ربنا ! فأنزل الله عز وجل : « قُل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ، فجعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عَلَماً لحبه ، وعذابِ من خالفه .

٦٨٤٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا على بن الهيثم قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن أبى عبيدة قال : سمعت الحسن يقول : قال أقوامٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إنا لنحب ربنا ! فأنزل الله جل وعز بذلك قرآناً : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ، فجعل الله اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علماً لحبه ، وعذاب من خالفه .[1]

ابن كثير فى تفسيره ٢ : ١٢٥ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٧ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عمرو بن الحسن » ، فظهر أنه خطأ لا شك فيه . أما « عمرو » ، فلم أستطع أن أقطع من يكون ، فمن روى عن الحسن ، ممن اسمه « عمرو » كثير .

(١) الأثران : ٦٨٤٥ ، ٦٨٤٦ ، سيذكر الطبرى ضعفهما عنده بعد قليل .

٦٨٤٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله: «إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله» ، قال : كان قوم يزعمون أنهم يحبون الله ، يقولون : إنا نحب ربَّنا ! فأمرهم الله أن يتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجعل اتباع محمد علماً لحبه .

٦٨٤٨ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : «إن كنتم تحبون الله» الآية ، قال : إن أقواماً كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون أنهم يحبون الله ، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل، فقال: «إن كنتم تحبون الله» الآية ، كان اتباعُ محمد صلى الله عليه وسلم تصديقاً لقولهم .[1]

* * *

وقال آخرون: بل هذا أمرٌ من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى : إن كان الذى تقولونه فى عيسى من عظيم القول ، إنما تقولونه تعظيماً لله وحبًّا له ، فاتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٨٤٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : «قل إن كنتم تحبون الله» ، أى : إن كان هذا من قولكم — يعنى : فى عيسى —[2] حبًّا لله وتعظيماً له = ، «فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» ، أى : ما مضى من كفركم = «والله غفور رحيم» .[3] ١٠٦/٣

* * *

(١) فى المخطوطة : «تصديق لقولهم» ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) ما بين الخطين زيادة تفسير من أبى جعفر . وفى سيرة ابن هشام : «إن كان هذا من قولكم حقاً ، حباً لله . . .» بزيادة «حقاً» ، وأخشى أن يكون ناسخ الطبرى قد أسقطها .

(٣) الأثر : ٦٨٤٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٨ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٨٢٤ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية ، قولُ محمد بن جعفر بن الزبير . لأنه لم يجر لغير وفد نجرانَ فى هذه السورة ولا قبل هذه الآية ، ذكرُ قوم ادَّعوا أنهم يحبُّون الله ، ولا أنهم يعظمونه ، فيكون قوله : « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى » جواباً لقولهم ، على ما قاله الحسن .

وأمَّا ما روى الحسن فى ذلك مما قد ذكرناه ، فلا خبر به عندنا يصحّ ، فيجوز أن يقال إنّ ذلك كذلك ، وإن لم يكن فى السورة دلالة على أنه كما قال . إلاّ أن يكون الحسن أرادَ بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفدَ نجران من النصارى ، فيكون ذلك من قوله نظير اختيارنا فيه .(١)

فإذْ لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ، ولا فى الآية دليلٌ على ما وصفنا ، فأولى الأمور بنا أن نُلحق تأويله بالذى عليه الدّلالة من آى السورة ، وذلك هو ما وصفنا . لأن ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها ، خبرٌ عنهم ، واحتجاجٌ من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ودليل على بُطول قولهم فى المسيح . فالواجب أن تكون هى أيضاً مصروفةَ المعنى إلى نحو ما قبلها ومعنى ما بعدها .

* * *

قال أبو جعفر : فإذْ كان الأمر على ما وصفنا ، فتأويلُ الآية : قل ، يا محمد ، للوفد من نصارى نجران : إن كنتم كما تزعمون أنكم تحبون الله ،(٢) وأنكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون ، حبًّا منكم ربَّكم = فحققوا قولكم الذى تقولونه ، إن كنتم صادقين ، باتباعكم إياى ، فإنكم تعلمون أنى لله رسولٌ إليكم ، كما كان عيسى رسولاً إلى من أرسل إليه ، فإنه = إن اتبعتمونى وصدّقتمونى على

(١) فى المطبوعة : « نظير أخبارنا » ، وفى المخطوطة : « نظير احسار بالله » غير منقوطة . وظاهر أن المطبوعة حذفت ما كان رسمه « لله » ، وظاهر أن قراءتنا لنصها هو الصواب إن شاء الله .

(٢) فى المطبوعة : « إن كنتم تزعمون . . . » بحذف « كما » ، فأثبتها من المخطوطة .

ما أتيتكم به من عند الله = يغفرُ لكم ذنوبكم ، فيصفح لكم عن العقوبة عليها ، ويعفو لكم عما مضى منها ، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين ، رحيمٌ بهم وبغيرهم من خلقه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قل ، يا محمد ، لهؤلاء الوفد من نصارى نجران : أطيعوا الله والرسول محمداً ، فإنكم قد علمتم يقيناً أنه رسولى إلى خلقى ، ابتعثتُه بالحق ، تجدونه مكتوباً عندكم فى الإنجيل ؛ فإن تولَّوا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك ، وأعرضوا عنه ، فأعلمهم أن الله لا يحبُّ من كفر فجحد ما عرف من الحق ، وأنكره بعد علمه ،[1] وأنهم منهم ،[2] بجحودهم نبوتك ، وإنكارهم الحقّ الذى أنت عليه ، بعد علمهم بصحة أمرك ، وحقيقة نبوتك ، كما : —

٦٨٥٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « قل أطيعوا الله والرسول » ، فأنتم تعرفونه — يعنى الوفد من نصارى نجران — وتجدونه فى كتابكم = « فإن تولوا » على كفرهم = « فإن الله لا يحبّ الكافرين » .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة : « من كفر بجحد ما عرف . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) قوله : « وأنهم منهم » ، معطوف على قوله : « فأعلمهم أن الله لا يحب من كفر . . . » ، « وأنهم منهم » ، أى من هؤلاء الذين لا يحبهم الله ، بجحودهم نبوتك .

(٣) الأثر : ٦٨٥٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٨ ، وهو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٨٤٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله اجتبى آدمَ ونوحاً واختارهما لدينهما = وآل إبراهيم وآل عمران لدينهم الذى كانوا عليه، لأنهم كانوا أهل الإسلام. فأخبرَ الله عز وجل أنه اختار دين مَنْ ذكرنا على سائر الأديان التى خالفته.[1]

وإنما عنى بـ « آل إبراهيم وآل عمران »، المؤمنين .

* * *

وقد دللنا على أن « آل الرجل » ، أتباعه وقومه ، ومن هو على دينه.[2]

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابن عباس أنه كان يقوله .

٦٨٥١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله : « إن الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين »، قال : هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد، يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٨]، وهم المؤمنون .

٦٨٥٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآلَ عمران على العالمين » ، رجلان نبيَّان اصطفاهما الله على العالمين .

١٥٧/٣ ٦٨٥٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « إنَّ الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيم وآلَ عمران على العالمين » ، قال : ذكر الله أهلَ بيتين صالحين ، ورجلين صالحين ، ففضلهم

---

(١) انظر تفسير « اصطفى » فيما سلف ٣ : ٩١ ، ٩٦ / ثم ٥ : ٣١٢ ، ٣١٣

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٣٧ / ٣ : ٢٢٢ ، تعليق : ١ .

على العالمين ، فكان محمد من آل إبراهيم .

٦٨٥٤ — حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي ، قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم » إلى قوله : « والله سميع عليم » ، قال : فضلهم الله على العالمين بالنبوّة ، على الناس كلهم ، كانوا هم الأنبياء الأتقياءَ المصطفين لربهم .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك : إن الله اصطفى آلَ إبراهيم وآل عمران « ذريةً بعضها من بعض » .

* * *

فـ« الذرية » منصوبة على القطع من « آل إبراهيم وآل عمران » ، لأن « الذرية » ، نكرة، « وآل عمران » معرفة .(٢)

ولو قيل نصبت على تكرير « الاصطفاء » ، لكان صواباً . لأن المعنى : اصطفى ذريةً بعضُها من بعض .(٣)

* * *

وإنما جعل « بعضهم من بعض » في الموالاة في الدين، والمؤازرة على الإسلام والحق ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [سورة التوبة : ٧١]، وقال في موضع آخر : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] ، يعني : أنّ دينهم واحدٌ وطريقتهم واحدة، فكذلك قوله :

(١) في المطبوعة : « المطيعين لربهم » ، كما في الدر المنثور ٢ : ١٧ ، ١٨ ، ولكن المخطوطة واضحة جداً ، ومطابقة لقوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم . . . » .

(٢) انظر ما سلف في معنى « القطع » ، وهو الحال ، قريباً ص : ٢٧٠ ، تعليق : ٣ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٠٧ .

« ذرية بعضها من بعض » ، إنما معناه : ذرية دينُ بعضها دينُ بعض ، وكلمتهم واحدةٌ ، وملّتهم واحدة فى توحيد الله وطاعته ، كما : —

٦٨٥٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ذرية بعضها من بعض » ، يقول : فى النية والعمل والإخلاص والتوحيد له .

* * *

وقوله : « والله سميعٌ عليمٌ » ، يعنى بذلك : والله ذُو سمع لقول امرأة عمران ، وذو علم بما تضمره فى نفسها ، إذ نذَرت له ما فى بطنها مُحرّراً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٣٥)

يعنى بقوله جل ثناؤه : « إذ قالت امرأة عمران ربّ إنى نذرت لك ما فى بطنى محرّراً فتقبل منى » ، فـ « إذْ » من صلة « سميع » .[1]

* * *

وأمّا « امرأة عمران » ، فهى أم مريم ابنة عمران ، أم عيسى بن مريم صلوات الله عليه . وكان اسمها فيما ذكر لنا حَنّة ابنة فاقوذ بن قبيل ،[2] كذلك : —

٦٨٥٦ — حدثنا به محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق فى نسبه = وقال غير ابن حميد : ابنة فاقود — بالدال — ابن قبيل .[2]

* * *

فأما زوجها « عمران » ، فإنه : عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن

---

(١) يعنى أن الظرف « إذ » متعلق بقوله : « سميع » فى الآية السابقة . وقد ظن الناشر الأول للتفسير ، أن فى الكلام سقطاً ، وليس كذلك ، والكلام تام لا خرم فيه .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « قتيل » فى الموضعين وأثبت ما فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٣ .

أحزيق[1] بن يوثم[2] بن عزاريا[3] بن أمصيا بن ياوش بن أحزيهو[4] بن يارم ابن يهفاشاط بن أسابر[5] بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن إيشا ، كذلك :—

٦٨٥٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق في نسبه .

* * *

وأما قوله : « رَبِّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرَّراً » ، فإنّ معناه : إني جعلت لك يا رب نَذْراً أنّ لك الذي في بطني محرَّراً لعبادتك . يعني بذلك : حبستُه على خدمتك وخدمة قُدْسك في الكنيسة ، عتيقةً من خدمة كلّ شيء سواك ، مفرّغة لك خاصة .

* * *

ونصب « محرَّراً » على الحال مما في الصفة من ذكر « الذي » .[6]

* * *

« فتقبل مني » ، أي : فتقبل مني ما نذرت لك يا ربّ = « إنك أنت السميع

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أحريق » ، وأثبت ما في تاريخ الطبري ٢ : ١٣ .

(٢) في المطبوعة : « يوبم » ، وفي المخطوطة غير منقوطة ، وفي تاريخ الطبري : « يوثام » فجعلتها « ثاه » بغير ألف ، مطابقة للرسم .

(٣) في تاريخ الطبري « عزريا » بغير ألف .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « أحريهو » بالراء .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : « يازم » بالزاي ، وفي تاريخ الطبري : « يهشافاط » ، وكأنه الصواب . وفي المطبوعة : « أشا » بالشين المعجمة ، وأثبت ما في المخطوطة والتاريخ ، بيد أن في المخطوطة والمطبوعة ، قد جعل هذا والذي بعده اسماً واحداً كتب هكذا : « أسابرابان » والصواب ما أثبت من تاريخ الطبري .

(٦) في المطبوعة : « ونصب محرراً على الحال من (ما) التي بمعنى (الذي) » . فغيروا ما في المخطوطة ، وأساءوا أشد الإساءة ، ونسبوا إلى أبي جعفر إعراباً لم يقل به ، ومذهباً لم يذهب إليه . فإن تصحيح المصحح جعل « محرراً » حالا من « ما » ، والذي ذهب إليه الطبري أن « محرراً » حال من الضمير الذي في الجار والمجرور « في بطني » ، والعامل في الجار والمجرور هو « استقر » . وبين الإعرابين فرق بين . انظر تفسير أبي حيان ١ : ٤٣٧ ، وتفسير الألوسي ٣ : ١١٨ وغيرهما . والذي أفضى به إلى هذا التبديل أنه استبهم عليه معنى « الصفة » ، وهو : حرف الجر ، وحروف الصفات هي حروف الجر ، كما مضى ١ : ٢٩٩ تعليق : ١/٣ : ٤٧٥ تعليق : ١/٤ : ٢٢٧ تعليق : ١/ ثم : ٢٤٧ تعليق : ٣ .

العليم »، يعنى : إنك أنتَ يا رب « السميع » لما أقول وأدعو = « العليمُ » لما أنوى فى نفسى وأريد ، لا يخفى عليك سرّ أمرى وعلانيته .[1]

* * *

وكان سبب نذر حَنة ابنة فاقوذ ، امرأة عمران = الذى ذكره الله فى هذه الآية فيما بلغنا ، ما : —

٦٨٥٨ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال : تزوج زكريا وعمران أختين ، فكانت أمّ يحيى عند زكريا ، وكانت أمّ مَريم عند عمرانَ ، فهلك عمران وأم مريم حاملٌ بمريم ، فهى جنينٌ فى بطنها . قال : وكانت ، فيما يزعمون ، قد أمسك عنها الولد حتى أسنَّت ، وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان . فبينا هى فى ظلّ شجرة نظرت إلى طائر يُطعم فرخاً له ، فتحرّكت نفسُها للولد ، فدعت الله أن يهبَ لها ولداً ، فحملت بمريم ، وهلك عمران . فلما عرفت أن فى بطنها جنيناً جعلته لله نَذيرةً = و « النذيرة » ، أن تعبّده لله ، فتجعله حبيساً فى الكنيسة ، لا ينتفع به بشىء من أمور الدنيا . ١٥٨/٣

٦٨٥٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير قال = ثم ذكر امرأة عمران وقولها : « ربِّ إنى نذرتُ لك ما فى بطنى محرّراً » = أى نذرته ، تقول : جعلته عتيقاً لعبادة الله ، لا ينتفع به بشىء من أمور الدنيا =[2] « فتقبَّل منى إنك أنتَ السميع العليم » .[3]

٦٨٦٠ — حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى قال ، حدثنا محمد بن ربيعة

---

(١) انظر معنى « النذر » فيما سلف ٥ : ٥٨٠ .

(٢) نص ابن هشام : « أى : نذرته فجعلته عتيقاً ، تعبده لله ، لا ينتفع به لشىء من الدنيا » ، فتركت رواية الطبرى على حالها .

(٣) الأثر : ٦٨٥٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٨ ، وهو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٨٥٠ .

قال ، حدثنا النضر بن عربي ، عن مجاهد في قوله : « محرراً » ، قال : خادماً للبيعة .[1]

٦٨٦١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن النضر بن عربي ، عن مجاهد قال : خادماً للكنيسة .

٦٨٦٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح قال ، أخبرنا إسمعيل ، عن الشعبي في قوله : « إني نذرت لك ما في بطني محرّراً » ، قال : فرّغته للعبادة .

٦٨٦٣ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل ابن أبي خالد ، عن الشعبي في قوله : « إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ، قال : جعلته في الكنيسة ، وفرّغته للعبادة .

٦٨٦٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن إسمعيل ، عن الشعبي نحوه .

٦٨٦٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ، قال : للكنيسة يخدُمها .

٦٨٦٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٨٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد : « إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ، قال : خالصاً ، لا يخالطه شيء من أمر الدنيا .

٦٨٦٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ،

---

(١) الأثر : ٦٨٦٠ — « عبد الرحمن بن الأسود بن المأمون ، مولى بني هاشم » بغدادي ، روى عن محمد بن ربيعة ، وروى عنه الترمذي والنسائي ، وابن جرير . مترجم في التهذيب . و « محمد بن ربيعة الكلابي الرؤاسي » ابن عم وكيع . وهو ثقة . مترجم في التهذيب .

والبيعة (بكسر الباء) : كنيسة النصارى ، أو كنيسة اليهود .

عن سعيد بن جبير : « إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ، قال : للبيعة والكنيسة .

٦٨٦٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ، قال : محرّراً للعبادة .

٦٨٧٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ قالت امرأة عمران رَبّ إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ، الآية ، كانت امرأة عمران حرّرت لله ما في بطنها ، وكانوا إنما يحرّرُون الذكور ، وكان المحرَّر إذا حُرِّر جعل في الكنيسة لا يبرَحها ، يقوم عليها ويكنُسها .

٦٨٧١ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ، قال : نذرت ولدها للكنيسة .

٦٨٧٢ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم » ، قال : وذلك أن امرأة عمران حملت ، فظنت أن ما في بطنها غلام ، فوهبته لله محرّراً لا يعمل في الدنيا .

٦٨٧٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : كانت امرأة عمران حرّرَت لله ما في بطنها . قال : وكانوا إنما يحرّرون الذكور ، فكان المحرَّر إذا حُرِّر جعل في الكنيسة لا يبرحها ، يقوم عليها ويكنسها .

٦٨٧٤ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك في قوله : « إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ، قال : جعلت ولدها لله ، وللذين يدرُسون الكتاب ويتعلّمونه .

٦٨٧٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة : أنه أخبره عن عكرمة = وأبي بكر ، عن عكرمة : أن امرأة عمران كانتْ عجوزاً عاقراً تسمى حَنّة ، وكانت لا تلد ، فجعلت تغبطُ النساء لأولادهن ، فقالت : اللهمّ إنّ عليّ نذراً شكراً إن رزقتني

ولداً أن أتصدّق به على بيت المقدس ، فيكون من سدَنته وخدّامه . قال : وقوله : « نذرتُ لك ما في بطني محرّراً » = إنها للحرّة ابنة الحرائر = « محرراً » للكنيسة يخدمها .

٦٨٧٦ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : « إذ قالت امرأة عمران » الآية كلها قال : نذرت ما في بطنها ، ثم سيَّبَتْها .(١) ١٥٩/٣

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « فلما وضعتها » ، فلما وضعت حنّة النذيرةَ ، ولذلك أنث. ولو كانت «الهاء» عائدة على «ما» التي في قوله: « إني نذرت لك ما في بطني محرراً » ، لكان الكلام : « فلما وضعته قالتْ رب إني وضعته أنثى » .

* * *

ومعنى قوله: « وضعتها » ، ولدتها . يقال منه : « وضعت المرأة تضَع وضْعاً » .

* * *

(١) سيب الشيء : تركه . وسيب الناقة أو الدابة : تركها تسيب حيث شاءت ، والدابة سائبة ، فإذا كانت نذراً ، كان لا ينتفع بظهرها ، ولا تحلأ عن ماء ، ولا تمنع من كلأ ، ولا تركب . وهي التي قال الله فيها « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة » . ثم قيل منه للعبد إذا أعتقه مولاه ، وأراد أن لا يجعل ولاءه إليه ، فهو لا يرثه ، وللمعتق أن يضع نفسه وماله حيث شاء « سائبة » . انظر ما سلف ٣ : ٢٨٦ في خبر أبي العالية .

أما قوله : « سيبتها » هنا ، فإنه أراد أنها جعلتها سائبة لله ، ليس لأحد عليها سبيل ، وهو قريب من معنى « التحرير » .

= « قالت ربّ إنى وضعتها أنثى » ، أى : ولدت النذيرة أنثى = « والله أعلم بما وضعت » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة القرأة : ﴿ وَضَعَتْ ﴾ ، خبراً من الله عز وجل عن نفسه : أنه العالم بما وضعت ، من غير قيلها : « ربّ إنى وضعتها أنثى » .

* * *

وقرأ ذلك بعض المتقدّمين : ﴿ واللهُ أعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ ﴾ علىٰ وجه الخبر بذلك عن أم مريم أنها هى القائلة : « والله أعلم بما ولدتُ منى » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها ، لا يتدافعون صحتها . وذلك قراءة من قرأ « والله أعلم بما وضعتْ » ، ولا يعترض بالشاذّ عنها عليها .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : والله أعلم من كل خلقه بما وضعت = ثم رجع جل ذكره إلى الخبر عن قولها ، وأنها قالت — اعتذاراً إلى ربها مما كانت نذرتْ فى حملها فحررته لخدمة ربها — : « وليس الذكر كالأنثى » ، لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها ، وأن الأنثى لا تصلح فى بعض الأحوال لدخول القدْس والقيام بخدمة الكنيسة ، لما يعتريها من الحيض والنفاس = « وإنى سميتها مريم » ، كما : —

٦٨٧٧ — حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى » ، أى : لما جعلتها محرّراً له نذيرة .[1]

٦٨٧٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق :

---

(١) الأثر : ٦٨٧٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٨ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٨٥٩ . ونص ابن هشام فى المطبوعة الأوربية : « لما جعلتها محرراً له نذيرة » كنص الطبرى هنا ،

« وليس الذكر كالأنثى » ، لأن الذكر هو أقوى على ذلك من الأنثى .

٦٨٧٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وليس الذكر كالأنثى » ، كانت المرأة لا يستطاع أن يصنع بها ذلك =[1] يعنى أن تحرر للكنيسة ، فتجعل فيها ، تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها = مما يصيبها من الحيض والأذى ، فعند ذلك قالت :[2]« ليس الذكر كالأنثى » .

٦٨٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة : « قالت رب إنى وضعتها أنثى »، وإنما كانوا يحرّرون الغلمان — قال : « وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم » .

٦٨٨١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : كانت امرأة عمران حرّرت لله ما فى بطنها ، وكانت على رَجاء أن يهبَ لها غلاماً ، لأن المرأة لا تستطيع ذلك = يعنى القيامَ على الكنيسة لا تبرحها، وتكنُسها = لما يصيبها من الأذى .

٦٨٨٢ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: أن امرأة عمران ظنتّ أن ما فى بطنها غلامٌ ، فوهبته لله . فلما وضعت إذا هى جارية ، فقالت تعتذر إلى الله: « رب إنى وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى » ، تقول : إنما يحرّر الغلمان. يقول الله : « والله أعلم بما وضعت » ، فقالت : « إنى سَمّيتها مريم » .

وفى مطبوعة الحلبى : « محرراً لك » ، وفى إحدى نسخ سيرة ابن هشام « محررة » ، وهى صواب جيد ، ولكن مطبوعة الطبرى غيرت نص المخطوطة الذى أثبته ، فجعلتها : « لما جعلتها له محررة نذيرة » ، ولست أدرى لم فعل ذلك !!

(١) فى المطبوعة : «لا تستطيع » ، وفى المخطوطة : « لا تستطاع » ، وهو الصواب ، إلا أن الناسخ أخطأ فجعلها بالتاء الفوقية .

(٢) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة ، وأنا أرجح أن الصواب: «فمن ذلك قالت » ، أى من أجل ذلك قالت . و « عن » هنا بمعنى التعليل ، كما فى قوله تعالى : « وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » . وهى عبارة مشهورة من نهج عبارات القدماء ، وهى أجود من نص المخطوطة والمطبوعة وأشبه بالعربية .

١٦٠/٣

٦٨٨٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة : أنه أخبره عن عكرمة = وأبي بكر ، عن عكرمة : « فلما وضعتها قالت رَبِّ إني وضعتها أنثى » = « وليس الذكر كالأنثى » ، يعني : في المحيض ، ولا ينبغي لامرأة أن تكون مع الرجال = أمها تقول ذلك .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : تعني بقولها : « وإني أعيذُها بك وذُريتها » ، وإني أجعل مَعاذها ومَعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم ، بك .

* * *

وأصل « المعاذ » ، الموئل والملجأ والمعقل .(١)

* * *

= فاستجاب الله لها ، فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم ، فلم يجعل له عليها سبيلاً .

* * *

٦٨٨٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم ما من نَفْس مولود يُولد إلا والشيطان ينال منه تلك الطعنة ، ولها يَستَهِلّ الصبي ، إلاّ ما كان من مريم ابنة عمران ، فإنها لما وضعتها قالت : « رب إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ، فضُرب دُونها حجاب ، فطعَن فيه .(٢)

---

(١) انظر ما سلف في تفسير « عاذ يعوذ » ١ : ١١١ ، قال : « الاستعاذة : الاستجارة » .

(٢) الحديث : ٦٨٨٤ — يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي المدني : تابعي فقيه ثقة من الثقات ، من شيوخ مالك ، احتج به في مواضع من الموطأ . وأخرج له الجماعة .

٦٨٨٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثني محمد ابن إسحق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مولود من ولد آدم له طَعنةٌ من الشيطان ، وبها يستهلُّ الصبي ، إلا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها ، فإنّ أمها قالت حين وضعتْها : « إني أعيذها بك وذرّيّتها من الشيطان الرجيم » ، فضرب دونهما حجاب ، فطَعَن في الحجاب .

٦٨٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن إسحق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٦٨٨٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة، عن عمرو ، عن شعيب بن خالد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما من بني آدم مولودٌ يولد إلاّ قد مسَّه الشيطان حين يولد، فيستهلّ صارخاً بمسّه إياه، غير مريم وابنها . فقال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : « إني أعيذها بك وذرّيّتها من الشيطان الرجيم » .[1]

والحديث سيأتي ، عقب هذا ، بإسنادين آخرين إلى ابن إسحق ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وأشار إليه ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، من رواية ابن إسحق ، دون تعيين في تخريجه .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٥٩٤ ، من طريق إسمعيل بن جعفر ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

وإسمعيل بن جعفر بن أبي كثير ، قارئ أهل المدينة : ثقة مأمون ، شارك مالكاً في أكثر شيوخه .

ووقع في المستدرك ومختصر الذهبي : « يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبيه ، عن أبي هريرة » . وزيادة « عن أبيه » في الإسناد — خطأ صرف ، لا معنى لها . وأرجح أنه خطأ من ناسخي المستدرك . فإن والد يزيد هذا — غير معروف بالرواية ، ولم يذكره أحد في رواة الحديث .

ثم رواه ابن جرير بنحوه ، بأسانيد متعددة ، إلى رقم : ٦٨٩٩ . وكلها عن أبي هريرة ، إلا : ٦٨٩٣ ، فإنه عن ابن عباس .

(١) الحديث : ٦٨٨٧ — عمرو — شيخ هرون : هو عمرو بن أبي قيس الرازي الأزرق ، وهو ثقة ، أثنى عليه الثوري .

٦٨٨٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال ، أخبرني ابن أبي ذئب ، عن عجلان مولى المشمعِلّ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد من بني آدم يمسُّه الشيطان بإصبعه ، إلاّ مريم وابنها .[1]

٦٨٨٩ — حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثني عمي عبد الله ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث : أن أبا يونس سُليماً مولى أبي هريرة حدثه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل بني آدم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أمه ، إلاّ مريم وابنها .[2]

٦٨٩٠ — حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عمران ، أن

شعيب بن خالد البجلي ، قاضي الري : ثقة ، أثنى عليه الثوري أيضاً . وقال ابن عيينة : « حفظ من الزهري ومالك شاباً » .

وهو هنا يروى عن « الزهري » . ووقع في المطبوعة « الزبير » بدل « الزهري » . وهو خطأ . صوابه من المخطوطة .

والحديث رواه البخاري ٦ : ٣٣٨ — ٣٣٩ ، من طريق شعيب ، عن الزهري ، بهذا ، بنحوه . و « شعيب » — في إسناد البخاري — : هو « شعيب بن أبي حمزة الحمصي » . وأما « شعيب بن خالد » فلم يرو له من أصحاب الكتب الستة غير أبي داود .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٢٢٤ ، من طريق شعيب بن أبي حمزة .

وانظر : ٦٨٩١ .

(١) الحديث : ٦٨٨٨ — عجلان مولى المشمعل : تابعي ثقة .

والحديث : رواه أحمد في المسند : ٧٨٦٦ ، عن إسمعيل بن عمر : و : ٧٩٠٢ ، عن يزيد بن هرون ، و : ٧٩٠٢ ، عن هاشم بن القاسم (٢ : ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٩ حلبي) — ثلاثتهم عن ابن أبي ذئب ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، عن الرواية الأولى من روايات المسند .

وذكره في التفسير ٢ : ١٣٠ ، من رواية ابن وهب — إشارة إلى رواية الطبري هذه .

(٢) الحديث : ٦٨٨٩ — عمرو بن الحارث بن يعقوب المصري : مضت ترجمته في : ١٣٨٧ . سليم — بضم السين — بن جبير ، أبو يونس مولى أبي هريرة : تابعي مصري ثقة .

ووقع في المطبوعة : « أن أبا يونس سليمان » ، بزيادة النون في آخر الاسم . وصوابه من المخطوطة « سليما » ، بالتنوين . بل في رواية مسلم طبعة بولاق : « أن أبا يونس سليم مولى أبي هريرة » ، فرسم بالتنوين دون ألف ، على لغة ربيعة ، في الوقوف على المنصوب بالسكون .

والحديث رواه مسلم ٢ : ٢٢٤ ، من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، بهذا الإسناد .

أبا يونس حدثه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .[1]

٦٨٩١ — حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود يولد إلاّ يمسُّه الشيطان ، فيستهل صارخاً من مسَّةِ الشيطان ، إلا مريم وابنها . ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم : «وإني أعيذُها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم» .[2] ١٦١/٣

٦٨٩٢ — حدثني المثنى قال ، حدثني الحماني قال ، حدثنا قيس ، عن الأعمش، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود يولد إلاّ وقد عَصَرَه الشيطان عَصرةً أو عصرتين ،إلاّ عيسى ابن مريم ومريم . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» .[3]

---

(١) الحديث ٦٨٩٠ — «عمران» — في الإسناد: هكذا ثبت في المخطوطة والمطبوعة . ولا ندري من هو ؟ والظاهر أنه خطأ من الناسخين ، نرجح أن صوابه «ابن عمران» . فإن يكنه يكن «حرملة بن عمران التجيبي المصري» . وهو ثقة ، يروي عن سليم بن جبير مولى أبي هريرة ، راوي هذا الحديث . ويروي عنه ابن وهب . وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) الحديث : ٦٨٩١ — مضى بنحوه : ٦٨٨٧ ، من رواية شعيب بن خالد عن الزهري . وأشرنا هناك إلى رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري . وهذه رواية معمر عن الزهري .

وقد رواه أحمد في المسند : ٧٦٩٤ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، به . ونقله ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، عن رواية المسند .

وكذلك رواه البخاري ٨ : ١٥٩ ، ومسلم ٢ : ٢٢٤ — كلاهما من طريق عبد الرزاق .

ورواه أحمد أيضاً : ٧١٨٢ ، عن عبد الأعلى ، عن معمر ، به .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٢٢٤ ، من طريق عبد الأعلى .

(٣) الحديث : ٦٨٩٢ — الحماني ، بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم : هو يحيى بن عبد الحميد ابن عبد الرحمن ، أبو زكريا الحافظ . وقد اختلف فيه كثيراً ، والراجح عندي أنه ثقة . وقد وثقه ابن معين . وقال فيه غيره كلاماً شديداً . ولكن المنصف إذا تتبع ترجمته مع إنصاف اقتنع بتوثيقه. مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٩١/٢/٤ ، والصغير : ٢٣٩ ، وابن أبي حاتم ١٦٨/٢/٤ — ١٧٠ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٦٧ — ١٧٧ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١٠ — ١١ .

قيس : هو ابن الربيع الأسدي . وهو ثقة ، كما رجحنا في : ٤٨٤٢ .

٦٨٩٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ولد مولود إلا وقد استهلّ ، غير المسيح بن مريم ، لم يسلَّط عليه الشيطان ولم يَنْهَزْه .(١)

والحديث — من هذا الوجه — ذكره ابن كثير في التفسير ٢ : ١٣٠ ، والتاريخ ٢ : ٥٧ — تعليقاً عن قيس ، دون أن يبين مخرجه .

ولكن سياق كلامه في التفسير يدل على أنه يشير إلى روايته عند الطبري ، يعني هذا الإسناد .

فإنه ذكر في التفسير رواية الطبري الآتية : ٦٨٩٩ ، ثم قال : « وروى من حديث قيس ، عن الأعمش . . . » — إلخ . فهذا الفعل « روى » ، ينبغي أن يقرأ مبنياً للفاعل ، فيكون معناه أن ابن جرير « روى من حديث قيس » . ولا نرى أن يقرأ بالبناء لما لم يسم فاعله . لأن علماء الحديث وأئمته ، أمثال ابن كثير — لا يستعملون صيغة التمريض هذه ، بالبناء للمجهول ، إلا في الأحاديث الواهية الإسناد . ولا يذكر الأحاديث الجياد بصيغة التمريض إلا جاهل أو غافل .

ثم ذكر ابن كثير — بعد حديث قيس هذا ، عطفاً عليه — ما نصه : « ومن حديث العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة » .

فهذه إشارة منه إلى إسناد آخر . أرجح أنه رواه أيضاً الطبري ، بعد حديث قيس . ولعله سقط سهواً من الناسخين .

فرأيت — تماماً للسياق — أن أذكره هنا من رواية أحمد ، واحتياطاً أيضاً :

فقال الإمام أحمد في المسند : ٨٨٠١ (ج ٢ ص ٣٦٨ حلبي) : « حدثنا هُشيم ، قال : حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل إنسان تَلِدُه أُمُّه يَلْكُزُه الشيطانُ بِحِضْنَيْه ، إلاّ ما كان مِن مريمَ وابنها ، أَلَمْ تَرَوْا إلى الصَّبِيّ حين يَسْقُطُ ، كيفَ يَصْرُخ ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : فذاكَ حين يَلْكُزُه الشيطان بِحِضْنَيْه » .

وهذا إسناد صحيح ، على شرط مسلم .

ورواية قيس بن الربيع ذكرها السيوطي ٢ : ١٩ ، ولم ينسبها لغير الطبري .

وقوله « عصره الشيطان . . . » — عصر العنب وغيره عصراً : ضغطه ليستخرج ما فيه . وهو هنا مجاز ، أي : شديده عليه وضغطه .

(٣) الحديث : ٦٨٩٣ — هذا إسناد صحيح .

ولم أجد هذا الحديث من غير رواية الطبري ، وكذلك ذكره السيوطي ٢ : ١٩ ، ولم ينسبه لغيره .

٦٨٩٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا المنذر ابن النعمان الأفطس : أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما وُلد عيسى أتت الشياطينُ إبليس فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها ! فقال : هذا في حادث حدث ! وقال : مكانَكم ! [1] فطارَ حتى جاء خافقَي الأرض ، فلم يجد شيئاً ، [2] ثم جاء البحار فلم يجد شيئاً ، ثم طار أيضاً فوجد عيسى قد ولد عند مِذْوَد حمار ، [3] وإذا الملائكة قد حفَّت حوله ، فرجع إليهم فقال : إن نبيًّا قد ولد البارحة ، ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا أنا بحضرتها ، إلاّ هذه ! فأيِسوا أن تُعبد الأصنام بعد هذه الليلة ، [4] ولكن ائتوا بني آدم من قبل الخفَّة والعجَلة . [5]

٦٨٩٥ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإني أعيذُها بك وذريتَها من الشيطان الرجيم » ، وذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : كل بني آدم طعَنَ الشيطانُ في جنبه ، إلا عيسى بن مريم وأمه ، جُعل بينهما وبينه حجابٌ ، فأصابت الطعنة الحجابَ ، ولم ينفذ إليهما شيء = وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان الذنوبَ كما يصيبها سائرُ بني آدم . = وذكر لنا أنّ عيسى كان يمشي على البحر كما يمشي على البر ، مما أعطاه الله تعالى من اليقين والإخلاص .

وقوله « ولم ينهزه » — من « النهز » ، وهو الدفع . « نهزه ينهزه نهزاً » : دفعه ، مثل « نكزه » ، و « وكزه » .

(١) في المطبوعة : « فقال » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الخافقان : أفق المشرق وأفق المغرب ، محيطان بجانبي الأرض .

(٣) المذود (بكسر الميم وسكون الذال) : معلف الدابة .

(٤) أيس الرجل يأيس يأساً ، لغة في يئس . والأمر منه هنا على هذه اللغة .

(٥) الأثر : ٦٨٩٤ — في المخطوطة « أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر المنذر بن النعمان » ، أو كأنها تقرأ « معتمر » ثم ضرب على « معمر » . والمنذر بن النعمان الأفطس اليماني ، روى عن وهب بن منبه . ثقة . روى عنه عبد الرزاق ، وروى عنه معتمر بن سليمان ، فأخشى أن يكون كان أصل الطبري « حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ومعتمر قال : أخبر المنذر بن النعمان الأفطس » . والمنذر مترجم في الكبير ٤ / ١ / ٣٥٩ ، وابن أبي حاتم ٢٤٢/١/٤ ، وتعجيل المنفعة : ٤١٠ .

٦٨٩٦ — حدثني المثنى قال ، حدثني إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ، قال : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : كل آدمي طعن الشيطان في جنبه غير عيسى وأمه ، كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها بنو آدم . قال : وقال عيسى صلى الله عليه وسلم فيما يثني على ربه : وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن له علينا سبيل.[1]

٦٨٩٧ — حدثنا الربيع بن سليمان قال ، حدثنا شعيب بن الليث قال ، حدثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه ، إلا عيسى بن مريم ، ذهب يطعن فطعن في الحجاب .[2]

٦٨٩٨ — حدثنا الربيع قال ، حدثنا شعيب قال ، أخبرنا الليث ، عن

---

(١) الأثران : ٦٨٩٥ ، ٦٨٩٦ — هذان خبران مرسلان كما هو ظاهر .

(٢) الحديث : ٦٨٩٧ — جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة المصري : ثقة من شيوخ الليث بن سعد . أخرج له الجماعة .

عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني : تابعي ثقة مشهور ، من شيوخ الزهري وأبي الزناد . كان الناس يقرأون عليه حديثه عن أبي هريرة . انظر المسند : ٧٢٧٦ ، وابن سعد ٥ : ٢٠٩ . وهذا يرد على من يزعم أن الأحاديث لم تكتب إلا في عصر مالك . وهذا عبد الرحمن شيخ شيوخ مالك ، ومات سنة ١١٧ .

والحديث ذكره ابن كثير في التفسير ٢ : ١٣٠ ، من رواية الليث بن سعد ، بهذا الإسناد . ولم يذكر من خرجه ، فهو إشارة منه إلى رواية الطبري هذه .

وقد رواه أحمد في المسند : ١٠٧٨٣ (ج ٢ ص ٥٢٣ حلبي) ، عن عبد الملك بن عمرو ، عن المغيرة — وهو ابن عبد الرحمن الحزامي — عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً ، بنحوه .

ونقله ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، عن رواية المسند . وقال : « وهذا على شرط الصحيحين . ولم يخرجوه من هذا الوجه » .

ووقع في ابن كثير « المغيرة ، وهو ابن عبد الله الحزامي » ، وهو خطأ مطبعي .

ولسنا نوافق ابن كثير على دعواه أنهم « لم يخرجوه من هذا الوجه » . — فإن البخاري رواه ٦ : ٢٤٢ ، عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً ، بنحو روايتي المسند والطبري .

فهذا من هذا الوجه : يجتمع مع إسناد المسند في « أبي الزناد » ، ومع إسناد الطبري في « الأعرج » .

جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال : قال أبو هريرة : أرأيتَ هذه الصرخة التي يَصرُخها الصبيُّ حين تلده أمه؟ فإنها منها .[١]

٦٨٩٩ ــ حدثني أحمد بن الفرج قال ، حدثنا بقية بن الوليد قال ، حدثنا الزُّبيديّ ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من بني آدم مولودٌ إلا يمسُّه الشيطان حين يولدُ يستهلّ صارخاً .[٢] ١٦٢/٣

* * *

(١) الحديث : ٦٨٩٨ – وهذا حديث صحيح ، بالإسناد السابق نفسه . وظاهره أنه موقوف ، من كلام أبي هريرة . وعن ذلك – فيما أرى – فصله الطبري عن المرفوع الذي قبله .

ومعناه ثابت صحيح ، من حديث أبي هريرة مرفوعاً :

فرواه مسلم ٢ : ٢٢٤ ، من رواية سهيل – وهو ابن أبي صالح – عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صياح المولود حين يقع ، نزغة من الشيطان » .

ثم معناه ثابت مرفوعاً ، ضمن بعض الأحاديث الصحاح السابقة .

(٢) الحديث : ٦٨٩٩ – بقية بن الوليد الحمصي : ثقة . تكلموا فيه من أجل تدليسه ، فإذا صرح بالسماع – كما هنا – كانت روايته صحيحة .

الزبيدي – بضم الزاي : هو محمد بن الوليد بن عامر الحمصي . وهو ثقة ، روى له الشيخان .

والحديث ذكره ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، عن هذا الموضع ، دون أن يسوق لفظه . ووقع فيه تسمية الزبيدي « عبد الله بن الزبيدي » ! وهو تحريف من ناسخ أو طابع . ولا يوجد راو بهذا الاسم .

وهذه الرواية ، هي من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة . وقد مضى الحديث بنحوه : ٦٨٨٧ ، ٦٨٩١ ، من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . ولا تعل إحدى الروايتين بالأخرى . فالزهري له إذن في هذا الحديث شيخان .

وقد أشار الحافظ في الفتح ٦ : ٣٣٨ إلى هذه الرواية ، عند رواية الزهري عن ابن المسيب ، فقال : « كذا قال أكثر أصحاب الزهري . وقال الزبيدي : عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . أخرجه الطبري » .

ووقع في الفتح « السدي » بدل « الزبيدي » . وهو تحريف من الناسخين .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك: أنّ الله جل ثناؤه تقبّل مريمَ من أمها حَنَّة ، وتحريرَها إياها للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها = [1] « بقبول حَسن » .

* * *

« والقبول » مصدر من : « قبِلها ربُّها » ، فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل . ولو كان على لفظه لكان : « فتقبلها ربها تقبُّلا حسناً » . وقد تفعل العرب ذلك كثيراً : أن يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال ، وإن اختلفت ألفاظها فى الأفعال بالزيادة ، وذلك كقولهم : « تكلم فلان كلاماً » ، ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل : « تكلم فلان تكلماً » . ومنه قوله : « وأنبتها نباتاً حسناً » ، ولم يقل إنباتاً حسناً .[2]

وذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : لم نسمع العرب تضم القاف فى « قبول » ، وكان القياس الضمّ ، لأنه مصدر مثل : « الدُّخول ، والخروج » . قال : ولم أسمع بحرف آخر فى كلام العرب يُشبهه .

٦٩٠٠ – حدثت بذلك عن أبى عبيد قال ، أخبرنى اليزيدى ، عن أبى عمرو .

* * *

وأما قوله : « وأنبتها نباتاً حسناً » ، فإن معناه : وأنبتها ربُّها فى غذائه ورزْقه نباتاً حسناً ، حتى تمّت فكملت امرأةً بالغةً تامة ، كما : —

---

(١) فى المطبوعة : « بتحريرها » ، وفى المخطوطة « تحريرها » بغير باء قبلها ، وكأن الصواب « وتحريرها » كما أثبت ، معطوفاً على « تقبل مريم » .

(٢) انظر بيان ذلك فيما سلف ١ : ١١٦ ، وقد عدد هناك شواهده / ثم ٥ : ٥٣٣، ٥٣٤ .

٦٩٠١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال الله عز وجل: «فتقبلها ربها بقبول حسن»، قال: تقبل من أمها ما أرادت بها للكنيسة، وأجرَها فيها = «وأنبتها»، قال: نبتت في غذاء الله.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾

قال أبو جعفر: اختلفت القرأة في قراءة قوله: «وكفلها»

فقرأته عامة قرأة أهل الحجاز والمدينة والبصرة: ﴿وَكَفَلَهَا﴾ مخففة «الفاء». بمعنى: ضمها زكريا إليه، اعتباراً بقول الله عز وجل: ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [سورة آل عمران: ٤٤].

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين. ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، بمعنى: وكفَّلها اللهُ زكريا.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي، قراءة من قرأ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ مشددة «الفاء»، بمعنى: وكفَّلها الله زكريا، بمعنى: وضمها الله إليه. لأن زكريا أيضاً ضمها إليه بإيجاب الله له ضمَّها إليه بالقُرْعة التي أخرجها اللهُ له، والآية التي أظهرَها لخصومه فيها، فجعله بها أولى منهم، إذ قَرَعَ فيها من شاحَّه فيها.[1]

* * *

(١) قرع (بفتح القاف والراء): أصابته القرعة دونهم. يقال: قارعني فلان فقرعته: خرجت لي القرعة دونه. وشاحه في الأمر وعليه، وتشاحا عليه وفيه (بتشديد الحاء): إذا تنازعاه، لا يريد كل واحد منهما أن يفوته، كأن بعضهم يشح على بعض فيه.

وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومَه فى مريم إذ تنازعوا فيها أيهم تكونُ عنده ، تساهموا بقِدَاحهم ، فرموا بها فى نهر الأردنّ.[1] فقال بعض أهل العلم : ارْتَزّ قدح زكريا ،[2] فقام ولم يجر به الماء ، وجرى بقدَاح الآخرين الماء . فجعل الله ذلك لزكريا علَماً أنه أحق المتنازعين فيها بها .[3]

* * *

وقال آخرون : بل اصّاعدَ قدح زكريا فى النهر ،[4] وانحدرت قداحُ الآخرين مع جرية الماء وذهبت ، فكان ذلك له علَماً من الله فى أنه أولى القوم بها .

* * *

قال أبو جعفر : وأىّ الأمرين كان من ذلك ، فلا شك أن ذلك كان قضاءً من الله بها لزكريا على خصومه ، بأنه أولاهم بها . وإذْ كان ذلك كذلك ، فإنما ضمها زكريا إلى نفسه بضمّ الله إياها إليه بقضائه له بها على خصومه عند تَشاحِّهم فيها ، واختصامهم فى أولاهم بها .

---

(١) فى المطبوعة : « رموا بها » ، والصواب بالفاء ، من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « رتب قدح زكريا » ، ورتب الشىء : ثبت ، فهو قريب المعنى . بيد أن المخطوطة جاء فيها « ارتز » ، والراء مشبوكة بأسفل التاء ، فلذلك لم يستطع الناشر الأول أن يحسن قراءتها . و« رز الشىء فى الحائط أو فى الأرض يرزه رزاً ، فارتز فيه » : أثبته فثبت ، مثل رز السكين فى الحائط ، فهو يرتز فيه .

(٣) فى المطبوعة : « فجعل الله ذلك لزكريا أنه أحق المتنازعين فيها » لم يحسن قراءة المخطوطة فحذف ما أثبت . فى المخطوطة « فجعل الله ذلك لزكريا علماً أنه . . . » ، وكان الناسخ قد كتب « آية » ، ثم أعاد على اللفظة نفسها بالقلم ، ليجعل « آية » « وعلماً » ، فاضطرب الخط ، فلم يحسن الناشر قراءتها ، فأسقطها ، فاختل جانب الكلام . وكان فى المخطوطة « المتنازعين فيها ها » فلم يحسن قراءة « ها » الأخيرة ، لأن نبرة الباء قد أكلها الناسخ فظلمها ظلماً شديداً ، فظن الناشر أنها حرف لا معنى له ، فقذف به . فاختل جانب آخر من الكلام ، فصارت الجملة عرجاء تزك زكا .

(٤) فى المطبوعة : « بل صعد قدح زكريا » ، وفى المخطوطة « صاعد » ، أسقط الناسخ الألف قبل الصاد ، فأسقط الناشر الألف بعد الصاد ! ! يقال : « صعد » ، و « اصعد » (بتشديد الصاد والعين مفتوحتين) و « اصاعد » (بتشديد الصاد المفتوحة) : ارتفع .

وإذْ كان ذلك كذلك ، كان بيِّناً أنّ أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد «كفَّلها» .

* * *

وأما ما اعتلّ به القارئون ذلك بتخفيف «الفاء» ، من قول الله: ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ ، وأن ذلك موجبٌ صحةَ اختيارهم التخفيفَ في قوله: «وكفلها» = فحجة دالةٌ على ضَعف احتيال المحتج بها .[1]

١٦٣/٣

ذلك أنه غير ممتنع ذُو عقل من أن يقول قائل : «كفَّل فلانٌ فلاناً فكفَله فلان» . فكذلك القول في ذلك : ألقى القوم أقلامهم: أيهم يكفُل مريم، بتكفيل الله إياه بقضائه الذى يقضى بينهم فيها عند إلقائهم الأقلام .

* * *

قال أبو جعفر : وكذلك اختلفت القرأة فى قراءة «زكريا» .

فقرأته عامة قرأة المدينة بالمدّ .

وقرأته عامة قرأة الكوفة بالقصر .

وهما لغتان معروفتان ، وقراءتان مستفيضتان فى قراءة المسلمين ، وليس فى القراءة بإحداهما خلافٌ لمعنى القراءة الأخرى ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب .

* * *

غيرَ أن الصوابَ عندنا — إذا مُدّ «زكريا» أن يُنصب بغير تنوين ، لأنه اسم من أسماء العجم لا يُجرَى ،[2] ولأن قراءتنا فى «كفَّلها» بالتشديد ، وتثقيل «الفاء» . ف «زكرياء» منصوب بالفعل الواقع عليه .[3]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : «على ضعف اختيار المحتج بها» ، وهى فاسدة ضعيفة المعنى ، والصواب من المخطوطة . والاحتيال : طلب الحيلة والمخرج .

(٢) الإجراء : الصرف . يعنى : لا يصرف ، لأنه ممنوع من الصرف ، كما يقول النحاة .

(٣) الواقع عليه : المتعدى إليه . وقد سلف أن «الوقوع» هو «التعدى» ، فاطلبه فى فهرس المصطلحات .

وفى «زكريا» لغة ثالثة لا تجوز القراءة بها ، لخلافها مصاحفَ المسلمين ، وهو : «زكرىّ» بحذف المدة و «الياء» الساكنة ، تشبهه العرب بالمنسوب من الأسماء ، فتنوّنه وتُجرْيه فى أنواع الإعراب مجارىَ «ياء» النسبة.[1]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : وضمها اللهُ إلى زكريا ، من قول الشاعر :[2]

* فَهُوَ لِضُلاَّلِ الهَوَامِ كَافِلٌ[3] *

يراد به :[4] لما ضلّ من متفرّق النعم ومنتشره، ضامٌّ إلى نفسه وجامع. وقد روى :

* فَهُوَ لِضُلاَّلِ الهَوَافِى كَافِلُ[3] *

بمعنى : أنه لما ندّ فهرب من النعمَ ضامٌّ من قولهم: «هفا الظّلِيم»، إذا أسرَعَ الطيران .

يقال منه للرجل : «مالك تكفُل كلّ ضالة» ؟ يعنى به : تضمها إليك وتأخذُها .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٠٢ — حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطفاوىّ قال حدثنا محمد بن ربيعة ، عن النضر بن عربىّ، عن عكرمة فى قوله : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ

---

(١) انظر مقالة الفراء فى «زكريا» فى معانى القرآن ١ : ٢٠٨ .

(٢) غاب عنى قائله ، وإن كنت أذكر الشعر .

(٣) «الهوام» ، هى الهوامى ، جمع هامية . وهوامى الإبل : ضوالها المهملة بلا راع . والهوامى الضوال ، وفى حديث عثمان أنه ولى أبا غاضرة الهوافى ، أى الإبل الضوال . وانظر طبقات فحول الشعراء : ٤٩٠ .

(٤) فى المطبوعة : «يراد أنه» ، والصواب من المخطوطة .

مَرْيَمَ ﴾، قال :ألقوا أقلامهم فجرَت بها الجِرْية، إلاّ قلم زكريا اصّاعدَ، [١] فكفلها زكريا .

٦٩٠٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وكفلها زكريا » ، قال : ضمها إليه . قال : ألقوا أقلامهم — يقول : عصِيَّهم — قال: فألقوها تلقاء جِرْية الماء ، فاستقبلت عصا زكريا جِرْيةَ الماء ، [٢] فقرَعهم .

٦٩٠٤ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال الله عز وجل: « فتقبلها ربُّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً » ، فانطلقت بها أمها في خِرَقها — يعني أمّ مريم بمريم — حين ولدتها إلى المحراب = وقال بعضهم : انطلقت حين بلغتْ إلى المحراب = وكان الذين يكتبون التوراةَ إذا جاؤوا إليهم بإنسان يجرِّبونه، [٣] اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه . وكان زكريا أفضلهم يومئذ ، وكان بينهم ، وكانت خالة مريم تحته . [٤] فلما أتوا بها اقترعوا

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « إلا قلم زكريا صاعداً » ، وهو لا معنى له ، وانظر ما سلف ص٣٤٦ تعليق : ٤ . وقوله : « الجرية » (بكسر الجيم وسكون الراء) ، وهي حالة الجريان ، والذي يسميه كتابنا اليوم : « التيار » .

(٢) هكذا في المطبوعة والمخطوطة : « فاستقبلت » ، ولست أرتضيها ، وكأنها « واستعلت » ، من قولهم : « علاه وتعلاه واستعلاه » ، إذا قهره وغلبه . وفي اللسان مادة (جرى) ما نصه : « ومنه : وعال قلم زكريا الجرية ، وجرت الأقلام مع جرية الماء » ، وكأن هذا اللفظ « وعالى » ، وكلتاهما صواب بمعنى : قهر وغلب ، وأعجز الماء أن يحمله . وأما قوله: « فقرعهم » ، فقد سلف تفسيرها ص: ٣٤٥، تعليق: ١ .

(٣) في المطبوعة ، وسنن البيهقي ١٠ : ٢٨٦ هكذا « يجربونه » ، وهي في المخطوطة غير منقوطة ، وأخشى أن يكون هذا خطأ ، فإني رأيت السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٠ ، خرج هذا الأثر ، ونسبه للبيهقي في السنن ، وفيه : « إذا جاءوا إليهم بإنسان محرر ، اقترعوا عليه . . . » ، فكأن صواب هذا الحرف « يحررونه » اتصلت الراء بالواو فقرأوها « يجربونه » . وهذا الأثر الذي رواه السدي ، هو في سنن البيهقي ، بإسناد السدي في التفسير ، الذي مضى الكلام فيه في رقم : ١٦٨ ، وهو الإسناد الدائر في التفسير ، ثم حذف الطبري ما بعد السدي ، لما طال الكتاب .

(٤) في سنن البيهقي ، والدر المنثور : « وكانت أخت مريم تحته » ، وهو خطأ لا شك فيه ، فإن المقطوع به في التاريخ أن زكريا وعمران أبا مريم ، كانا متزوجين بأختين ، إحداهما عند زكريا ، وهي أم يحيى . والأخرى عند عمران ، وهي أم مريم ، فمات عمران وأم مريم حامل بمريم . انظر تاريخ الطبري ٢ : ١٣ .

عليها ، وقال لهم زكريا : أنا أحقكم بها ، تحتى أختها ! [١] فأبوا ، فخرجوا إلى نهر الأردنّ ، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها : أيهم يقوم قلمه فيكفلها . فجرت الأقلام ، وقام قلم زكريا على قُرْنَته كأنه في طين ، [٢] فأخذ الجارية . وذلك قول الله عز وجل : « وكفلها زكريا » ، فجعلها زكريا معه في بيته ، وهو المحراب . [٣]

٦٩٠٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وكفلها زكريا » ، يقول : ضمها إليه .

١٦٤/٣

٦٩٠٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وكفلها زكريا » ، قال : سَهَمهم بقلمه . [٤]

٦٩٠٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٦٩٠٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قال : كانت مريم ابنةَ سيِّدهم وإمامهم ، قال : فتشاحَّ عليها أحبارُهم ، فاقترعوا فيها بسهامهم أيُّهم يكفلها . قال : قتادة : وكان زكريا زوجَ أختها ، [٥] فكفلها وكانت عنده ، وحَضَنَتْها .

---

(١) في المطبوعة : « تحتى خالتها » ، والصواب ما في الطبري والدر المنثور وسنن البيهقي ، وكأن الناشر ظن أنه أراد « أخت مريم » ، فغيرها ، وإنما أراد زكريا بمقالته ، أخت أم مريم ، التي جاءت تحملها .

(٢) القرنة (بضم فسكون) : الطرف الشاخص من كل شيء . يقال : لحد السيف والسنان والسهم وغيرها « قرنة » ، وهو طرفه وذبابه .

(٣) الأثر : ٦٩٠٤ — سنن البيهقي ١٠ : ٢٨٦ ، والدر المنثور ٢ : ٢٠ .

(٤) ساهم القوم فسهمهم ، وقارعهم فقرعهم : فاز سهمه ، وكانت له القرعة أو السهم دون أصحابه .

(٥) هكذا في المطبوعة والمخطوطة : « زوج أختها » ، وظاهر أن كلام قتادة مختصر ، كان في

٦٩٠٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة : أنه أخبره ، عن عكرمة = وأبي بكر ، عن عكرمة قال : ثم خرجت بها = يعني : أمّ مريم = بمريم في خِرَقها تحملها إلى بني الكاهن بن هرون، أخي موسى بن عمران . قال: وهم يومئذ يَلون من بيت المقدس ما يلي الحجبةُ من الكعبة ،فقالت لهم : دُونكم هذه النذيرة ، فإنّي حرّرتها ، وهي ابنتي ، ولا يدخل الكنيسة حائض ، وأنا لا أردُّها إلى بيتي ! فقالوا : هذه ابنة إمامنا = وكان عمران يؤُمهم في الصلاة = وصاحب قُرْباننا ! [1] فقال زكريا : ادفعوها إليّ ، فإن خالتها عندي . قالوا : لا تطيب أنفسنا ، هي ابنة إمامنا ! فذلك حين اقترعوا ،فاقترعوا بأقلامهم عليها — بالأقلام التي يكتبون بها التوراة — فقرعهم زكريا ، فكفلها .

٦٩١٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جعلها زكريا معه في محرابه ، قال الله عز وجل : « وكفلها زكريا » = قال حجاج قال ، ابن جريج : « الكاهنُ » في كلامهم : العالمُ .

٦٩١١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « وكفلها زكريا » ، بعد أبيها وأمها ، يذكرها باليتم ، ثم قص خبرها وخبرَ زكريا .[2]

٦٩١٢ — حدثنا المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن

ذكر « أم مريم » ، وأن قوله : « زوج أختها » ، أي زوج أخت مريم ، وقد أسلفت صحة ذلك وبيانه في ص ٣٥٠ تعليق : ١ . وانظر سائر الآثار التي ستأتي بعد .

(١) في المطبوعة : « وصاحب قربانهم » ، وفي المخطوطة « وصاحب » وما بعدها بياض ، واستظهر الناشر زيادتها هكذا ، وأستظهر أن زيادتها كذلك ، على أنها من تمام قولهم : « هذه ابنة إمامنا معطوفاً عليه ، وما بينهما جملة معترضة للبيان من راوي الخبر .

(٢) الأثر : ٦٩١٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٩ ، وهو بقية الآثار التي آخرها رقم : ٦٨٧٧ .

عطاء ، عن سعيد بن جبير قوله : « وكفلها زكريا » ، قال : كانت عنده .

٦٩١٣ — حدثني علي بن سهل قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير قوله : « وكفلها زكريا » ، قال : جعلها زكريا معه في محرابه .

٦٩١٤ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « فتقبَّلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً » ، وتقارعها القومُ ، فقرَع زكريا ، فكفلها زكريا .

* * *

وقال آخرون : بل كان زكريا بعد ولادة َحنَّةَ ابنتَها مريمَ ، كفَلها بغير اقتراع ولا استهام عليها ، ولامنازعة أحد إياه فيها . وإنما كفلها ، لأن أمها ماتت بعد موت أبيها وهي طفلة ، وعند زكريا خالتُها ألاشباع ابنة فاقوذ [1] = وقد قيل . إنّ اسم أم يحيى خالة عيسى : إشبع = . [2]

٦٩١٥ — حدثنا بذلك القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبأيّ : أن اسم أم يحيى أشبع . [3]

* * *

(١) في المطبوعة : « إيشاع » ، والصواب من المخطوطة وتاريخ الطبري ٢ : ١٣ ، وهو في كتاب القوم « أليصابات » ، ومعناها كما في قاموسهم كتابهم « الله حلفها ، أي عائذة الله » ، وكأنه هو الاسم العبري القديم « أليشابع » ، ومعناه أيضاً « الله حلفها » ، وهو اسم امرأة هرون .

(٢) في المطبوعة : « اشيع » بالياء ، والصواب بالباء . وهي في المخطوطة غير منقوطة .

(٣) الأثر : ٦٩١٥ — « وهب بن سليمان الجندي اليماني » ، روى عن شعيب الجبأي ، روى عنه ابن جريج . مترجم في الكبير ٤ / ٢ / ١٦٩ ، وابن أبي حاتم ٤ / ٢ / ٢٧ . و « شعيب الجبأي ، الجندي البجلي » ، منسوب إلى « جبأ » ، وهو جبل . قال ابن أبي حاتم هو : « شعيب بن الأسود » . قال : يروي عن الكتب . روى عنه سلمة بن وهرام ، ووهب بن سليمان . مترجم في الكبير ٢ / ٢ / ٢١٩ ، وابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٣٥٣ . وكان في المطبوعة : « شعيب الحياني » خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

= فضمها إلى خالتها أم يحيى ، فكانت إليهم ومعهم ، حتى إذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنذر أمها التى نذرت فيها .

قالوا : والاقتراع فيها بالأقلام ، إنما كان بعد ذلك بمدة طويلة لشدة إصابتهم ، ضَعُفَ زكريا عن حمل مؤونتها ، فتدافعوا حملَ مؤونتها ، لا رغبة منهم ، ولا تنافساً ١٦٥/٣ عليها وعلى احتمال مؤونتها . وسنذكر قصتها على قول من قال ذلك ، إذا بلغنا إليها إن شاء الله تعالى .

٦٩١٦ — حدثنا بذلك ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق .

= فعلى هذا التأويل ، تصح قراءة من قرأ : « وكفَلها زكريا » بتخفيف « الفاء » ، لو صح التأويلُ . غير أن القول متظاهرٌ من أهل التأويل بالقول الأول : أن استهامَ القوم فيها كان قبل كفالة زكريا إياها ، وأن زكريا إنما كفلها بإخراج سَهمه منها فالجاً على سهام خُصومه فيها .[1] فلذلك كانت قراءته بالتشديد عندنا أولى من قراءته بالتخفيف .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أن زكريا كان كلما دخل عليها المحرابَ ، بعد إدخاله إياها المحراب ، وجد عندها رزقاً من الله لغذائها .

فقيل إن ذلك الرزقَ الذى كان يجده زكريا عندها ، فاكهةُ الشتاء فى الصيف ، وفاكهةُ الصيف فى الشتاء .

---

(١) السهم الفالج : الفائز .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩١٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا الحسن بن عطية ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وجد عندها رزقاً » ، قال : وجد عندَها عنباً في مِكْتَلٍ في غير حينه.[1]

٦٩١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد في قوله : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وَجد عندها رزقاً » ، قال : العنب في غير حينه.

٦٩١٩ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم في قوله : « وجد عندها رزقاً » ، قال : فاكهة في غير حينها .

٦٩٢٠ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو إسحق الكوفي ، عن الضحاك : أنه كان يجدُ عندها فاكهةَ الصيف في الشتاء ، وفاكهةَ الشتاء في الصيف = يعني في قوله : « وجد عندها رزقاً ».[2]

٦٩٢١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك مثله .

٦٩٢٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو قال ، أخبرنا هشيم ، عن بعض أشياخه ، عن الضحاك مثله .

٦٩٢٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك مثله .

٦٩٢٤ — حدثنا يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا من سمع الحكم بن عتيبة يحدّث ، عن مجاهد قال : كان يجدُ عندها العنب في غير حينه .

٦٩٢٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) المكتل والمكتلة (بكسر الميم) : الزبيل الكبير يحمل فيه التمر أو العنب ، كأن فيه كتلا منه ، أي قطعاً مجتمعة .

(٢) الأثر : ٦٩٢٠ — « أبو إسحق الكوفي » ، هو : عبد الله بن ميسرة ، روى عن الشعبي وأبي حريز وجماعة ، روى عنه هشيم ، وكناه أبا إسحق ، وأبا عبد الجليل . وهو ضعيف الحديث . وقال ابن حبان : لا يحل الاحتجاج بخبره . مترجم في التهذيب ، والكنى للبخاري .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وجد عندها رزقاً » ، قال : عنباً وجده زكريا عند مريم في غير زمانه .

٦٩٢٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٦٩٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي قال، حدثنا النضر بن عربي ، عن مجاهد في قوله : « وجد عندها رزقاً » ، قال : فاكهةَ الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف .

٦٩٢٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً » ، قال : كنا نحدَّث أنها كانت تؤتَى بفاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء .

٦٩٢٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وجد عندها رزقاً » ، قال : وجد عندها ثمرةً في غير زمانها . ١٦٦/٣

٦٩٣٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : جعل زكريا دونها عليها سبعةَ أبواب ، فكان يدخل عليها فيجد عندها فاكهةَ الشتاء في الصيف ، وفاكهةَ الصيف في الشتاء .

٦٩٣١ — حدثني موسى [بن عبد الرحمن][1] قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : قال : جعلها زكريا معه في بيتٍ — وهو المحراب — فكان يدخل عليها في الشتاء فيجد عندها فاكهةَ الصيف ، ويدخل في الصيف فيجد عندها فاكهةَ الشتاء .[1]

---

(١) الأثر : ٦٩٣١ — « موسى بن عبد الرحمن » ، هكذا جاء في المطبوعة والمخطوطة ، وهو غريب جداً ، ولم أعرف من هو « موسى بن عبد الرحمن » ، ولكن إسناد الطبري إلى السدي ، منذ بدأ التفسير ، فيه « حدثنا موسى بن هرون الهمداني » ، وهو إسناد دائر فيه دوراناً ، إلا هذا الموضع ، وأكاد أجزم بأنه خطأ من الناسخ ، وأنه « موسى بن هرون » ، ونسي الناسخ فكتب مكان « هرون » ، « عبد الرحمن » . وانظر الكلام عن إسناده هذا في رقم : ١٦٨ .

٦٩٣٢ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : «وجدَ عندها رزقاً» ، قال : كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء .

٦٩٣٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج . قال ، أخبرني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : «كلما دخل عليها زكريا المحرابَ وجد عندها رزقاً» ، قال : وجد عندها ثمارَ الجنة ، فاكهةَ الصّيف في الشتاء ، وفاكهةَ الشتاء في الصيف .

٦٩٣٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني بعض أهل العلم : أنّ زكريا كان يجد عندها ثمرةَ الشتاء في الصيف ، وثمرةَ الصيف في الشتاء .

٦٩٣٥ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن قال : كان زكريا إذا دخل عليها = يعني على مريم = المحرابَ وجد عندها رزقاً من السماء ، من الله ، ليس من عند الناس . وقالوا : لو أن زكريا كان يعلم أن ذلك الرزق من عنده ، لم يسألها عنه .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن زكريا كان إذا دخل إليها المحراب وجد عندها من الرزق فضلاً عما كان يأتيها به ، الذي كان يَمُونها في تلك الأيام .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٣٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال : كفلها بعد هلاك أمها فضمها إلى خالتها أم يحيى ، حتى إذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنَذْر أمها الذي نذرت فيها ، فجعلت تنبت وتزيد . قال : ثم أصابت بني إسرائيل أزْمة وهي على ذلك من حالها ، حتى ضعف زكريا عن حملها ، فخرج على بني إسرائيل فقال : يا بني إسرائيل ، أتعلمون ؟ والله لقد ضعفتُ عن

حَمل ابنة عمران ! فقالوا : ونحن لقد ُجهِدنا وأصابنا من هذه السنة ما أصابكم ! [١] فتدافعوها بينهم ، وهم لا يرون لهم من حملها بُدًّا ، حتى تقارعوا بالأقلام ، فخرج السّهم بحملها على رجل من بنى إسرائيل نجار يقال له ُجريج ، قال : فعرفت مريم فى وجهه شدة مؤونة ذلك عليه ، فكانت تقول له : يا جريج ، أحسن بالله الظن ! فإن الله سيرزقنا . فجعل جريج يرزق بمكانها ، فيأتيها كلَّ يوم من كسبه بما ُيصلحها ، فإذا أدخله عليها وهى فى الكنيسة ، أنماه الله وكثّره ، فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق ، وليس بقدر ما يأتيها به ُجريج ، فيقول : « يا مريم ، أنّى لك هذا ؟ فتقول : « هو من عند الله إنَّ الله يرزُق من يشاء بغير حساب » .

* * *

قال أبو جعفر : وأما « المحراب » ، فهو مقدم كل مجلس ومصلًّى ، وهو سيد المجالس وأشرفُها وأكرمُها ، وكذلك هو من المساجد ، ومنه قول عدىّ بن زيد :

كَدُمَى العَاجِ فِى المَحَارِيبِ أَوْ كَالْـ ... ـبَيْضِ فِى الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ [٢] ١٦٧/٣

---

(١) فى المخطوطة : « لقد جهدنا سامن هذه السنة ما أصابكم » وبينهما بياض ، والذى فى المطبوعة صواب جيد .

(٢) ديوانه فى شعراء الجاهلية : ٤٥٥ ، وسيأتى فى التفسير ٢٢ : ٤٨ (بولاق) ، يصف نساء ، يقول : هن كتماثيل العاج فى محاريب المعابد . والبيض : يعنى بيض النعام . والروض جمع روضة : وهى البستان الحسن ، فى أرض سهلة ذات رواب يستنقع فيها الماء . وأصغر الرياض مئة ذراع . وقد استعمل عدى « الروض » على الإفراد فقال : « زهره مستنير » ، كأنه عده مفرداً مذكراً ، كأنه حمله على وزن مثله من المفرد ، مثل ثور ونور ، وأشباهها فذكره للفظه ، وإن كنت أستجيز أن يكون « الروض » مفرداً غير جمع ، ولم أجد ذلك فى كتب اللغة ، ولكن البيت شاهد عليه ، وإن كانوا يستركون عدى بن زيد .

وقوله : « مستنير » من « النور » ، وهو زهر الشجر والنبات . يقال : « نورت الشجرة وأنارت » ، إذا أطلعت زهرها وحسن منظرها . ولم يذكر أهل اللغة « استنارت الشجرة » ، ولكن بيت عدى شاهد جيد ، وهو من عتيق العربية .

يصف عدياً عذارى مشرقات فى ثياب الوشى ، فشبههن ببيض النعام فى أرض قد أصابها الغيث فاستنارت أزهارها من كل لون ، فزادها بهاء ، وزادته حسناً .

وهذا البيت فى المخطوطة : « وهو مشتق / مستنير » و « مستنير » مكتوبة فى هامش الصفحة ، ولم أدر كيف كان ، والذى فى المطبوعة هى الرواية المعروفة ، وأخشى أن يكون الناسخ كتب : « وهو مشتق » ثم عاد فقرأ « مشتق » « مستنير » فكتبها فى الهامش ، فيكون الخطأ فى كتابته « وهو » ، التى هى : « زهره » .

و« المحاريب » جمع « محراب » ، وقد يجمع على « محارب » .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه: « قال » زكريا : « يا مريم أنَّى لك هذا»؟ من أى وجه لك هذا الذى أرَى عندك من الرزق ؟[2] قالت مريم مجيبة له: « هو من عند الله » ، تعنى : أن الله هو الذى رزقها ذلك فساقه إليها وأعطاها .

* * *

وإنما كان زكريا يقول ذلك لها، لأنه كان — فيما ذكر لنا — يُغلق عليها سبعة أبواب ، ويخرج . ثم يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء . فكان يعجب مما يرى من ذلك ، ويقول لها تعجباً مما يرى : « أنَّى لك هذا »؟ فتقول : من عند الله .

٦٩٣٧ — حدثنى بذلك المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع .

٦٩٣٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال ، حدثنى بعض أهل العلم، فذكر نحوه .

٦٩٣٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله » ، قال : فإنه وجد عندها الفاكهة الغضّة حين لا تُوجد الفاكهة

---

(١) لم ينص على ذلك أصحاب اللغة، ولكنه قياس يرتضى. وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٩١ .

(٢) انظر تفسير « أنى » فيما سلف ٤ : ٣٩٨ — ٤١٦ / ثم ٥ : ٣١٢، ٤٤٧ .

عند أحد ، فكان زكريا يقول : « يا مريم أنَّى لك هذا » ؟

* * *

وأما قوله : « إنَّ الله يَرْزُقُ مَن يشاء بغير حساب » ، فخبرٌ من الله أنه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقَه ، بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبدَه . لأنه جل ثناؤه لا ينقصُ سَوْقُه ذلك إليه كذلك خزائنَه ، ولا يزيدُ إعطاؤه إياه ومحاسبته عليه فى مُلكه وفيما لديه شيئاً ، ولا يعزب عنه علمُ ما يرزقه ، وإنما يُحاسب مَنْ يعطى مَا يعطيه ، مَنْ يخشى النقصانَ من ملكه ، ودخولَ النفاد عليه بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ،[1] ومن كان جاهلاً بما يعطى على غير حساب .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : وأما قوله : « هنالك دعا زكريا ربه » ، فمعناها : عند ذلك ، أى : عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذى رَزَقها ، وفضله الذى آتاها من غير تسبُّب أحد من الآدميين فى ذلك لها =[3] ومعاينته عندَها الثمرة

(١) فى المطبوعة : « من يخشى النقصان من ملكه بخروج ما خرج من عنده . . . » ، وفى المخطوطة : « من يخشى النقصان من ملكه ، ودخول بخروج ما خرج من عنده . . . » ، وبين الكلامين بياض ، فلما لم يجد الناشر ما يكتبه مكانها ، حذف « ودخول » ووصل الكلامين . وزدت أنا « النفاد عليه » مكان البياض استظهاراً من سياق الكلام ، ومن تفسير هذه الجملة فى مواضع أخرى سأذكرها فيما يلى .

(٢) انظر تفسير : « يرزق من يشاء بغير حساب » فيما سلف ٤ : ٢٧٤ / ثم ٦ : ٣١١ .

(٣) قوله : « ومعاينته عندها . . . » معطوف على قوله آنفاً : « عند رؤية زكريا . . . »

الرّطبة التى لا تكون فى حين رؤيته إياها عندَها فى الأرض = [1] طمع بالولد ، مع كبر سنه ، من المرأة العاقر . فرجا أن يرزقه الله منها الولد ، مع الحال التى هما بها ، كما رزق مريم على تخليها من الناس ما رزقها من ثمرة الصيف فى الشتاء وثمرة الشتاء فى الصيف ، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده فى مثل ذلك الحين العاداتُ فى الأرض ، بل المعروف فى الناس غير ذلك ، كما أن ولادة العاقر غيرُ الأمر الجاريةُ به العادات فى الناس . فرغب إلى الله جل ثناؤه فى الولد ، وسأله ذرّيةً طيبة .

وذلك أن أهل بيت زكريا — فيما ذكر لنا — كانوا قد انقرضوا فى ذلك الوقت ، كما : —

٦٩٤٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : فلما رأى زكريا من حالها ذلك = يعنى : فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف = قال : إنّ ربًّا أعطاها هذا فى غير حينه ، لقادرٌ على أن يرزقنى ذرية طيبة ! ورغب فى الولد ، فقام فصلّى ، ثم دعا ربه سرًّا فقال : ١٦٨/٣ ﴿ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ العَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّى خِفْتُ المَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٤-٦] ، = وقال : [2] ﴿ ربِّ هَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ = وقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٩] .

٦٩٤١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

---

(١) سياق الجملة : أى عند رؤية زكريا ما رأى . . . وعند معاينته عندها الثمرة . . . طمع بالولد . . . » وفى المطبوعة : « طمع فى الولد . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وكلاهما صواب .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقوله » ، والسياق يقتضى ما أثبت ، وذاك من عجلة الناسخ .

قال : فلما رأى ذلك زكريا — يعني فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف — عند مريم قال : إنّ الذي يأتي بهذا مريمَ في غير زمانه ، قادرٌ أن يرزقني ولداً ، قال الله عز وجل : « هنالك دعا زكريا ربه » ، قال : فذلك حين دعا .

٦٩٤٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة قال : فدخل المحرابَ وغلّق الأبوابَ ، وناجى ربه فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ = ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ الآية .

٦٩٤٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني بعض أهل العلم قال : فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسنّ ولا ولد له ، وقد انقرض أهل بيته فقال : « ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء » ، ثم شكا إلى ربه فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ = ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ الآية .

* * *

وأما قوله : « ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة » ، فإنه يعني بـ « الذرية » النسل ، وبـ « الطيبة » المباركة ، [1] كما : —

٦٩٤٤ — حدثني موسى قال : حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « قال رَبّ هب لي من لدنك ذرية طيبة » ، يقول : مباركة .

* * *

(١) انظر قوله « ذرية » فيما سلف ٣ : ١٩ ، ٧٩ / ثم ٥ : ٥٤٣ / ٦ : ٣٢٧ ولم يفسرها في هذه المواضع ، ثم فسرها هنا ، وهو من اختصار هذا الكتاب الجليل ، كما قيل في ترجمته .
ثم انظر تفسير « الطيب » فيما سلف ٣ : ٣٠١ / ثم ٥ : ٥٥٥ .

وأما قوله : « من لدنك » ، فإنه يعنى : من عندك .

* * *

وأما « الذرية » ، فإنها جمع ، وقد تكون فى معنى الواحد ، وهى فى هذا الموضع واحد . وذلك أنّ الله عز وجل قال فى موضع آخر ، مخبراً عن دعاء زكريا : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٥] ، ولم يقل : أولياء — فدلّ على أنه سأل واحداً . وإنما أنث « طيبة » ، لتأنيث الذرّية ، كما قال الشاعر : (١)

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الكَمَالُ (٢)

فقال : « ولدته أخرى » ، فأنّث ، وهو ذَكر ، لتأنيث لفظ « الخليفة » ، كما قال الآخر : (٣)

فَمَا تَزْدَرِى مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سُكَاتٍ ، إِذَا مَاعَضَّ لَيْسَ بِأَدْرَدَا (٤)

فأنث « الجبلية » لتأنيث لفظ « الحية » ، ثم رجع إلى المعنى فقال : « إذا مَا عَضّ » ، لأنه كان أراد حَية ذكراً . وإنما يجوز هذا فيما لم يقع عليه « فلانٌ » من الأسماء ، كـ « الدابة ، والذرية ، والخليفة » . فأما إذا سُمّى رجل بشىء من ذلك ،

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٨ ، سيأتى فى التفسير ٤ : ١٥٠ (بولاق) .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٨ ، واللسان (سكت) ، وكان فى المطبوعة : « كما تزدرى ... سكاب ... ليس بأزدرا » ، وهو خطأ . والحية إذا كانت جبلية ، فذاك أشد لها ولسمها ، يقول عنترة :

أَصَمّ جِبَالِىّ ، إذا عَضّ عَضّةً تزَايَلَ عَنْهُ جِلْدُه فتبدّدَا

وحية سكوت وسكات (بضم السين) : إذا لم يشعر الملسوع به حتى يلسعه ، والأدرد : الذى سقطت أسنانه ، فلم يبق فى فمه سن . يصف رجلا داهية . يقول : كيف تستخف به ، وهو حية فاتكة ، لا يشعر الملسوع بعضها حتى تعضه بناب لم يسقط ولم يذهب سمه .

فكان فى معنى « فلان » ، لم يجز تأنيثُ فعله ولا نعته . [١]

* * *

وأما قوله : « إنك سميع الدعاء » ، فإن معناه : إنك سامع الدعاء ، غير أنّ « سميع » ، أمدَحُ ، وهو بمعنى : ذو سمع له . [٢]

١٦٩/٣

* * *

وقد زعم بعض نحويى البصرة أن معناه : إنك تَسمعَ ما تُدْعى به .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية ، فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال : رب هب لى من عندك ولداً مباركاً ، إنك ذو سَمعٍ دُعاءَ من دَعاك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعضُ أهل الكوفة والبصرة : « فنادته الملائكة » على التأنيث بالتاء ، يراد بها جمع « الملائكة » . وكذلك تفعل العرب فى جماعة الذّكور ، إذا تقدّمت أفعالها ، أنّثت أفعالها ، ولا سيما الأسماء التى فى ألفاظها التأنيث ، كقولهم : « جاءَت الطّلحات » .

* * *

وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء ، [٣] بمعنى فناداه جبريل ، فذكروه للتأويل ، كما قد ذكرنا آنفاً أنهم يُؤنثون فعل الذّكر للفظ ، [٤] فكذلك يذكّرون

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٢) انظر تفسير « سميع » فيما سلف ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٥٤٠ / ٣ : ٣٩٩ / ٤ : ٤٨٨ .

(٣) يعنى قراءة من قرأ « فناداه » ممالة ، ورسمها فى المصحف عندئذ « فناديه » بالياء ، وهى قراءة حمزة والكسائى .

(٤) انظر ص : ٣٦٢ .

فعلَ المؤنث أيضاً للفظ . واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءةٍ ، يذكر أنها قراءةُ عبد الله بن مسعود ، وهو ما : —

٦٩٤٥ — حدثني به المثنى قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، أنّ قراءة ابن مسعود : ﴿ فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ .

* * *

وكذلك تأوّل قوله : « فنادته الملائكة » جماعةٌ من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٤٦ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فنادته الملائكة » ، [1]وهو جبريل = أو : قالت الملائكة ، وهو جبريل = « أنّ الله يُبشرك بيحيى » .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف جاز أن يقال على هذا التأويل : « فنادته الملائكة » ، و « الملائكة » جمع لا واحد ؟

قيل : ذلك جائز في كلام العرب ، بأن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع ، كما يقال في الكلام : « خرج فلان على بغال البُرُد » ، وإنما ركب بغلاً واحداً = « وركب السفن » ، وإنما ركب سفينةً واحدة . وكما يقال : « ممن سمعتَ هذا الخبر » ؟ فيقال : « من الناس » ، وإنما سمعه من رجل واحد . وقد قيل إنّ منه قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] ، والقائلُ كانَ = فيما ذُكر — واحداً =[2] وقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ﴾

---

(١) في المخطوطة : « فناداه الملائكة » .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٩٢ ، ٢٩٣ / ٤ : ١٩١ .

[سورة الروم : ٣٣] ، والناس بمعنى واحد . وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وإنما الصواب من القول عندى فى قراءة ذلك ، أنهما قراءتان معروفتان=أعنى «التاء» و«الياء» = فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وذلك أنه لا اختلافَ فى معنى ذلك باختلاف القراءتين ، وهما جميعاً فصيحتان عند العرب . وذلك أنّ « الملائكة » إن كان مراداً بها جبريل ، كما روى عن عبد الله ، فإن التأنيث فى فعلها فصيحٌ فى كلام العرب للفظها ، إن تقدمها الفعل . وجائز فيه التذكير لمعناها .

وإن كان مراداً بها جمع « الملائكة » ، فجائز فى فعلها التأنيث ، وهو قَبلها ، للفظها .[2] وذلك أن العرب إذا قدّمت على الكثير من الجماعة فعلها ، أنثته ، فقالت : « قالت النساء » . وجائز التذكير فى فعلها ، بناءً على الواحد ، إذا تقدم فعله ، فيقال : « قال الرجال » .

* * *

وأما الصّواب من القول فى تأويله ، فأنْ يقال : إن الله جل ثناؤه أخبر أنّ الملائكة نادته . والظاهرُ من ذلك ، أنها جماعة من الملائكة دون الواحد ، وجبريلُ واحد . ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن[3] إلاّ على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل فى ألسن العرب ، دون الأقل = ما وُجِد إلى ذلك سبيل . ١٧٠/٣ ولم تَضْطرنا حاجةٌ إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد ، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفىّ من الكلام والمعانى .

وبما قلنا فى ذلك من التأويل قال جماعة من أهل العلم ، منهم : قتادة ، والربيع

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٠ .

(٢) فى المطبوعة : « وهو من قبلها » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « فلن يجوز . . . » ، والأشبه بالصواب ما أثبت .

ابن أنس، وعكرمة، ومجاهد، وجماعة غيرهم. وقد ذكرنا ما قالوا من ذلك فيما مضى. (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « وهو قائم » : فنادته الملائكة فى حال قيامه مصليًّا. فقوله : « وهو قائم »، خبر عن وقت نداء الملائكة زكريا.

وقوله : « يُصلّى » فى موضع نصب على الحال من « القيام »، وهو رفع بالياء.

* * *

وأما « المحراب »، فقد بينا معناه، وأنه مقدَّم المسجد. (٢)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « أنّ الله يبشرك ».

فقرأته عامة القرأة : ﴿ أَنَّ اللَّهَ ﴾ بفتح « الألف » من « أن »، بوقوع « النداء » عليها، بمعنى : فنادته الملائكة بذلك.

* * *

وقرأه بعض قرأة أهل الكوفة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ بكسر « الألف »، بمعنى : قالت الملائكة : إنّ الله يبشرك، لأن النداء قولٌ. وذكروا أنها فى قراءة عبد الله : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ يَا زَكَرِيَّا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ قالوا : وإذا بطل النداء أن يكون عاملاً فى قوله : « يا زكريا »، فباطلٌ أيضاً

---

(١) لم يمض من ذلك شىء فى خبر زكريا ومريم، وأنا أخشى أن يكون فى النسخ المخطوطة التى بأيدينا اختصار فى هذا الموضع.

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٣٥٧، ٣٥٨

أن يكون عاملا فى « إن » .

* * *

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : « أنّ الله يبشرك » بفتح « أن » بوقوع النداء عليه ، بمعنى : فناداته الملائكة بذلك .

وليست العلة التى اعتلّ بها القارئون بكسر « إن » = منْ أنّ عبد الله كان يقرؤها كذلك ، فقرأوها كذلك = [لهم بعلة][1]. وذلك أن عبد الله إنْ كان قرأ ذلك كذلك ، فإنما قرأها ، بزعمهم ، وقد اعترض بنداء زكريا بين « إن » وبين قوله : « فنادته » ،[2] وإذا اعترض به بينهما ، فإن العرب تعمل حينئذ النداء فى « أنّ » وتبطله عنها . أما الإبطال ، فلأنه بطل عن العمل فى المنادى قبله ،[3] فأسلكوا الذى بعده مسلكه فى بطول عمله . وأما الإعمال ، فلأن النداء فعل واقعٌ . كسائر الأفعال .[4]

وأما قراءتنا ،[5] فليس نداء زكريا بـ« يا زكريا » معترضاً به بين « أن » وبين قوله : « فنادته » . وإذ لم يكن ذلك بينهما ، فالكلامُ الفصيح من كلام العرب إذا نصبتْ بقولٍ : « ناديت » اسمَ المنادِى وأوقعوه عليه ، أن يوقعوه كذلك على « أنّ » بعده . وإن كان جائزاً إبطالُ عمله . فقوله : « نادته » ، قد وقع على مكنىّ « زكريا » ،[4] فكذلك الصواب أن يكون واقعاً على « أن » وعاملا فيها .[6]

---

(١) فى المطبوعة : « من أن عبد الله كان يقرؤها كذلك ، وذلك أن عبد الله . . . » ، حذف من نص المخطوطة ما أثبته « فقرأوها كذلك » ، وبقيت الجملة بعد ذلك مختلة ، قد سقط منها خبر « وليست العلة . . . » ، فاستظهرت من سياق كلامه أنه قد سقط من الناسخ قوله : « لهم بعلة » فزدتها بين قوسين ، والسياق « وليست العلة . . . لهم بعلة » .

(٢) فى المطبوعة : « وقد اعترض بيا زكريا » وفى المخطوطة : « بهذا زكريا » ، وصواب قراءتها ما أثبت . وفى المخطوطة أيضاً « فناداه » ، مكان « فنادته » .

(٣) فى المطبوعة : « فإنه بطل عن العمل » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٤) الفعل الواقع : هو الفعل المتعدى ، كما سلف ، فانظر فهرس المصطلحات فيما سلف ، والوقوع هو التعدى .

(٥) فى المخطوطة : « وأما قراءتها » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٦) انظر تفصيل ما أجمله الطبرى فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٠ ، ٢١١ .

مع أنّ ذلك هو القراءة المستفيضة فى قراءة أمصار الإسلام . ولا يُعترض بالشاذّ على الجماعة التى تجىء مجىءَ الحجة .

* * *

وأما قوله : « يبشرك » ، فإن القرأة اختلفت فى قراءته .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والبصرة : ﴿ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ بتشديد « الشين » وضم « الياء »، على وجه تبشير الله زكريا بالولد، من قول الناس : « بشَّرتُ فلاناً البُشَراء بكذا وكذا »، أى : أتته بشارات البُشراء بذلك .[1]

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفة وغيرهم : ﴿ أَنَّ اللهَ يَبْشُرُكَ ﴾ ، بفتح « الياء » وضم « الشين » وتخفيفها، بمعنى : أن الله يَسرّك بولد يَهَبُه لك، من قول الشاعر :[2]

١٧١/٣ بَشَرْتُ عِيَالِى إِذْ رَأَيْتُ صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنَ الحَجَّاجِ يُتْلَى كِتَابُهَا[3]

وقد قيل : إن « بشَرت » لغة أهل تِهامة من كنانة وغيرهم من قريش، وأنهم يقولون « بشَرتُ فلاناً بكذا ، فأنا أبشُرُه بَشْراً » ، و« هل أنتَ باشرٌ بكذا » ؟ وينشد لهم البيت فى ذلك :[4]

وَإِذَا رَأَيْتَ البَاهِشِينَ إِلَى العُلَى غُبْرًا أَكُفُّهُمُ بِقَاعٍ مُمْحِلِ[5]

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « البشرى » مكان « البشراء » فى الموضعين ، والصواب ما أثبت ، وظاهر أن الناسخ رآها « البشرا » ، بغير همزة كالكتابة القديمة ، فقلبها « البشرى » فكتبها كذلك .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) معانى القرآن للفراء ، وقال : « أنشدنى بعض العرب » .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمى .

(٥) الأصمعيات رقم : ٨٧ ، والمفضليات رقم : ١١٦ ، ولسان العرب (كرب) (بشر) (يسر) ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢١٢ ، وغيرها من المراجع . وهى نصيحته إلى ولده جبيل ، وهى من حكيم الشعر .

فَأَعِنْهُمْ، وَابْشَرْ بِمَا بَشِرُوا بِهِ ، وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فَانْزِلِ[1]

فإذا صاروا إلى الأمر، فالكلام الصحيح من كلامهم بلا ألف فيقال: « ابشَرْ فلاناً بكذا » ، ولا يكادون يقولون: « بشّره بكذا ولا أبشِره » .[2]

* * *

وقد روى عن حميد بن قيس أنه كان يقرأ: ﴿ يُبْشِرُكَ ﴾ ، بضم « الياء » وكسر «الشين » وتخفيفها . وقد : —

٦٩٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن معاذ الكوفيّ قال : من قرأ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ ﴾ مثقلة ، فإنه من البشارة ، ومن قرأ : ﴿ يَبْشُرُهُمْ ﴾ ، مخففة ، بنصب « الياء » ، فإنه من السرور ، يسرُّهم .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى هى القراءة عندنا فى ذلك ، ضم « الياء » وتشديد « الشين » ، بمعنى التبشير . لأن ذلك هى اللغة السائرةُ والكلامُ المستفيض المعروف فى الناس ، مع أن جميع قرأة الأمصار مجمعون فى قراءة : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٥٤]، على التشديد . والصواب فى سائر ما فى القرآن من نظائره ، أنْ يكون مثله فى التشديد وضم « الياء » .

* * *

بهش إلى الشىء : فرح به فأسرع إليه ، وروايتهم «إلى الندى » ، وهو الكرم . والقاع : أرض سهلة مستوية تنفرج عنها الجبال والآكام ، ولا حصى فيها ولا حجارة ولا تنبت الشجر . والممحل : المجدب . يقول : إذا رأيت الكرام الأسخياء ، قد أجهدتهم السنة والقحط والجدب حتى اغبرت أيديهم من قلة ما يجدون ، وكثرة ما بذلوا فى معونة الناس . . . فأعنهم .

(١) « وابشر » هى من « بشر » على وزن (فرح) « يبشر » (بفتح الشين) يقال : « أتانى أمر بشرت به » أى سررت به . يقول : شاركهم فى ارتياحهم وفرحهم بالسخاء مع ما يلقون من جهد السنة . والضنك : الضيق . يقول : كن مع الكرام حيث كانوا ، وانزل معهم كل منزل أنزلهموه كرمهم ، من ضنك وحاجة .

(٢) انظر تفسير : « بشرى » و « بشر » فيما سلف ١ : ٣٨٣ / ٢ : ٣٩٣ / ٣ : ٢٢١ / ٦ : ٢٨٧ .

وأما ما روى عن معاذ الكوفى من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد فى ذلك ، فلم نجد أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح ، فلا معنى لما حُكى من ذلك عنه ، وقد قال جرير بن عطية :

يَا بِشْرُ حُقَّ لِوَجْهِكَ التَّبْشِيرُ هَلاَّ غَضِبْتَ لَنَا ؟ وَأَنْتَ أَمِيرُ !(١)

فقد علم أنه أراد بقوله : « التبشير » ، الجمال والنضارة والسرور ، فقال « التبشير » ولم يقل « البشر » ، فقد بيَّن ذلك أن معنى التخفيف والتثقيل فى ذلك واحدٌ .

* * *

٦٩٤٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « إن الله يبشرك بيحيى » ، قال : بشرته الملائكة بذلك .

* * *

وأما قوله : « بيحيى » ، فإنه اسم ، أصله « يفعل » ، من قول القائل : « حيي فلانٌ فهو يحيَى » ، وذلك إذا عاش . « فيحيى » « يفعل » من قولهم « حيي » .

وقيل : إن الله جل ثناؤه سماه بذلك ، لأنه يتأوّل اسمه : أحياه بالإيمان .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٤٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أنّ الله يبشرُك بيحيى » ، يقول : عبدٌ أحياه الله بالإيمان .

٦٩٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى

---

(١) ديوانه : ٣٠١ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٧٨ ، وغيرهما . من قصيدته التى قالها لبشر بن مروان ، وكان قدم معه العراق ، سراقة البارق ، وكان بشر يغرى بين الشعراء ، فحمل سراقة على جرير حتى هجاه . فترك جرير بشراً ، بل مدحه ، وأخذ بمجامع سراقة يخنقه حتى فضحه . وعاتب بشراً عتاب من يظهر الجهل بأمر بشر ، وهو يعلمه . وهذا البيت دال على ذلك .
كان فى المطبوعة : « حق لبشرك التبشير » ، وهو من سهو الناشر ، كما سلف من سهوه ، والصواب فى المخطوطة وسائر المراجع .

جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قوله : « إنّ الله يبشرك بيحيى » ، قال : إنما سمى يحيى ، لأن الله أحياه بالإيمان .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : [1] أن الله يبشرك يا زكريا بيحيى ابناً لك ، = « مصدّقاً بكلمة من الله » ، يعنى : بعيسى بن مريم .

* * *

ونصب قوله : « مصدقاً » على القطع من « يحيى » ، [2] لأنّ « مصدقاً » نعتٌ له ، وهو نكرة ، و « يحيى » غير نكرة .

١٧٢/٣

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٥١ — حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى قال ، حدثنا محمد بن ربيعة قال ، حدثنا النضر بن عربىّ ، عن مجاهد قال : قالت امرأة زكريا لمريم : إنى أجد الذى فى بطنى يتحرّك للذى فى بطنك ! قال : فوضعت امرأةُ زكريا يحيى ، ومريمُ عيسى ، ولذا قال : « مصدّقاً بكلمة من الله » ، قال : يحيى مصدّق بعيسى .

٦٩٥٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن الرقاشى فى قول الله : « يبشرك بيحيى مصدّقاً بكلمة من الله » ، قال : مصدّقاً بعيسى بن مريم .

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى بقوله جل ثناؤه » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) القطع : الحال ، كما سلف مراراً ، آخرها ص : ٣٢٧ تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

٦٩٥٣ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٦٩٥٤ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سليمان قال، حدثنا أبو هلال قال، حدثنا قتادة في قوله: «مصدقاً بكلمة من الله»، قال: مصدقاً بعيسى.

٦٩٥٥ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: «مصدقاً بكلمة من الله»، يقول: مصدّقاً بعيسى بن مريم، وعلى سُنَّته ومنهاجه.[1]

٦٩٥٦ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: «مصدقاً بكلمة من الله»، يعني: عيسى بن مريم.

٦٩٥٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة: «مصدقاً بكلمة من الله»، يقول: مصدقاً بعيسى ابن مريم، يقول على سننه ومنهاجه.

٦٩٥٨ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: «مصدقاً بكلمة من الله»، قال: كان أوّلَ رجل صدّق عيسى، وهو كلمة من الله ورُوحٌ.

٦٩٥٩ - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «مصدقاً بكلمة من الله»، يصدق بعيسى.

٦٩٦٠ - حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «إنّ الله يبشرك بيحيي مصدقاً بكلمة من الله»، كان يحيي أول من صدق بعيسى وشهدَ أنه كلمة من الله، وكان يحيي ابن خالة عيسى، وكان أكبر من عيسى.

---

(١) في المطبوعة: «مصدق... وعلى سننه»، وأثبت ما في المخطوطة.

٦٩٦١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس قوله : « مصدقاً بكلمة من الله » ، قال : عيسى بن مريم ، هو الكلمة من الله ، اسمُه المسيح .

٦٩٦٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، أخبرني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قوله : « مصدقاً بكلمة من الله » ، قال : كان عيسى ويحيى ابنَيْ خالة ، وكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أجد الذى فى بطنى يسجدُ للذى فى بطنك ! فذلك تصديقه بعيسى : سُجوده فى بطن أمه . وهو أول من صدق بعيسى وكلمة عيسى ، ويحيى أكبر من عيسى .[1]

٦٩٦٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله » ، قال : الكلمة التى صدق بها : عيسى .

٦٩٦٤ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لقيت أمّ يحيى أمّ عيسى ، وهذه حامل بيحيى ، وهذه حامل بعيسى ، فقالت امرأة زكريا : يا مريم ، استشعرتُ أنِّى حبلى ! قالت مريم : استشعرت أنى أيضاً حبلى ! قالت امرأة زكريا : فإنى وجدتُ ما فى بطنى يسجُد لما فى بطنك ! فذلك قوله : « مصدّقاً بكلمة من الله » .

١٧٣/٣

٦٩٦٥ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قول الله : « أنّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله » ، قال : مصدّقاً بعيسى بن مريم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة ،[2]

---

(١) السجود هنا : الخضوع والتطامن والخشوع ، لا سجود الصلاة والعبادة . وإنما سجود الصلاة مجاز من هذا الأصل ، وانظر تفسير ذلك فيما سلف ٢ : ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه مجاز القرآن ١ : ٩١ .

أنّ معنى قوله : « مصدقاً بكلمة من الله » ، بكتاب من الله ، من قول العرب : « أنشدني فلانٌ كلمة كذا » ، يراد به : قصيدة كذا = جهلاً منه بتأويل « الكلمة »، واجتراءً على ترجمة القرآن برأيه .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَسَيِّدًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « وسيداً » ، وشريفاً في العلم والعبادة .

* * *

ونصب « السيد » عطفاً على قوله : « مصدقاً » .

* * *

وتأويل الكلام: أن الله يبشرك بيحيى مصدّقاً بهذا ، وسيداً .

* * *

« والسيد » « الفيعل » من قول القائل : « سادَ يسود » ، (٢) كما : —

٦٩٦٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وسيداً » إي والله ، لسيدٌ في العبادة والحلم والعِلم والورَع .

٦٩٦٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مسلم قال ، حدثنا أبو هلال قال ، حدثنا قتادة في قوله : « وسيداً » ، قال : السيدُ ، لا أعلمه إلاّ قال : في العلم والعبادة .

---

(١) ترجمة القرآن تفسيره وبيانه ، وانظر ما سلف ١ : ٧٠ ، تعليق : ١ ، وانظر فهرس المصطلحات . وإذا كان أبو جعفر يعد هذا اجتراء على تفسير كتاب الله ، فليت شعري ماذا يقول في الذين نصبوا أنفسهم ، من أهل زماننا ، للتهجم على كتاب الله ، بما لا تعد فيه مقالة أبي عبيدة ، إلا تسبيحاً واستغفاراً واجتهاداً في العبادة ! !

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٣١٩ .

٦٩٦٨ — حدثت عن عمار قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قال : السيد الحليمُ .

٦٩٦٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، « وسيداً » ، قال : الحليم .

٦٩٧٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « وسيداً » ، قال : السيد التقيّ .

٦٩٧١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « وسيداً » ، قال : السيد الكريم على الله .

٦٩٧٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال : زعم الرّقاشى أنّ السيد ، الكريم على الله .

٦٩٧٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قول الله عز وجل : « وسيداً » ، قال : السيد الحليم التقي .

٦٩٧٤ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وسيداً » ، قال يقول : تقيًّا حليما .

٦٩٧٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان فى قوله : « وسيداً » ، قال : حليما تقيًّا .

٦٩٧٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد فى قوله : « وسيداً » ، قال : السيد الشريف .

٦٩٧٧ — حدثني سعيد بن عمرو السكونى قال ، حدثنا بقية بن الوليد ،

عن عبد الملك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب فى قول الله عز وجل : « وسيداً » ، قال : السيد الفقيه العالم .

٦٩٧٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال : حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وسيداً » ، قال ، يقول : حليما تقيًّا .

٦٩٧٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة : « وسيداً » ، قال : السيد الذى لا يغلبُه الغضب .

* * *

١٧٤/٣ القول فى تأويل قوله ﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : ممتنعاً من جماع النساء ، من قول القائل : « حَصِرْتُ من كذا أحْصَرُ » ، إذا امتنع منه . ومنه قولهم : « حَصِرَ فلان فى قراءته » ، إذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها . وكذلك « حَصْرُ العدوِّ » ، حَبْسهم الناسَ ومنعهم إياهم التصرف . ولذلك قيل للذى لا يُخرج مع ندمائه شيئاً ، « حَصُور » ، كما قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالكَأْسِ نَادَمَنِى لاَ بِالحَصُورِ وَلاَ فِيهَا بِسَوَّارِ [1]

ويروى : « بسآر » . ويقال أيضاً للذى لا يخرج سره ويكتمه « حصور » ،

(١) ديوانه : ١١٦ ، ومجاز القرآن ١ : ٩٢ ، وطبقات فحول الشعراء : ٤٣٢ ، واللسان (حصر) (سأر) (سور) ، من قصيدته التى قالها ليزيد بن معاوية ، لما منعه حين هجا الأنصار فى قصة مشهورة . وفى المخطوطة « مرجح بالكأس » ، وهو خطأ . والمربح : المعطى الربح للتاجر ، يريد أنه يغالى بثمن الخمر لا يبالى بما يبذل فيها . والسوار : الذى تسور الخمر فى دماغه ، فيعربد على إخوانه وندمائه عربدة رديئة ، والخمر عندهم تشف عن غرائز شاربها . وأما رواية « سآر » التى سيذكرها ، فهى من السؤر : وهو بقية الخمر فى القدح . يريد أنه مرضة شراب ، لا يكف عن الخمر ، ولا يدع فى كأسه سؤراً من قلة صبره ، أو سوء احتماله لشدتها .

لأنه يمنع سره أن يظهر ، كما قال جرير :

وَلَقَدْ تَسَاقَطَنِى الوُشَاةُ ، فَصَادَفُوا حَصِرًا بِسِرِّكِ يَاأُمَيْمَ ضَنِينَا[1]

وأصل جميع ذلك واحد ، وهو المنع والحبس .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٦٩٨٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن خلف قال ، حدثنا حماد بن شعيب ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله فى قوله : « وسيداً وحصوراً » ، قال : الحصور ، الذى لا يأتى النساء .

٦٩٨١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن يحيى ابن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : حدثنى ابن العاص : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل بنى آدم يأتى يوم القيامة وله ذنبٌ ، إلا ما كان من يحيى بن زكريا . قال : ثم دلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَه إلى الأرض ، فأخذ عُوَيْداً صغيراً ثم قال : وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود ، وبذلك سماه الله « سيداً وحصُوراً » .[2]

---

(١) ديوانه : ٥٧٨ ، ومجاز القرآن ١ : ٩٢ واللسان (حصر) (سقط) ، ورواية هذه الكتب وفى المطبوعة : « تَسَقَّطَنِى » غيروا ما فى المخطوطة ، كما أثبته. وتسقطه واستسقطه : تتبع عثرته وسقطته أن يفرط منه ما يؤخذ عليه . من السقط (بفتحتين) وهو الخطأ فى القول ، أو من السقطة (بفتح فسكون) وهى العثرة والزلة . وأما ما جاء فى المخطوطة : « تساقطنى » ، فإنى أستجيدها . جيد أن يقال « ساقطه » بمعنى « تسقطه واستسقطه » ، وكأن « السقاط » بمعنى العثرة والزلة ، مصدر « ساقطه » ، وقد قال سويد بن أبى كاهل :

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِى ، بَعْدَ مَا جَلَّلَ الرأسَ مشيبٌ وصَلَعْ

كأنه يجاذبه القول ، حتى يسقط ويزل ، وهو نفس المعنى فى « تسقطه واستسقطه » ، وإذا جاز فى صريح العربية ، فلا معنى لاطراحه . وفى المخطوطة ، أسقط الناسخ « أميم » من البيت وترك مكانها بياضاً ، وضع فيه نقطة حمراء .

(٢) الأثر : ٦٩٨١ — أنظر التعليق على الأثر : ٦٩٨٣ .

٦٩٨٢ — حدثني يونس قال، أخبرنا أنس بن عياض، عن يحيى بن سعيد قال، سمعت سعيد بن المسيب يقول: ليس أحدٌ إلا يلقى الله يوم القيامة ذا ذَنْب إلا يحيى بن زكريا، كان حصوراً، معه مثل الهُدْبة.

٦٩٨٣ — حدثنا أحمد بن الوليد القرشي قال، حدثنا عمر بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: قال ابن العاص — إما عبد الله، وإما أبوه —: ما أحد يلقى الله إلا وهو ذو ذنب، إلا يحيى بن زكريا. قال وقال سعيد بن المسيب: «وسيداً وحصوراً»، قال: الحصور، الذى لا يغشى النساء، ولم يكن ما معه إلاّ مثل هُدْبة الثوب.[1]

٦٩٨٤ — حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال، حدثنا بقية بن الوليد، عن عبد الملك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب فى قوله: «وحصوراً» قال: الحصور الذى لا يشتهى النساء. ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخذ نواة فقال: ما كان معه إلاّ مثل هذه.

٦٩٨٥ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير قال: الحصور، الذى لا يأتى النساء.

٦٩٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عطاء، عن سعيد مثله.

٦٩٨٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد مثله.

٦٩٨٨ — حدثني عبد الرحمن بن الأسود قال، حدثنا محمد بن ربيعة قال،

---

(١) الحديث: ٦٩٨٣ — رواه الطبرى قبل ذلك: ٦٩٨١، عن سعيد بن المسيب: «حدثني ابن العاص...» — فذكره مطولا مرفوعاً. ثم رواه هنا عن ابن المسيب، عن ابن العاص — مع الشك فى أنه «عبد الله بن عمرو» أو «أبوه» — موقوفاً. وقد ذكره ابن كثير ٢: ١٣٥، من رواية ابن أبى حاتم — بهذا الشك — ولكنه مرفوع. ثم ذكره ص ١٣٥ — ١٣٦، من رواية ابن أبى حاتم أيضاً «عن عبد الله بن عمرو بن العاص» — موقوفاً. ووصف المرفوع بأنه «غريب جداً». ثم قال بعد الموقوف: «فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع». وكذلك ذكر السيوطى ٢: ٢٢ المرفوع والموقوف، وقال: «وهو أقوى إسناداً من المرفوع».

حدثنا النضر بن عربي ، عن مجاهد : « وحصوراً » ، قال : الذى لا يأتى النساء . ١٧٥/٣

٦٩٨٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : الحصور لا يقرَبُ النساء .

٦٩٩٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال : زعم الرقاشى : « الحصور » الذى لا يقرب النساء .

٦٩٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : « الحصور » ، الذى لا يولد له ، وليس له ماء .

٦٩٩٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وحصوراً » ، قال : هو الذى لا ماء له .

٦٩٩٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا سويد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وحصوراً » ، كنا نُحدَّث أن الحصور الذى لا يقرب النساء .

٦٩٩٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا سليمان قال ، حدثنا أبو هلال قال ، حدثنا قتادة فى قوله : « وسيداً وحصوراً » ، قال : الحصور الذى لا يأتى النساء .

٦٩٩٥ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة مثله .

٦٩٩٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٦٩٩٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : الحصور الذى لا ينزل الماء .

٦٩٩٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد : « وحصوراً » ، قال : الحصور الذى لا يأتى النساء .

٦٩٩٩ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وحصوراً » ، قال : الحصور ، الذي لا يريد النساء .

٧٠٠٠ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن : « وحصوراً » ، قال : لا يقرب النساء .

* * *

وأمّا قوله : « ونبيًّا من الصالحين » فإنه يعني : رسولاً لربه إلى قومه ، ينبئهم عنه بأمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، ويبلّغهم عنه ما أرسله به إليهم .

* * *

ويعني بقوله : « من الصّالحين » ، من أنبيائه الصالحين .[1]

* * *

وقد دللنا فيما مضى على معنى « النبوّة » وما أصلها ، بشواهد ذلك والأدلة الدالة على الصحيح من القول فيه ، بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف ٣ : ٩١ .

(٢) انظر تفسير « النبي » فيما سلف ٢ : ١٤٠ — ١٤٢ .

هذا ، وعند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذي نقلت عنه نسختنا ، وكتب هنا ما نصه :

« يتلوهُ ، إن شاء الله ، القولُ في تأويل قوله :
﴿ قال ربّ أنّى يكون لي غلامٌ وقد بلغني الكِبَرَ
وامرأتي عاقر ﴾ .
والحمد لله وحده على إحسانه ، وصلى الله على
محمد وآله وصحبه وسلَّم»

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم
ربّ يسّر
قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري »

القول فى تأويل قوله ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى أنّ زكريا قال = إذ نادته الملائكة : « أنّ الله يُبشرُك بيحيى مصدّقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيًّا من الصالحين » = « أنى يكون لى غلامٌ وقد بلغنى الكبر » ؟ يعنى : مَنْ بلغ من السن ما بلغتُ لم يولد لهُ = « وامرأتى عاقر » .

* * *

« والعاقر » من النساء التى لا تلدُ . يقال منه : « امرأة عاقر ، ورجلٌ عاقرٌ » ، كما قال عامر بن الطفيل :

لَبِئْسَ الفَتَى! إِنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِراً جَبَاناً،فَمَا عُذْرِى لَدَى كُلِّ مَحْضَرِ!![1]

* * *

وأما « الكبر » فمصدر : « كَبِرَ فهو يَكْبَرُ كِبَراً » .

وقيل : « بلغنى الكبر » ، وقد قال فى موضع آخر : ﴿ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ ﴾

---

(١) ديوانه ١١٩ ، ومجاز القرآن ١ : ٩٢ ، وحماسة الشجرى : ٧ وغيرها ، وسيأتى فى التفسير ١٦ : ٣٧ (بولاق) . وعامر بن الطفيل ، أحد العوران الأشراف (المحبر : ٣٠٣) ، وقد ذهبت عينه يوم فيف الريح . وأما خبر عقمه ، فإنه صدق قول علقمة بن علاثة فيه ، فقال : « فقد والله صدق : ما لى ولد ، وإنى لعاهر الذكر ، وإنى لأعور البصر » (ديوانه ٩١ ، ٩٢) ، وهذا البيت من أبيات قالها فى يوم فيف الريح ، يذكر صبره فى قتالهم ، وقد ذهبت عينه حين طعنه مسهر بن يزيد الحارثى بالرمح ، ففلق وجنته ، وانشقت عين عامر ففقأها . وذكروا أن عامراً طعن يومئذ بين ثغرة نحره إلى سرته عشرين طعنة ، فقال عامر :

لَعَمْرِى ، وَمَا عَمْرِى عَلَىَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ شَانَ حُرَّ ٱلْوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرِ

فَبِئْسَ الفَتَى . . . .

يقول : من يعذرنى إذا هبت عدوى وأحجمت عن حر الطعان ؟

[سورة مريم: ٨] ، لأن ما بلغك فقد بلغته . وإنما معناه : قد كبرت ، وهو كقول القائل : « قد بلغني الجهد »[1] بمعنى : إني في جهد .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قال زكريا وهو نبيّ الله : « ربّ أنى يكون لى غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر » ، وقد بشرته الملائكة بما بشرته به عن أمر الله إياها به ؟ ١٧٦/٣ أشكّ في صدقهم ؟ فذلك ما لا يجوز أن يوصفَ به أهل الإيمان بالله ! فكيف الأنبياء والمرسلون ؟ أم كان ذلك منه استنكاراً لقدرة ربه ؟ فذلك أعظم في البلية !

قيل : كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على غير ما ظننتَ ، بل كان قيله ما قال من ذلك ، كما : —

٧٠٠١ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : لما سمع النداء — يعني زكريا ، لما سمع نداء الملائكة بالبشارة بيحيي — جاءه الشيطان فقال له : يا زكريا ، إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله ، إنما هو من الشيطان يسخرُ بك ! ولو كان من الله أوحاه إليك كما يُوحى إليك في غيره من الأمر ! فشكّ مَكانه ،[2] وقال : « أنَّى يكون لى غلام » ، ذكرٌ ؟ = يقول : من أين ؟ =[3] « وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر » .

٧٠٠٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة قال : فأتاه الشيطان فأراد أن يكدّر عليه نعمةَ ربه فقال : هل تدرى من ناداك ؟ قال : نعم ! نادتنى ملائكةُ ربي ![4] قال : بل ذلك الشيطان !

---

(١) في المطبوعة : « وقد بلغني الجهد » زاد واواً لا خير فيها ، والصواب من المخطوطة .

(٢) قوله : « فشك مكانه » ، أي من ساعته ، من فوره . ويقال : « فعل ذلك على المكان » ، أي من ساعته غير متلبث ولا متصرف ، قبل أن يفارق مكانه .

(٣) في المطبوعة : « ومن أين » بالواو ، وفي المخطوطة واو أيضاً ، لكنه ضرب عليها .

(٤) في المطبوعة : « ناداني » ، وأثبت ما في المخطوطة .

لو كان هذا من ربك لأخفاه إليك كما أخفيت نداءك ! فقال : « رب اجعل لى آية » .

* * *

= فكان قوله ما قال من ذلك ، ومراجعته ربه فيما راجع فيه بقوله : « أنى يكون لى غلام » ، للوسوسة التى خالطت قلبه من الشيطان حتى خيلت إليه أن النداء الذى سمعه كان نداء من غير الملائكة ، فقال : « رب أنى يكون لى غلام » ، مستثبتاً فى أمره ، ليتقرر عنده بآية يريها الله فى ذلك (١) أنه بشارة من الله على ألسن ملائكته ، ولذلك قال : « رب اجعل لى آية » .

* * *

وقد يجوز أن يكون قيله ذلك ، مسألةً منه ربه : من أى وجه يكون الولد الذى بشر به ؟ أمن زوجته ؟ فهى عاقر — أم من غيرها من النساء ؟ فيكون ذلك على غير الوجه الذى قاله عكرمة والسدى ومن قال مثل قولهما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « كذلك الله » ، أى هو ما وصف به نفسه أنه هين عليه أن يخلق ولداً من الكبير الذى قد يئس من الولد ، ومن العاقر التى لا يرجى من مثلها الولادة ، كما خلقك يا زكريا من قبل خلق الولد منك ولم تك شيئاً ، لأنه الله الذى لا يتعذر عليه خلق شىء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شىء شاءه ، لأن قدرته القدرة التى لا تشبهها قدرة ، كما : —

٧٠٠٣ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

(١) فى المطبوعة : « يريه الله فى ذلك » ، والصواب ما فى المخطوطة .

السدى قال : « كذلك الله يفعل ما يشاء » ، وقد خلقتك من قبل ولم تكُ شيئاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ ءَايَةً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه، خبراً عن زكريا ، قال زكريا : ربِّ إن كان هذا النداء الذى نُوديتُه ، والصوتُ الذى سمعته ، صوتَ ملائكتك وبشارةً منك لى ، فاجعل لى آية = يقول : علامةً = أن ذلك كذلك ، ليزول عنّى ما قد وسوس إلىّ الشيطان فألقاه فى قلبى ، من أنّ ذلك صوتُ غير الملائكة ، وبشارةٌ من عند غيرك ، كما : —

٧٠٠٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « رب اجعل لى آية » ، قال : قال — يعنى زكريا — : يا ربّ ، فإن كان هذا الصوت منكَ ، فاجعل لى آيةً .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على معنى « الآية » ، وأنها العلامة ، بما أغنى عن إعادته .[1]

* * *

١٧٧/٣ وقد اختلف أهل العربية فى سبب ترك العرب همْزها ، ومن شأنها همزُ كل « ياء » جاءت بعد « ألف » ساكنة .

فقال بعضهم : ترك همزها ، لأنها كانت « أيَّة » ، فثقُل عليهم التشديد ، فأبدلوه « ألفاً » لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا : « أيْما فلانٌ فأخزاه الله » .[2]

* * *

وقال آخرون منهم : بل هى « فاعلة » منقوصة .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٠٦ ، ثم انظر فهرس اللغة مادة (أيى) فى الأجزاء السالفة .

(٢) « أيما » ، بمعنى « أما » مشددة الميم .

فسئلوا فقيل لهم : فما بال العرب تصغرها « أيَيَّة » ، ولم يقولوا «أوَيَّة» .[1]

فقالوا : قيل ذلك ، كما قيل فى « فاطمة » ، « هذه فُطيمة » .

فقيل لهم : فإنهم إنما يصغرون « فاعلة » ، على « فعيلة » ، إذا كان اسماً فى معنى فلان وفلانة ، فأما فى غير ذلك فليس من تصغيرهم « فاعلة » على « فعيلة » .[2]

* * *

وقال آخرون : إنه « فَعْلة » صيرت ياؤها الأولى « ألفا » ، كما فعل بـ « حاجة ، وقامة » .

فقيل لهم : إنما تفعل العرب ذلك فى أولاد الثلاثة .[3]

وقال من أنكر ذلك من قيلهم : لو كان كما قالوا : لقيل فى « نواة » نابة ، وفى « حياة » حابة .[4]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾

قال أبو جعفر : فعاقبه الله — فيما ذكر لنا — بمسألته الآية ، بعد مشافهة الملائكة إياه بالبشارة ، فجعل آيته = على تحقيق ما سمع من البشارة من الملائكة

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أويية » ، والصواب ما أثبت بتشديد الياء .

(٢) قائل ذلك ، هو الكسائى وأصحابه . وسائلوه : هم الفراء وأصحابه . انظر لسان العرب مادة (أيا) .

(٣) أولاد الثلاثة : يعنى الاسم الثلاثى .

(٤) انظر تفصيل ما سلف ، وبعضه بنصه فى لسان العرب ١٨ : ٦٦ ، وهذه الردود كلها للفراء ، كما يظهر من نص اللسان ، وكأن فى نص الطبرى بعض الاضطراب ، فإن قوله : « فقيل لهم : إنما يفعل العرب ذلك فى أولاد الثلاثة » ، إنما هو رد على قول من زعم إنها « فاعلة » منقوصة ، مثل حاجة وقامة ، وأن أصلها حائجة وقائمة . وأخشى أن يكون الناسخ قد أسقط ، أو قدم شيئاً، فاضطرب الكلام .

بيحيى أنه من عند الله =[1] آية من نفسه، جمعَ تعالى ذكره بها العلامة التى سألها ربَّه على ما يبيِّن له حقيقة البشارة أنها من عند الله، وتمحيصاً له من هفوته وخطإ قيله ومسألته .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٠٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : «رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناسَ ثلاثةَ أيام إلاّ رمزاً»، إنما عوقب بذلك، لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك، فبشّرته بيحيى، فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه . فأخِذَ عليه بلسانه، فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار، فقال الله تعالى ذكره، كما تسمعون : «آيتك ألاّ تكلم الناس ثلاثةَ أيام إلا رمزاً» .

٧٠٠٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : «أن الله يبشرك بيحيى مصدِّقاً»، قال : شافهته الملائكة، فقال : «رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً»، يقول : إلا إيماءً، وكانت عقوبةً عُوقب بها، إذ سأل الآيةَ مع مشافهة الملائكة إياه بما بشرته به .

٧٠٠٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه، عن الربيع فى قوله : «رب اجعل لى آية، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة

(١) فى المطبوعة : «على تخصيص ما سمع . . .»، وهو فاسد لا معنى له، وأوقعه فى ذلك أن كاتب المخطوطة كتب أولا تخصيص» ثم عاد فطمس الصاد الأولى، ووضع عليها نقطتى القاف، ثم ركب على حوض الصاد (ص) دائرة القاف، فلم يستطع الناشر الأول أن يقرأ ذلك إلا على الوجه الذى هرب منه الناسخ ! !

وسياق هذه العبارة «فجعل آيته . . . آية من نفسه» وتلك الآية : أنه حبس لسانه فلم يكلم الناس إلا كما أمر، رمزاً .

أيام إلاّ رمزاً » ، قال : ذكر لنا ، والله أعلم ، أنه عوقب ، لأن الملائكة شافهته مشافهة ، فبشرته بيحيى ، فسأل الآية بعدُ ، فأخِذَ بلسانه .

٧٠٠٨ — حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ذكر لنا ، والله أعلم ، أنه عوقب ، لأن الملائكة شافهته فبشرته بيحيى ، قالت : « أنّ الله يبشرك بيحيى » ، فسأل بعد كلام الملائكة إياه الآية ، فأخِذ عليه لسانه ، فجعل لا يقدر على الكلام إلاّ رمزاً — يقول : يومئ إيماءً .

٧٠٠٩ — حدثني أبو عبيد الوَصّابي قال، حدثنا محمد بن حمير قال ، حدثنا صفوان بن عمرو ، عن جُبير بن نُفير في قوله : « قال رب اجعل لي آيةً قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً » ، قال : رَبا لسانه في فيه حتى ملأه ، ثم أطلقه الله بعد ثلاث .[1] ١٧٨/٣

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اختارت القرأةُ النصبَ في قوله : « ألاّ تكلم الناس » ، لأن معنى الكلام : قال آيتك أن لا تكلمَ الناسَ فيما يستقبلُ ثلاثةَ أيام = فكانت « أن » هي التي تصحب الاستقبال ، دون التي تصحب الأسماء فتنصبها . ولو كان المعنى فيه : آيتك أنك لا تكلم الناس ثلاثة أيام = أي : أنك على هذه الحال ثلاثة أيام = كان وجه الكلام الرفع . لأن « أن » كانت تكون حينئذ بمعنى

---

(١) الأثر : ٧٠٠٩ — « أبو عبيد الوصابي » هو : « محمد بن حفص » ، مضى في التعليق على رقم : ١٢٩ ، ٦٧٨٠، وكان في المطبوعة : «الرصافي» ، وفي المخطوطة «الوصافي» ، وكلاهما خطأ . و « محمد بن حمير » مضى أيضاً في : ١٢٩ : ٦٧٨٠ . و « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي الحمصي » روى عن عبد الله بن بسر المازني الصحابي وجبير بن نفير ، وجماعة . كان ثقة مأموناً ، مترجم في التهذيب . و « جبير بن نفير » ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وكان جاهلياً ، أسلم زمن أبي بكر وروى عن رسول الله وعن أبي بكر مرسلا ، وروى عن أبي ذر وأبي الدرداء وغيرهما من الصحابة . قال أبو حاتم : « ثقة من كبار تابعي أهل الشام » . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « جويبر بن نصير » ! ! وهو خطأ لا شك فيه ، والصواب في المخطوطة .

الثقيلة خففت . ولكن لم يكن ذلك جائزاً ، لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر .

* * *

وأما « الرّمز » ، فإنّ الأغلب من معانيه عند العرب : الإيماءُ بالشفتين ، وقد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين والعينين أحياناً ، وذلك غير كثير فيهم . وقد يقال للخفى من الكلام الذى هو مثلُ الهمس بخفض الصّوت : « الرمز » ، ومنه قول جُؤيّة بن عائذ : [1]

وَكَانَ تَكَلُّمُ الأَبْطَالِ رَمْزًا وَهَمْهَمَةً لَهُمْ مِثْلَ الهَدِيرِ [2]

يقال منه : « رَمَز فلان فهو يَرْمِزُ ويرْمُز رَمزاً = ويترمَّزُ ترمُّزاً » ، ويقال : « ضربه ضربةً فارتمز منها » ، أى اضطرب للموت ، قال الشاعر : [3]

* خَرَرْتُ مِنْهَا لِقَفَاىَ أَرْتَمِزْ * [4]

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عنى الله عز وجل به فى إخباره عن زكريا من قوله : « آيتك ألا تكلم الناس ثلاثةَ أيام إلاّ رمزاً » ، وأىّ معانى « الرمز » عنى بذلك ؟

فقال بعضهم : عنى بذلك : آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ تحريكاً بالشفتين ، من غير أن ترمز بلسانك الكلام .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « حوبة بن عابد » ، وهو لا معنى له فى الصواب ولا فى الخطأ . وهو فى المخطوطة بهذا الرسم غير منقوط . والصواب ما أثبت .

وهو جؤية بن عائذ النصرى ، فيما روى ابن السكيت فى تهذيب الألفاظ : ١٢٥ . أما الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ٨٣ ، فقد سماه : « عائذ بن جؤية بن أسيد بن جرار بن عبد بن عائرة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن » ، وذكره أيضاً البغدادى فى الخزانة ١ : ٤٧٦ . والعجب لبعض من يعلق على تفسير الطبرى أن يزعم كالقاطع الجازم أنه « جؤية بن عائذ الكوفى النحوى » ! !

(٢) لم أجد البيت فيما بين يدى من الكتب ، ولكنى أذكره . وكان فى المطبوعة : « وكان يكلم » والصواب ما أثبت .

(٣) لم أعرف هذا الراجز .

(٤) اللسان (رمز) .

٧٠١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن النضر بن عربى ، عن مجاهد فى قوله : « إلا رمزاً » ، قال : تحريك الشفتين .

٧٠١١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ثلاثة أيام إلا رمزاً » ، قال : إيماؤه بشفتيه .

٧٠١٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك : الإيماء والإشارة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠١٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « إلا رمزاً » ، قال : الإشارة .

٧٠١٤ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إلا رمزاً » ، قال : الرمز أن يشير بيده أو رأسه ، ولا يتكلم .

٧٠١٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إلا رمزاً » ، قال : الرمزُ : أنْ أُخِذ بلسانه ، فجعل يكلم الناس بيده .

٧٠١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إلا رمزاً » ، قال : والرمز الإشارة .

٧٠١٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً » ، الآية ، قال :

جعل آيته أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ، إلا أنه يذكر الله . والرّمز : الإشارة ، يشير إليهم .

٧٠١٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « إلاّ رمزاً » ، إلا إيماءً .

١٧٩/٣ ٧٠١٩ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٧٠٢٠ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إلاّ رمزاً » ، يقول : إشارة .

٧٠٢١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عبد الله بن كثير : « إلا رمزاً »، إلا إشارة .

٧٠٢٢ — حدثني محمد بن سنان قال ،حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً » ، قال : أمسكَ بلسانه ، فجعل يومئ بيده إلى قومه : أنْ سبِّحوا بُكرة وعشيًّا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : قال الله جل ثناؤه لزكريا : يا زكريا ، « آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً » ، بغير خرس ولا عاهة ولا مرض ، = « واذكر ربك كثيراً » ، فإنك لا تمنع ذكرَه ، ولا يحالُ بينك وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره ،[1] وقد : —

(١) انظر تفسير « سبح » فيما سلف ١ : ٤٧٢ - ٤٧٤ ، وفهارس اللغة .

٧٠٢٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب قال : لو كان الله رخص لأحد في ترك الذكر ، لرخّص لزكريا حيث قال : «آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً» ، أيضاً .

* * *

وأما قوله : «وسبح بالعشي» ، فإنه يعني : عظِّم ربك بعبادته بالعشي .

* * *

و«العَشيّ» من حين تزُول الشمس إلى أن تغيب ، كما قال الشاعر :[1]

فَلَا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ ، وَلَا الفَيْءَ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ[2]

فالفيء، إنما تبتدئ أوْبته عند زوال الشمس، ويتناهى بمغيبها .

* * *

---

(١) هو حميد بن ثور الهلالي .

(٢) ديوانه : ٤٠ ، وهو من قصيدته الجيدة التي قالها ، لما تقدم عمر بن الخطاب إلى الشعراء ، أن لا يشبب أحد بامرأة إلا جلده ، فخرج من عقوبة عمر بأن ذكر «سرحة» وسماها «سرحة مالك» فشكا أهلها إلى عمر ، فقال لهم :

تجرَّمَ أهْلُوهَا ، لِأَنْ كُنْتُ مُشْعَرًا جُنُونًا بِها !! يَاطُولَ هٰذَا التجَرُّمِ !

وَمَا لِيَ من ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ سِوَى أنَّنِى قَدْقُلْتُ: «يَاسَرْحَةُ أَسْلَمِي»

بَلَى، فَاسلِمِي، ثُمَّ اسْلَمِي، ثُمَّتَ أسلمى، ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ ، وإن لم تَكَلَّمِي

فكان رحمه الله خفيف الدم (كما يقول المصريون) . أما الأبيات التي منها البيت المستشهد به ، فإنه ذكر السرحة واستسقى لها ، ووصفها واستجاد لصفتها مكارم الصفات ، ثم قال :

فَيَاطِيبَ رَيَّاهَا ، وَيَا بَرْدَ ظِلِّهَا إذَا حَانَ من حَامِي النَّهارِ وُدُوقُ

وهَلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ من السَّرْحِ ، مَسدُودٌ عَلَيَّ طرِيقُ

حَمَى ظِلَّهَا شَكْسُ الخَلِيقَةِ ، خَائِفٌ عَلَيْهَا غَرَامَ الطَّائِفِينَ ، شَفِيقُ

فَلَا الظِّلُّ مِنْهَا بالضُّحَى تَسْتَطِيعُه وَلَا الفَيْءَ مِنْهَا بالعَشِيِّ تَذُوقُ

مع اختلاف الروايتين كما ترى .

وأما «الإبكار» فإنه مصدر من قول القائل : «أبكر فلان فى حاجة فهو يُبْكِر إبكاراً» ، وذلك إذا خرج فيها من بين مطلع الفجر إلى وقت الضُّحى ، فذلك «إبكار» . يقال فيه : «أبكر فلان» و«بكر يَبكُر بكوراً» . فمن «الإبكار» ، قول عمر بن أبى ربيعة :

* أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ *[1]

ومن «البكور» قول جرير :

أَلاَ بَكَرَتْ سَلْمَى فَجَدَّ بُكُورُهَا وَشَقَّ العَصَا بَعْدَ اجْتِمَاعٍ أَمِيرُهَا[2]

ويقال من ذلك : «بكر النخلُ يَبْكُر بُكوراً = وأبكر يُبكر إبكاراً» ،[3] و«الباكور» من الفواكه : أوّلها إدراكاً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٢٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : «وسبّح بالعشىّ والإبكار» ، قال :

---

(١) ديوانه : ١ ، من قصيدته النفيسة ، يقولها فى «نعم» ، وهى امرأة من قريش ، من بنى جمح ، كان عمر كثير الذكر لها فى شعره . وكأن شعره فيها من أصدق ما قال فى امرأة ، وهذا الشطر أول القصيدة وتمامه :

«غَدَاةَ غَدٍ؟ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ؟»

(٢) ديوانه : ٢٩٣ ، والنقائض : ٧ ، يجيب حكيم بن معية الربعى ، وكان هجا جريراً . قال أبو عبيدة : «شق العصا : التفرق ، ومن هذا يقال للرجل المخالف للجماعة : قد شق العصا . وأميرها : الذى تؤامره ، زوجها أو أبوها» .

(٣) هذا نص خلت منه كتب اللغة ، وحفظه أبو جعفر . وهو صواب ، فإنهم قالوا : «البكيرة والباكورة والبكور» من النخل : التى تدرك فى أول النخل ، فذكروا الصفات ، وتركوا الفعل . فهى زيادة ينبغى تقييدها .

الإبكار أوّل الفجر ، والعشيّ مَيْل الشمس حتى تغيب .[1]

٧٠٢٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « والله سميعٌ عليم • إذ قالت امرأة عمران ربّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرَّراً » ، « وإذ قالت الملائكة يا مريمُ إن الله اصطفاك » .

* * *

ومعنى قوله : « اصطفاك » ، اختارك واجتباك لطاعته وما خصّك به من كرامته .[2] ١٨٠/٣

* * *

وقوله : « وطهَّرك » ، يعني : طهَّر دينك من الرِّيَب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم[3] .

* * *

= « واصطفاك على نساء العالمين » ، يعني : اختارك على نساء العالمين في زمانك،[4] بطاعتك إياه ، ففضّلك عليهم ، كما روي عن رسول الله صلى الله

(١) في المخطوطة « مثل الشمس حيا يعيب » ؟ ! ! ! هكذا كتب وأعجم !!

(٢) انظر معنى « اصطفى » فيما سلف ٣ : ٩١ / ثم ٥ : ٣١٢/٦ : ٣٢٦ .

(٣) انظر معنى « طهر » فيما سلف ٣ : ٣٨ — ٤٠ ، وفهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف ١ : ١٤٣ — ١٤٦ / ٢ : ٢٣ — ٢٦ / ثم ٥ : ٣٧٥ .

عليه وسلم أنه قال : « خيرُ نسائها مريم بنت عمران ، وخيرُ نسائها خديجة بنت خويلد » = يعني بقوله : « خير نسائها » ، خير نساء أهل الجنة .

٧٠٢٦ — حدثني بذلك الحسين بن على الصدائى قال ، حدثنا محاضر بن المورّع قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : سمعت عليًّا بالعراق يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خيرُ نسائها مريم بنت عمران ، وخيرُ نسائها خديجة .[1]

٧٠٢٧ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني المنذر بن عبد الله الحزامى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير نساء الجنة مريم بنت عمران ، وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد .[2]

---

(١) الحديث : ٧٠٢٦ — محاضر بن المورع الهمدانى الكوفى ، وكنيته « أبو المورع » أيضاً : ثقة ، لينه أحمد وأبو حاتم . ورجحنا فى المسند : ٣٨٢٣ توثيقه . ووثقه ابن سعد ٦ : ٢٧٨ . و « محاضر » : بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة . و « المورع » : بضم الميم وفتح الواو وكسر الراء المشددة وآخره عين مهملة .

والحديث رواه أحمد فى المسند ، عن عبد الله بن نمير : ٦٤٠ ، وعن وكيع : ١١٠٩ ، وعن محمد ابن بشر : ١٢١١ — ثلاثتهم عن هشام بن عروة . ورواه ابنه عبد الله ، فى المسند : ٩٣٨ ، عن طريق أبي خيثمة ، ووكيع ، وأبي معاوية — ثلاثتهم عن هشام بن عروة ، بهذا الإسناد .

ورواه البخارى ٦ : ٣٣٩ ، و ٧ : ١٠٠ — ١١٠ ، ومسلم ٢ : ٢٤٣ ، والترمذى ٤ : ٣٦٥ — كلهم من طريق هشام بن عروة ، به .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ١٨٤ ، عن طريق ابن نمير ، ثم من طريق المسند عن وكيع وابن نمير .

وذكره ابن كثير فى التفسير ٢ : ١٣٨ ، وفى التاريخ ٢ : ٥٩ ، عن رواية الصحيحين .

وذكره السيوطى ٢ : ٢٣ ، ونسبه أيضاً لابن أبي شيبة ، وابن مردويه .

(٢) الحديث : ٧٠٢٧ — المنذر بن عبد الله بن المنذر الحزامى : ثقة ، كان من سروات قريش وأهل الندى والفضل . ترجمه البخارى فى الكبير ٤/١/٣٥٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٤٣ — فلم يذكرا فيه جرحاً .

والحديث هو الحديث السابق . ولكنه هنا من حديث عبد الله بن جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهناك من حديثه عن عمه على بن أبي طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم . فهو إما مرسل صحابى ، وإما قصر

٧٠٢٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «وإذ قالت الملائكة يامريم إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : حسبك بمريم بنت عمران وامرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، من نساء العالمين = قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «خيرُ نساء ركبن الإبل صوالحُ نساء قريش ، أحناهُ على ولد في صغره ، وأرعاهُ على زوج في ذات يده» =[1] قال قتادة : وذكر لنا أنهُ كان يقول : «لو علمت أنّ مريم ركبت الإبل ، ما فضّلت عليها أحداً» .[2]

الراوى عن هشام ، فترك ذكر على . والأرجح أن يكون عبد الله بن جعفر سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعه عنه بواسطة على . فرواه على الوجهين . وهو صحيح بكل حال .

(١) من العربية العريقة إعادة الضمير المفرد بعد أفعل التفضيل ، على الجمع ، وقد جاء في الشعر ، وجاء في الآثار كقوله : «كان عمار بن ياسر من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً» . وقد سلف بيان ذلك في رقم : ٥٩٦٨ ، ٦١٢٩ ، (فانظره) .

(٢) الحديث : ٧٠٢٨ — هو حديث مرسل . بل هو في حقيقته ثلاثة أحاديث ، يقول قتادة في أول كل منها : «ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول» :

فأولها — «حسبك بمريم . . .» — : ثبت موصولا . فرواه أحمد في المسند : ١٢٤١٨ (ج ٣ ص ١٣٥ حلبي) — عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس — هو ابن مالك — مرفوعاً ، بنحوه .

وكذلك رواه الحاكم في المستدرك ٣ : ١٥٧ — ١٥٨ ، عن أبي بكر القطيعي — راوى المسند — عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ، عن عبد الرزاق . ولكنه ذكر أنه رواه عن القطيعي «في فضائل أهل البيت ، تصنيف أبي عبد الله أحمد بن حنبل» . فلم يروه من كتاب (المسند) ، إنما رواه من كتاب آخر لأحمد ه والإسناد واحد .

ورواه الترمذي ٤ : ٣٦٦ ، وابن حبان في صحيحه (٢ : ٣٧٥ من مخطوطة التقاسيم والأنواع) — كلاهما من طريق عبد الرزاق ، به .

وقال الترمذي : «هذا حديث صحيح» . وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه بهذا اللفظ فإن قوله صلى الله عليه وسلم : حسبك من نساء العالمين — يسوى بين نساء الدنيا» .

وقد يوهم كلام الحاكم أن الشيخين روياه من حديث أنس بغير هذا اللفظ . والشيخان لم يروياه من حديث أنس أصلا .

ونقله ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٩ — ٦٠ ، من رواية المسند ، وفي التفسير ٢ : ١٣٨ — ١٣٩ ،

٧٠٢٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ، قال : كان أبو هريرة يحدث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : خيرُ نساء ركبن الإبل صُلحُ نساء قُرَيْش ، أحناه على ولد ، وأرعاه لزوج فى ذات يده = قال أبو هريرة : ولم تركب مريم بعيراً قط .[1]

من رواية الترمذى . وأشار فى الموضعين إلى رواية ابن مردويه إياه من طريق ثابت عن أنس . وسيأتى من رواية ثابت : ٧٠٣٠ . وسنذكره هناك ، إن شاء الله .

وأشار الحافظ فى الفتح ٦ : ٣٤٠ ، إلى رواية الترمذى إياه ، وقال : « بإسناد صحيح » .

وثانيها : « خير نساء ركبن الإبل . . . » — وسيأتى عقب هذا : ٧٠٢٩ ، من رواية قتادة ، عن أبى هريرة . وسيأتى عقب هذا : ونذكر علته وتخريجه هناك ، إن شاء الله .

وثالثها : « لو علمت أن مريم ركبت الإبل ، ما فضلت عليها أحداً » . وهو لفظ منكر ، ما علمته ثبت من طريق متصل . والصحيح أنه من كلام أبى هريرة ، كما سيأتى فى الحديث التالى .

(١) الحديث : ٧٠٢٩ — وهذا إسناد منقطع ، لأن قتادة بن دعامة السدوسى لم يدرك أبا هريرة ، لأنه ولد سنة ٦١ ، بعد وفاة أبى هريرة . ولذلك قال هنا : « كان أبو هريرة يحدث » ، فهو شبيه فى عبارته بالبلاغ .

ومتن الحديث صحيح :

فرواه أحمد فى المسند : ٧٦٣٧ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، بنحوه ، مطولا .

ورواه كذلك : ٧٦٩٥ ، بهذا الإسناد ، مختصراً .

ورواه : ٧٦٣٨ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، مختصراً .

وذكره ابن كثير فى التفسير ٢ : ١٣٨ ، عن الرواية الأولى من المسند ، ثم قال : « ولم يخرجه من هذا الوجه سوى مسلم ، فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد — كلاهما عن عبد الرزاق ، به » . وذكره أيضاً فى التاريخ ٢ : ٦٠ ، ثم أشار إلى رواية مسلم .

ورواية مسلم ، هى فى صحيحه ٢ : ٣٧٠ .

ورواه أيضاً البخارى ٩ : ١٠٧ — ١٠٨ ، و ٤٤٨ ، ومسلم ٢ : ٣٦٩ — ٣٧٠ ، من طرق عن أبى هريرة .

والروايات الصحاح ، هى أن أبا هريرة قال من عند نفسه ، فى آخر الحديث : « ولم تركب مريم بعيراً قط » .

٧٠٣٠ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله : « وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ، قال : كان ثابت البناني يحدث ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد . (١)

٧٠٣١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا عمرو بن مرة قال ، سمعت مرة الهمداني يحدث ، عن أبي موسى الأشعريّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كمل من الرّجال كثيرٌ ،

وأما رفع هذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، باللفظ الذي في الحديث السابق — فهو كما قلنا : « لفظ منكر » .

قوله « صلح » — بضمتين : هكذا في المخطوطة . وكان ناسخها كتب « صوالح » ، ثم ضرب عليها وكتب « صلح » . و « صلح » : جمع « صليح » . يقال : صالح وصلح ، وهو جمع محمول على « فعيل » في الأسماء ، فقالوا في جمع الصفات : « نذير ونذر ، وجديد وجدد » ، كما قالوا في الأسماء « كثيب وكثب » . وهذا حرف لم ينص عليه في كتب اللغة .

(١) الحديث : ٧٠٣٠ — هذا إسناد ضعيف ، لجهالة الشيخ الذي رواه عنه الطبري ، إذ قال « حدثت » بالبناء للمجهول .

وابن أبي جعفر : هو عبد الله الرازي . وهو ثقة ، وثقه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهما . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ١٢٧ .

أبوه « أبو جعفر الرازي » : اختلف في اسمه ، والراجح أنه « عيسى بن ماهان » . وهو ثقة ، وثقه ابن المديني ، وابن سعد ٧ / ٢ / ١٠٩ ، وغيرهما . ترجم في التهذيب في الكنى ، وترجمه ابن أبي حاتم في ترجمة « عيسى » ٣ / ١ / ٢٨٠ . وقد أشرنا إلى ترجمته في : ١٦٤ . ولم أستطع أن أجد ما يدل على أنه أدرك ثابتاً البناني .

ثم هذا الحديث ذكره ابن كثير في التفسير ٢ : ١٣٩ ، والتاريخ ٢ : ٦٠ أنه رواه ابن مردويه ، من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه ، عن ثابت ، عن أنس . وزاد في التاريخ أنه رواه ابن عساكر من طريق تميم بن زياد ، عن أبي جعفر الرازي ، ولكنه لم يكشف عن سنده في ابن مردويه إلى ابن أبي جعفر ، ولا عن سنده في ابن عساكر إلى تميم بن زياد ، فلا نستطيع أن نتبين صحة هذين الإسنادين أو أحدهما .

وقد مضى في شرح ٧٠٢٨ ، أنه رواه أحمد ، والترمذي ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم — من حديث معمر ، عن قتادة ، عن أنس . فأغنى ثبوته من ذاك الوجه الصحيح عن هذا الوجه الضعيف ، أو المشكوك في صحته . والحمد لله .

ولم يكمل من النساء إلاّ مريم ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد .(١)

٧٠٣٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو الأسود المصرى قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمارة بن غزية ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان : أن فاطمة بنت حسين بن على حدثته : أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وأنا عند عائشة ، فناجانى فبكيتُ ، ثم ناجانى فضحكت ، فسألتنى عائشة عن ذلك ، فقلت : لقد عَجِلْتِ ! أخبرُكِ بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم !! فتركتنى . فلما تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عائشة فقالت : نعم ، ناجانى فقال : جبريلُ كان يعارضُ القرآنَ كلّ عام مرة ، وإنه قد عارضَ القرآنَ مرّتين ؛ وإنه ليس من نبىّ إلاّ عُمِّرَ نصف عُمر الذى كان قبله ، وإن عيسى أخى كان عُمْره عشرين ومئة سنة ، وهذه لى ستون ، وأحسبنى ميتاً فى عامى هذا ، وإنه لم تُرْزأ امرأةٌ من نساء العالمين بمثل ما رُزِئتِ ، ولا تكونى دون امرأة صبراً ! قالت : فبكيتُ ، ثم قال : أنت سيدة

١٨١/٣

(١) الحديث : ٧٠٣١ — آدم العسقلانى : هو آدم بن أبى إياس ، شيخ البخارى . مضى مراراً .

عمرو بن مرة : هو الجملى المرادى . مضى توثيقه : ١٧٥ . واسم جده « عبدالله بن طارق » . فمرة أبوه ، غير « مرة الهمدانى » شيخه هنا . فإنه « مرة بن شراحيل الهمدانى » الثقة التابعى المخضرم . وقد مضى مراراً .

والحديث رواه البخارى ٦ : ٣٤٠ ، عن آدم — وهو ابن أبى إياس العسقلانى ، بهذا الإسناد ، مطولا .

ورواه أيضاً ٦ : ٣٢٠ ، من طريق وكيع ، عن شعبة ، ورواه أيضاً ٧ : ٨٣ ، عن آدم ، وعن عمرو — وهو ابن مرزوق — كلاهما عن شعبة .

ونقله ابن كثير فى التفسير ٢ : ١٣٩ ، عن هذا الموضع من الطبرى ، ثم قال : « وقد أخرجه الجماعة إلاأبا داود ، من طرق عن شعبة ، به » . ثم ذكر أنه استقصى طرقه فى التاريخ . ولكنه لم يفعل ، فإنه ذكره فيه ٢ : ٦١ ، منسوباً إلى « الجماعة إلا أبا داود ، من طرق عن شعبة » .

وذكره السيوطى ٢ : ٢٣ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة .

نساء أهل الجنة إلاّ مريم البتول . فتوفى عامه ذلك .(١)

٧٠٣٣ — حدثنى المثنى قال حدثنا أبو الأسود قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن الحارث : أن أبا زياد الحميرىّ حدثه : أنه سمع عمار بن سعد يقول : قال

---

(١) الحديث : ٧٠٣٢ — أبو الأسود المصرى : هو النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادى . وهو ثقة . روى عنه يحيى بن معين ، وأبو حاتم ، وغيرهما .

عمارة بن غزية — بفتح الغين المعجمة وكسر الزاى وتشديد الياء التحتية — بن الحارث ، الأنصارى المازنى المدنى : ثقة ، وثقه ابن سعد ، والدارقطنى ، وغيرهما ، وأخرج له مسلم فى الصحيح .

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : ثقة ، وثقه النسائى ، والعجلى ، وغيرهما . وقال ابن سعد : « كان كثير الحديث عالماً » . وكان جواداً ممدحاً . وهو المعروف بالديباج ، لحسنه . وأبوه « عبد الله بن عمرو بن عثمان » : هو المعروف بالمطرف ، لحسنه أيضاً .

ووقع فى المخطوطة والمطبوعة « محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان » . وهو خطأ يقيناً فى اسم والد « محمد » . فهو « عبد الله » ، لا « عبد الرحمن » .

وفاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب : تابعية ثقة . كانت تحت ابن عمها « الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب » ، وأعقبت منه ، فلما مات تزوجت « المطرف عبد الله بن عمرو بن عثمان » . زوجه إياها ابنها عبد الله بن حسن بن حسن ، بأمرها ، فأعقبت منه أولاداً ، منهم « محمد » الراوى عنها هنا . وعمرت فاطمة حتى قاربت التسعين .

وروايتها عن جدتها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم — رواية منقطعة ، ظاهرة الإرسال ، لأن الزهراء ماتت بعد أبيها بستة أشهر ، وكان ولدها الحسن والحسين صغيرين .

فهذا الحديث ضعيف الإسناد ، لهذا الانقطاع .

ولم أجده فى شىء من الدواوين غير هذا الموضع .

وقد أشار إليه الحافظ فى الفتح مرتين ، لم ينسبه فيهما لغير الطبرى :

فأشار إليه ٦ : ١٠٤ ، وجعله « عند الطبرى من وجه آخر عن عائشة » ، وهو وهم ، فإنه من حديث فاطمة ، كما ترى .

ثم أشار إليه ٧ : ٨٢ ، على الصواب ، من حديث فاطمة .

ووقع فيه فى الموضعين غلط من ناسخ أو طابع .

وأصل هذه القصة ثابت من حديث عائشة ، فى الصحيحين وغيرهما . ولكن ليس فيه ذكر عيسى وعمره ، ولا أنه « لم ترزأ امرأة . . . » .

وعمر عيسى المذكور — فى هذه الرواية — منكر جداً ، لم نجد أحداً قال مثل هذا ، فيما نعلم . وهو من دلائل ضعف هذه الرواية .

وانظر حديث عائشة فى البخارى ٦ : ٤٦٢ ، و ٧ : ٦٣ — ٦٤ ، و ٨ : ١٠٣ — ١٠٤ (فتح) ، ومسلم ٢ : ٢٤٨ — ٢٤٩ ، وابن سعد ٢/٢/٣٩ — ٤٠ ، و ٨ : ١٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : فُضِّلت خديجةُ على نساء أمتى ، كما فضلت مريم على نساء العالمين .[1]

* * *

وبمثل الذى قلنا فى معنى قوله : « وطهرك » ، أنه : وطهَّر دِينك من الدَّنس والرِّيب ، قاله مجاهد .[2]

٧٠٣٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إن الله اصطفاك وطهرك » ، قال : جعلك طيبةً إيماناً .

٧٠٣٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

٧٠٣٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « واصطفاك على نساء العالمين » ، قال : ذلك للعالمين يومئذ .[3]

* * *

وكانت الملائكة — فيما ذكر ابن إسحق — تقول ذلك لمريم شفاهاً .

٧٠٣٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال :

---

(١) الحديث : ٧٠٣٣ — هذا إسناد ضعيف بكل حال .

أما أبو زياد الحميرى : فلم نعرف من هو ؟ ولم نجد له ترجمة ولا ذكراً . والغالب أنه محرف عن شيء لا ندريه .

وأما « عمار بن سعد بن عابد المؤذن » : فإنه المعروف أبوه بلقب « سعد القرظ » المؤذن . وعمار هذا تابعى ، نص فى التهذيب على أن روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلة . وقد ترجمه الحافظ فى الإصابة ٥ : ٨٣ ، فى القسم الثانى ، الذين ولدوا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « قال مجاهد » ، والصواب ما أثبت كما يدل عليه السياق .

(٣) انظر ما سلف ص : ٣٩٢ تعليق : ٤ ، مراجع تفسير « العالمين » .

كانت مريم حبيساً فى الكنيسة ، ومعها فى الكنيسة غلام اسمه يوسف ، وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيراً حبيساً، فكانا فى الكنيسة جميعاً . وكانت مريم، إذا نفِد ماؤها وماء يوسف ، أخذا قلّتيهما فانطلقا إلى المفازة التى فيها الماء الذى يستعذِبان منه ، [1] فيملآن قلتيهما ، ثم يرجعان إلى الكنيسة ، والملائكة فى ذلك مقبلة على مريم : « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ، فإذا سمع ذلك زكريا قال : إنّ لابنة عمرانَ لشأناً ! !

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله ــ خبراً عن قِيل ملائكته لمريم : «يا مريم اقنتى لربك » ، أخلصى الطاعة لربك وحده .

* * *

وقد دللنا على معنى « القنوت » ، بشواهده فيما مضى قبل . [2] والاختلافُ بين أهل التأويل فيه فى هذا الموضع ، نحو اختلافهم فيه هنالك . وسنذكر قول بعضهم أيضاً فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : معنى « اقنتى » ، أطيلى الرُّكود .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٣٨ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) يستعذبان : يستقيان ، وأصله من قولهم : « استعذب » : أى استقى أو طلب ماء عذباً . وفى الحديث : « أنه كان يستعذب له من بيوت السقيا » ، أى يحضر له منها الماء العذب .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٥٣٨ ، ٥٣٩ / ثم ٥ : ٢٢٨-٢٣٧/٦ : ٢٦٤ .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : أطيلي الركود ، يعني القنوت .

٧٠٣٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٠٤٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « اقنتي لربك »، قال قال مجاهد : أطيلي الركود في الصلاة = يعني القنوت .

١٨٢/٣

٧٠٤١ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لما قيل لها : « يا مريم اقنتي لربك » ، قامت حتى وَرِم كعباها .

٧٠٤٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن ليث ، عن مجاهد قال : لما قيل لها: « يا مريم اقنتي لربك » ، قامت حتى ورمت قدَماها .

٧٠٤٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن مجاهد : « اقنتي لربك » ، قال : أطيلي الركود .

٧٠٤٤ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : القنوت الركود . يقول : قومي لربك في الصلاة . يقول : اركدي لربّك : أي انتصبي له في الصلاة = « واسجدي واركعي مع الراكعين » .

٧٠٤٥ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : كانت تصلي حتى تَرِم قدماها .

٧٠٤٦ — حدثني ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا الأوزاعي : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : كانت تقوم حتى يسيل القيح من قدميها .

* * *

وقال آخرون : معناه : أخلصي لربك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٤٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : أخلصي لربك .

* * *

وقال آخرون : معناه : أطيعي ربك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٤٨ — حدثني الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « اقنتي لربك » ، قال : أطيعي ربك .

٧٠٤٩ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « اقنتي لربك » ، أطيعي ربك .

٧٠٥٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل حرف يذكر فيه القنوت من القرآن ، فهو طاعة الله .[1]

٧٠٥١ — حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال يقول : اعبدي ربك .

* * *

(١) الأثر ٧٠٥٠ — هذا إسناد آخر للخبر السالف رقم : ٥٥١٨ من طريق الربيع بن سليمان ، عن أسد بن موسى ، عن ابن لهيعة .

قال أبو جعفر : وقد بينا أيضاً معنى « الرّكوع » « والسجود » بالأدلة الدالة على صحته ،[1] وأنهما بمعنى الخشوع لله ، والخضوع له بالطاعة والعُبُودة .[2]

* * *

فتأويل الآية ، إذاً : يا مريم أخلصى عبادةَ ربك لوجهه خالصاً ، واخشعى لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه ، شكراً له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتّطهير من الأدناس ، والتفضيل على نساء عالم دَهرك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله ذلك : الأخبارَ التى أخبرَ بها عبادَه عن امرأة عمران وابنتها مريم ، وزكريا وابنه يحيى ، وسائر ما قصّ فى الآيات من قوله : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً » ، ثم جمعَ جميعَ ذلك تعالى ذكره بقوله : « ذلك » ، فقال : هذه الأنباء من « أنباء الغيب » ، أى : من أخبار الغيب . ١٨٣/٣

ويعنى بـ« الغيب » ، أنها من خفىّ أخبار القوم التى لم تطّلع أنت ، يا محمد ، عليها ولا قومك ، ولم يعلمها إلا قليلٌ من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم .

ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه أوحى ذلك إليه ، حجةً على نبوته ، وتحقيقاً لصدقه ، وقطعاً منه به عذرَ منكرى رسالته من كفار أهل الكتابين ، الذين يعلمون أنّ محمداً لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ، ولم يدرك معرفتها مع خُمولها عند أهلها ، إلا بإعلام الله ذلك إياه . إذ كان معلوماً عندهم أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم أمىٌّ لا يكتب فيقرأ الكتب ، فيصل إلى علم ذلك من

---

(١) انظر تفسير « السجود » فيما سلف ٢ : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٤٢ ، وفهارس اللغة ، وتفسير « الركوع » فيما سلف ١ : ٥٧٤ ، ٥٧٥ / ثم ٣ : ٤٣ ، ٤٤ ، وفهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « العبودية » ، وأثبت صواب ما فى المخطوطة ، والطبرى يكثر من استعمالها كذلك . انظر ما سلف : ٢٧١ والتعليق : ١ .

قِبَل الكتب ، ولا صاحبَ أهل الكتُب فيأخذ علمه من قِبَلهم .

* * *

وأما « الغيْب » فمصدر من قول القائل : « غاب فلان عن كذا فهو يَغيب عنه غَيْباً وَغيبةً » .(١)

* * *

وأما قوله : « نُوحيه إليك » ، فإن تأويله : نُنْزله إليك .

* * *

وأصل « الإيحاء » ، إلقاء الموحِي إلى الموحَى إليه . وذلك قد يكون بكتاب وإشارة وإيماء ، وبإلهام ، وبرسالة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [سورة النحل : ٦٨] ، بمعنى : ألقى ذلك إليها فألهمها ، وكما قال : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ [سورة المائدة : ١١١] ، بمعنى : ألقيت إليهم علمَ ذلك إلهاماً ، وكما قال الراجز :(٢)

* أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فاسْتَقَرَّتِ *(٣)

بمعنى ألقى إليها ذلك أمراً ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [سورة مريم : ١١] ، بمعنى : فألقى ذلك إليهم إيماء .(٤) والأصل

---

(١) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ١ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) هو العجاج .

(٣) ديوانه ٥ ، واللسان « وَحَى » ، وسيأتي في التفسير ٤ : ١٤٢ (بولاق) ، وغيرها . ورواية ديوانه ، وإحدى روايتي اللسان « وحى » ثلاثياً ، وقال : « أراد أوحى » ، إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف » ، وانظر ما سيأتي في تفسير سورة مريم (١٦ : ٤١ بولاق) . والبيت من رجز للعجاج يذكر فيه ربه ويثني عليه بآلائه ، أوله :

الحَمْدُ للهِ الَّذِي اسْتَقَلَّتِ بِإِذْنِهِ السَّماءُ ، وَاطْمَأَنَّتِ
بِإِذْنِهِ الأَرْضُ وما تَعَتَّتِ وَحَى لَهَا القرارَ فَاسْتَقَرَّتِ
وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ رَبُّ البِلَادِ والعِبَادِ القُنَّتِ

(٤) في المخطوطة ، والمطبوعة : « فألقى ذلك إليهم أيضاً » ، وهو خطأ بين ، والصواب ما أثبته ، وانظر ما سلف قريباً في بيان قوله تعالى : « رمزاً » ، ص : ٣٨٨ ، وما بعدها .

فيه ما وصفتُ، من إلقاء ذلك إليهم . وقد يكون إلقاؤه ذلك إليهم إيماءً ، ويكون بكتاب . ومن ذلك قوله :[1] ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢١] ، يلقون إليهم ذلك وسوسةً ، وقوله : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٩] ،[2] أُلقِيَ إليَّ بمجيء جبريل عليه السلام به إليَّ من عند الله عز وجل .

وأما « الوحْي » ، فهو الواقع من الموحِي إلى الموحَى إليه ، ولذلك سمت العرب الخط والكتاب « وحياً » ، لأنه واقع فيما كُتِب ثابتٌ فيه ، كما قال كعب بن زهير :

أَتَى العُجْمَ والآفَاقَ مِنْهُ قَصَائِدٌ ... بَقِينَ بَقَاءَ الوَحْيِ فِي الحَجَرِ الأَصَمّ[3]

يعني به : الكتابَ الثابت في الحجر . وقد يقال في الكتاب خاصةً ، إذا كتبه الكاتب : « وحَى » بغير ألف ، ومنه قول رؤبة :

كَأَنَّهُ بَعْدَ رِيَاحٍ تَدْهَمُهْ ... وَمُرْثَعِنَّاتِ الدُّجُونِ تَثِمُهْ

إِنْجِيلُ أَحْبَارٍ وَحَى مُنَمْنِمُهْ[4]

* * *

(١) في المخطوطة : « وذلك قوله » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) قوله : « لأنذركم به ومن بلغ » ، ليس في المخطوطة .

(٣) ديوانه : ٦٤ ، من قصيدة مضى منها بيت فيما سلف ١ : ١٠٦ ، وهي قصيدة جيدة ، يرد فيها ما قاله فيه مزرد ، أخو الشماخ ، حين ذكر كعب الحطيئة في شعره وقدمه وقدم نفسه ، فغضب مزرد وهجاه ، فقال يفخر بأبيه ثم بنفسه ، بعد البيت السالف في الجزء الأول في التفسير :

فَإِنْ تَسْأَلِ الأَقْوَامَ عَنِّي ، فَإِنَّنِي ... أَنَا ابْنُ أَبِي سُلْمَى عَلَى رَغْمِ مَنْ رَغِمْ

أَنَا ابْنُ الَّذِي قَدْ عَاشَ تِسْعِينَ حِجَّةً ... فَلَمْ يَخْزَ يَوْمًا فِي مَعَدٍّ وَلَمْ يُلَمْ

وَأَكْرَمَهُ الأَكْفَاءُ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ ... كِرَامٍ ، فَإِنْ كَذَّبْتَنِي ، فَاسْأَلِ الأُمَمْ

أَتَى العُجْمَ . . . .

(٤) ديوانه : ١٤٩ ، من رجز طويل بارع غريب المعاني والوجوه ، يذكر فيه مآثر أبي العباس

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وما كنت لديهم » ، وما كنت ، يا محمد ، عندهم فتعلم ما نعلّمكه من أخبارهم التى لم تشهدها ، ولكنك إنما تعلم ذلك فتدركُ معرفته ، بتعريفناكَهُ .

* * *

ومعنى قوله : « لديهم » ، عندهم .

* * *

ومعنى قوله : « إذ يلقون » ، حينَ يلقون أقلامهم .

* * *

وأما « أقلامهم » ، فسهامهم التى استهم بها المستهمون من بنى إسرائيل على كفالة مريم ، على ما قد بينا قبل فى قوله : « وكفّلها زكريا » .[1] ١٨٤/٣

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٥٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام بن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله : « وما كنت لديهم » ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

٧٠٥٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،

السفاح . وهو غريب الكلام ، ولكنه حسن المعانى إذا فتشته ، فاقرأه وتأمله . وهذه الأبيات فى مطلع الرجز ، والضمير عائد فيها على ربع دارس طال قدمه ، وعفته الرياح . وقوله : « تدهمه » تغشاه كما يغشى المغير جيشاً فيبيده . وارثعن المطر (بتشديد النون) : كثر وثبت ودام . فهو مرثعن . ووثم المطر الأرض يثمها وثماً : ضربها فأثر فيها ، كما يثم الفرس الأرض بحوافره : أى يدقها ، إلا أن هذا أخف وأكثر إلحاحاً . ونمنم الكتاب : رقشه وزخرفه وأدق خطه : وقارب بين حروفه الدقاق ، وتلك هى النمنمة .

(١) انظر ما سلف ص : ٣٤٥-٣٥٢

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يلقون أقلامهم » ، زكريا وأصحابه ، استهموا بأقلامهم على مريم حين دخلتْ عليهم .

٧٠٥٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٠٥٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون» ، كانت مريم ابنة إمامهم وسيّدهم ، فتشاحّ عليها بنو إسرائيل ، فاقترعوا فيها بسهامهم أيُّهم يكفلها ، فقرَعهم زكريا ، وكان زوجَ أختها ، « فكفَّلها زكريا » ، يقول : ضمها إليه .[1]

٧٠٥٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « يلقون أقلامهم » ، قال : تساهموا على مريم أيُّهم يكفلها ، فقرَعهم زكريا .

٧٠٥٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » ، وإنّ مريم لما وضعت في المسجد ، اقترع عليها أهلُ المصلَّى وهم يكتبون الوَحْي ، فاقترعوا بأقلامهم أيُّهم يكفُلها ، فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم : « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لدَيهم إذْ يختصمون » .

٧٠٥٨ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد

---

(١) قوله : « وكان زوج أختها » ، يعني زوج أخت أم مريم ، لا زوج أخت مريم ، وكأن الخبر لما اختصر ، سقط منه ذكر أم مريم ، وبقي باقي الخبر على حاله ، وقد بينت ذلك فيما سلف ص : ٣٤٩ ، تعليق : ٤ .

قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » ، اقترعوا بأقلامهم أيُّهم يكفل مريم ، فقرَعهم زكريا .

٧٠٥٩ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم » ، قال : حيث اقترعوا على مريم ، وكان غَيباً عن محمد صلى الله عليه وسلم حين أخبرَه الله .

* * *

وإنما قيل : « أيهم يكفل مريم » ، لأن إلقاء المستهمين أقلامَهم على مريم ، إنما كان لينظروا أيهم أولى بكفالتها وأحقّ . ففي قوله عز وجل : « إذ يلقون أقلامهم » ، دلالة على محذوف من الكلام ، وهو : « لينظروا أيهم يكفل ، وليتبيَّنوا ذلك ويعلموه » .

* * *

فإن ظن ظانّ أنّ الواجب في « أيهم » النصبُ ، إذ كان ذلك معناه ، فقد ظن خطأ . وذلك أن « النظر » و « التبين » و « العلم » مع « أيّ » يقتضي استفهاماً واستخباراً ، وحظ « أيّ » في الاستخبار ، الابتداءُ وبطولُ عمل المسألة والاستخبار عنه . وذلك أن معنى قول القائل : « لأنظُرَنّ أيهم قام » ، لأستخبرنّ الناس : أيهم قام ، وكذلك قولهم : « لأعلمن » .

* * *

وقد دللنا فيما مضى قبل أن معنى « يكفل » ، يضمُّ ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .[1]

١٨٥/٣

* * *

(١) انظر ما سلف في هذا الجزء : ٣٤٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وما كنتَ ، يا محمد ، عند قوم مريم ، إذ يختصمون فيها أيُّهم أحقّ بها وأولى .

وذلك من الله عز وجل ، وإن كان خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فتوبيخٌ منه عز وجل للمكذبين به من أهل الكتابين . يقول : كيف يشكّ أهل الكفر بك منهم وأنت تنبئهم هذه الأنباءَ ولم تشهدْها ، ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الأمورَ ، ولست ممن قرأ الكتب فعَلِم نبأهم ، ولا جالَس أهلها فسمع خبرَهم ؟ كما : —

٧٠٦٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « وما كنت لديهم إذ يختصمون » ، أى ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يخبره بخفىّ ما كتموا منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « إذ قالت الملائكة » ، وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وما كنت لديهم أيضاً إذ قالت الملائكة : يا مريم إنّ الله يبشرك .

* * *

(١) الأثر : ٧٠٦٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٩ ، وهو من بقية الآثار التى كان آخرها فيها : ٦٩١١.

« والتبشير » إخبار المرء بما يسره من خبر .[1]

* * *

وقوله : « بكلمة منه » ، يعني برسالة من الله وخبر من عنده ، وهو من قول القائل : « ألقى فلانٌ إليَّ كلمةً سرَّني بها » ، بمعنى : أخبرني خبراً فرحت به ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ [سورة النساء : ١٧١] ، يعني : بشرى الله مريمَ بعيسى ، ألقاها إليها .

* * *

فتأويل الكلام : وما كنت ، يا محمد ، عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم : يا مريم إنّ الله يبشرك ببُشرى من عنده ، هي ولدٌ لك اسمهُ المسيحُ عيسى بن مريم .

* * *

وقد قال قوم — وهو قول قتادة — : إن « الكلمة » التي قال الله عز وجل : « بكلمة منه » ، هو قوله : « كن » .

٧٠٦١ — حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « بكلمة منه » ، قال : قوله : « كن » .

* * *

فسماه الله عز وجل « كلمته » ، لأنه كان عن كلمته ، كما يقال لما قدّر الله من شيء : « هذا قدَرُ الله وقضاؤُه » ، يعني به : هذا عن قدر الله وقضائه حدث ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [سورة النساء : ٤٧/وسورة الأحزاب : ٣٧] ، يعني به : ما أمر الله به ، وهو المأمور [به] الذي كان عن أمر الله عز وجل .[2]

* * *

(١) انظر معنى « التبشير » فيما سلف في هذا الجزء : ٣٦٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وكان في المطبوعة هنا « من خير » . وفي المخطوطة غير منقوطة ، وصوابه ما أثبت .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا يستقيم الكلام إلا بها .

وقال آخرون : بل هي اسم لعيسى سماه الله بها ، كما سمى سائر خلقه بما شاء من الأسماء .

* * *

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : « الكلمة » هي عيسى .

٧٠٦٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه » ، قال : عيسى هو الكلمة من الله .

* * *

قال أبو جعفر : وأقربُ الوُجوه إلى الصواب عندى ، القولُ الأول . وهو أنّ الملائكة بشَّرت مريمَ بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التي أمرَها أن تُلقيها إليها : أنّ الله خالقٌ منها ولداً من غير بَعْل ولا فَحل ، ولذلك قال عز وجل : « اسمه المسيح » ، فذكَّر ، ولم يقُل : « اسمُها » فيؤنث ، و« الكلمة » مؤنثة ، لأن « الكلمة » غير مقصودٍ بها قصدُ الاسم الذى هو بمعنى « فلان » ، وإنما هى بمعنى البشارة ، فذكَّرت كنايتها كما تذكر كناية « الذرّية » و« الدابّة » والألقاب ،[1] على ما قد بيناه قبل فيما مضى .[2]

١٨٦/٣

* * *

فتأويل ذلك كما قلنا آنفاً ، من أنّ معنى ذلك : إن الله يبشرك ببشرى = ثم بيَّن عن البشرى أنها ولدٌ اسمه المسيح .

* * *

وقد زعم بعض نحويى البصرة أنه إنما ذكر فقال : « اسمه المسيح » ، وقد قال : « بكلمة منه » ، و « الكلمة » ، عنده هى عيسى = لأنه فى المعنى كذلك ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا ﴾ ، ثم قال : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا ﴾ [سورة الزمر : ٥٦ – ٥٩] ، وكما يقال : « ذو الثُّدَيَّة » ، لأن يده

---

(١) الكناية : الضمير ، كما سلف مراراً ، وهو من اصطلاح الكوفيين .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٢١٠/ثم هذا الجزء : ٣٦٢، ٣٦٣ ، ومواضع أخرى .

كانت قصيرة قريبة من ثدييه، [1] فجعلها كأنّ اسمها « ثُدَيَّة »، ولولا ذلك لم تدخل « الهاء » فى التصغير.

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة نحوَ قول من ذكرنا من نحويى البصرة: فى أنّ « الهاء » من ذكر « الكلمة »، وخالفه فى المعنى الذى مَن أجله ذكر قوله: « اسمه »، و« الكلمة »، متقدمة قبله. فزعم أنه إنما قيل: « اسمه »، وقد قدّمت « الكلمة »، ولم يقل: « اسمها »، لأن من شأن العرب أن تفعل ذلك فيما كان من النعوت والألقاب والأسماء التى لم توضَع لتعريف المسمى به، كـ « فلان » و « فلان »، وذلك، مثل « الذرّية » و « الخليفة » و « الدابة »، ولذلك جاز عنده أن يقال: « ذرية طيبة » و « ذرّيةٌ طيباً »، ولم يجز أن يقال: « طلحة أقبلت = ومغيرة قامت ». [2]

* * *

وأنكر بعضهم اعتلالَ من اعتلّ فى ذلك بـ« ذى الثدية »، وقالوا: إنما أدخلت « الهاء » فى « ذى الثدية »، لأنه أريد بذلك القطعة من الثَّدْى، كما قيل: « كنا فى لحمة ونَبيذة »، يراد به القطعة منه. وهذا القول نحو قولنا الذى قلناه فى ذلك.

* * *

وأما قوله: « اسمهُ المسيح عيسى بن مريم »، فإنه جل ثناؤه أنبأ عباده عن نسبة عيسى، وأنه ابن أمّه مريم، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه الملحدون فى الله جل ثناؤه من النصارى، من إضافتهم بنوّته إلى الله عز وجل، وما قَرَفَتْ أمَّه به المفتريةُ عليها من اليهود، [3] كما: —

---

(١) خبر ذى الثدية مشهور معروف، انظر سنن أبى داود « باب قتال الخوارج » ٤ : ٣٣٤ — ٣٣٨.

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء : ٣٦٢، ٣٦٣

(٣) فى المطبوعة : « قذفت به »، والصواب من المخطوطة. قرف الرجل بسوء : رماه به واتهمه، فهو مقروف. وقوله : « المفترية » مرفوعة فاعل « قرفت أمه به »، ويعنى الفئة المفترية.

٧٠٦٣ — حدثني به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : «إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين» ، أي : هكذا كان أمرُه ، لا ما يقولون فيه .[1]

* * *

وأما «المسيح» ، فإنه «فعيل» صرف من «مفعول» إلى «فعيل» ، وإنما هو «ممسوح» ، يعني : مَسحه الله فطهَّره من الذنوب ، ولذلك قال إبراهيم : «المسيح» الصدِّيق . . . . . .[2]

٧٠٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم مثله .

٧٠٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور عن إبراهيم مثله .

* * *

وقال آخرون : مُسح بالبركة .

٧٠٦٦ — حدثنا ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال ، قال سعيد : إنما سمي «المسيح» ، لأنه مُسِح بالبركة .

* * *

(١) الأثر : ٧٠٦٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٩ — ٢٣٠ ، وهو من بقية الآثار التي آخرها : ٧٠٦٠ ، ونصه : «لا كما تقولون فيه» .

(٢) مكان هذه النقط سقط لا شك فيه عندي ، وأستظهر أنه إسناد واحد إلى «إبراهيم» ثم يليه الأثر رقم : ٧٠٦٤ ، فيه أن المسيح هو الصديق ، كما ذكر . وكان في المخطوطة والمطبوعة موضع هذه النقط : «وقال آخرون : مسح بالبركة» ، وهو كلام لا يستقيم ، كما ترى ، فأخرت هذه الجملة إلى مكانها قبل الأثر رقم : ٧٠٦٦ ، واستجزت أن أصنع ذلك ، لأنه من الوضوح بمكان لا يكون معه شك أو لجلجة .

هذا ، وفي تفسير «المسيح» أقوال أخر كثيرة ، لا أظن الطبري قد غفل عنها ، ولكني أظن أن في النسخة سقطاً قديماً ، ولذلك اضطرب الناسخ هنا . هذا إذا لم يكن الطبري قد أغفلها اختصاراً .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وجيهاً » ، ذا وَجْه ومنزلة عالية عند الله ، وشرفٍ وكرامة . ومنه يقال للرجل الذى يَشرُف وتعظمه الملوك والناس « وجيه » ، يقال منه : « ما كان فلان وَجيهاً ، ولقد وَجُهَ وَجاهةً » = « وإن له لَوجْهاً عند السلطان وَجاهاً ووَجاهةً » ، و « الجاه » مقلوب ، قلبت ، واوه من أوله إلى موضع العين منه ، فقيل : « جاه » ، وإنما هو « وجه » ، و « فعل » من الجاه : « جاهَ يَجوه » . مسموع من العرب : « أخاف أن يجوهنى بأكثر من هذا » ، بمعنى : أن يستقبلنى فى وجهى بأعظم منه . ١٨٧/٣

* * *

وأما نصب « الوجيه » ، فعلى القطع من « عيسى » ،[1] لأن « عيسى » معرفة ، و « وجيه » نكرة ، وهو من نعته . ولو كان مخفوضاً على الردّ على « الكلمة » كانَ جائزاً .

* * *

وبما قلنا[2] = من أنّ تأويل ذلك : وجيهاً فى الدنيا والآخرة عند الله = قال ، فيما بلغنا ، محمد بن جعفر .

٧٠٦٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « وجيهاً » ، قال : وجيهاً فى الدنيا والآخرة عند الله .[3]

* * *

وأما قوله : « ومنَ المقرّبين » ، فإنه يعنى أنه ممن يقرّبه الله يوم القيامة ، فيسكنه فى جواره ويدنيه منه ، كما : —

---

(١) « القطع » ، كما أسلفنا فى مواضع متفرقة ، هو الحال ، انظر ما سلف فى هذا الجزء : ٣٧١ ، تعليق : ٢ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٣ .

(٢) فى المطبوعة : « كما قلنا » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) الأثر : ٧٠٦٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧٠٦٣ .

٧٠٦٨ــ حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : «ومن المقربين»، يقول : من المقربين عند الله يوم القيامة .

٧٠٦٩ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : «ومن المقرَّبين » ، يقول : من المقربين عند الله يوم القيامة .

٧٠٧٠ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : وأما قوله : «ويكلمُ الناس في المهد» ، فإن معناه : إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً عند الله، ومُكلِّماً الناسَ في المهد .

= ف«يكلم» ،وإن كان مرفوعاً،لأنه في صورة «يفعل»بالسلامة من العوامل فيه ، فإنه في موضع نصب، وهو نظير قول الشاعر :(١)

بِتُّ أُعَشِّيهَا بِعَضْبٍ بَاتِرِ يَقْصِدُ فِي أَسْوُقِهَا وَجَائِرِ(٢)

* * *

---

(١) لم أعرف قائله

(٢) معاني القرآن للفراء ١ : ٢١٣ وأمالي ابن الشجري ٢ : ١٦٧ ، والخزانة ٢ : ٣٤٥.

وأما « المهد » ، فإنه يعني به : مضجع الصبيّ في رضاعه ، كما :—

٧٠٧١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ويكلم الناس في المهد » ، قال : مضجع الصبي في رَضَاعه .

* * *

وأما قوله : « وكهلاً » ، فإنه : وُمحتَنِكاً فوق الغُلومة ، [1] ودُون الشيخوخة ، يقال منه : « رجل كهل = وامرأة كهلة » ، كما قال الراجز : [2]

وَلَا أَعُودُ بَعْدَهَا كَرِيًّا ... أُمَارِسُ الكَهْلَةَ وَالصَّبِيَّا[3]

* * *

والسان (كهل) . وقد ذكر البغدادي اختلاف رواية الشعر ، « ويعشيها » من العشاء ، وهو طعامها عند العشاء . يصف كرم الكريم ينحر عند مجيء الأضياف إبله في قراهم ، والعضب : السيف القاطع ، والباتر : الذي يفصم الضريبة . وأسوق جمع ساق . وقصد يقصد : توسط فلم يجاوز الحد . يقول : يضرب سوقها بسيفه لا يبالي أيقصد أم يجور ، من شدة عجلته وحفاوته بضيفه .

هذا ، وانظر تفصيل ما قال أبو جعفر في معاني القرآن للفراء ١ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(١) يقال : « غلام بين الغلومة والغلومية والغلامية » ، مثل : « الطفولة والطفولية » .

(٢) هو عذافر الفقيمي .

(٣) الجمهرة ٣ : ٣٣٩ ، المخصص ١ : ٤٠ أمالي القالي ٢ : ٢١٥ ، والسمط : ٨٣٦ ، شرح أدب الكاتب لابن السيد : ٢١٧ ، ٣٨٩ ، وللجواليقي : ٢٩٥ ، واللسان (كهل) (كرا) (شعفر) (أم) ، وغيرها ، وكان العذافر يكري إبله إلى مكة ، فأكرى معه رجل من بني حنيفة ، من أهل البصرة ، بعيراً يركبه هو وزوجته ، وكان اسمها « شعفر » ، فقال يرجز بهما :

لَوْ شَاءَ رَبِّي لَمْ أَكُنْ كَرِيًّا ... وَلَمْ أَسُقْ بِشَعْفَرَ المَطِيَّا
بَصْرِيَّةٌ تَزَوَّجَتْ بَصْرِيًّا ... يُطْعِمُهَا المَالِحَ والطَّرِيَّا
وَجَيِّدَ البُرِّ لَهَا مَقْلِيَّا ... حَتَّى نَتَتْ سُرَّتُها نَتِيَّا
وَفَعَلَتْ ثُنَّتُها فَرِيًّا

والرجز المروي بعد هذه الأبيات ، فيما يظهر . والكري : المكاري ، الذي يستأجر الركاب دابته . وبعد البيتين اللذين رواهما أبو جعفر :

وإنما عنى جل ثناؤه بقوله : « ويكلم الناسَ فى المهد وكهلاً » ، ويكلم الناس طفلاً فى المهد = دلالةً على براءة أمه مما قَرَفها به المفترون عليها، [1] وحجة له على نبوّته = وبالغاً كبيراً بعد احتناكه، [2] بوحى الله الذى يوحيه إليه ، وأمره ونهيه ، وما ينزّل عليه من كتابه . [3]

* * *

وإنما أخبر الله عز وجل عبادَه بذلك من أمر المسيح ، وأنه كذلك كان ، وإن كان الغالب من أمر الناس أنهم يتكلمون كهولاً وشيوخاً = احتجاجاً به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى الباطلَ ، [4] وأنه كان = [منذ أنشأه] مولوداً طفلا ، ثم كهلاً = يتقلب فى الأحداث ، [5] ويتغير بمرُور

١٨٨/٣ الأزمنة عليه والأيام ، من صغر إلى كبر ، ومن حال إلى حال = وأنه لو كان ، كما قال الملحدون فيه ، كان ذلك غيرَ جائز عليه . فكذّب بذلك ما قاله الوفدُ من أهل نجران الذين حاجُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، واحتج به عليهم

* وَالْعَرَبَ الْمُنَفَّهَ الأُمِّيَّا *

والمنفه : الذى قد أعياه السير ونفهه ، فضعف وتساقط . والأمى : العيى الجلف الجافى القليل الكلام .

(١) فى المطبوعة : « قذفها » ، وانظر آنفاً : ص ٤١٣، تعليق : ٣ .

(٢) قوله : « وبالغاً » معطوف على قوله آنفاً : « طفلا فى المهد ». ثم قوله : بعد « بوحى الله » جار ومجرور متعلق بقوله آنفاً : « ويكلم الناس . . » .

(٣) فى المطبوعة : « وما تقول عليه » ، ومعاذ الله أن يكون ذلك ! ! والكلمة فى المخطوطة سيئة الكتابة ، مستفسدة مستصلحة ، وهى على ذلك بينة لمن يدرك بعض معانى الكلام ! !

(٤) فى المطبوعة : « بالباطل » ، وهو تبديل لعبارة الطبرى التى يألفها قارئُ كتابه . وقوله : « الباطل » منصوب مفعول به لقوله : « القائلين . . »

(٥) فى المطبوعة : « وأنه كان فى معناه أشياء مولوداً . . . » ، وفى المخطوطة : « وأنه كان فى معانيه أشيا مولوداً . . . » ، ولم أستطع أن أجد لشىء من ذلك معنى أرتضيه ، وقد جهدت فى معرفة تصحيفه أو تحريفه زمناً ، حتى ضقت به ، وحتى ظننت أنه سقط من الناسخ شىء يستقيم به هذا الكلام ، مع ترجيح التصحيف والتحريف فيه . فرأيت أن أضع بين القوسين ما يستقيم به الكلام ، وأن أخلى الأصل من هذه الجملة . هذا مع اعتقادى أن « معه أشيا » هى « منذ أنشأه » كما أثبتّها . والسياق : « أنه كان ... يتقلب فى الأحداث » ، وما بينهما فصل وضعته بين الخطين .

لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعلمهم أنه كان كسائر بنى آدم ، إلاّ ما خصه الله به من الكرامة التى أبانه بها منهم ، كما :—

٧٠٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » : يخبرهم بحالاته التى يتقلب بها فى عمره ، كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغاراً وكباراً ، إلا أن الله خصّه بالكلام فى مهده آيةً لنبوته ، وتعريفاً للعباد مواقع قدرته .[1]

٧٠٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » ، يقول : يكلمهم صغيراً وكبيراً .

٧٠٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » ، قال : يكلمهم صغيراً وكبيراً .

٧٠٧٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وكهلا ومن الصالحين » ، قال : الكهلُ الحليم .

٧٠٧٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : كلمهم صغيراً وكبيراً وكهلا = وقال ابن جريج ، وقال مجاهد : الكهل الحليم .

٧٠٧٧ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » ، قال : كلمهم فى المهد صبيًّا ، وكلمهم كبيراً .

* * *

(١) الأثر : ٧٠٧٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، وهو من تمام الآثار التى آخرها رقم : ٧٠٦٧ .

وقال آخرون : معنى قوله : « وكهلاً » ، أنه سيكلمهم إذا ظهر.

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٧٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعته — يعني ابن زيد — يقول في قوله : « ويكلم الناس في المهد وكهلا » ، قال : قد كلمهم عيسى في المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذ كهلٌ .

* * *

ونصب « كهلا » ، عطفاً على موضع « ويكلم الناس » .

* * *

وأما قوله : « ومن الصالحين » ، فإنه يعني : من عِدَادهم وأوليائهم ، لأنّ أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه ، قالت مريم = إذ قالت لها الملائكة إنّ الله يبشرك بكلمة منه = : «ربِّ أنَّى يكون لي ولد » ، من أيِّ وجه يكون لي ولد؟[1] أمِن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه ، أمْ تبتدئ فيَّ خلقه من غير بعل ولا فحل ،[2] ومن غير أن يمسَّني بشر ؟ فقال الله لها = : « كذلك الله يخلق ما يشاء » ، يعني : هكذا يخلق الله منك ولداً لك من غير أن يمسَّك بشر ، فيجعله آيةً للناس وعبرة ، فإنه يخلق ما يشاء ويصنعُ ما يريد ، فيعطي الولد

(١) انظر تفسير « أنى » فيما سلف ٤ : ٣٩٨ — ٤١٦ / ٥ : ٣١٢، ٤٤٧ / ٦ : ٣٥٨ .

(٢) في المخطوطة : « أي تبتدئ » ، وهو خطأ ، وفي المطبوعة : « أو تبتدئ » ، وآثرت الذي أثبت .

من يشاء من غير فحل ومن فحلٍ ، ويحرمُ ذلك من يشاءُ من النساء وإن كانت ذات بعلٍ ، لأنه لا يتعذر عليه خلق شيء أراد خلقه ، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئاً ما أراد [خلقه] فيقول له :[1] «كن فيكون» ما شاء ، مما يشاء ، وكيف شاء ، كما :— ١٨٩/٣

٧٠٧٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : «قالت رب أنّى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشرٌ قال كذلك الله يخلق ما يشاء» ، يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء ، من بشر أو غير بشر = «إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن» ، مما يشاء وكيف يشاء = «فيكون» ما أراد .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأةُ فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة وبعض قرأة الكوفيين : ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالياء ، ردًّا على قوله : «كذلك الله يخلق ما يشاء» ، «ويعلمه الكتاب» ، فألحقوا الخبرَ فى قوله : «ويعلمه» ، بنظير الخبر فى قوله : «يخلق ما يشاء» ، وقوله : «فإنما يقول له كنْ فيكون» .

* * *

(١) ما بين القوسين زيادة استظهرتها من السياق .

(٢) الأثر : ٧٠٧٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧٠٧٢ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «أى : إذا قضى أمراً . . .» ، وظاهر أن «أى» لا مكان لها هنا، ونص ابن هشام عن ابن إسحق دال على صواب ذلك ، فحذفتها . وكان فى المخطوطة والمطبوعة أيضاً «فإنما يقول له كن فيكون ، مما يشاء . . .» . وظاهر أيضاً زيادة «فيكون» هنا ، لأن السياق يقتضى إغفالها هنا ، ولأنها ستأتى بعد ، كما هو فى نص رواية ابن هشام عن ابن إسحق ، فرفعتها من هذا المكان أيضاً . وفى سيرة ابن هشام «فيكون ، كما أراد» ، وكلاهما صواب .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين وبعض البصريين : ﴿ وَنُعَلِّمُهُ ﴾ بالنون، عطفاً به على قوله : « نوحيه إليك » ، كأنه قال : « ذلك من أنباء الغيب نُوحيه إليك » « ونعلمه الكتاب » . وقالوا : ما بعد « نوحيه » فى صلته إلى قوله : « كن فيكون » ، ثم عطف بقوله : « ونعلمه » عليه .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مختلفتان ، غير مختلفتى المعانى ، فبأيّهما قرأ القارئ فهو مصيب الصوابَ فى ذلك ، لاتفاق معنى القراءتين ، فى أنه خبر عن الله بأنّه يعلم عيسى الكتاب ، وما ذكر أنه يعلمه .

* * *

وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعلٌ بالولد الذى بشَّرها به من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة ، فقال : كذلك الله يخلق منك ولداً من غير فحل ولا بعل ، فيعلمه الكتاب ، وهو الخطّ الذى يخطه بيده = والحكمة ، وهى السنة التى يُوحيها إليه فى غير كتاب = والتوراة ، وهى التوراة التى أنزلت على موسى ، كانت فيهم من عهد موسى = والإنجيل ، إنجيل عيسى ولم يكن قبله ، ولكن الله أخبر مريمَ قبل خلق عيسى أنه مُوحِيه إليه .

وإنما أخبرها بذلك فسمَّاه لها ، لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعثٌ نبياً ، يوحى إليه كتاباً اسمه الإنجيل ، فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذى سمعت بصفته الذى وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذى يسمى إنجيلا ، هو الولد الذى وهبه لها وبشَّرها به .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٨٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « ونعلمه الكتاب » ، قال : بيده .

٧٠٨١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ونعلمه الكتاب والحكمة » ، قال : الحكمة السنة .

٧٠٨٢ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة في قوله : « ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل »، قال : «الحكمة» السنة = « والتوراة والإنجيل » ،قال : كان عيسى يقرأ التوراة والإنجيل .

٧٠٨٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ونعلمه الكتاب والحكمة » ، قال : الحكمة السنة .

٧٠٨٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ١٩٠/٣ ابن جعفر بن الزبير قال : أخبرها — يعني أخبر الله مريم — ما يريد به فقال : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة » التي كانت فيهم من عهد موسى = « والإنجيل »، كتاباً آخر أحدثه إليه لم يكن عندهم علمه ، إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء قبله .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « ورسولا » ، ونجعله رسولا إلى بني إسرائيل ، فترك ذكر « ونجعله » لدلالة الكلام عليه ، كما قال الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا[2]

* * *

(١) الأثر : ٧٠٨٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، من تمام الآثار التي آخرها رقم : ٧٠٧٩ . وفي ابن هشام : « لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده » ، أسقط « علمه » ومكان « قبله » « بعده » ، والصواب فيها نص الطبري في روايته عن ابن إسحق .

(٢) مضى البيت وتخريجه في ١ : ١٤٠ .

وقوله : « أنى قد جئتكم بآية من ربكم »، يعنى : [1] ونجعله رسولا إلى بنى إسرائيل بأنه نبيّى وبشيرى ونذيرى [2]= وحجتى على صدقى فى ذلك : « أنى قد جئتكم بآية من ربكم »، يعنى : بعلامة من ربكم تحقق قولى، وتصدق خبرى أنى رسول من ربكم إليكم ، كما :—

٧٠٨٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم » ، أى : يُحقق بها نبوّتى، أنى رسولٌ منه إليكم . [3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم » ، ثم بين عن الآية ما هى ، فقال : « أنى أخلق لكم » .

* * *

فتأويل الكلام : ورسولاً إلى بنى إسرائيل بأنى قد جئتكم بآية من ربكم ، بأنْ أخلق لكم من الطين كهيئة الطير .

* * *

(١) فى المطبوعة : « بمعنى » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « نبى وبشير ونذير » ، والصواب من المخطوطة . هذا ، وقوله : « ولجعله رسولا . . . » ، إلى قوله : « ونذيرى » بيان عن قول الله تعالى لمريم : « رسولا إلى بنى إسرائيل » — ثم ابتدأ فى بيان قول عيسى عليه السلام : « أنى قد جئتكم بآية » ، فقال عيسى عليه السلام : « وحجتى على صدق فى ذلك . . . » . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « على صدق على ذلك » ، وهو لا يستقيم ، خطأ أو سهو من الناسخ ، والصواب ما أثبت .

(٣) الأثر : ٧٠٨٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧٠٨٤ . وكان فى المطبوعة : تحقق بها نبوتى ، وأنى رسول . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لرواية ابن هشام .

« والطير » جمع « طائر » .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأه بعض أهل الحجاز : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّائِرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا ﴾، على التوحيد .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾، على الجماع فيهما .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأعجب القراءات إليّ في ذلك قراءة من قرأ : «كهيئة الطير فأنفخُ فيه فيكون طيراً » ، على الجماع فيهما جميعاً ، لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعل ذلك بإذن الله ، وأنه موافق لخطّ المصحف . واتباعُ خطّ المصحف مع صحّة المعنى واستفاضة القراءة به ، أعجب إليّ من خلاف المصحف .

* * *

وكان خلق عيسى ما كان يخلق من الطير ، كما : —

٧٠٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق : أنّ عيسى صلوات الله عليه جلسَ يوماً مع غلمان من الكُتّاب ، فأخذ طيناً ثم قال : أجعل لكم من هذا الطين طائراً ؟ قالوا : وتستطيع ذلك ! قال : نعم ! بإذن ربي . ثم هيّأه، حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ، ثم قال: « كن طائراً بإذن الله » ، فخرج يطيرُ بين كفيه . فخرج الغلمان بذلك من أمره ، فذكروه لمعلّمهم ،

---

(١) في المطبوعة : « على الجماع كليهما » ، وفي المخطوطة « كلهما » أيضاً ، دون شرطة الكاف كأنه أراد أن يكتب « كليهما » ، ثم استدرك ، فترك عقدة الكاف على حالها ليعود فيجعلها « فيهما » وكذلك أثبتها .

فأفشوه في الناس . وترعرع ، فهمّت به بنو إسرائيل ، فلما خافت أمه عليه حملته على حُمَيِّر لها ، ثم خرجت به هاربة . (١)

* * *

وذكر أنه لما أراد أن يخلق الطيرَ من الطين سألهم : أيّ الطير أشدّ خلقاً ؟ فقيل له : الخفاش ، كما : —

١٩١/٣ ٧٠٨٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قوله : « أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير » ، قال : أيّ الطير أشدّ خلقاً ؟ قالوا : الخفاش ، إنما هو لحم . قال : ففعل .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « فأنفخ فيه » ، وقد قيل : « أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير » ؟

قيل : لأن معنى الكلام : فأنفخ في الطير . ولو كان ذلك : « فأنفخ فيها » . كان صحيحاً جائزاً ، كما قال في المائدة ، ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ [سورة المائدة : ١١٠] : (٢) يريد : فتنفخ في الهيئة . (٣) وقد ذكر أن ذلك في إحدى القراءتين « فأنفخها » ، بغير « في » . (٤) وقد تفعل العرب مثل ذلك فتقول : « رب ليلة قد بتُّها ، وبتُّ فيها » ، قال الشاعر : (٥)

---

(١) « حمير » (بضم الحاء وفتح الميم وتشديد الياء المكسورة) ، تصغير « حمار » ، وهو مضبوط هكذا في المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « فأنفخ فيها » ، وهو مخالف للتلاوة في سورة المائدة ، وهو سهو من الناسخ لقرب عهده بآية آل عمران ، وتابعه الناشرون .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « فأنفخ » أيضاً ، وهو متابعة للسهو السالف .

(٤) هذا نص مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢١٤ ، وهو : (وفي إحدى القراءتين : « فأنفخها » وفي قراءة عبد الله بغير « في » ، وهو مما تقوله العرب : رب ليلة قد بت فيها وبتّها) . ولعله تصرف واختصار من الطبري نفسه كعادته في الذي ينقله عن الفراء ، وظني أن في نص الفراء خطأ ، وصوابه : « وهي قراءة عبد الله . . . » .

(٥) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري .

مَا شُقَّ جَيْبٌ وَلَا قَامَتْكَ نَائِحَةٌ وَلَا بَكَتْكَ جِيَادٌ عِنْدَ أَسْلَابِ[1]

بمعنى : ولا قامت عليك ، وكما قال آخر : [2]

إِحْدَى بَنِي عَيِّذِ اللهِ اسْتَمَرَّ بِهَا حُلْوُ العُصَارَةِ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّوَرُ[3]

* * *

(١) الأغانى ١٧ : ٦٨ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢١٥ . وهو من أبيات من خبرها أن عبيد الله بن زياد ، كان عدواً لابن مفرغ ، فلما قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد يوم الزاب ، قال ابن مفرغ فيه ، وفى طغيانه عليه ، وهو عظة لكل جبار طاغية :

إِنَّ الَّذِى عَاشَ خَتَّارًا بِذِمَّتِهِ وعاشَ عبدًا ، قَتِيلُ اللهِ بِالزَّابِ

العَبْدُ لِلْعَبْدِ ، لا أَصْلٌ وَلَا طَرَفٌ ، أَلْوَتْ بِهِ ذَاتُ أَظْفَارٍ وأَنْيَابِ

إِنَّ المَنَايَا إِذَا ما زُرْنَ طَاغِيَةً هَتَكْنَ عَنْهُ سُتُورًا بَيْنَ أَبْوَابِ

هَلَّا جُمُوعَ نِزَارٍ إِذْ لَقِيتَهُمُ كُنْتَ امْرَءًا مِنْ نِزَارٍ غَيْرَ مُرْتَابِ

لا أَنْتَ زَاحَمْتَ عَنْ مُلْكٍ فَتَمْنَعَهُ وَلَا مَدَدْتَ إِلَى قَوْمٍ بِأَسْبَابِ

مَا شُقَّ جَيْبٌ وَلا نَاحَتْكَ نَائِحَةٌ . . . .

ورواية الأغانى «ناحتك» ، جارية على القياس ، يقال : « ناحت المرأة » ، لازماً ، و « ناحت المرأة زوجها » ، أما رواية الفراء وأبي جعفر ، فهى التي حذف من قوله : « قامتك » حرف الجر ، من « قامت عليك » . والأسلاب جمع سلب (بفتحتين) : وهو ما على المحارب والرجل من ثيابه وثياب الحرب ، فإذا قتل أخذ قاتله سلبه ، أي ما عليه من ثياب وسلاح ، وما معه من دابة . يقول : لست فارساً من أهل الحرب والمعارك ، فيحبك فرسك ، فيبكيك عند مصرعك .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) « بنو عيذ الله » (بتشديد الياء المكسورة) ، وهم بنو عيذ الله بن سعد العشيرة بن مذحج . « استمر بها » : ذهب بها . « حلو العصارة » : حلو الأخلاق . والعصارة والعصير : ما يتحلب من الشيء إذا عصر . يقول : ذهب بها فلن تعود إلى يوم الدين .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وأبرئ » ، وأشفى . يقال منه : « أبرأ الله المريض » ، إذا شفاه منه ، « فهو يُبرئه إبراءً » ، و « بَرَأَ المريض فهو يَبرَأ بَرْءاً » ، وقد يقال أيضاً : « بَرِئ المريض فهو يبرَأ » ، لغتان معروفتان .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الأكمه » .

فقال بعضهم : هو الذى لا يبصر بالليل ، ويُبصر بالنهار .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٨٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وأبرئ الأكمه » ، قال : الأكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل ، فهو يتكمَّه . [١]

٧٠٨٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : هو الأعمى الذى ولدته أمه كذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٩٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كنا نحدَّثُ أن « الأكمه » ، الذى ولد وهو أعمى مغموم العينين . [٢]

٧٠٩١ — حدثنى المثنى قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة فى قوله : « وأبرئ الأكمه والأبرص » ، قال : كنا نحدَّث أن الأكمه الذى يولد وهو أعمى ، مغموم العينين . [٢]

* * *

---

(١) يقال : « خرج يتكمه فى الأرض » ، إذا خرج متحيراً متردداً ، راكباً رأسه ، لا يدرى أين يتوجه .

(٢) كان فى المطبوعة : « مضموم العينين » ، وتوشك أن تكون فى المخطوطة : « مغموم العينين » ،

٧٠٩٢ — حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : الأكمه ، الذي يولد وهو أعمى .

* * *

وقال آخرون : بل هو الأعمى .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٩٣ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وأبرئ الأكمه » ، هو الأعمى .

٧٠٩٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : الأعمى .

٧٠٩٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وأبرئ الأكمه » ، قال : الأكمه الأعمى . ١٩٢/٣

٧٠٩٦ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ابن منصور عن الحسن في قوله : « وأبرئ الأكمه » ، قال : الأعمى .

* * *

وقال آخرون : هو الأعمش .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٩٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : « وأبرئ الأكمه » ، قال : الأعمش .

* * *

قال أبو جعفر : والمعروف عند العرب من معنى « الكمه » ، العَمَى . يقال منه : « كَمِهَت عينه فهي تَكْمَه كَمهاً ، وأكمهتها أنا » إذا أعميتها ، كما قال سويد بن أبي كاهل :

وأنا أرجح أنها الصواب ، فلذلك أثبتها على قراءتي للخط . والأكمه أعمى ، مضموم العينين كان أو غير مضموم ، ولكنه من غم الشيء : إذ ستَره ، فهو مغموم : مستور . ومنه الغمامة ، وهي غطاء يشد على عيني الناقة أو الثور أو غيرها .

كَمَّهَتْ عَيْنَيْهِ حَتَّى ابْيَضَّتَا فَهْوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعْ[1]

ومنه قول رؤبة :

هَرَّجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الأَكْمَهِ فِي غَائِلاتِ الحَائِرِ المُتَهْتِهِ[2]

* * *

وإنما أخبر الله عز وجل عن عيسى صلوات الله عليه أنه يقول ذلك لبنى إسرائيل ، احتجاجاً منه بهذه العبر والآيات عليهم فى نبوته . وذلك أن : الكَمَه والبرص لاعلاج لهما فيقدرَ على إبرائه ذو طِبٍّ بعلاج . فكان ذلك من أدلته على صدق قيله : إنه لله رسول ، لأنه من المعجزات ، مع سائر الآيات التى أعطاه الله إياها دلالةً على نبوته .

* * *

فأما ما قال عكرمة من أن « الكمه » ، العمش ، وما قاله مجاهد : من أنه

---

(١) المفضليات : ٤٠٥ ، اللسان (كه) فى المطبوعة : « كَمِهَتْ عَيْنَاهُ » ، وهى رواية المفضليات وفيها « كمهت عيناه لما ابيضتا » . والبيت من قصيدته الفذة . يذكر فى هذه الأبيات التى قبل البيت ، بعض عدوه ، كان يريد سقاطه بعد احتناكه وشدته ، وكيف تلقى العداوة عن آبائه ، فسعى كما سعى آباؤه فلم يظفر من سويد بشىء ، فضرب لنفسه مثلا بالصفاة التى لا ترام ، فقال أن عدوه ظل :

مُقْعِياً يَرْدِى صَفَاةً لَمْ تُرَمْ فِى ذُرَى أَعْيَطَ وَعْرِ المُطَّلَعْ
مَعْقِلٌ يَأْمَنُ مَنْ كَانَ بِهِ غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَهُ أَنْ تُقْتَلَعْ
غَلَبَتْ عَاداً وَمَنْ بَعْدَهُمُ فَأَبَتْ بَعْدُ ، فَلَيْسَتْ تُتَّضَعْ
لَا يَرَاهَا النَّاسُ إِلا فَوْقَهُمْ فَهْيَ تَأْتِي كَيْفَ شَاءَتْ وَتَدَعْ
وَهْوَ يَرْمِيهَا ، وَلَنْ يَبْلُغَهَا ، رِعَةَ الجَاهِلِ يَرْضَى مَا صَنَعْ
كَمِهَتْ عَيْنَاهُ . . . .

يقول : عمى من شدة ما يلقى ، أو أعمته هى بشدتها . فلما كف عنها ونزع ، ظل يلوم نفسه على تعرضه لها .

(٢) ديوانه : ١٦٦ ، واللسان (كه) (هرج) (تهته) ومجاز القرآن ١ : ٩٣ ، وسيرة ابن هشام

سوء البصر بالليل ، فلا معنى لهما . لأن الله لا يحتج على خلقه بحجة تكون لهم السبيلُ إلى معارضته فيها . ولو كان مما احتجَّ به عيسى على بنى إسرائيل فى نبوته ، أنه يبرئُ الأعمش ، أو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل ، لقدروا على معارضته بأن يقولوا : « وما فى هذا لك من الحجة ، وفينا خلقٌ ممن يعالج ذلك ، وليسوا لله أنبياءَ ولا رسلا »

فنى ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا ، من أنّ « الأكمه » ، هو الأعمى الذى لا يبصر شيئاً لا ليلاً ولا نهاراً . وهو بما قال قتادة — من أنه المولود كذلك — أشبهُ ، لأن علاجَ مثل ذلك لا يدّعيه أحدٌ من البشر ، إلا من أعطاه الله مثل الذى أعطى عيسى ، وكذلك علاجُ الأبرص .

* * *

القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله ، يدعو لهم ، فيستجيب له ، كما : —

٧٠٩٨ — حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما صار عيسى ابن اثنتى عشرة سنة ، أوحى الله إلى أمه وهى بأرض مصر ، وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر : أنِ اطْلُعى به إلى الشام . ففعلت الذى أمرت به . فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، وكانت نبوّته ثلاث سنين ، ثم رفعه الله إليه = قال : وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى

٢ : ٢٣٠ ، من قصيدة يذكر فيها نفسه وأيامه ، وقد سلفت منها أبيات كثيرة ، يذكر قبله خصما له قد بالغ فى ضلاله ، فرده وزجره . « هرج بالسبع » : صاح به وزجره . و « الغائلات » : التى تغوله وتهلكه . و « المتّهته » : الذى تهته فى الأباطيل . أى تردد فيها . ورواية الديوان « فى غائلات الحائب ... » ، وهى قريب من قريب .

فى الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشى إليه ، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله .

* * *

وأما قوله : « وأنبئكم بما تأكلون »، فإنه يعنى : وأخبرُكم بما تأكلون، مما لم أعاينه وأشاهده معكم فى وقت أكلكموه = « وما تدّخرون » ، يعنى بذلك : وما ترفعونه فتخبأونه ولا تأكلونه . ١٩٣/٣

=يعلمهم أنّ من حجته أيضاً على نبوّته = مع المعجزات التى أعلمهم أنه يأتى بها حجة على نبوّته وصدقه فى خبره أنّ الله أرسله إليهم : من خلق الطير من الطين ، وإبراءِ الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، التى لا يطيقها أحدٌ من البشر ، إلاّ من أعطاه الله ذلك علَماً له على صدقه ، وآيةً له على حقيقة قوله ، من أنبيائه ورسله ومَن أحبّ من خلقه =[1] إنباءَه عن الغيب الذى لا سبيل لأحد من البشر الذين سبيلُهم سبيلُه ، عليه .[2]

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما كان فى قوله لهم : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » من الحجة له على صدقه ، وقد رأينا المتنجِّمة والمتكهِّنة تخبرُ بذلك كثيراً فتصيب ؟

قيل : إن المتنجِّم والمتكهِّن معلوم منهما عند من يخبرانه بذلك،[3] أنهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه . ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ومن سائر أنبياء الله ورُسله ، وإنما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ، ولا طلب لمعرفته باحتيال ، ولكن ابتداءً بإعلام الله إياه ،[4]

---

(١) قوله : « إنباءه » خبر « أن » فى قوله آنفاً : « أن من حجته أيضاً على بنوته . . . إنباءه » .

(٢) قوله « عليه » من تمام قوله : « الذى لا سبيل لأحد . . . » .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « عند من يخبره بذلك » وسياق الضمائر يقتضى ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « ولكن ابتدأ » ، والصواب ما أثبته ، ولم يحسن الناشر قراءة المخطوطة .

من غير أصل تقدّم ذلك احتذاه، أو بنى عليه ، أو فزع إليه ، كما يفزَع المتنجم إلى حسابه ، والمتكهن إلى رئيِّه. [١] فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها ، وبين علم سائر المتكذّبة على الله ، أو المدّعية علم ذلك ، كما : —

٧٠٩٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشراً أو نحو ذلك ، أدخلته أمه الكتاب ، فيما يزعمون . فكان عند رجل من المكتِّبين يعلمه كما يعلّم الغلمان، [٢] فلا يذهب يعلمه شيئاً مما يعلمه الغلمان إلا بدره إلى علمه قبل أن يعلمه إياه : فيقول ألا تعجبون لابن هذه الأرْملة ؟ ما أذهب أعلّمه شيئاً إلا وجدته أعلمَ به منى ! !

٧١٠٠ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدّى : لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة ، فكان يلعب مع الغلمان غلمان القرية التى كان فيها ، فيحدّث الغلمان بما يصنع آباؤهم .

٧١٠١ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم . قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون فى بيوتكم » ، قال : كان عيسى بن مريم، إذْ كان فى الكتّاب ، يخبرهم بما يأكلون فى بيوتهم وما يدّخرون .

٧١٠٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » ، قال : إن عيسى بن مريم كان يقول للغلام فى الكتّاب :

---

(١) الرئى : هو التابع من الجن ، يراه الإنسان أو الكاهن ، فيؤالفه ويعتاده ويحدثه بما يكذب به من النبأ عن المغيب .

(٢) المكتب (بضم الميم وفتح الكاف وتشديد التاء المكسورة) على وزن «معلم» : هو الذى يعلم الصغار الكتابة . ويقال أيضاً «المكتب» (بضم الميم وسكون الكاف وكسر التاء) على وزن « مبصر » وهو المعلم أيضاً .

« يا فلان ، إن أهلكَ قد خبأوا لك كذا وكذا من الطعام ، فتطعمني منه » ؟

* * *

قال أبو جعفر : فهكذا فعل الأنبياء وحججها ، إنما تأتى بما أتت به من الحجج بما قد يوصل إليه ببعض الحيل ، على غير الوجه الذى يأتى به غيرها ، بل من الوجه الذى يعلم الخلق أنه لا يوصل إليه من ذلك الوجه بحيلة إلاّ من قِبَل الله .

* * *

وبنحو ما قلناه فى تأويل قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤/٣ ٧١٠٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » ، قال : بما أكلتم البارحة ، وما خبأتم منه = عيسى بن مريم يقوله.

٧١٠٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧١٠٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عطاء ابن أبى رباح — يعنى قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » — قال : الطعام والشىء يدخرونه فى بيوتهم ، غيباً علمه الله إياه .

٧١٠٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » ، قال : « ما تأكلون » ، ما أكلتم البارحةَ من طعام ، وما خبأتم منه .

٧١٠٧ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدّى قال : كان — يعنى عيسى بن مريم — يحدّث الغلمان وهو معهم فى الكتّاب بما يصنع آباؤهم ، وبما يَرْفعون لهم ، وبما يأكلون . ويقول للغلام :

«انطلق، فقد رفع لك أهلك كذا وكذا، وهم يأكلون كذا وكذا»، فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء. [1] فيقولون له : من أخبرك بهذا ؟ فيقول : عيسى ! = فذلك قول الله عز وجل: «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم» = فحبسوا صبيانهم عنه، وقالوا : لا تلعبوا مع هذا الساحر ! فجمعوهم في بيت، فجاء عيسى يطلبهم، فقالوا : ليس هم ههنا، فقال: ما في هذا البيت؟ فقالوا : خنازير. قال عيسى : كذلك يكونون ! ففتحوا عنهم، فإذا هم خنازير. فذلك قوله : ﴿ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة : ٧٨].

٧١٠٨ ــ حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله : «وما تدخرون في بيوتكم»، قال: ما تخبأون مخافةَ الذي يمسك أن يخلفه. [2]

* * *

وقال آخرون: إنما عنى بقوله : «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم»، ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها.

* ذكر من قال ذلك :

٧١٠٩ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم»، فكان القومُ لما سألوا المائدةَ فكانت خِواناً ينزل عليه أينما كانوا ثَمَراً من ثمار الجنة، [3] فأمر القوم أن

---

(١) «يبكي عليهم»، يلح عليهم بالبكاء، عدى «بكى» بعلى، لتضمينه معنى «الإلحاح».

(٢) في المطبوعة : «ما تخبأون مخافة الذي يمسك أن لا يخلفه شيء»، زاد في نص المخطوطة «لا»، و «شيء». أما المخطوطة ففيها «... الذي يمسك أن يخلفه». وكلاهما لا معنى له. والمخطوطة مضطربة الحروف في هذا الموضع، وأخشى أن يكون صواب الجملة : «ما تخبأون مخافة عليه، الذي تمسكون خيفة عليه». وتركت نص المخطوطة، على حاله في الأصل.

(٣) في المطبوعة : «فكانت جراباً ينزل عليه»، وهو خطأ لا شك فيه، وفي المخطوطة، «حوابا» غير منقوطة، وصواب قراءتها ما أثبت. والمائدة، هي الخوان، وقال أهل اللغة : «لا تسمى مائدة حتى يكون عليها طعام، وإلا فهي خوان».

لا يخونوا فيه ولا يخبأوا ولا يدخروا لغد ، بلاءٌ ابتلاهم الله به . فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئاً أنبأهم به عيسى بن مريم ، فقال : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » .

٧١١٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون » ، قال : أنبئكم بما تأكلون من المائدة وما تدخرون منها . قال : فكان أخذ عليهم فى المائدة حين نزلتْ : أن يأكلوا ولا يدّخروا ، فادخروا وخانوا ، فجعلوا خنازير حين ادّخروا وخانوا ، فذلك قوله : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّى أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِين ﴾ [سورة المائدة : ١١٥] .

= قال ابن يحيى قال ، عبد الرزاق قال ، معمر ، عن قتادة ، عن خلاس ابن عمرو ، عن عمار بن ياسر ، ذلك .

* * *

وأصل « يدخرون » من « الفعل » ، « يفتعلون » من قول القائل : « ذخرتُ الشىء » بالذّال « فأنا أذخره » . ثم قيل : « يدّخر » ، كما قيل : « يدّكرُ » من : « ذكرت الشىء » ، يراد به « يذتخر » . فلما اجتمعت « الذال » و « التاء » وهما متقاربتا المخرج ، ثقل إظهارهما على اللسان ، فأدغمت إحداهما فى الأخرى ، وصيرتا « دالاً » مشددة ، صيروها عَدْلاً بين « الذال » و « التاء » .(١) ومن العرب من يغلب « الذال » على « التاء » ، فيدغم « التاء » فى « الذال » ، فيقول : « وما تذّخرون » ، « وهو مذّخر لك » ، « وهو مُذّكر » .

٣/١٩٥

واللغة التى بها القراءةُ ، الأولى ، وذلك إدغام « الذال» فى « التاء » ، وإبدالهما

(١) قوله « عدلا » ، أى متوسطة بينهما ، وهذا نص عبارة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢١٥ .

« دالا » مشددة . لا يجوز القراءة بغيرها ، لتظاهر النقل من القرأة بها ، وهى اللغة الجُودَى ،[1] كما قال زهير :

إنَّ الكَرِيمَ الَّذِى يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا ، وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَظَّلِمُ[2]

يروى « بالظاء » ، يريد : « فيفتعل » من « الظلم » ، ويروى « بالطاء » أيضاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ فى خلقى من الطين الطيرَ بإذن الله ، وفى إبرائى الأكمهَ والأبرصَ ، وإحيائى الموتى ، وإنبائىَ إياكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ابتداءً من غير حساب وتنجيم ، ولا كهانة وعرافة = لعبرةً لكم ومتفكَّراً، تتفكرون فى ذلك فتعتبرون به أنىّ محق فى قولى لكم : « إنى رسولٌ من ربكم إليكم »، وتعلمون به أنى فيما أدعوكم إليه من أمر الله ونهيه صادق = « إن كنتم مؤمنين » ، يعنى : إن كنتم مصدّقين حجج الله وآياته ، مقرّين بتوحيده ، وبنبيه موسى والتوراة التى جاءكم بها .

* * *

(١) « الجودى » ، «فعلى»من « الأجود » مثل « أفضل ، وفضلى » ، ولم أرها مستعملة إلا قليلا عند أهل طبقة أبى جعفر . وانظر ما قاله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) ديوانه : ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٤٢١ ، والمخصص ٢ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، واللسان (ظلم) وغيرها . هكذا جاء به أبو جعفر ، وصواب روايته ما جاء فى ديوانه ، لأن قبله :

إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَـ كِنَّ الجوادَ عَلَى عِلّاتِهِ هَرِمُ

هُوَ الجَوَادُ الَّذِى يُعْطِيكَ نائِلَهُ . . . .

وانظر روايات مختلفة للبيت ، وبيان هذه الروايات فى هذه الكتب وغيرها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وبأنى قد جئتكم بآية من ربكم ، وجئتكم مصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ، ولذلك نصب « مصدّقاً » على الحال من « جئتكم » .

والذى يدل على أنه نصب على قوله : « وجئتكم » ، دون العطف على قوله : « وجيهاً » ، قوله : « لما بين يدىّ من التوراة » . ولو كان عطفاً على قوله « وجيهاً » ، لكان الكلام : ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة ، وليحل لكم بعض الذى حرم عليكم . (١)

* * *

وإنما قيل : « ومصدّقاً لما بين يدىّ من التوراة » ، (٢) لأن عيسى صلوات الله عليه ، كان مؤمناً بالتوراة مقراً بها ، وأنها من عند الله . وكذلك الأنبياء كلهم ، يصدّقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله . وإن اختلف بعضُ شرائع أحكامهم ، لمخالفة الله بينهم فى ذلك . مع أنّ عيسى كان — فيما بلغنا — عاملاً بالتوراة لم يخالف شيئاً من أحكامها ، إلا ما خفّف الله عن أهلها فى الإنجيل ، مما كان مشدداً عليهم فيها ، كما : —

٧١١١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن عيسى كان على شريعة موسى صلى الله عليهما وسلم ، وكان يَسبِت ، ويستقبل بيت المقدس ، فقال لبنى إسرائيل : إنى لم أدعكم إلى خلاف حرف مما فى التوراة ، إلاّ لأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وأضع عنكم من الآصار . (٣)

١٩٦/٣

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٦ .

(٢) انظر تفسير « لما بين يدى » و « لما بين يديه » فيما سلف من هذا الجزء : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣) الآصار جمع إصر (بكسر فسكون) : وهو العهد ، أى ما عقد من عقد ثقيل عليهم ، مثل قتلهم أنفسهم ، وما أشبه ذلك من قرض الجلد إذا أصابته النجاسة ، وغير ذلك من الأحكام المشددة .

٧١١٢ — حدثني بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «ومصدقاً لما بين يديّ من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حُرّم عليكم » ، كان الذى جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى ، وكان قد حُرّم عليهم فيما جاء به موسى لحومُ الإبل والثُّروب ، وأشياء من الطير والحيتان .[1]

٧١١٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : «ومصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » ، قال : كان الذى جاء به عيسى ألينَ من الذى جاء به موسى . قال : وكان حُرّم عليهم فيما جاء به موسى من التوراة ، لحومُ الإبل والثُّروب ، فأحلها لهم على لسان عيسى — وحرّمت عليهم الشحوم ، وأحلت لهم فيما جاء به عيسى — وفى أشياء من السمك ، وفى أشياء من الطير مما لا صِيصِيَةَ له ،[2] وفى أشياء حرّمها عليهم وشدّدها عليهم ، فجاءهم عيسى بالتخفيف منه فى الإنجيل . فكان الذى جاء به عيسى ألينَ من الذى جاء به موسى صلوات الله عليه .

٧١١٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : «ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » ، قال : لحوم الإبل والشحوم . لما بُعث عيسى أحلَّها لهم ، وبُعث إلى اليهود فاختلفوا وتفرّقوا .

٧١١٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن

---

(١) الثروب جمع ثرب (بفتح فسكون) : وهى الشحم الرقيق الذى يغشى الكرش والأمعاء والمصارين من الذبائح والأنعام .

(٢) صيصية الديك (بكسر الصاد الأولى والثانية وفتح الياء الأخير) ، وجمعها الصياصى : هى الشوكة التى فى رجل الديك . وقرون البقر يقال لها « الصياصى » ، ومنه قيل للحصون « الصياصى » لأن المقاتلين يحتمون بها كما تحتمى البقر بقرونها .

جعفر بن الزبير : « ومصدقاً لما بين يدىّ من التوراة » ، أى : لما سبقنى منها — « ولأحلّ لكم بعض الذى حرم عليكم » ، أى : أخبركم أنه كان حراماً عليكم فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم ، فتصيبون يُسْرَه ، وتخرجون من تِباعَته .[1]

٧١١٦ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن : « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » ، قال : كان حرّم عليهم أشياء ، فجاءهم عيسى ليحلّ لهم الذى حرّم عليهم ، يبتغى بذلك شُكْرَهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : وجئتكم بحجة وعبرة من ربكم ، تعلمون بها حقيقةَ ما أقول لكم ، كما : —

٧١١٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وجئتكم بآية من ربكم » ، قال : ما بيَّن لهم عيسى من الأشياء كلها ، وما أعطاه ربه .

٧١١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وجئتكم بآية من ربكم » ، ما بيَّن لهم عيسى من الأشياء كلها .

* * *

ويعنى بقوله : « من ربكم » ، من عند ربكم .

* * *

(١) الأثر : ٧١١٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، وهو من تتمة الآثار التى كان آخرها رقم : ٧٠٨٥ . وقوله « وتخرجون من تباعته » ، أى من إثمه الذى تبعكم إن اقترفتموه . والتبعة والتباعة (بكسر التاء) : ما كان فيه إثم يتبع به مقترفه ، يقال : « ما عليه من الله فى هذا تبعة ، ولا تباعة » .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : وجئتكم بآية من ربكم تعلمون بها يقيناً صدقى فيما أقول = « فاتقوا الله » ، يا معشرَ بنى إسرائيل ، فيما أمركم به ونهاكم عنه فى كتابه الذى أنزله على موسى ، فأوفوا بعهده الذى عاهدتموه فيه = « وأطيعون » ، فيما دعوتكم إليه من تصديقى فيما أرسلنى به إليكم ربى وربكم ، فاعبدوه ، فإنه بذلك أرسلنى إليكم ، وبإحلال بعض ما كان محرّماً عليكم فى كتابكم ، وذلك هو الطريق القويمُ ، والهدى المتينُ الذى لا اعوجاج فيه ، [1] كما : —

٧١١٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم » ، تبرّياً من الذى يقولون فيه — يعنى : ما يقول فيه النصارى — واحتجاجاً لربه عليهم = « فاعبدوه هذا صراط مستقيم » ، أى : هذا الذى قد حملتُكم عليه وجئتكم به . [2] ١٩٧/٣

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إن الله ربى وربكم فاعبدوه » .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ إِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ بكسر « ألف » « إنّ » على ابتداء الخبر .

* * *

وقرأه بعضهم : ﴿ أَنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ ﴾ ، بفتح « ألف » « أنّ » ، بتأويل :

(١) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١ : ١٧٠ — ١٧٧/٣:١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) الأثر : ٧١١٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، وهو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧١١٥ .

وجئتكم بآية من ربكم ، أنّ الله ربي وربكم ، على ردّ «أن» على «الآية» ، والإبدال منها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا ما عليه قرأة الأمصار ، وذلك كسر ألف «إن» على الابتداء ، لإجماع الحجة من القرأة على صحة ذلك . وما اجتمعت عليه فحجةٌ ، وما انفرد به المنفرد عنها فرأيٌ . ولا يعترضُ بالرأى على الحجة .

* * *

وهذه الآية وإن كان ظاهرُها خبراً ، ففيه الحجة البالغة من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على الوفد الذين حاجُّوه من أهل نجران ، بإخبار الله عزّ وجل عن أن عيسى كان بريئاً مما نسبه إليه مَن نسبه إلى غير الذى وصفَ به نفسه ، من أنه لله عبدٌ كسائر عبيده من أهل الأرض ، إلا ما كان الله جل ثناؤه خصَّه به من النبوة والحجج التى آتاه دليلاً على صدقه — كما آتى سائرَ المرسلين غيره من الأعلام والأدلة على صدقهم — وحُجةً على نبوته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عزوجل ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «فلما أحسّ عيسى منهم الكفر» ، فلما وَجد عيسى منهم الكفر.

* * *

(١) فى المطبوعة : «والحجة على نبوتهم» ، وأثبت ما فى المخطوطة وهو الصواب . وقوله : «وحجة على نبوته» معطوف على قوله : «دليلا على صدقه» ، والضمير لعيسى ، وما بين المعطوف والمعطوف عليه ، فصل .

« والإحساس » ، هو الوجود ، ومنه قول الله عز وجل :﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [سورة مريم : ٩٨]

فأما « الحَسّ » ، بغير « ألف » ، فهو الإفناء والقتل ، ومنه قوله : ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٢] .

« والحَسّ » أيضاً العطف والرقة ، ومنه قول الكميت :

هَلْ مَنْ بَكَى الدَّارَ رَاجٍ أَنْ تَحِسَّ لَهُ، أَوْ يُبْكِيَ الدَّارَ مَاءُ العَبْرَةِ الخَضِلُ؟[1]

يعني بقوله : « أن تحس له » ، أن ترقّ له .

* * *

فتأويل الكلام : فلما وَجد عيسى — من بنى إسرائيل الذين أرسله الله إليهم — جحوداً لنبوّته ، وتكذيباً لقوله ، وصدّاً عما دعاهم إليه من أمر الله ، قال : « مَن أنصارى إلى الله »؟ ، يعني بذلك : قال عيسى : من أعوانى على المكذبين بحجة الله ،[2] والمولّين عن دينه ، والجاحدين نبوة نبيه ، = « إلى الله » عز وجل ؟

* * *

ويعني بقوله : « إلى الله » ، مع الله .

وإنما حَسُن أن يقال : « إلى الله » ، بمعنى : مع الله ، لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره ، ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر إذا ضم إليه ، جعلوا مكان « مع » ، « إلى » أحياناً ، وأحياناً تخبر عنهما بـ « مع » فتقول : « الذود إلى الذود إبل » ، بمعنى : إذا ضممتَ الذود إلى الذود صارت إبلا . فأما إذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بـ « إلى » ، ولم يجعلوا مكان « مع » « إلى » .

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٧ ، ومجالس ثعلب : ٤٨٦ ، وإصلاح المنطق : ٢٤٠ ، واللسان (حسس) . والخضل : المتتابع الدائم الكثير الهمول . يتعجب من الباكى على أطلال أحبابه ، وما يرجو منها : أترق له ، أم تبكى لبكائه ؟ يسفه ما يفعل . ثم انظر سائر ما قيل فى هذا الحرف من اللغة فى المراجع السالفة .

(٢) انظر تفسير « الأنصار » فيما سلف ٢ : ٤٨٩/ ٥ : ٥٨١

غيرُ جائز أن يقال : « قدم فلانٌ وإليه مالٌ » ، بمعنى : ومعه مال .[١]

* * *

وبمثل ما قلنا في تأويل قوله : « مَنْ أنصاري إلى الله » ، قال جماعة من أهل التأويل.

١٩٨/٣ * ذكر من قال ذلك :

٧١٢٠ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « من أنصاري إلى الله » ، يقول : مع الله .[٢]

٧١٢١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « من أنصاري إلى الله » ، يقول : مع الله .

* * *

وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين ، فإن بين أهل العلم فيه اختلافاً .

فقال بعضهم : كان سبب ذلك ما : -

٧١٢٢ - حدثني به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : لما بعث الله عيسى فأمره بالدعوة ، نفته بنو إسرائيل وأخرجوه ، فخرج هو وأمُّه يسيحون في الأرض . فنزل في قرية على رجل فضافهم وأحسن إليهم . وكان لتلك المدينة ملك جبارٌ معتدٍ ، فجاء ذلك الرجل يوماً وقد وقعَ عليه همٌّ وحزن ، فدخل منزله ومريم عند امرأته . فقالت مريم لها : ما شأن زوجك ؟ أراه حزيناً ! قالت : لا تسألي ! قالت : أخبريني ! لعل الله يُفرِّج كربته ! قالت : فإن لنا ملكاً يجعل على كلِّ رجل منا يوماً يُطعمه هو وجنودَه

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ ، ثم انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢١٨ ، وهذا مختصر مقالته .

(٢) الأثر : ٧١٢٠ - مضى هذا الإسناد قديماً برقم : ٢١٠٠ ؛ « محمد بن الحسين بن موسى ابن أبي حنين الكوفي » ، روى عن عبيد الله بن موسى ، وأحمد بن المفضل ، وأبي غسان مالك بن إسماعيل. وهو صدوق قاله ابن أبي حاتم في كتابه ٣/٢/٢٣٠ . و « أحمد بن المفضل القرشي الأموي » الكوفي الحفري. روى عن الثوري ، وأسباط بن نصر ، وإسرائيل . روى عنه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهما قال أبو حاتم : « كان صدوقاً ، وكان من رؤساء الشيعة » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/١/٧٧ .

ويسقيهم من الخمر ، فإن لم يفعل عاقبه ، وإنه قد بلغت نَوبتُه اليوم الذى يريد أن نصنع له فيه ، وليس لذلك عندنا سعة ! قالت : فقولى له لا يهتم ، فإنى آمر ابنى فيدعُو له ، فيُكْفَى ذلك . قالت مريم لعيسى فى ذلك ، قال عيسى : يا أمَّهْ ، إنى إن فعلت كان فى ذلك شرٌّ . قالت : فلا تُبالِ ، فإنه قد أحسنَ إلينا وأكرمنا ! قال عيسى : فقولى له : إذا اقترب ذلك ، فاملأْ قُدُورك وخوابيك ماء ، ثم أعلمنى .[1] قال : فلما ملأهنّ أعلمه ، فدعا الله ، فتحوّل ما فى القدُور لحماً ومَرَقاً وخبزاً ، وما فى الخوابى خمراً لم ير الناس مثله قطّ وإياه طعاماً .[2] فلما جاء الملك أكل ، فلما شرب الخمرَ سأل : من أين هذه الخمر ؟ قال له : هى من أرض كذا وكذا . قال الملك : فإنّ خمرى أوتَى بها من تلك الأرض ، فليس هى مثل هذه ! قال : هى من أرض أخرى . فلما خلّط على الملك اشتدّ عليه ، قال : فأنا أخبرك ، عندى غلام لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه إياه ، وإنه دعا اللهَ فجعل الماءَ خمراً . قال الملك = وكان له ابنٌ يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام ، وكان أحب الخلق إليه = فقال : إن رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمراً ، ليُستجابنّ له حتى يُحييَ ابنى ! فدعا عيسى فكلمه ، فسأله أن يدعو الله فيحيي ابنه ، فقال عيسى : لا تفعلْ ، فإنه إن عاش كان شراً . فقال الملك : لا أبالى ، أليس أراه ؟ فلا أبالى ما كان . فقال عيسى عليه السلام : فإن أحييته تتركونى أنا وأمى نذهب أينما شئنا ؟ قال الملك : نعم . فدعا الله فعاش الغلام . فلما رآه أهل

---

(١) الخوابى جمع خابية : وهى الحب (بضم الحاء) ، والحب : جرة ضخمة يجعل فيها الماء والخمر وغيرها .

(٢) هذه الكلمة « وإياه طعاماً » هكذا هى غير منقوطة فى المخطوطة ، وأما المطبوعة ، فإنها جعلتها « وإياه طعاماً » ، ولم أجد لها وجهاً أرتضيه . وقد رأيت كل من نقل خبر السدى قد أسقط هذه الكلمة من روايته ، فأسقطها الثعلبى فى قصص الأنبياء : ٣٤١ ، والبغوى فى تفسيره (بهامش ابن كثير) ٢ : ١٤٦ ، والدر المنثور ٢ : ٣٤ ، وغيرهم . وأنا أستبعد أن تكون زيادة من الناسخ ، وأقطع بأنها ثابتة فى أصل أبى جعفر ، ولكنى لم أجد لها وجهاً من وجوه التصحيف أحلها عليه ، ولكنها ولا شك تعنى : « وهيأ طعاماً » . وأرجو أن يوفق غيرى إلى معرفة صوابها ، وأسأل الله أن يوفقنى إلى مثله .

مملكته قد عاش ، تنادَوْا بالسلاح وقالوا : أكلنا هذا ، حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه ، فيأكلنا كما أكلنا أبوه ! ! فاقتتلوا ، وذهب عيسى وأمُّه ، وصحبهما يهودى . وكان مع اليهودى رغيفان ، ومع عيسى رغيف ، فقال له عيسى : شاركنى . فقال اليهودى : نعم . فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلاَّ رغيف ندم ، فلما ناما جعل اليهودىّ يريد أن يأكل الرغيف ، فلما أكل لقمة قال له عيسى : ما تصنع ؟ فيقول : لا شيء ! فيطرحها ، حتى فرغ من الرغيف كله . فلما أصبحا قال له عيسى : هلمَّ طعامك ! فجاء برغيف ، فقال له عيسى : أين الرغيف الآخر ؟ قال : ما كان معى إلاَّ واحد . فسكت عنه عيسى ، فانطلقوا ، فمرّوا براعى غنم ، فنادى عيسى : يا صاحب الغنم ، أجزِرْنا شاةً من غنمك .[1] ١٩٩/٣ قال : نعم ، أرسل صاحبك يأخذها . فأرسل عيسى اليهودىّ ، فجاء بالشاة فذبحوها وشوَوْها ، ثم قال لليهودى : كل ، ولا تكسِرنّ عظماً . فأكلا .[2] فلما شبعوا ، قذفَ عيسى العظام فى الجلد ، ثم ضربها بعصاه وقال : قومى بإذن الله ! فقامت الشاة تثغو ، فقال : يا صاحبَ الغنم ، خذ شاتك . فقال له الراعى : من أنتَ ؟ فقال : أنا عيسى بن مريم . قال : أنت الساحر ! وفرّ منه . قال : عيسى لليهودى : بالذى أحيى هذه الشاة بعدَ ما أكلناها ، كم كان معك رغيفاً ؟ فحلف ماكان معه إلاَّ رغيف واحد ، فمرُّوا بصاحب بَقر ، فنادى عيسى فقال : يا صاحب البقر ، أجزرنا من بَقرك هذه عجلاً . قال : ابعث صاحبك يأخذه . قال : انطلق يا يهودىّ فجئ به . فانطلق فجاءَ به . فذبحه وشواه وصاحبُ البقر ينظر ، فقال له عيسى : كلْ ولا تكسِرَن عظماً . فلما فرغوا ، قذف العظام فى الجلد ثم ضربه بعصاه ، = وقال : قم بإذن الله . فقام وله خُوارٌ ، قال : خُذ

---

(١) فى المخطوطة : « اجزر شاة » ، والصواب ما فى المطبوعة : أجزره شاة : أعطاه شاة تصلح للذبح . وسيأتى مرة أخرى على الصواب فى حديث البقرة الآتى ، فى المخطوطة .

(٢) خالف بين الضمائر ، فقال « فأكلا » يعنى عيسى وصاحبه ، ثم قال : « فلما شبعوا » ، يعنى عيسى وصاحبه وأمه مريم عليهما السلام . وهذا سياق لا بأس به فى مجاز العربية .

عجلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عيسى . قال : أنت السحّار ! ثم فر منه . قال اليهودى : يا عيسى أحييته بعد ما أكلناه ! قالَ عيسى : فبالذى أحيىَ الشاة بعد ما أكلناها ، والعجلَ بعد ما أكلناه ، كم كان معك رغيفاً ؟ فحلف بالله ما كان معه إلا رغيف واحد . فانطلقا ، حتى نزلا قريةً ، فنزل اليهودى أعلاها وعيسى فى أسفلها ، وأخذ اليهودى عَصا مثل عصا عيسى وقال : أنا الآنَ أحيي الموتى ! وكان ملك تلك المدينة مريضاً شديد المرض، فانطلق اليهودى يُنادى : من يبتغى طبيباً ؟ حتى أتى ملك تلك القرية ، فأخبر بوجعه ، فقال : أدخلونى عليه فأنا أبرئه ، وإن رأيتموه قد مات فأنا أحييه . فقيل له : إن وجع الملك قد أعيىَ الأطباء قبلك ، ليس من طبيب يُداويه ولا يُفِيء دواؤه شيئاً إلاّ أمر به فصلب .[1] قال :أدخلونى عليه ، فإنى سأبرئه . فأدخل عليه فأخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات ، فجعل يضربه بعصاه وهو ميت ويقول : قُم بإذن الله ! فأخذ ليُصْلب ، فبلغ عيسى ، فأقبل إليه وقد رفع على الخشبة ، فقال : أرأيتم إن أحييت لكم صاحبكم ، أتتركون لى صاحبي ؟ قالوا : نعم . فأحيي اللهُ الملكَ لعيسى ، فقام وأنزل اليهودى فقال : يا عيسى أنتَ أعظم الناس علىّ منةً ، والله لا أفارقك أبداً . قال عيسى = فيما حدثنا به محمد بن الحسين بن موسى قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى= لليهودى : أنشُدك بالذى أحيي الشاة والعجلَ بعد ما أكلناهما ، وأحيي هذا بعد ما مات ، وأنزلك من الجِذْع بعد ما رُفعت عليه لتصلب ، كم كان معك رغيفاً ؟ قال : فحلف بهذا كله ما كان معه إلاّ رغيف واحد ، قال : لا بأس ! فانطلقا ، حتى مرّا على كنز قد حفرته السباع والدواب ، فقال اليهودى : يا عيسى ، لمن هذا المال ؟ قال عيسى : دعه ، فإنّ له أهلاً يهلكون عليه . فجعلت نفسُ اليهودى تَطلّعُ

---

(١) أفا يفيء : رد وأرجع . يعنى : لا يرد عليه عافيته . وفى المخطوطة : « لا يفى » ، وهذا صواب قراءتها .

إلى المال ، ويكره أن يعصي عيسى ، فانطلق مع عيسى . ومرّ بالمال أربعة نَفر ، فلما رأوه اجتمعوا عليه ، فقال : اثنان لصاحبيهما : انطلقا فابتاعا لنا طعاماً وشراباً ودوابَّ نحملُ عليها هذا المال . فانطلق الرجلان فابتاعا دوابّ وطعاماً وشراباً ، وقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن نجعل لصاحبينا فى طعامهما سمًّا ، فإذا أكلاماتا ، فكان المال بيني وبينك ؟ فقال الآخر : نعم ! ففعلاَ . وقال الآخران : إذا ما أتيانا بالطعام ، فليقم كل واحد إلى صاحبه فيقتله ، فيكون الطعامُ والدوابّ بيني وبينك . فلما جاءا بطعامهما قاما فقتلاهما ، ثم قعدا على الطعام فأكلامنه ، فماتا . وأعْلِم ذلك عيسى ،[1] فقال لليهودى : أخرجه حتّى نقتسمه . فأخرجه ، فقسمه عيسى بين ثلاثة ، فقال اليهودى : يا عيسى ، اتق الله ولا تظلمنى ، فإنما هو أنا وأنت !! وما هذه الثلاثة ؟ قال له عيسى : هذا لى ، وهذا لك ، وهذا الثلث لصاحب الرغيف . قال اليهودى : فإن أخبرتك بصاحب الرغيف ، تعطينى هذا المال ؟ فقال عيسى : نعم . قال : أنا هو . قال عيسى : خذ حظى وحظّك وحظَّ صاحب الرغيف ، فهو حظك من الدنيا والآخرة . فلما حمله مَشى به شيئاً ، فخُسِف به .[2]

٣/٢٠٠ وانطلق عيسى بن مريم ، فمر بالحواريِّين وهم يصطادون السمك ، فقال : ما تصنعون؟ فقالوا : نصطاد السمك . فقال : أفلا تمشون حتّى نصطادَ الناس ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عيسى بن مريم . فآمنوا به وانطلقوا معه . فذلك قول الله عز وجل : « مَنْ أنصارى إلى الله قال الحواريون نحنُ أنصارُ الله آمنا بالله واشهدْ بأنا مسلمون » .

---

(١) فى المطبوعة : « أعلم ذلك لعيسى » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) قوله : « شيئاً » ، أى قليلا ، كقول سالم بن وابصة الأسدى :

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ ... فإن زادَ شيئاً ، عَادَ ذَاكَ الغِنَى فَقْرَا

وكقول عمر بن أبى ربيعة :

وقالت لَهُنَّ : أَرْبَعْنَ شيئاً ، لَعَلَّنِى ... وَإِن لَامَنِى فِيمَا ارْتَأَيْتَ مُلِيمُ

وهذا من نوادر اللغة ، مما أغفلت بيانه المعاجم .

٧١٢٢ م — حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى، عن عباد بن منصور، عن الحسن فى قوله : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله » ، الآية قال : استنصر فنصرَه الحواريون ، وظهر عليهم .

* * *

وقال آخرون : كان سببُ استنصار عيسى من استنصرَ ، لأن من استنصرَ الحواريِّين عليه كانوا أرادُوا قتله .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٢٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فلما أحس عيسى منهم الكفر » ، قال : كفروا وأرادُوا قتله ، فذلك حين استنصر قومه = « قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصارُ الله » .

* * *

« والأنصار » ، جمع « نصير » ، (١) كما « الأشراف » جمع « شريف » ، « والأشهاد » جمع « شهيد » .

* * *

وأما « الحواريون » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى السبب الذى من أجله سموا « حواريين » .

فقال بعضهم : سموا بذلك لبياض ثيابهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٢٤ — حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال: مما روى أبى قال ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : إنما سمُّوا « الحواريين » ، ببياض ثيابهم .

* * *

(١) انظر تفسير « الأنصار » فيما سلف قريباً : ٤٤٣ ، تعليق : ٢ . والمراجع هناك .

وقال آخرون : سموا بذلك : لأنهم كانوا قَصّارين يبيِّضون الثياب .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٢٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبي أرطاة قال : « الحواريون »، الغسالون الذين يحوّرون الثياب ، يغسلونها .

* * *

وقال آخرون : هم خاصّة الأنبياء وصفوتهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٢٦ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن روح بن القاسم : أن قتادة ذكرَ رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان من الحواريين . فقيل له : من الحواريُّون ؟ قال : الذين تصلح لهم الخلافة .

٧١٢٧ — حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا بشر ، عن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك في قوله : « إذ قال الحواريون » ، قال : أصفياء الأنبياء .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه الأقوال التي ذكرنا في معنى « الحواريين » ، قولُ من قال : « سموا بذلك لبياض ثيابهم ، ولأنهم كانوا غسّالين » . ٢٠١/٣

وذلك أن « الحوَر » عند العرب شدة البياض، ولذلك سمى « الحُوَّارَى » من الطعام « حُوّارَى » لشدة بياضه ،[1] ومنه قيل للرجل الشديد بياض مقلة العينين « أحور » ، وللمرأة « حوراء » . وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سُمُّوا بالذى ذكرنا ، من تبييضهم الثيابَ ، وأنهم كانوا قصّارين ، فعرفوا بصحبة عيسى ، واختياره إياهم لنفسه أصحاباً وأنصاراً ، فجرى ذلك الاسم لهم ، واستُعمل

---

(١) الحوارى (بضم الحاء وتشديد الواو ، وراء مفتوحة) : هو ما حور من الطعام ، أى بيض ، ودقيق حوارى : هو الدقيق الأبيض ، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه .

حتى صار كل خاصّة للرجل من أصحابه وأنصاره : « حواريَّه »، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

٧١٢٨ — « إنّ لكلّ نبي حواريًّا ، وحَواريَّ الزبير » .[1]

* * *

= يعني خاصته . وقد تسمي العرب النساء اللواتي مساكنهن القرَى والأمصار « حَوَاريَّات »، وإنما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن، ومن ذلك قول أبي جَلْدة اليشكري :[2]

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا ... وَلَا تَبْكِنَا إِلَّا الكِلَابُ النَّوَابِحُ[3]

* * *

ويعني بقوله : « قال الحواريون » ، قال هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا ، من تبييضهم الثياب : « آمنا بالله »، صدقنا بالله ، واشهد أنتَ يا عيسى بأنا مسلمون .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله عز وجل أن الإسلامَ دينُه الذي ابتعثَ به

---

(١) الأثر : ٧١٢٨ — ذكره الطبري بغير إسناد ، وهو من صحيح الحديث . أخرجه البخاري في مواضع (الفتح ٦ : ٣٩/٧ : ٦٤ ، ٤١٢ /١٣ : ٢٠٣ ، ٢٠٤) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ١٥ : ١٨٨ . وكان في المطبوعة : « إن لكل نبي حواري » ، وصوابه ما أثبت . والرواية الأخرى بحذف : « إن » أي : « لكل نبي حواري » .

(٢) هو أبو جلدة بن عبيد بن منقذ اليشكري ، من شعراء الدولة الأموية ، كان من أخص الناس بالحجاج ، ثم فارقه وخرج مع ابن الأشعث ، وصار من أشد الناس تحريضاً على الحجاج . فلما قتل وأتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه ، مكث ينظر إليه طويلا ثم قال : كم من سر أودعته هذا الرأس فلم يخرج منه حتى أتيت به مقطوعاً ! !

(٣) المؤتلف والمختلف للآمدي : ٧٩ ، والأغاني ١١ : ٣١١، والوحشيات : ٣٦ ، وحماسة ابن الشجري : ٦٥ ، واللسان (حور) ، وبعده .

بَكَيْنَ إِلَيْنَا خَشْيَةً أَنْ تُبِيحَهَا ... رِمَاحُ النَّصَارَى والسُّيُوفُ الجوارحُ

بَكَيْنَ لِكَيْمَا يَمْنَعُوهُنَّ مِنْهُمُ ... وَتَأْبَى قُلُوبٌ أَضْمَرَتْهَا الجَوَانِحُ

يقولها تحريضاً وتحضيضاً على قتال أهل الشام .

عيسى والأنبياءَ قبله ، لا النصرانية ولا اليهوديةَ = وتبرئةٌ من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها ، كما برّأ إبراهيم من سائر الأديان غير الإسلام . وذلك احتجاجٌ من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم على وفد نجران ، كما : —

٧١٢٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « فلما أحسّ عيسى منهم الكفر » والعدوان[١] = « قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله » ، وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضلَ من ربهم = « واشهد بأنا مسلمون » ، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه — يعنى وفدَ نصارَى نجران .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز وجل عن الحواريين أنهم قالوا : « ربنا آمنا » ، أى : صدّقنا = « بما أنزلت » ، يعنى : بما أنزلتَ على نبيك عيسى من كتابك = « واتبعنا الرسول » ، يعنى بذلك : صرنا أتباع عيسى على دينك الذى ابتعثته به ، وأعوانه على الحق الذى أرسلتَه به إلى عبادك = وقوله : « فاكتبنا مع الشاهدين » ، يقول : فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق ، وأقرُّوا لك بالتوحيد ، وصدّقوا رسلك ، واتبعوا أمرك ونهيك ، فاجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك ، وأحِلَّنا محلهم ، ولا تجعلنا ممن كفر بك ، وصدَّ عن سبيلك ، وخالف أمرك ونهيك .

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « والعدوان عليه » .

(٢) الأثر : ٧١٢٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧١١٩ .

يعرّف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيلَ الذين رضى أقوالهم وأفعالهم ، ليحتذوا طريقهم ، ويتبعوا منهاجهم ، فيصلوا إلى مثل الذى وصلوا إليه من درجات كرامته = ويكذّب بذلك الذين انتحلوا من الملل غير الحنيفية المسلمة ، فى دعواهم على أنبياء الله أنهم كانوا على غيرها = ويحتجُّ به على الوفد الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجران : بأنّ قِيلَ مَنْ رضى الله عنه من أتباع عيسى كان خلاف قيلهم ، ومنهاجهم غير منهاجهم ، كما : —

٢٠٢/٣

٧١٣٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » ، أى : هكذا كان قولهم وإيمانهم .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومكر الذين كفروا من بنى إسرائيل ، وهم الذين ذكر الله أنّ عيسى أحسّ منهم الكفر .

* * *

وكان مكرهم الذى وصفهم الله به ، مُواطأة بعضهم بعضاً على الفتك بعيسى وقتْله . وذلك أن عيسى صلوات الله عليه ، بعد إخراج قومه إياه وأمّه من بين أظهُرِهم ، عاد إليهم ، فيما : —

٧١٣١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم إن عيسى سار بهم = يعنى : بالحواريين الذين كانوا

(١) الأثر : ٧١٣٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، هو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧١٢٩ .

يصطادون السمك ، فآمنوا به واتبعوه إذ دعاهم = حتى أتى بنى إسرائيل ليلاً ، فصاح فيهم ، فذلك قوله : ﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾ الآية [سورة الصف : ١٤] .

* * *

وأما مكر الله بهم : فإنه — فيما ذكر السدى — إلقاؤه شبه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى ، وهم يحسبونه عيسى ، وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك ، كما : —

٧١٣٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم إن بنى إسرائيل حصروا عيسى وتسعةَ عشر رجلاً من الحواريّين فى بيت ، فقال عيسى لأصحابه : من يأخذ صورتى فيقتل وله الجنة ؟ فأخذها رجل منهم ، وصُعِد بعيسى إلى السماء ، فذلك قوله : « ومكرُوا ومكر الله والله خير الماكرين » . فلما خرج الحواريون أبصرُوهم تسعةَ عشر ، فأخبروهم أن عيسى قد صُعد به إلى السماء ، فجعلوا يعدّون القوم فيجدُونهم ينقصون رجلاً من العِدّة ، ويرون صورةَ عيسى فيهم ، فشكُّوا فيه . وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يُرَوْن أنه عيسى وصَلبوه ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٥٧] .

* * *

وقد يحتمل أن يكون معنى « مكر الله بهم » ، استدراجُه إياهم ليبلغ الكتاب أجله ، كما قد بينا ذلك فى قوله الله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ١٥] .(٢)

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٣٠١ — ٣٠٦.

القول في تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتلَ عيسى = مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم = إذ قال الله جل ثناؤه : « إني متوفيك » ، فـ « إذ » صلةٌ من قوله : « ومكر الله » ، يعني : ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ، فتوفاه ورفعه إليه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في معنى « الوفاة » التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية .

فقال بعضهم : « هي وفاة نَوْم »، وكان معنى الكلام على مذهبهم : إني مُنيمك ورافعك في نومك .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٣٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « إني متوفيك » ، قال : يعني وفاةَ المنام ، رفعه الله في منامه = قال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود : إن عيسَى لم يمتْ ، وإنه راجعٌ إليكم قبل يوم القيامة .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إني قابضك من الأرض ، فرافعك إليّ . قالوا : ومعنى « الوفاة »، القبض ، كما يقال : « توفَّيت من فلان مالي عليه » ، بمعنى : قبضته واستوفيته . قالوا : فمعنى قوله : « إني متوفيك ورافعك »، أي : قابضك من ٢٠٣/٣

(١) الأثر : ٧١٣٣ — هو أثر مرسل ، خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٦ ، ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم ، وساقه ابن كثير في تفسيره ٢ : ١٥٠ بإسناد ابن أبي حاتم .

الأرض حيًّا إلى جواري ، وآخذُك إلى ما عندى بغير موت ، ورافعُك من بين المشركين وأهل الكفر بك .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٣٤ — حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر الورّاق فى قول الله : « إنى متوفيك » ، قال : متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت .(١)

٧١٣٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « إنى متوفيك » ، قال : متوفيك من الأرض .

٧١٣٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا » ، قال : فرفعه إياه إليه ، توفّيه إياه ، وتطهيره من الذين كفروا .

٧١٣٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح : أن كعب الأحبار قال : ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم ، إنما بعثه الله داعياً ومبشراً يدعو إليه وحده ، فلما رأى عيسى قِلة من اتبعه وكثرة من كذّبه ، شكا ذلك إلى الله عز وجل ، فأوحى الله إليه : « إنى متوفيك ورافعك إلىّ » ، وليس مَنْ رفعته عندى ميتاً ، وإنى سأبعثك على الأعوَر الدجّال فتقتله ، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة ، ثم أميتك ميتة الحىّ . قال كعب الأحبار : وذلك يصدّق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث

---

(١) الأثر : ٧١٣٤ — « على بن سهل الرملى » ، ثقة . مضت ترجمته رقم : ١٣٨٤ . « ضمرة ابن ربيعة الفلسطينى الرملى » ، قال ابن سعد : « كان ثقة مأموناً خيراً ، لم يكن هناك أفضل منه » . وقال آدم بن أبى إياس : « ما رأيت أحداً أعقل لما يخرج من رأسه منه » . وهو راوية ابن شوذب . مترجم فى التهذيب . « ابن شوذب » هو : عبد الله بن شوذب الخراسانى . ثقة . مترجم فى التهذيب . و « مطر الوراق » هو : مطر بن طهمان الوراق . مضى فى رقم : ١٩١٣ .

قال : كيف تهلك أمة أنا فى أوّلها ، وعيسى فى آخرها .[1]

٧١٣٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « يا عيسى إنى متوفيك » ، أى : قابضُك .

٧١٣٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنى متوفيك ورافعك إلىّ » ، قال : « متوفيك » : قابضك = قال : « ومتوفيك » و« رافعك » ، واحدٌ = قال : ولم يمت بعدُ ، حتى يقتل الدجالَ ، وسيموتُ . وقرأ قول الله عز وجل : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » ، قال : رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلا = قال : وينزل كهلا .

٧١٤٠ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قول الله عز وجل : « يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى » ، الآية كلها ، قال : رفعه الله إليه ، فهو عنده فى السماء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إنى متوفيك وفاةَ موتٍ .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٤١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنى متوفيك » ، يقول : إنى مميتك .

٧١٤٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه اليمانى أنه قال : توفى الله عيسى بن مريم ثلاثَ ساعات من النهار حتى رفعه إليه .

---

(١) الأثر : ٧١٣٧ — خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٦ ، ونسبه للطبرى وحده ، وقال : « وأخرج ابن جرير بسند صحيح » ، وذكر الأثر ، وحديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث مرسل ، ومهما كان سنده صحيحاً ، فإن روايته كعب الأحبار إنما هى لا شىء ، ولا يحتج بها . وصدق معاوية فى قوله فى كعب الأحبار : « إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » ، رواه البخارى .

٧١٤٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار ، ثم أحياهُ الله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك . إذ قال الله يا عيسى إنى رافعك إلىّ ومطهِّرك من الذين كفروا ، ومتوفيك بعد إنزالى إياك إلى الدنيا . وقال : هذا من المقدم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قولُ من قال : « معنى ذلك : إنى قابضك من الأرض ورافعك إلىّ » ، لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث فى الأرض مدة ذكرَها ، اختلفت الرواية فى مبلغها ، ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه .

٣/٢٠٤

٧١٤٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن مسلم الزهرى، عن حنظلة بن على الأسلمى ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليهبطنّ اللهُ عيسى بن مريم حَكَماً عدلاً وإماماً مُقْسِطاً ، يكسر الصَّليب ، ويقتل الخنزير ، ويضَعُ الجزية ، ويُفيضُ المالَ حتى لا يجد من يأخذه ، وليسلكنّ الرَّوْحاء حاجاً أو معتمراً ، أو ليُثَنِّيَنَّ بهما جميعاً . [1]

---

(١) الحديث : ٧١٤٤ — سلمة : هو ابن الفضل الأبرش . رجحنا توثيقه فى : ٢٤٦ .

حنظلة بن على بن الأسقع الأسلمى — ويقال « السلمى » — : تابعى ثقة معروف .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٧٨٩٠ (ج ٢ ص ٢٩٠ — ٢٩١ حلبى) ، بنحوه ، مطولا ، عن يزيد ، وهو ابن هرون ، عن سفيان ، وهو ابن حسين ، عن الزهرى ، عن حنظلة .

ورواه أحمد قبل ذلك ، مختصراً : ٧٢٧١ ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة . و : ٧٦٦٧ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر — كلاهما عن الزهرى ، عن حنظلة .

ورواه أيضاً مختصراً : ١٠٦٧١ (ج ٢ ص ٥١٣) ، من طريق ابن أبى حفصة . و : ١٠٩٨٧ (ج ٢ ص ٥٤٠) ، من طريق الأوزاعى — كلاهما عن الزهرى ، عن حنظلة .

٧١٤٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الحسن ابن دينار ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأنبياء إخوةٌ لعَلّاتٍ ، أمّهاتهم شتى ودينهم واحد . وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وأنه خليفتي على أمتي . وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه : فإنه رجل مربوع الخلق ، إلى الحمرة والبياض ، سَبط الشعر ، كأن شعرَه يقطُر ، وإن لم يصبه بَللٌ ، بين مُمصَّرَتين ، يدق الصَّليبَ ، ويقتل الخنزير ، ويُفيضُ المال ، ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه المِللَ كلها ، ويهلك الله في زمانه مسيحَ الضّلالة الكذّاب الدجال ، وتقعُ في الأرض الأمَنَةُ حتى ترتع الأسُود مع الإبل ، والنمر مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، وتلعب الغلمانُ بالحيات ، لا يَضرُّ بعضُهم بعضاً ؛ فيثبت في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ، ويصلي المسلمون عليه ويدفنونه .[1]

* * *

وهذه الرواية المختصرة عند أحمد — رواها مسلم ١ : ٣٥٦ — ٣٥٧ .

وروى أحمد معنى هذا الحديث مفرقاً في أحاديث ، من طرق عن أبي هريرة . انظر المسند : ٧٢٦٧ ، ٧٦٦٥ ، ٧٦٦٦ ، ٩١١٠ (ج ٢ ص ٣٩٤) ، ٩٣١٢ (ص ٤١١) ، ١٠٢٦٦ (ص ٤٨٢ — ٤٨٣) ، ١٠٤٠٩ (ص ٤٩٣ — ٤٩٤) ، ١٠٩٥٧ (ص ٥٢٨) .

وذكر ابن كثير كثيراً من طرقه ورواياته ، في التفسير ٣ : ١٥ — ١٦ . وانظر أيضاً تاريخه ٢ : ٩٦ — ١٠١

قوله : « أو ليثنين بهما » — هذا هو الصواب الثابت في المخطوطة ، والصحيح المعنى . ووقع في المطبوعة « أو يدين بهما » ! ! وهو تخليط لا معنى له .

(١) الحديث : ٧١٤٥ — إسناده ضعيف جداً . وأصل الحديث صحيح ، كما سيأتي .

الحسن بن دينار البصري : كذاب لا يوثق به . وقد مضت ترجمته في : ٦٨٢ .

عبد الرحمن بن آدم البصري ، صاحب السقاية ، مولى أم برثن : تابعي ثقة . ذكره ابن حبان في الثقات ، وأخرج له مسلم في صحيحه . وترجمنا له في شرح المسند : ٧٢١٣ .

والحديث سيأتي بإسناد آخر صحيح : من رواية سعيد — وهو ابن أبي عروبة — عن قتادة بهذا الإسناد نحوه (ج ٦ ص ١٦ بولاق) .

وقد رواه أحمد في المسند : ٩٢٥٩ (ج ٢ ص ٤٠٦ حلبي) ، عن عفان ، عن همام ، عن قتادة ، به نحوه .

قال أبو جعفر : ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل ، لم يكن بالذى يميته ميتةً أخرى ، فيجمع عليه ميتتين ، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يُميتهم ثم يُحييهم ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَىْءٍ ﴾ [سورة الروم : ٤٠] .

* * *

وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٥٩٥ ، من طريق عفان . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكر ابن كثير فى التفسير ٣ : ١٦ ، من رواية أحمد عن عفان . ثم أشار إلى أن أبا داود رواه من طريق همام ، ثم أشار إلى رواية الطبرى الآتية ، من طريق ابن أبى عروبة .

ورواه أحمد أيضاً : ٩٦٣٠ (ج ٢ ص ٤٣٧) ، من طريق سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، به نحوه .

ثم رواه : ٩٦٣١ ، من طريق هشام ، و : ٩٦٣٢ ، من طريق شيبان — كلاهما عن قتادة . ولم يذكر لفظه .

ونقله ابن كثير فى التاريخ ٢ : ٩٨ — ٩٩ ، عن رواية ابن أبى عروبة فى المسند ، وأشار إلى روايتى أحمد وأبى داود من طريق همام .

وليس فى هذه الروايات ولا فى رواية الطبرى الآتية — : الكلمة التى هنا فى رواية الحسن بن دينار : « وإنه خليفتى على أمتى » . وهى عندنا كلمة شاذة ، انفرد بروايتها رجل غير موثوق به .

وصدر هذا الحديث رواه أحمد ، والبخارى ، وابن حبان ، من أوجه ، عن أبى هريرة . انظر تفسير ابن كثير ٣ : ١٦ ، وتاريخه ٢ : ٩٨ — ٩٩ .

قوله : « إخوة لعلات » — بفتح العين المهملة وتشديد اللام — قال ابن الأثير : « أولاد العلات : الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد . أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة » .

قوله : « وإنه نازل » — لنزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان : مما لم يختلف فيه المسلمون ، لورود الأخبار المتواترة الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك . وقد ذكر ابن كثير فى تفسير طائفة طيبة منها ، ج ٣ ص ١٥ — ٢٤ . وهذا معلوم من الدين بالضرورة ، لا يؤمن من أنكره .

قوله : « مربوع الخلق » — بفتح الخاء وسكون اللام — المربوع : هو بين الطويل والقصير . يقال : رجل ربعة ومربوع .

« الشعر السبط » : المنبسط المسترسل .

قوله « بين ممصرتين » — الممصرة من الثياب ، بتشديد الصاد المهملة المفتوحة : هى التى فيها صفرة خفيفة .

فتأويل الآية إذاً : قال الله لعيسى : يا عيسى ، إنى قابضك من الأرض ، ورافعك إلىّ ، ومطهرك من الذين كفروا فجحدوا نبوّتك .

* * *

وهذا الخبر ، وإن كان مخرجه مخرجَ خبر ، فإن فيه من الله عز وجل احتجاجاً على الذين حاجُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى من وفد نجرانَ بأن عيسى لم يُقتَل ولم يُصلَب كما زعموا، وأنهم واليهودَ الذين أقرُّوا بذلك وادّعوا على عيسى — كذَّبة فى دعواهم وزعمهم ، كما : —

٧١٤٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : ثم أخبرهم — يعنى الوفد من نجران — وردّ عليهم فيما أقرُّوا لليهود بصلبه ،[1] كيفَ رفعه وطهره منهم ، فقال : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ » .[2]

* * *

وأما « مطهِّرك من الذين كفروا » ، فإنه يعنى : منظّفك، فمخلّصك ممن كفر بك ، وجحد ما جئتهم به من الحق من اليهود وسائر الملل غيرها ، كما : —

٧١٤٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ومطهرك من الذين كفروا » ، قال : إذْ همُّوا منك بما همّوا .[3]

٧١٤٨ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، ٣/٢٠٥

---

(١) فى المطبوعة : « فيما أخبروا هم واليهود بصلبه » ، وما أثبته هو نص المخطوطة ولكن الناسخ أساء كعادته فكتب « أحروا لليهود » كأنها حاء ، فبدل الناشر لما شاء كما شاء . ومع ذلك، فالذى فى المخطوطة هو نص ابن هشام أيضاً على الصواب .

(٢) الأثر : ٧١٤٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧١٣٠ .

(٣) الأثر : ٧١٤٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، تتمة الأثر السالف رقم : ٧١٤٦ .

عن الحسن فى قوله : « ومطهرك من الذين كفروا » ، قال : طهَّره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وجاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملَّتك من الإسلام وفطرته، فوق الذين جحدوا نبوّتك وخالفوا سبيلهم [من] جميع أهل الملل ،[1] فكذّبوا بما جئت به وصدّوا عن الإقرار به ، فمصيِّرهم فوقهم ظاهرين عليهم ، كما : —

٧١٤٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، هم أهلُ الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسُنّته ، فلا يزالون ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة .

٧١٥٠ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع فى قوله : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة»، ثم ذكر نحوه .

٧١٥١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « وخالفوا بسبيلهم جميع أهل الملل »، وفى المخطوطة : « وخالفوا سبيلهم جميع وهل الملل » ، والصواب زيادة [من] ، يعنى : وخالفوا سبيل الذين اتبعوك ، من جميع أهل الملل . أهو صواب المعنى ، إن شاء الله .

ابن جريج : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، ثم ذكر نحوه .

٧١٥٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، قال : ناصرُ من اتبعك على الإسلام ، على الذين كفروا إلى يوم القيامة .

٧١٥٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، أما « الذين اتبعوك » ، فيقال : هم المؤمنون ، = ويقال : بل هم الرّوم .[1]

٧١٥٤ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، قال : جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . قال : المسلمون من فوقهم ، وجعلهم أعلى ممن ترك الإسلام إلى يوم القيامة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٥٥ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله : « ومطهرك من الذين كفروا » ، قال : الذين كفروا من بني إسرائيل = « وجاعل الذين اتبعوك » ، قال : الذين آمنوا به من بني إسرائيل وغيرهم = « فوق الذين كفروا » ، النصارى فوقَ اليهود إلى يوم القيامة . قال : فليس بلدٌ فيه أحدٌ من النصارى ، إلاّ وهم فوق يهودَ ، في شرقٍ ولا غرب ، هم في البلدان كلّها مستذلون .

* * *

(١) في المطبوعة : « فيقال هم المؤمنون ، ليس هم الروم » بدل ما في المخطوطة ، والروم كانوا هم النصارى يومئذ ، ويعني بالمؤمنين فيما سلف ، أهل الإسلام ممن لم يبدل ولم يقل في عيسى ما قالت النصارى بعد .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ثم إلىّ » ، ثم إلى الله ، أيها المختلفون فى عيسى = « مرجعكم » ، يعنى : مصيركم يوم القيامة = « فأحكم بينكم » ، يقول : فأقضى حينئذ بين جميعكم فى أمر عيسى بالحق = « فيما كنتم فيه تختلفون » من أمره .

وهذا من الكلام الذى صُرف من الخبر عن الغائب إلى المخاطبة ، وذلك أن قوله : « ثم إلىّ مرجعكم » ، إنما قُصد به الخبرُ عن متَّبعى عيسى والكافرين به . وتأويل الكلام : وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلىّ مرجعُ الفريقين : الذين اتبعوك ، والذين كفروا بك ، فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون . ولكن ردَّ الكلام إلى الخطاب لسبوق القول ،[1] على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرج على وجه الحكاية ، كما قال : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] .[2]

٢٠٦/٣

* * *

(١) فى المطبوعة : « لسوق القول » وهو خطأ لا معنى له . وفى المخطوطة « لسوق » غير منقوطة ، فلم يحسن قراءتها . والطبرى يكثر استعمال « سبوق » مصدر « سبق » ، كما أشرت إليه فى ٤ : ٢٨٧ ، تعليق : ٤/ ثم ص : ٤٢٧ ، تعليق : ١/ ثم ص : ٤٤٦ ، تعليق : ٤ ، وغيره من المواضع . ويعنى بقوله : « لسبوق القول » مثل ما مضى من قوله فى ١ : ١٥٣ أن من شأن العرب « إذا حكت ، أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول ، أن تخاطب ثم تخبر عن غائب ، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب ، لما فى الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب » . والقول هنا هو قوله تعالى : « إذ قال الله يا عيسى . . . » . ومعنى ما قال الطبرى ، أن قوله تعالى : « ثم إلى مرجعكم . . . » إنما هو فى أمر الذين اختلفوا فى أمر عيسى ، وقالوا فيه ما قالوا من اليهود والنصارى وغيرهم ، وأمر الذين قالوا فيه الحق ولم يمتروا فيه أنه عبد الله ورسوله . وذلك بعد أن كان الخطاب إلى عيسى نفسه ، وكان ذكر الذين اتبعوه والذين كفروا به ، غائباً فى خطاب عيسى ، فرد الخطاب إليهم فى آخر الآية .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٥٣ ، ٣/١٥٤ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ ، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فأما الذين كفروا » ، فأما الذين جحدوا نبوّتك يا عيسى ، وخالفوا ملتك ، وكذّبوا بما جئتهم به من الحق ، وقالوا فيك الباطلَ ، وأضافوك إلى غير الذى ينبغى أن يُضيفوك إليه ، من اليهود والنصارى وسائر أصناف الأديان ، فإنى أعذبهم عذاباً شديداً ، أما فى الدنيا فبالقتل والسباء والذلة والمسكنة ، وأما فى الآخرة فبنار جهنم خالدين فيها أبداً = «ومالهم من ناصرين» ، يقول : وما لهم من عذاب الله مانعٌ ، ولا عن أليم عقابه لهم دافع بقوة ولا شفاعة ، لأنه العزيز ذُو الانتقام .

* * *

وأما قوله : « وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، فإنه يعنى تعالى ذكره : وأما الذين آمنوا بك يا عيسى — يقول : صدّقوك — فأقروا بنبوتك وبما جئتهم به من الحقّ من عندى ، ودانوا بالإسلام الذى بعثتك به ، وعملوا بما فرضتُ من فرائضى على لسانك ، وشرعتُ من شرائعى ، وسننتُ من سننى ، كما : —

٧١٥٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وعملوا الصالحات » ، يقول : أدوا فرائضى .

* * *

= « فيوفيهم أجورَهم » ، يقول : فيعطيهم جزاءَ أعمالهم الصالحة كاملا ، لا يُبخسون منه شيئاً ولا يُنقصونه .

* * *

وأما قوله : « والله لا يحب الظالمين » ، فإنه يعنى : والله لا يحبُّ من ظلم غيرَه حقاً له ، أو وضع شيئاً فى غير موضعه .

فنفى جل ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عبادَه ، فيجازىَ المسىءَ ممن كفر جزاءَ المحسنين ممن آمن به ، أو يجازىَ المحسنَ ممن آمن به واتبعَ أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه ، جزاءَ المسيئين ممن كفر به وكذّب رسله وخالف أمره ونهيه . فقال : إنى لا أحبّ الظالمين ، فكيف أظلم خلقى ؟

* * *

وهذا القول من الله تعالى ذكره ، وإن كان خرج مخرج الخبر ، فإنه وعيدٌ منه للكافرين به وبرسله ، [1] ووعد منه للمؤمنين به وبرسله ، [2] لأنه أعلم الفريقين جميعاً أنه لا يبخسُ هذا المؤمن حقه ، ولا يظلمُ كرامته فيضعها فيمن كفر به وخالف أمره ونهيه ، فيكون لها بوضعها فى غير أهلها ظالماً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ذلك » ، هذه الأنباءَ التى أنبأ بها نبيه عن عيسى وأمِّه مريم ، وأمِّها حَنَّة وزكريا وابنه يحيى ، وما قصَّ من أمر الحواريين واليهودَ من بنى إسرائيل = « نتلوها عليك » ، يا محمد ، يقول : نقرؤها عليك يا محمد على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم ، [3] بوحيناها إليك = « من

---

(١) فى المطبوعة : « كأنه وعيد منه » ، وهو خطأ بين ، لم يحسن قراءة المخطوطة لسوء خط الناسخ .

(٢) فى المخطوطة : « ووعيد منه للمؤمنين » ، وهو خطأ بين ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٣) انظر معنى « التلاوة » فيما سلف ٢ : ٤١١ ، ٥٦٩ .

الآيات »، يقول : من العبر والحجج على من حاجَّك من وفد نصارى نجران ،[1] ويهود بنى إسرائيل الذين كذَّبوك وكذبوا ما جئتهم به من الحق من عندى = « والذِّكر »، يعنى : والقرآن[2] = « الحكيم »، يعنى : ذى الحكمة الفاصلة بين الحقّ والباطل ،[3] وبينك وبين ناسبي المسيح إلى غير نسبه ، كما : — ٢٠٧/٣

٧١٥٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » ، القاطع الفاصل الحقّ ، الذى لم يخلطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلنّ خبراً غيره .[4]

٧١٥٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك: « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم »، قال: القرآن.

٧١٥٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله: « والذكر » ، يقول : القرآن = « الحكيم » الذى قد كَمَلَ فى حكمته .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : إن شبه عيسى فى خلقى إياه من غير فحل = فأخبرْ به ، يا محمد ، الوفدَ من نصارى نجران = عندى ، كشبه آدمَ الذى

---

(١) انظر معنى « الآيات » ، فيما سلف قريباً ، ومادة (أيى) من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « الذكر » فيما سلف ١ : ٩٤ ، ٩٩ .

(٣) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف ، فى مادة (حكم) من فهارس اللغة .

(٤) الأثر : ٧١٥٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، وهو من تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧١٤٧ ، وكان فى المطبوعة : « فلا يقبلن » بالياء ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .

خلقتُه من تراب ثم قلت له : « كن » ، فكان من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى . يقول : فليس خلقُ عيسى من أمه من غير فحل ، بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وأمرى إذ أمرته أن يكون فكان لحماً . يقول : فكذلك خلقُ عيسى : أمرتُه أن يكون فكانَ .[1]

* * *

وذكر أهل التأويل أن الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجاً لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوفد من نصارى نجران الذين حاجُّوه في عيسى .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٦٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عامر قال : كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى في عيسى قولاً ، فكانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية في سورة آل عمران : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، إلى قوله « فنجعل لعنةَ الله على الكاذبين » .

٧١٦١ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، وذلك أن رهطاً من أهل نجران قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم = وكان فيهم السيِّد والعاقب = فقالوا لمحمد : ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال : من هو ؟ قالوا : عيسَى ، تزعم أنه عبدُ الله ! فقال محمد :

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى (فكان لحماً يقول) ، وأمرى إذ أمرته أن يكون فكان . فكذلك خلق عيسى . . . » وهي عبارة مضطربة اضطراباً فاسداً جداً ، وذلك أن الناسخ عجل نظره وهو ينسخ فكتب ما وضعته بين القوسين آنفاً في هذا المكان ثم استمر يكتب ، ثم نسي أن يضرب على هذا الكلام ويعيده إلى مكانه فإن قوله : « وأمرى إذ أمرته » معطوف على قوله « بأعجب من خلق آدم » ، وغير ممكن أن يفصل بينهما بمثل قوله : « فكان لحماً يقول » ، واستظهرت أن مكانها حيث أثبت في آخر الجملة ، فرددتها إلى مكانها ، فاستقام الكلام إن شاء الله .

أجل ، إنه عبد الله . قالوا له : فهل رأيت مثلَ عيسى ، أو أنبئت به ؟ ثم خرجوا من عنده ، فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بأمر ربِّنا السميع العليم فقال : قل لهم إذا أتوك : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم » ، إلى آخر الآية .

٧١٦٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، ذكر لنا أنّ سيِّدَىْ أهل نجران وأسقُفَّيْهم : السيد والعاقبُ ، لقيا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن عيسى فقالا : كل آدمى له أب ، فما شأن عيسى لا أب له ؟ فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

٧١٦٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » ، لما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع به أهل نجران ، أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم . منهم : العاقب ، والسيد ، وما سَرجس ، ومار يحز .[1] فسألوه ما يقول ٣/٢٠٨

---

(١) هكذا جاء الاسمان فى المخطوطة والمطبوعة ، أما « ماسرجس » فالمشهور « مَارَ سَرْجِسَ » ، وهكذا رأيته فى أشعارهم كقول جرير للأخطل :

قال الأُخَيْطِلُ إِذْ رَأَى رَايَاتِهِمْ   يَا مَارَ سَرْجِسَ لا نُرِيدُ قِتَالَا

ويقولون فيه أيضاً : « مارسرجيس » بالياء ، كما قال الأخطل :

لَمَّــا رَأَوْنَا وَالصَّلِيبَ طَالِعاً   وَمَارَ سَرْجِيسَ وسمًّا ناقِعاً

وهذا الذى ذكره جرير والأخطل رجل مشهور من قديسيهم . وأما « ماريحز » ، فلم أعرف ضبطه وأظنه غير صحيح ، وكأنه مصحف ، وقد جاء فى الدر المنثور ٢ : ٣٧ « مار بحر » ، وقد ذكر ابن هشام فى سيرته ٢ : ٢٢٤ ، أسماء الأربعة عشر الذين يؤول إليهم وفد نصارى نجران . فلم أجد فيها « مارسرجس » ، ولا « مار يحز » ، وأخشى أن يكون « ماريحنس » فقد ذكر فيهم « يحنس » ، ولكنه رجم لا أحققه .

فى عيسى ، فقال : هو عبد الله ورُوحهُ وكلمته . قالوا هم : لا! ولكنه هو الله ، نزل من ملكه فدَخل فى جوف مريم ، ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمرَه! فهل رأيتَ قط إنساناً خُلق من غير أب ؟ فأنزل الله عز وجل : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

٧١٦٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : «إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، قال : نزلت فى العاقب والسيد من أهل نجران ، وهما نصرانيان . = قال ابن جريج : بلغنا أنّ نصارى أهل نجران قدم وفدُهم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فيهم السيد والعاقبُ ، وهما يومئذ سيدا أهل نجران ، فقالوا : يا محمد ، فيم تشتمُ صاحبنا ؟ قال : من صاحبكما ! قالا : عيسى بن مريم ، تزعم أنه عبد ! قال رسول الله صلى الله عليه : أجل ، إنه عبدُ الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه . فغضبوا وقالوا : إن كنت صادقاً فأرنا عبداً يحيى الموتى ، ويبرئ الأكمه ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه ، الآية ، لكنه الله . فسكتَ حتى أتاه جبريلُ فقال : يا محمد : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة : ١٧ ، ٧٢] الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ، إنهم سألونى أن أخبرَهم بمثَل عيسى . قال جبريل : مثلُ عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كُن فيكون . فلما أصبحوا عادُوا ، فقرأ عليهم الآيات .

٧١٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « إن مثل عيسى عند الله » ، فاسمع ،[1] « كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين » ، فإن قالوا :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فاسمع » ، وفى سيرة ابن هشام : « فاستمع » .

خَلْق عيسى من غير ذكر ، فقد خلقت آدمَ من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كانَ عيسى لحماً ودماً وشعراً وَبشراً ، فليس خلقُ عيسى من غير ذكر بأعجبَ من هذا .(١)

٧١٦٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله عز وجل : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » ، قال : أتى نجرانيَّان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له : هل علمتَ أنّ أحداً وُلد من غير ذكر ، فيكون عيسى كذلك ؟ قال : فأنزل الله عز وجل : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، أكان لآدم أب أو أم ! ! كما خلقت هذا في بطن هذه ؟

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فكيف قال : « كمثل آدم خلقه » ، « وآدم » معرفة ، والمعارفُ لا تُوصَل ؟

قيل : إن قوله : « خلقه من تراب » غير صلة لآدم ،(٢) وإنما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذى ضربه ، وكيف كان .(٣)

* * *

وأما قوله: « ثم قال له كن فيكون » ، فإنما قال : « فيكون » وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم ، وذلك خبر عن أمر قد تقضَّى ، وقد أخرجَ الخبر عنه مُخرَجَ الخبر عما قد مضَى فقال جل ثناؤه : « خلقه من تراب ثم قال له كن » ، لأنه بمعنى الإعلام من الله نبيَّه أن تكوينه الأشياء بقوله: « كن » ، ثم قال : « فيكون » ، ٣/٢٠٩

(١) الأثر : ٧١٦٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها رقم : ٧١٥٧ ، ولكن أبا جعفر اختصر كلام ابن إسحق هنا ، ولكنه سيسوقه وما حذف منه ، برقم : ٧١٦٩ .

(٢) يعني بقوله « صلة » التابع ، وهو النعت بالجملة . فإن شرط النعت بالجملة أن يكون المنعوت نكرة لفظاً أو معنى ، وأن يكون في الجملة ضمير ملفوظ أو مقدر يربطها بالموصوف ، وأن تكون الجملة خبرية . فهذه ثلاثة شروط ، أحدها في المنعوت ، وشرطان في جملة النعت .

(٣) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للفراء ١ : ٢١٩ .

خبراً مبتدأ ، وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله : « كنْ » .[١]

فتأويل الكلام إذاً : « إن مثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن » ، واعلم ، يا محمد ، أن ما قال له ربك « كن » ، فهو كائن .

فلما كان في قوله : « كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن » ، دلالةٌ على أن الكلام يرادُ به إعلام نبي الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه أنه كائن ما كوّنه ابتداءً من غير أصل ولا أوّل ولا عُنصر ، استغنى بدلالة الكلام على المعنى ، وقيل : « فيكون » ، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى .

* * *

وقد قال بعض أهل العربية : « فيكون » ، رفع على الابتداء ، ومعناه : كن فكان ، فكأنه قال : فإذا هو كائن .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : الذي أنبأتك به من خبر عيسى ، وأنّ مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له ربه «كن» = هو الحق من ربك ، يقول : هو الخبر الذي هو من عند ربك = « فلا تكن من الممترين » ، يعني : فلا تكن من الشاكين في أنّ ذلك كذلك ،[٢] كما : —

٧١٦٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الحق من ربك فلا تكن من الممترين » ، يعني : فلا تكن في شكٍّ من عيسى أنه كمثل آدم ، عبدُ الله ورسوله ، وكلمةُ الله ورُوحه .

(١) انظر الفقرتين الآتيتين ، ففيهما تفسير هذه الجملة السالفة . ولقد بين الطبري عنها بياناً شافياً قل أن تظفر بمثله في كتاب من كتب التفسير أو غيرها . والمذهب الذي ذهب إليه أبو جعفر في تفسيره ، هو عندي أرجح من القول الآتي ، وهو الذي اشتهر في كتب التفسير .

(٢) انظر تفسير « الامتراء » ، وتفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ٣ : ١٩٠ ، ١٩١ .

٧١٦٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: «الحق من ربك فلا تكن من الممترين»، يقول: فلا تكن في شكّ مما قصصنا عليك أنّ عيسى عبدُ الله ورسوله، وكلمةٌ منه ورُوحٌ، وأنّ مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تُراب ثم قال له كن فيكون.

٧١٦٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: «الحق من ربك»، ما جاءك من الخبر عن عيسى = «فلا تكن من الممترين»، أي: قد جاءك الحق من ربك فلا تمترِ فيه.[1]

٧١٧٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «فلا تكن من الممترين»، قال: والممترون الشاكون.

* * *

«والمرية» «والشك» «والريب»، واحد سواءٌ، كهيئة ما تقول: «أعطني» «وناولني» «وهلم»، فهذا مختلف في الكلام وهو واحد.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: «فمن حاجك فيه»، فمن جادلك، يا محمد، في المسيح عيسى بن مريم.[2]

* * *

والهاء في قوله: «فيه»، عائدة على ذكر عيسى. وجائز أن تكون عائدة

---

(١) الأثر: ٧١٦٩ – سيرة ابن هشام ٢: ٢٣١، ٢٣٢، وهو تتمة الآثار التي آخرها رقم: ٧١٦٥، فانظر التعليق على هذا الأثر. وفي سيرة ابن هشام «فلا تمترين فيه»، وهي أجود.

(٢) انظر تفسير «حاج» فيما سلف ٣: ١٢٠، ١٢١ / ٥: ٤٢٩ / ٦: ٢٨٠

على « الحق » الذى قال تعالى ذكره : « الحقّ من ربك » .

* * *

ويعنى بقوله : « من بعد ما جاءك من العلم » ، من بعد ما جاءك من العلم الذى قد بيَّنته لك فى عيسى أنه عبد الله = « فقل تعالوا » ، هلموا فلندع =[1] « أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل » ، يقول : ثم نلتعن .

* * *

يقال فى الكلام : « مالهُ ؟ بَهَلَه الله » أى : لعنه الله = « وماله؟ عليه بُهْلَةُ الله » ، يريد اللعن ، وقال لبيد ، وذكر قوماً هالكوا فقال :

* نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَابْتَهَلْ *[2]

يعنى : دعا عليهم بالهلاك .

* * *

= « فنجعل لعنة الله على الكاذبين » منا ومنكم فى أنه عيسى ، [3] كما : —

---

(١) انظر تفسير « تعالوا » فيما يلى ص : ٤٨٣ ، ٤٨٥

(٢) ديوانه قصيدة ٣٩ ، البيت : ٨١ وأساس البلاغة (بهل) ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٤٥ ، من قصيدة مضى بعض أبياتها ، وهى من شعره الذى رثى فيه أربد :

وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِي ... وَمِنَ الأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلْ

مُمْقِرٌ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ ، ... وَعَلَى الأَدْنَيْنَ حُلْوٌ كَالْعَسَلْ

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ... نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَابْتَهَلْ

وهذا التفسير الذى ذكره الطبرى لمعنى بيت لبيد ، جيد . وجيد أيضاً تفسير الزمخشرى فى أساس البلاغة قال : « فاجتهد فى إهلاكهم » . وكأن أجود تفسير للابتهال أن يقال : هو الاسترسال فى الأمر ، والاجتهاد فيه ، ومعنى البيت : فاسترسل فى أمرهم ، واجتهد فى إهلاكهم فأفناهم . وأما قوله : « نظر الدهر إليهم » ، فقد قال الجوهرى وغيره : « نظر الدهر إلى بنى فلان فأهلكهم » ، فقال ابن سيده : « هو على المثل ، وقال : ولست على ثقة منه » . وقال الزمخشرى : « ونظر الدهر إليهم : أهلكهم » ، وهو تفسير سيء ، إذا لم يكن فى نسخة الأساس تحريف . وصواب المعنى أن يقال : « نظر الدهر إليهم » ، نظر إليهم مكبراً أفعالهم ، فحسدهم على مآثرهم وشرفهم . كما يقال : « هو سيد منظور » ، أى ترمقه الأبصار إجلالا وإكباراً . وإنما فسرته بالحسد ، لأنهم سموا الحسد « العين » ، فيقال : « عان الرجل يعينه عيناً ، فهو معين ومعيون » ، والنظر بالعين لا يزال مستعملا فى الناس بمعنى الحسد ، وإنما أغفل شارحو بيت لبيد هذا المعنى .

(٣) فى المطبوعة : « فى آية عيسى » ، وهذا لا معنى له هنا والصواب ما فى المخطوطة ، وإنما أراد :

٧١٧١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، أى : فى عيسى : أنه عبدُ الله ورسوله ، من كلمة الله وروحه = « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » ، إلى قوله : « على الكاذبين » . ٢١٠/٣

٧١٧٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، أى : من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره = « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » ، الآية .[1]

٧١٧٣ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، يقول : من حاجك فى عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم .

٧١٧٤ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ، قال : منا ومنكم .

٧١٧٥ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، وحدثنى ابن لهيعة ، عن سليمان بن زياد الحضرمى ، عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى : أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ليتَ بينى وبينَ أهل نجرانَ حجاباً فلا أراهم ولا يرونى ! منْ شدّة ما كانوا يمارون النبى صلى الله عليه وسلم .[2]

* * *

الكاذبين منا ومنكم فى أنه عيسى عبد الله ورسوله ، لا أنه « الله » تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقد مضى فى الأثر رقم ٧١٦٤ ، قولهم : « ولكنه الله » .

(١) الأثر : ٧١٧٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٢ ، وهو من تتمة الآثار التى آخرها : ٧١٦٩ .

(٢) الحديث : ٧١٧٥ — سليمان بن زياد الحضرمى المصرى : تابعى ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وقال أبو حاتم : « شيخ صحيح الحديث » .

عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله الزبيدى : صحابى نزل مصر ، وهو آخر من مات بها من الصحابة .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٦٣﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن هذا الذى أنبأتك به ، يا محمد ، من أمر عيسى فقصصته عليك من أنبائه ، وأنه عبدى ورسولى وكلمتى ألقيتها إلى مريم وروح منّى ، لهو القصَص والنبأ الحق، فاعلم ذلك . واعلم أنه ليس للخلق معبودٌ يستوجبُ عليهم العبادةَ بملكه إياهم إلاّ معبودك الذى تعبُدُه ، وهو الله العزيز الحكيم .

* * *

ويعنى بقوله : « العزيز » ، العزيز فى انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ، وادعى معه إلهاً غيرَه ، أوعبد ربًّا سواه [1] = « الحكيم » فى تدبيره ، لا يدخل ما دبره وَهَنٌ ، ولا يلحقه خللٌ .[2]

* * *

« فإن تولوا » ، يعنى : فإن أدبر هؤلاء الذين حاجُّوك فى عيسى ، عما جاءك من الحق من عند ربك فى عيسى وغيره من سائر ما آتاك الله من الهدى والبيان ،

و « جزء » : بفتح الجيم وسكون الزاى بعدها همزة . و « الزبيدى » : بضم الزاى ، نسبة إلى القبيلة .
ووقع هنا فى الإسناد قول ابن وهب : « وحدثنى ابن لهيعة » — ومثل هذا يكون كثيراً فى الأسانيد : يحدث الرجل عن شيوخه بالأحاديث ، فيذكرها بحرف العطف ، عطف حديث على حديث ، وإسناد على إسناد . فإذا حدث السامع عن الشيخ ، فقد يحذف حرف العطف وقد يذكره . والأمر قريب .
والحديث رواه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ، ص : ٣٠١ ، بنحوه ، عن عبد الملك بن مسلمة ، وأبى الأسود النضر بن عبد الجبار — كلاهما عن ابن لهيعة ، بهذا الإسناد .
وذكره السيوطى ٢ : ٣٨ ، عن ابن جرير وحده .
(١) انظر تفسير « العزيز » فيما سلف ٣ : ٨٨/ ٦ : ١٦٥ ، ١٦٨ ، ٢٧١
(٢) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف قريباً : ٤٦٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

فأعرضوا عنه ولم يقبلوه =[1] « فإن الله عليم بالمفسدين »، يقول: فإن الله ذو علم بالذين يعصون ربهم ، ويعملون فى أرضه وبلاده بما نهاهم عنه ، وذلك هو إفسادهم.[2] يقول تعالى ذكره : فهو عالم بهم وبأعمالهم ، يحصيها عليهم ويحفظها ، حتى يجازيهم عليها جزاءَهم .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٧٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « إنّ هذا لهو القصص الحق »، أى : إن هذا الذى جئتَ به من الخبر عن عيسى ، = « لهو القصَص الحقّ » ، من أمره .[3]

٧١٧٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « إنّ هذا لهو القصص » ، إن هذا الذى قلنا فى عيسى = « لهو القصَص الحق » .

٧١٧٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنّ هذا لهو القصص الحق » ، قال : إن هذا القصصَ الحقّ فى عيسى ، ما ينبغى لعيسى أن يتعدَّى هذا ولا يُجاوزَه : أنْ يتعدّى أن يكون كلمة الله ألقاها إلى مريم ،[4] وروحاً منه ، وعبدَ الله ورسوله .

٢١١/٣

٧١٧٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إنّ هذا لهو القصص الحق »، إنّ هذا الذى قلنا فى

---

(١) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢ — ١٦٤ ، ٢٩٨ / ٣ : ١٣١ / ٤ : ٢٣٧/٦ : ٢٨٣، ٢٩١ .

(٢) انظر معنى « الفساد » فيما سلف ١ : ٢٨٧ ، ٤١٦/٤ : ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤/٥ : ٣٧٢ .

(٣) الأثر : ٧١٧٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٢ ، هو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧١٧٢ .

(٤) فى المطبوعة : « ولا يجاوز أى يتعدى . . . » ، والصواب ما فى المخطوطة

عيسى ، هو الحق = « وما من إله إلا الله » ، الآية .

* * *

فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الوفد من نصارى نجران، بالقضاء الفاصل والحكم العادل، أمرَه [1] =إن هم تولوا عما دعاهم إليه من الإقرار بوحدانية الله، وأنه لا ولد له ولا صاحبة، وأنّ عيسى عبدُه ورسوله ، وأبوا إلاّ الجدلَ والخصومة =[2] أن يدعوَهم إلى الملاعنة . ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انخزلوا فامتنعوا من الملاعنة ، ودعوا إلى المصالحة ، كالذى : —

٧١٨٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عامر قال : فأمر — يعني النبي صلى الله عليه وسلم — بملاعنتهم — يعني : بملاعنة أهل نجران — بقوله : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، الآية . فتواعدوا أن يلاعنوه وواعدوه الغدَ . فانطلقوا إلى السيد والعاقب ، وكانا أعقلهم ، فتابعاهم . فانطلقوا إلى رجل منهم عاقل ، فذكروا له ما فارقوا عليه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما صنعتم ! ! وندَّمهم ،[3] وقال لهم : إن كان نبيًّا ثم دعا عليكم لا يغضبُه الله فيكم أبداً، ولئن كان ملِكاً فظهر عليكم لا يستبقيكم أبداً.[4] قالوا : فكيف لنا وقد واعدنا ! فقال لهم : إذا غدوتم إليه فعرض عليكم الذى فارقتموه عليه ، فقولوا : « نعوذُ بالله » ! فإن دعاكم أيضاً فقولوا له : « نعوذ بالله » ! ولعله أن يعفيَكم من ذلك . فلما غدَوْا غدَا النبيّ صلى الله عليه وسلم محتضناً حسَناً آخذاً بيد الحسين ، وفاطمة تمشي خلفه . فدعاهم إلى الذى فارقوه عليه بالأمس،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأمره . . . » بالواو ، وهى زائدة مفسدة ، فأسقطتها .

(٢) سياق الجملة : « أمره . . . أن يدعوهم إلى الملاعنة » ، وما بينهما فصل .

(٣) قوله « ندمهم » (مشددة الدال) لامهم حتى حملهم على الأسف والندم . وهذا لفظ عربى عريق قل أن تظفر به فى كثير من كتب اللغة .

(٤) فى المطبوعة : « لا يستبقينكم » ، بزيادة النون ، والصواب من المخطوطة .

فقالوا : « نعوذ بالله » ! ثم دعاهم فقالوا : « نعوذ بالله » ! مراراً قال : فإن أبيتم فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين كما قال الله عز وجل ، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون كما قال الله عز وجل. قالوا : ما نملك إلاّ أنفسنا ! قال: فإن أبيتم فإنى أنبذ إليكم على سواء كما قال الله عز وجل . قالوا : ما لنا طاقة بحرب العرب ، ولكن نؤدّى الجزية . قال : فجعل عليهم فى كل سنة ألفى حلة : ألفاً فى رجب ، وألفاً فى صفر . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد أتانى البشير بهلكة أهل نجران ،(١) حتى الطير على الشجر = أو : العصافيرُ على الشجر = لو تمُّوا على الملاعنة .(٢)

=حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير قال : فقلت للمغيرة : إن الناس يروُون فى حديث أهل نجران أن عليًّا كان معهم ! فقال : أما الشعبى فلم يذكره ، فلا أدرى لسوء رأى بنى أمية فى علىّ ، أو لم يكن فى الحديث !(٣)

٧١٨١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « إنّ هذا لهو القصص الحق » إلى قوله : « فقولوا اشهدُوا بأنا مسلمون » ، فدعاهم إلى النَّصَف ،(٤) وقطع عنهم الحجة . فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من الله عنه ، والفصلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأمره بما أمره به من ملاعنتهم إنْ ردُّوا عليه =(٥) دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر فى أمرنا ، ثم نأتيك بما نُريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رَأيهم ،(٦) فقالوا : يا عبد المسيح ، ما ترى ؟ قال :

(١) فى المطبوعة : « قد أتانى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « تم على الشيء » استمر عليه وأمضاه .

(٣) هذه الفقرة من تتمة الأثر السالف ، فلذلك لم أفردها بالترقيم .

(٤) النصف والنصفة (كلاهما بفتحتين) : هو الإنصاف ، وإعطاء الحق لصاحبك كالذى تستحق لنفسك .

(٥) فى المخطوطة : « أو ردوا عليه » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المطبوعة مطابقاً لسيرة ابن هشام ، وفيها : « إن ردوا ذلك عليه » .

(٦) « ذو رأيهم » ، صاحب الرأى والتدبير ، يستشار فيما يعرض لهم لعقله وحسن رأيه .

٢١٢/٣ والله يا معشر النصارى ، لقد عرفتم أنَّ محمداً لنبيٌّ مرسل ،[١] ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم : ما لاعن قَومٌ نبيًّا قط فبقى كبيرُهم ولا نبتَ صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلْفَ دينكم ، والإقامةَ على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم ، فوادِعوا الرجلَ ، ثم انصرفوا إلى بلادكم حتى يريكم زمنٌ رَأيه .[٢] فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا أن لا نلاعنَكَ، وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضَاهُ لنا ، يحكم بيننا فى أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رِضًى [٣]

٧١٨٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عيسى بن فرقد ، عن أبى الجارود ، عن زيد بن على فى قوله : « تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » الآية ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وعلىٌّ وفاطمة والحسن والحسين .[٤]

---

(١) فى المطبوعة : « أن محمد نبي مرسل » ، وهو خطأ ، وتحريف لما فى المخطوطة كما أثبتها ، وهو المطابق أيضاً لما فى سيرة ابن هشام .

(٢) قوله : « حتى يريكم زمن رأيه » ليست فى سيرة ابن هشام . ويعنى بذلك : حتى يمضى زمن ، وتتقلب أحوال ، فترون عاقبة أمره ، صلى الله عليه وسلم ، وقد قال شارح السيرة ، السهيلى ، فى الروض الأنف ٢ : ٥٠ « وفى حديث أهل نجران ، زيادة كثيرة عن ابن إسحق ، من غير رواية ابن هشام » .

(٣) الأثر : ٧١٨١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧١٧٦ ، يقال : « رجل رضى من قوم رضى » ، أى مرضى ، وصف بالمصدر مثل رجل عدل ، كما قال زهير :

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ : هُمُ بَيْنَنَا ، فَهُمْ رِضًى ، وهُمُ عَدْلُ

(٤) الأثر : ٧١٨٢ — « عيسى بن فرقد المروزى » ، أبو مطهر . روى عنه عمرو بن رافع ، وابن حميد ، قال ابن أبى حاتم « سألت أبى عنه فقال : مروزى . قلت : ما حاله ؟ قال : شيخ » . مترجم فى ابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٢٨٤ و « أبو الجارود » هو زياد بن المنذر الهمدانى . قال ابن معين : « كذاب ، عدو الله ، ليس يسوى فلساً » . وكان رافضياً يضع الحديث فى مثالب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويروى فى فضائل أهل البيت رضى الله عنهم أشياء ما لها أصول . لا يحل كتب حديثه ، وهو من غلاة الشيعة ، وله فرقة تعرف بالجارودية

٧١٨٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، الآية ، فأخذ — يعنى النبيّ صلى الله عليه وسلم — بيد الحسن والحسين وفاطمة ، وقال لعلى : اتبعنا . فخرجَ معهم . فلم يخرج يومئذ النصارَى ، وقالوا : إنا نخاف أن يكون هذا هو النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وليس دعوة النبيّ كغيرها ! ! فتخلفوا عنه يومئذ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو خرجوا لاحترقوا ! فصالحوه على صلح : على أنّ له عليهم ثمانين ألفاً ، فما عجزت الدراهم ففى العُرُوض : الحُلة بأربعين = وعلى أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً ، وثلاثاً وثلاثين بعيراً ، وأربعة وثلاثين فرساً غازيةً كلّ سنة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَامنٌ لها حتى نُؤدّيها إليهم .

٧١٨٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم دعا وفداً من وفد نجران من النصارى ، وهم الذين حاجوه ، فى عيسى ، فنكصُوا عن ذلك وخافوا = وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : والذى نفس محمد بيده ، إن كان العذاب لقد تدلّى على أهل نجران ، ولو فعلوا لاستُؤصلوا عن جديد الأرض .[1]

٧١٨٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » ، قال : بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم خرج ليُداعى أهل نجران ،[2] فلما رأوه خرج ، هابوا وفَرِقوا فرَجعوا = قال معمر ، قال قتادة : لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أهلَ نجران ، أخذَ بيد حسن وحسين وقال لفاطمة : اتبعينا . فلما رأى ذلك أعداءُ الله ، رجعوا .

---

(١) جديد الأرض ، وجدها (بفتح الجيم وكسرها) وجددها (بفتحات) : هو وجه الأرض .

(٢) فى المطبوعة : « خرج ليلاعن أهل نجران » ، قرأ « ليداعى » « ليلاعن » ، و « يداعى » من « الدعاء » ، يعنى هذه المباهلة والملاعنة .

٧١٨٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزرى، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : لو خرج الذين يُباهلون النبيَّ صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً.

٧١٨٧ — حدثنا أبوكريب قال، حدثنا زكريا، عن عدى قال، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله.

٧١٨٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَالذى نفسى بيده، لو لاعنونى ما حال الحول وبحضرتهم منهم أحدٌ إلاَّ أهلك الله الكاذبين. ٢١٣/٣

٧١٨٩ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثنا ابن زيد قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو لاعنت القوم، بمن كنتَ تأتى حين قلت : «أبناءَنا وأبناءَكم» ؟ قال : حسن وحسين.

٧١٩٠ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال، حدثنا المنذر بن ثعلبة قال، حدثنا علباء بن أحمر اليشكرى قال : لما نزلت هذه الآية : «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم»، الآية، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علىّ وفاطمةَ وابنيهما الحسن والحسين، ودعا اليهود ليُلاعنهم، فقال شاب من اليهود، ويحكم ! أليس عهدُكم بالأمس إخوانُكم الذين مُسخوا قردةً وخنازير ؟ ! لا تُلاعنوا ! فانتهَوْا.[1]

* * *

(١) الأثر : ٧١٩٠ — «المنذر بن ثعلبة بن حرب الطائى»، ذكره ابن حبان فى الثقات. مترجم فى التهذيب. و «علباء بن أحمر اليشكرى» روى عن عكرمة مولى ابن عباس. قال أحمد : «لا بأس به، لا أعلم إلا خيراً»، وذكره ابن حبان فى الثقات. مترجم فى التهذيب.

هذا وأحاديث هذا الباب كلها مرسلة، كما رأيت، إلا خبر ابن عباس.

القول فى تأويل قوله ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل » ، يا محمد ، لأهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والإنجيل = «تعالوا » ، هلموا [١] = « إلى كلمة سواء » ، يعنى : إلى كلمة عدل بيننا وبينكم ، [٢] والكلمة العدل ، هى أن نوحِّد الله فلا نعبد غيره ، ونبرأ من كل معبود سواه ، فلا نشرك به شيئاً .

=وقوله : « ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً » ، يقول : ولا يدين بعضُنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصى الله ، ويعظِّمه بالسجود له كما يسجدُ لربه = « فإن تولوا » ، يقول : فإن أعرضوا عما دعوتَهم إليه من الكلمة السواء التى أمرْتك بدعائهم إليها ، [٣] فلم يجيبوك إليها = « فقولوا » ، أيها المؤمنون ، للمتولِّين عن ذلك = « اشهدوا بأنا مسلمون » .

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت فى يهود بنى إسرائيل الذين كانوا حوالى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك :

٧١٩١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبىَّ الله صلى الله عليه وسلم دعا يهودَ أهل المدينة إلى الكلمة السواء ، وهم الذين حاجوا فى إبراهيم .

---

(١) انظر تفسير « تعالوا » فيما سلف قريباً : ٤٧٤ ، وسيأتى ص : ٤٨٥

(٢) انظر تفسير « سواء » فيما سلف ١ : ٢٥٦ / ٢ : ٤٩٥ — ٤٩٧

(٣) انظر معنى « تولى » فيما سلف قريباً ص : ٤٧٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

٧١٩٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ذكر لنا أنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم دَعا اليهود إلى كلمة السَّواء .

٧١٩٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهودَ أهل المدينة إلى ذلك ، فأبوا عليه ، فجاهدهم = قال : دعاهم إلى قول الله عز وجل : « قل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ، الآية .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت في الوفد من نصارى نجران .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٩٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم» الآية ، إلى قوله : « فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ، قال : فدعاهم إلى النَّصَف ، وقطع عنهم الحجةَ — يعني وفد نجران .[1]

٧١٩٥ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . — يعني الوفدَ من نصارى نجران — فقال : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ، الآية .

٢١٤/٣ ٧١٩٦ — حدثني يونس قال ، أخبرني ابن وهب قال ، حدثنا ابن زيد قال قال : يعني جل ثناؤه : « إنّ هذا لهو القصص الحقّ » ، في عيسى = على ما قد بيناه فيما مضى =[2] قال : فأبوا — يعني الوفدَ من نجران — فقال : ادعهم إلى أيسر من هذا ، قل : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ،

(١) الأثر ٧١٩٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٢ ، ومضى أيضاً برقم : ٧١٨١ ، وهو من بقية الآثار التي آخرها رقم : ٧١٨١ .
(٢) يعني الأثر السالف رقم : ٧١٧٨ .

فقرأ حتى بلغ : « أرباباً من دون الله » ، فأبوا أن يقبلوا هذا ولا الآخر .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا عنى بقوله : « يا أهل الكتاب » ، أهلَ الكتابين ، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب ، ولم يخصص جل ثناؤه بقوله : « يا أهل الكتاب » بعضاً دون بعض . فليس بأن يكون موجَّهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهلُ التوراة ، بأولى منه بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل ، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دُون غيرهم من أهل التوراة . وإذ لم يكن أحدُ الفريقين بذلك بأولى من الآخر = لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر ، ولا أثر صحيح = فالواجب أن يكون كل كتابيٍّ معنيًّا به . لأن إفرادَ العبادة لله وحدَه وإخلاصَ التوحيد له ، واجبٌ على كل مأمور منهيٍّ من خلق الله . واسم « أهل الكتاب » ، يلزم أهل التوراة وأهل الإنجيل ،[1] فكان معلوماً بذلك أنه عنى به الفريقان جميعاً .

* * *

وأما تأويل قوله : « تعالوا » ، فإنه : أقبلوا وهلمُّوا .[2]

وإنما « هو تفاعلوا » من « العلوّ » فكأن القائل لصاحبه : « تعالَ إليّ » ، قائلٌ « تفاعل » من « العلوّ » ،[3] كما يقال : « تَدَانَ مني » من « الدنوّ » ، و « تقارَبْ مني » ، من « القرب » .

* * *

(١) في المطبوعة : « وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الإنجيل » ، غير ما في المخطوطة حين لم يحسن قراءة ما فيه من التصحيف ، وكان في المخطوطة : « وأنتم أهل الكتاب يلزم أهل التوراة وأهل الإنجيل » صحف الكاتب فكتب مكان « واسم » ، « وأنتم » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) قد فسر أبو جعفر « تعالوا » في موضعين سلفا ص : ٤٧٤ ، ص : ٤٨٣ ، ولكنه استوفى هنا الكلام في بيانها ، ولا أدري لم يفعل مثل ذلك ، وكان الأولى أن يفسرها أول مرة .

(٣) في المطبوعة : « فكأن القائل تعالى إلى ، فإنه تفاعل من العلو » ، لأنه لم يفهم ما كان في المخطوطة ، فبدله ، ووضع علامة (٣) للدلالة على أنه خطأ لا معنى له ، أو سقط في الكلام . والصواب ما أثبت .

وقوله : « إلى كلمة سواء » . فإنها الكلمة العدلُ ، « والسَّواء » من نعتِ « الكلمة » . [١]

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى وجه إتباع « سواء » فى الإعراب « الكلمة » ، وهو اسمٌ لا صفة .

فقال بعض نحويى البصرة : جر «سواء» لأنها من صفة « الكلمة » وهى العدل ، وأراد : مستوية . قال : ولو أراد « استواء » ، كان النصب . وإن شاء أن يجعلها على « الاستواء » ويجرّ ، جاز ، ويجعله من صفة « الكلمة » ، مثل « الخلق » لأن « الخلق » هو « المخلوق » . « والخلق » قد يكونُ صفةً واسماً . ويجعل « الاستواء » مثل « المستوى » ، قال عز وجل : ﴿ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ [سورة الحج ٢٥]، لأن « السواء» للآخر ، وهو اسمٌ ليس بصفة فيجرى على الأول ، وذلك إذا أراد به « الاستواء » . فإن أراد به « مستوياً » جاز أن يُجرَى على الأول . والرفع فى ذا المعنى جيدٌ ،لأنها لا تغيَّر عن حالها ولا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث ، فأشبهت الأسماء التى هى مثل « عدل » و «رضًى »و «جُنُب» ، وما أشبه ذلك. وقالوا : [فى قوله] : [٢]﴿ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ [سورة الجاثية : ٢١]، فـ«السواء» للمحيا والممات بهذا ، المبتدأ .

وإن شئت أجريته على الأول ، وجعلتَه صفة مقدمة ، كأنها من سبب الأول

(١) انظر تفسير « سواء » فيما سلف قريباً ص ٤٨٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الزيادة التى بين القوسين ، زدتها ليستقيم الكلام ويستبين ، وأخشى أن يكون فى هذه الجملة سقط لم أستطع أن أتبينه ، وراجع قول أبى جعفر فى هذه الآية من تفسيره ٢٥ : ٨٩ ، ٩٠ (بولاق) .

فجرت عليه . وذلك إذا جعلته فى معنى « مستوى » . والرفع وجه الكلام كما فسَّرتُ لك .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة . « سواء » مصدرٌ وضع موضع الفعل ،[1] يعنى موضع « متساوية » : و«متساو » ، فمرة يأتى على الفعل ، ومرّةً على المصدر . وقد يقال فى « سواء » ، بمعنى عدل : « سِوًى وسُوًى » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ و﴿ سِوًى ﴾ [سورة طه : ٥٨] ، يراد به : عدل ونصَفٌ بيننا وبينك . وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ ذلك ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾.[2]

* * *

٢١٥/٣ وبمثل الذى قلنا فى تأويل قوله : « إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ، بأن « السواء » هو العدل ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٩٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ، عدل بيننا وبينكم = « ألا نعبد إلاّ الله » ، الآية .

٧١٩٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً » ، بمثله .[3]

* * *

(١) « الفعل » ، يعنى به الصفة المشتقة مثل فاعل ومفعول ، كما هو ظاهر هنا ، وراجع فهرس المصطلحات .

(٢) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٢٠ .

(٣) الأثر : ٧١٩٨ — فى المخطوطة : « و . . ولا نشرك به شيئاً » الآية ، وليس فيها « بمثله » ، زادها الناشر أو ناسخ قبله ، لما رأى الأثر غير تام ، وهو صنيع حسن ، وإن كنت لا أرتضيه . وظنى أنه قد سقط من الناسخ الأول بقية التفسير .

وقال آخرون : هو قولُ : « لا إله إلا الله » .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٩٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال، قال أبو العالية : «كلمة السواء»، لا إله إلا الله .

* * *

وأما قوله : « ألاّ نعبُدَ إلا الله »، فإنّ « أنْ » في موضع خفض على معنى : تعالوا إلى أنْ لا نعبد إلاّ الله .[1]

* * *

وقد بينا — معنى « العبادة » في كلام العرب فيما مضى، ودللنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وأما قوله : « ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً »، فإنّ « اتخاذ بعضهم بعضاً »، ما كان بطاعة الأتباع الرؤساءَ فيما أمروهم به من معاصي الله،[3] وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله، كما قال جل ثناؤه : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً وَاحِداً ﴾ [سورة التوبة : ٣١]، كما : —

٧٢٠٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج : « ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله »، يقول : لا يطع بعضُنا بعضاً في معصية الله . ويقال إنّ تلك الرُّبوبية : أن يطيعَ الناس سادتَهم وقادتَهم في غير عبادة، وإن لم يصلُّوا لهم .

* * *

(١) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٢٠، فانظر تمامها هناك .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٦٠، ١٦١، ٣/٣٦٢ : ١٢٠، ٣١٧ .

(٣) في المطبوعة : « هو ما كان بطاعة الأتباع . . . » بزيادة « هو »، وليست في المخطوطة .

وقال آخرون : « اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً » ، سجودُ بعضهم لبعض .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٠١ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : «ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » ، قال : سجود بعضهم لبعض .

* * *

وأما قوله : « فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ، فإنه يعني : فإن تولّى الذين تدعوهم إلى الكلمة السواء عنها وكفروا ، فقولوا أنتم ، أيها المؤمنون ، لهم : اشهدوا علينا بأنا = بما تولّيتم عنه ، من توحيد الله ، وإخلاص العبودية له ، وأنه الإلهُ الذي لا شريك له = « مسلمون » ، يعني : خاضعون لله به ، متذلّلون له بالإقرار بذلك بقلوبنا وألسنتنا .

* * *

وقد بينا معنى « الإسلام » فيما مضى ، ودللنا عليه بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « يا أهل الكتاب » ، يا أهل التوراة والإنجيل = « لم تحاجون » ، لم تجادلون = « في إبراهيم » وتخاصمون فيه ، يعني : في إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه .

وكان حِجاجهم فيه : ادّعاءُ كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٥١٠، ٥١١/٣ : ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ١١٠/ثم ٦ : ٢٧٥، ٢٨٠ .

منهم ، وأنه كان يدين دينَ أهل نِحْلته . فعابهم الله عز وجل بادّعائهم ذلك ، ودلّ على مُناقضتهم ودعواهم ، فقال : وكيف تدّعون أنه كان على ملتكم ودينكم ، ودينُكم إما يهودية أو نصرانية ، واليهودى منكم يزعُم أنّ دينه إقامةُ التوراة والعملُ بما فيها ، والنصرانى منكم يزعم أنّ دينه إقامةُ الإنجيل وما فيه ، وهذان كتابان لم ينزلا إلاّ بعد حين من مَهلِك إبراهيم ووفاته ؟ فكيف يكون منكم ؟ وما وجه اختصامكم فيه ، (١) وادعاؤكم أنه منكم ، والأمر فيه على ما قد علمتم ؟

٢١٦/٣

* * *

وقيل : نزلت هذه الآية فى اختصام اليهود والنصارى فى إبراهيم ، وادعاء كل فريق منهم أنه كان منهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٠٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنى محمد بن إسحق =وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق = قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : اجتمعت نصارى نجران وأحبارُ يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيمُ إلاّ يهوديًّا ! وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا ! فأنزل الله عز وجل فيهم : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراةُ والإنجيل إلاّ من بعده أفلا تعقلون » ، قالت النصارى : كان نصرانيًّا ! وقالت اليهود : كان يهوديًّا ! فأخبرهم الله أنّ التوراة والإنجيل ما أنزِلا إلا من بعده ، وبعده كانت اليهودية والنصرانية . (٢)

(١) فى المخطوطة : « فكيف يكون منهم ، أما وجه اختصامكم فيه . . . » ، وهو خطأ من عجلة الناسخ وصححه فى المطبوعة ، ولكنه كتب « فما وجه اختصامكم فيه » ، وهو ليس بشىء ، والصواب ما أثبت .

(٢) الأثر : ٧٢٠٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠١ ، ٢٠٢ مختصراً ، والأثر الذى قبله فيما روى الطبرى من سيرة ابن إسحق ، هو ما سلف رقم : ٦٧٨٢ .

٧٢٠٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أهل الكتاب لم تحاجُّون فى إبراهيم » ، يقول : « لم تحاجون فى إبراهيم » وتزعمون أنه كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ، = « وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده » ، فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الإنجيل ، = « أفلا تعقلون » ؟

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى دعوى اليهود إبراهيم أنه منهم.

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٠٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة إلى كلمة السواء ، وهم الذين حاجُّوا فى إبراهيم ، وزعموا أنه مات يهوديًّا ، فأكذبهم الله عز وجل ونفاهم منه فقال : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلامن بعده أفلا تعقلون » .

٧٢٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٧٢٠٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم » ، قال : اليهود والنصارى ، برّأه الله عز وجل منهم ، حين ادعت كل أمة أنه منهم ، [1] وألحق به المؤمنين ، مَنْ كان من أهل الحنيفية .

٧٢٠٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : «حين ادعى» ، وهو سبق قلم من الناسخ .

وأما قوله : « أفلا تعقلون » فإنه يعني : «أفلا تعقلون» ، تفقهون خطأ قيلكم : إنّ إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ، وقد علمتم أنّ اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مَهلكه بحين ؟

* * *

القول في تأويل قوله ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٦)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : «ها أنتم» ، القومَ الذين [1] [قالوا في إبراهيم ما قالوا = « حاججتم »]، [2] خاصمتم وجادلتم [3] = « فيما لكم به علم» ، من أمر دينكم الذي وجدتموه في كتبكم ، وأتتكم به رسل الله من عنده ، وفي غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته [4] = « فلم تحاجون» ، يقول : فلم تجادلون وتخاصمون = « فيما ليس لكم به علم » ، يعني : في الذي لا علم لكم به من أمر إبراهيم ودينه ، ولم تجدوه في كتب الله ، ولا أتتكم به أنبياؤكم ، ولا شاهدتموه فتعلموه ؟ كما : —

٢١٧/٣

٧٢٠٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجُّون فيما

---

(١) في المطبوعة : « يعني بذلك جل ثناؤه : ها أنتم هؤلاء ، القوم . . . » ، ومثله في المخطوطة ، وليس فيها « هؤلاء » ، وصواب السياق يقتضي أن يكون كما أثبت . وقوله : « القوم » مفعول به لقوله : « يعني . . . » .

(٢) هذه الزيادة التي بين القوسين ، أو ما يقوم مقامها ، لا بد منها ، ولا يستقيم الكلام إلا بها ، وظاهر أن الناسخ قد تخطى عبارة أو سطراً من فرط عجلته أو تعبه . واستظهرتها من نهج أبي جعفر وسياق تفسيره .

(٣) انظر تفسير « حاج » فيما سلف ٣ : ١٢٠ ، ١٢١ ، ٢٠٠/٥ : ٤٢٩/٦ : ٢٨٠ ، ٤٧٣

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « ومن غير ذلك » ، والصواب ما أثبت ، تصحيف لناسخ .

ليس لكم به علم ، أما « الذى لهم به علم » ، فما حرّم عليهم وما أمروا به . وأما « الذى ليس لهم به علم » ، فشأن إبراهيم .

٧٢٠٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم » ، يقول : فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم = « فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم » ، فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاينوا = « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

٧٢١٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

وقوله : « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ، يقول : والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه ، ولم تأتكم به رسلُه من أمر إبراهيم وغيره من الأمور ومما تجادلون فيه ، لأنه لا يغيب عنه شىء ، ولا يعزُبُ عنه علم شىء فى السموات ولا فى الأرض = « وأنتم لا تعلمون » ، من ذلك إلا ما عاينتم فشاهدتم ، أو أدركتم علمه بالإخبار والسَّماع .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : وهذا تكذيبٌ من الله عز وجل دعوَى الذين جادلوا فى إبراهيم وملته من اليهود والنصارى ، وادّعوا أنه كان على ملتهم = وتبرئة لهم منه ، وأنهم لدينه مخالفون = وقضاءٌ منه عز وجل لأهل الإسلام ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل دينه ، وعلى منهاجه وشرائعه ، دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم .

يقول الله عز وجل : = ما كان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولا كان من المشركين ، [١] الذين يعبدون الأصنامَ والأوثانَ أو مخلوقاً دون خالقه الذي هو إله الخلق وبارئهم = « ولكن كان حنيفاً » ، يعني : متبعاً أمرَ الله وطاعته ، مستقيماً على محجَّة الهدى التي أُمِر بلزومها = « مسلماً » ، يعني : خاشعاً لله بقلبه ، متذللا له بجوارحه ، مذعناً لما فرَض عليه وألزمه من أحكامه . [٢]

* * *

وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى « الحنيف » فيما مضى ، ودللنا على القول الذي هو أولى بالصحة من أقوالهم ، بما أغنى عن إعادته . [٣]

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢١١ — حدثني إسحق بن شاهين الواسطي قال ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر قال : قالت اليهود : إبراهيم على ديننا . وقالت النصارى : هو على ديننا . فأنزل الله عز وجل : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً » الآية ، فأكذبهم الله ، وأدحض حجتهم — يعني : اليهودَ الذين ادَّعوا أن إبراهيم ماتَ يهودياً . [٤]

٧٢١٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

---

(١) في المطبوعة : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » ، ساق الآية كقراءتها ، وذلك لأن ناسخ المخطوطة كان كتب « وكان من المشركين » ثم كتب بين الواو و « كان » ، « لا » ، ضعيفة غير بينة ، فلم يحسن الناشر قراءتها ، فساق الآية ، ولم يصب فيما فعل . ورددت عبارة الطبري إلى صوابها .

(٢) انظر تفسير « الإسلام » فيما سلف قريباً : ٤٨٩ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر ما سلف ٣ : ١٠٤ — ١٠٨ .

(٤) الأثر : ٧٢١١ — « إسحق بن شاهين الواسطي » ، روى عنه أبو جعفر في مواضع من تاريخه ، ولم أجد له ترجمة . و « خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن » أبو الهيثم المزني الواسطي . ثقة حافظ صحيح الحديث . مترجم في التهذيب ، و « داود » هو : « ابن أبي هند » و « عامر » هو الشعبي .

٧٢١٣ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله — لا أراه إلا يحدثه عن أبيه — : أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينه وقال : إني لعلِّي أن أدين دينكم، فأخبرني عن دينكم. فقال له اليهودي : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد : ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع. فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟[1] قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ![2] قال : وما الحنيف؟ قال : دين إبراهيم، لم يك يهودياً ولا نصرانياً، وكان لا يعبد إلا الله. فخرج من عنده فلقي عالماً من النصارى، فسأله عن دينه فقال : إني لعلِّي أن أدين دينكم، فأخبرني عن دينكم. قال : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال : لا أحتمل من لعنة الله شيئاً، ولا من غضب الله شيئاً أبداً، وأنا أستطيع،[3] فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودي : لا أعلمه إلا أن يكون حنيفاً.[2] فخرج من عنده وقد رَضِيَ الذي أخبراه والذي اتفقا عليه من شأن إبراهيم، فلم يزل رافعاً يديه إلى الله وقال :[4] اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم.[5]

٢١٨/٣

(١) في المطبوعة : «وأنا لا أستطيع»، زاد «لا»، وليست في المخطوطة، وهي خطأ فاحش، ومخالف لرواية الحديث في البخاري كما سيأتي في تخريجه. وفي رواية البخاري : «وأنا أستطيعه، فهل تدلني على غيره ؟».

(٢) في المطبوعة : «إلا أن تكون»، بالتاء في الموضعين والصواب بالياء كرواية البخاري.

(٣) في المطبوعة هنا أيضاً : «وأنا لا أستطيع» بزيادة «لا»، وليست في المخطوطة، وانظر التعليق : ١.

(٤) هكذا في المخطوطة والمطبوعة : «فلم يزل رافعاً يديه إلى الله»، وأنا في شك من لفظ هذا الكلام، وأكبر ظني أنه تصحيف من كاتب قديم، ونص رواية البخاري «فلما برز رفع يديه فقال» فجعل «فلما» «فلم»، وجعل «برز» «يزل»، وجعل «رفع» «رافعاً»، والسياق يقتضي مثل رواية البخاري.

(٥) الأثر : ٧٢١٣ — «يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الزهري»، سكن الإسكندرية. ثقة، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، مترجم في التهذيب.

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان قال ، حدثنا محمد بن جرير الطبري :

* * *

وهذا الخبر ، رواه البخاري (الفتح ٧ : ١٠٩ ، ١١٠) من طريق فضيل بن سليمان ، عن موسى ابن عقبة ، بمثل لفظ الطبري مع بعض الاختلاف .

* * *

وعند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم ، وفي المخطوطة ما نصه :

« يتلوه القول في تأويل قوله عزّ وجلّ :

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

والحمد لله على (. . . ! !) وصلى الله على محمد وآله وسلم »

* * *

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّرْ

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان قال ، حدثنا محمد بن جرير الطبري »

* * *

وهذا شيء جديد قد ظهر في هذه النسخة ، فإن ما مضى جميعه ، كان ختام التقسيم القديم ، رواية أبي محمد الفرغاني ، عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ثم بدأت رواية التفسير بإسناد آخر لم نكن نعرفه عن رجل آخر غير أبي محمد الفرغاني ، وهو المشهور برواية التفسير ، فأثبت الإسناد في صلب التفسير لذلك : فلا بد من التعريف هنا بأبي بكر البغدادي . حتى نرى بعد كيف تمضي رواية التفسير ، أهي رواية أبي محمد الفرغاني إلى آخر الكتاب ، غير قسم منه رواه أبو بكر ، أم انقضت رواية أبي محمد الفرغاني ، ثم ابتدأت رواية أبي بكر من عند هذا الموضع ؟

وراوي هذا التفسير ، من أول هذا الموضع هو : « محمد بن داود بن سليمان سيار بن بيان ، البغدادي ، الفقيه ، أبو بكر » ، نزل مصر ، وحدث بها عن أبي جعفر الطبري ، وعثمان بن نصر الطائي . روى عنه أبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن مسرور البلخي ، كان ثقة . قال الخطيب البغدادي في تاريخه ٥ : ٢٦٥ بإسناده إلى أبي سعيد بن يونس : « محمد بن داود بن سليمان ، يكنى أبا بكر ، بغدادي ،

القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إنّ أولى الناس بإبراهيم » ، إنّ أحقّ الناس بإبراهيم ونصرته وولايته = « للذين اتبعوه » ، يعنى : الذين سلكوا طريقته ومنهاجه ، فوحَّدوا الله مخلصين له الدين ، وسنُّوا سُنته ، وشرَعوا شرائعه ، وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به = « وهذا النبي » ، يعنى : محمداً صلى الله عليه وسلم = « والذين آمنوا » ، يعنى : والذين صدّقوا محمداً ، وبما جاءهم به من عند الله = « والله ولى المؤمنين » ، يقول : والله ناصرُ المؤمنين بمحمد ،[1] المصدِّقين له فى نبوّته وفيما جاءهم به من عنده ، على من خالفهم من أهل الملل والأديان .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢١٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه » ، يقول : الذين اتبعوه على ملّته وسنّته ومنهاجه وفطرته = « وهذا النبي » ، وهو نبي الله محمد = « والذين آمنوا » معه ، وهم المؤمنون الذين صدّقوا نبيّ الله واتبعوه . كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه من المؤمنين ، أولى الناس بإبراهيم .

قدم مصر ، وكان يتولى القضاء بتنيس ، وكان يروى كتب محمد بن جرير الطبرى عنه . حدث عنه جماعة من البغداديين . وكان نظيفاً عاقلا . وولى ديوان الأحباس بمصر . توفى يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمئة » .

ولم أجد له غير هذه الترجمة فى تاريخ بغداد ، لا فى قضاة مصر للكندى ، ولا فى غيره من الكتب التى تحت يدى الآن ، ولعلى أجد فى موضع آخر من التفسير ، شيئاً يكشف عن روايته التفسير ، غير هذا القدر الذى وصلت إليه ، والله الموفق .

(١) انظر تفسير « الولى » فيما سلف ١ : ٤٨٩ ، ٥٦٤ /٥ : ٤٢٤/٦ : ١٤٢ ، ٣١٣ .

٧٢١٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

٧٢١٦ — حدثنا محمد بن المثنى، وجابر بن الكردى، والحسن بن أبي يحيى المقدسى، قالوا: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل نبيّ ولاةً من النبيين، وإن وليِّي منهم أبي وخليل ربّي، ثم قرأ: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين». (١)

---

(١) الحديث: ٧٢١٦ — جابر بن الكردى بن جابر الواسطى البزار: ثقة من شيوخ النسائى، مترجم فى التهذيب.

الحسن بن أبي يحيى المقدسى: لم أصل إلى معرفة من هو؟

أبو أحمد: هو الزبيرى، محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى.

سفيان: هو الثورى.

وأبوه: سعيد بن مسروق الثورى الكوفى، وهو ثقة معروف، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

أبو الضحى: هو مسلم بن صبيح — بالتصغير. مضت ترجمته فى: ٥٤٢٤.

مسروق: هو ابن الأجدع بن مالك الهمدانى. مضت ترجمته فى: ٤٢٤٢.

وهذا إسناد صحيح متصل.

وسيأتى — عقبه — بإسناد منقطع: من طريق أبي نعيم، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن عبد الله — وهو ابن مسعود — منقطعاً، بإسقاط «مسروق» بين أبي الضحى وابن مسعود.

وأبو الضحى لم يدرك ابن مسعود. مات ابن مسعود سنة ٣٣. ومات أبو الضحى سنة ١٠٠.

وهكذا روى هذا الحديث فى الدواوين بالوجهين: متصلا ومنقطعاً. والوصل زيادة ثقة، فهى مقبولة.

فرواه الترمذى ٤: ٨٠ — ٨١، عن محمود بن غيلان، عن أبي أحمد الزبيرى، بهذا الإسناد، متصلا. كمثل رواية الطبرى هذه من طريق أبي أحمد.

وكذلك رواه البزار، من طريق أبي أحمد الزبيرى، فيما نقل عنه ابن كثير ٢: ١٦٣.

ولم ينفرد أبو أحمد الزبيرى بوصله بذكر «مسروق» فى إسناده. تابعه على ذلك راويان ثقتان.

فرواه الحاكم فى المستدرك ٢: ٢٩٢، من طريق محمد بن عبيد الطنافسى، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله — مرفوعاً موصولا. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبى.

ونقل ابن كثير ٢: ١٦١ — ١٦٢ أنه رواه سعيد بن منصور: «حدثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق [هو والد سفيان] عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود...» — فذكره.

٧٢١٧ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن عبد الله ، أراه قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .[1]

٧٢١٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس: يقول الله سبحانه : « إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه »، وهم المؤمنون . ٢١٩/٣

* * *

وأبو الأحوص سلام بن سليم : ثقة متقن حافظ ، مضى في : ٢٠٥٨ . فقد رواه مرفوعاً متصلا ، عن سعيد الثوري — والد سفيان — كما رواه سفيان عن أبيه .

فهذا يرجح رواية من رواه عن سفيان موصولا ، على رواية من رواه عنه منقطعاً. فإذا اختلفت الرواية على سفيان بين الوصل والانقطاع ، فلم تختلف على أبي الأحوص .

بل الظاهر عندي أن هذا ليس اختلافاً على سفيان . وأن سفيان هذا هو الذي كان يصله مرة ، ويقطعه مرة . ومثل هذا في الأسانيد كثير .

(١) الحديث : ٧٢١٧ — هذه هي الرواية المنقطعة لهذا الحديث . رواه الطبري من طريق أبي نعيم عن سفيان ، منقطعاً .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٨١ ، عن محمود ، وهو ابن غيلان ، عن أبي نعيم ، بهذا الإسناد .

وتابع أبا نعيم على روايته هكذا منقطعاً رواة آخرون ثقات :

فرواه أحمد في المسند : ٣٨٠٠ ، عن وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن عبد الله — هو ابن مسعود — مرفوعاً .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٨١ ، عن أبي كريب ، عن وكيع .

ولكن نقله ابن كثير ٢ : ١٦٣ — ١٦٤ عن تفسير وكيع ، بهذا الإسناد ، وفيه « عن أبي إسحق » بدل « عن أبي الضحى » . وأنا أرجح أن هذا خطأ من بعض ناسخي تفسير وكيع ، ترجيحاً لرواية أحمد عن وكيع ، والترمذي من طريق وكيع — وفيهما : « عن أبي الضحى » .

ورواه أحمد أيضاً : ٤٠٨٨ ، عن يحيى ، وهو القطان ، وعن عبد الرحمن ، وهو ابن مهدي — كلاهما عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن عبد الله ، مرفوعاً .

وقد رجح الترمذي الرواية المنقطعة ، وهو ترجيح بغير مرجح . والوصل زيادة تقبل من الثقة دون شك .

وفي رواية الطبري هذه قوله : « أراه عن النبي صلى الله عليه وسلم » ، مما يفهم منه الشك في رفعه أيضاً . وهذا الشك لعله من ابن المثنى شيخ الطبري ، أو من الطبري نفسه ، لأن رواية الترمذي من طريق أبي نعيم ليس فيها الشك في رفعه .

والحديث ذكره السيوطي ٢ : ٤٢ ، دون بيان الروايات المتصلة من المنقطعة — وزاد نسبته لعبد ابن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولم يذكر نسبته لمسند أحمد ولا للبزار .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ودّت » ، تمنت =[1] « طائفة » ، يعنى جماعة = « من أهل الكتاب » ، وهم أهل التوراة من اليهود ، وأهل الإنجيل من النصارى = « لو يضلّونكم » ، يقولون : لو يصدّونكم أيها المؤمنون ، عن الإسلام ويردّونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر ، فيهلكونكم بذلك .

* * *

« والإضلال » فى هذا الموضع ، الإهلاكُ ،[2] من قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِى الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سورة السجدة : ١٠] ، يعنى : إذا هلكنا ، ومنه قول الأخطل فى هجاء جرير :

كُنْتَ القَذَى فِى مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتِىُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلاَلاَ[3]

يعنى : هلك هلاكاً ، وقول نابغة بنى ذبيان :

فَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالجَوْلاَنِ حَزْمٌ ونَائِلُ[4]

يعنى : مهلكوه .

* * *

(١) انظر تفسير « ود » فيما سلف ٢ : ٤٧٠/٥ : ٥٤٢ .

(٢) انظر تفسير « ضل » فيما سلف ١ : ١٩٥/٢ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

(٣) مضى تخريجه وشرحه فى ٢ : ٤٩٦ .

(٤) ديوانه : ٨٣ ، واللسان (ضلل) (جلا) ، من قصيدته الغالية فى رثاء أبى حجر النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وقبل البيت :

فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَّعْتَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ أَوَاسِىَ مُلْكٍ ثَبَّتَتْهُ الأَوَائِلُ

فَلاَ تَبْعَدَنْ ، إِنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ ، وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا به الحَالُ زَائِلُ

= « وما يضلون إلا أنفسهم » ، وما يهلكون — بما يفعلون من محاولتهم صدَّكم عن دينكم — أحداً غير أنفسهم ، يعنى بـ« أنفسهم » : أتباعهم وأشياعَهم على ملَّتهم وأديانهم ، وإنما أهلكوا أنفسَهم وأتباعهم بما حاولوا من ذلك ، لاستيجابهم من الله بفعلهم ذلك سخَطه ، واستحقاقهم به غضَبه ولعنته ، لكفرهم بالله ، ونقضِهم الميثاقَ الذى أخذ الله عليهم فى كتابهم ، فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، والإقرار بنبوَّته .

ثم أخبر جلَّ ثناؤه عنهم أنهم يفعلون ما يفعلون ، من محاولة صدِّ المؤمنين عن الهدى إلى الضلالة والردى ، على جهل منهم بما اللهُ بهم مُحِلٌّ من عقوبته ،

فَمَا كَانَ بَيْنَ الخَيْرِ ، لَوْ جَاءَ سَالِمًا أَبُو حُجُرٍ ، إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ
فَإِنْ تَحْيَ لاأَمْلَلْ حَيَاتِى ، وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِى حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلِ
فَآبَ مُضِلُّوهُ . . . .

ورواية الأصمعى وأبي عبيدة : « فآب مصلوه » بالصاد المهملة . وفسرها الأصمعى فقال : « أراد : قدم أول قادم بخبر موته ، ولم يتبينوه ولم يحققوه ولم يصدقوه ، ثم جاء المصلون ، وهم الذين جاءوا بعد الخبر الأول ، وقد جاءوا على أثره ، وأخبروا بما أخبر به ، بعين جلية : أى بخبر متواتر صادق يؤكد موته ، ويصدق الخبر الأول . وإنما أخذه من السابق والمصلى (من الخيل) » وقال أبو عبيدة : « مصلوه : يعنى أصحاب الصلاة ، وهم الرهبان وأهل الدين منهم » .

والذى قاله الأصمعى غريب جداً ، وأنا أرفضه لبعده وشدة غرابته ، واحتياله الذى لا يغنى ، ولو قال : « مصلوه » ، هم مشيعوه الذين سوف يتبعون آثاره عما قليل إلى الغاية التى انتهى إليها ، وهى اللحد — لكان أجود وأعرق فى العربية ! ! ولكن هكذا تذهب المذاهب أحياناً بأئمة العلم . والذى قال أبو عبيدة ، على ضعفه ، أجود مما قاله الأصمعى ، وأنا أختار الرواية التى رواها الطبرى ، ولها تفسيران : أحدهما الذى قاله الطبرى ، وهو يقتضى أن يكون النعمان مات مقتولا ، ولم أجد خبراً يؤيد ذلك ، فإنه غير ممكن أن يكون تفسيره « مهلكوه » ، إلا على هذا المعنى . والآخر : « مضلوه » أى : دافنوه الذى أضلوه فى الأرض : أى دفنوه وغيبوه ، وهو المشهور فى كلامهم ، كقول المخبل :

أَضَلَّتْ بَنُو قَيْسِ بن سَعْدٍ عَمِيدَهَا وفَارِسَها فى الدَّهْرِ قَيْسَ بنَ عاصِمِ

فمعنى قول النابغة : كذب الناس خبر موت النعمان أول ماجاء ، فلما جاء دافنوه بخبر ما عاينوه ، صدقوا الخبر الأول . هذا أجود ما يقال فى معنى البيت . و « الجولان » جبل فى نواحى دمشق ، من عمل حوران . وتبين من شعر النابغة أنه كانت به منازل النعمان وقصوره ودوره .

ومدّخر لهم من أليم عذابه ، فقال تعالى ذكره : « وما يشعرون » أنهم لا يضلون إلاّ أنفسهم ، بمحاولتهم إضلالكم أيها المؤمنون .

* * *

ومعنى قوله : « وما يشعرون » ، وما يدرون ولا يعلمون .

* * *

وقد بينا تأويل ذلك بشواهده في غير هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته .[1]

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « يا أهل الكتاب » ، من اليهود والنصارى = « لم تكفرون » ، يقول : لم تجحدون = « بآيات الله » ، يعني : بما في كتاب الله الذي أنزله إليكم على ألسن أنبيائكم ، من آيه وأدلته = « وأنتم تشهدون » أنه حق من عند ربكم .

* * *

وإنما هذا من الله عز وجل ، توبيخٌ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوّته ، وهم يجدونه في كتبهم ، مع شَهادتهم أن ما في كتبهم حقٌّ ، وأنه من عند الله ، كما : —

٧٢١٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » ، يقول : تشهدون

---

(١) انظر تفسير « شعر » فيما سلف ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

أن نعتَ محمد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فى كتابكم ، ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون به ، وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل : « النبى الأمىّ الذى يؤمن بالله وكلماته » .

٧٢٢٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » ، يقول : تشهدون أن نعتَ محمد فى كتابكم ، ثم تكفرون به ولا تؤمنون به ، وأنتم تجدونه عندكم فى التوراة والإنجيل : « النبيّ الأمىّ » .

٧٢٢١ — حدثنى محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » ، « آيات الله » محمد ، وأما « تشهدون » ، فيشهدون أنه الحق ، يجدونه مكتوباً عندهم .

٧٢٢٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » أنّ الدين عند الله الإسلام ، ليس لله دين غيره .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أهل التوراة والإنجيل = « لم تلبسون » ، يقول : لم تخلطون = « الحق بالباطل » .

* * *

(١) الأثر : ٧٢٢٢ — أسقطت المطبوعة والمخطوطة : « حدثنا القاسم قال » ، فأثبتّها ، وهو إسناد دائر فى التفسير من أوله ، أقربه رقم : ٧٢٠٠ ، وسيأتى بعد قليل على الصواب ، رقم : ٧٢٢٦ .

وكان خلطهم الحق بالباطل، إظهارهم بألسنتهم من التصديق بمحمد صلى الله الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله، غيرَ الذى فى قلوبهم من اليهودية والنصرانية . كما : —

٧٢٢٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال عبد الله ابن الصيِّف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدْوةً ونكفُر به عشيةً، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنعُ فيرجعوا عن دينهم ! فأنزل الله عز وجل فيهم : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحقّ بالباطل » إلى قوله : « والله واسع عليم » .(١)

٧٢٢٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل » ، يقول: لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالإسلام ،وقد علمتم أنّ دين الله الذىلا يقبل غيرَه ، الإسلام، ولا يجزى إلاّ به ؟

٧٢٢٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله = إلا أنه قال :الذىلا يقبل من أحد غيرَه،الإسلامُ = ولم يقل: « ولا يجزى إلاّ به » .(٢)

٧٢٢٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل »،الإسلامَ باليهودية والنصرانية .

* * *

وقال آخرون : فى ذلك ، بما : —

---

(١) الأثر : ٧٢٢٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٢٠٢ .

(٢) فى المطبوعة : « ولم يقبل ولا يجازى إلا به » ، قرأها الناشر كذلك لفساد خط الناسخ فى كتابته ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وفى المخطوطة « لا يجزى الآية » ، وهو تصحيف قبيح .

٧٢٢٧ — حدثني به يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قول الله عز وجل : « لم تلبسون الحق بالباطل »، قال: «الحقّ» التوراة التي أنزل الله على موسى ، و« الباطل » ، الذي كتبوه بأيديهم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا معنى « اللبس » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ولم تكتمون، يا أهل الكتاب، الحقّ؟[2]

* * *

و« الحق» الذي كتموه: ما في كتُبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه ونبوّته، كما : —

٧٢٢٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » ، كتموا شأنَ محمد ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف ويَنهاهم عن المنكر .

٧٢٢٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله: « وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » ، يقول : يكتمون شأن محمد صلى الله عليه وسلم، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل : يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ٢٢١/٣

٧٢٣٠ — حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

(٢) انظر تفسير نظيرة هذه الآية والتي قبلها فيما سلف ١ : ٥٦٦ — ٥٧٢ ، والآثار التي رواها هنا قد رويت هناك في مواضعها .

ابن جريج : « تكتمون الحق »، الإسلام ، وأمرَ محمد صلى الله عليه وسلم = « وأنتم تعلمون » أنّ محمداً رسولُ الله، وأنّ الدين الإسلامُ .

* * *

وأما قوله : « وأنتم تعلمون »، فإنه يعني به : وأنتم تعلمون أنّ الذي تكتمونه من الحق حقّ ، وأنه من عند الله .

* * *

وهذا القول من الله عز وجل ، خبرٌ عن تعمُّد أهل الكتاب الكفرَ به ، وكتمانِهم ما قد علموا من نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ووَجدوه في كتبهم ، وجاءتهم به أنبياؤهم .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في صفة المعنى الذي أمرت به هذه الطائفة مَنْ أمرَت به : من الإيمان وجهَ النهار ، وكفرِ آخره .[١]

فقال بعضهم : كان ذلك أمراً منهم إياهم بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم في نبوّته وما جاء به من عند الله ، وأنه حق، في الظاهر =[٢] من غير تصديقه في ذلك بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك = وبالكفر به وجحود ذلك كله في آخره .

* ذكر من قال ذلك :

(١) في المطبوعة : « والكفر آخره » ، غير ما في المخطوطة ، وهو صواب متمكن .
(٢) سياق قوله : « بتصديق النبي . . . في الظاهر » .

٧٢٣١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره » ، فقال بعضهم لبعض : أعطوهم الرضى بدينهم أوّل النهار ، واكفروا آخره ، فإنه أجدر أن يصدّقوكم ، ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون ، وهو أجدَرُ أن يرجعوا عن دينهم .

٧٢٣٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا معلى بن أسد قال ، حدثنا خالد ، عن حصين ، عن أبى مالك فى قوله : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره » ، قال : قالت اليهود : آمنوا معهم أوّل النهار ، واكفروا آخره ، لعلهم يرجعون معكم .

٧٢٣٣ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » ، كان أحبارُ قُرَى عربيةَ اثنى عشر حبراً ،[1] فقالوا لبعضهم : ادخلوا فى دين محمد أول النهار ، وقولوا : « نشهد أن محمداً حقٌّ صادقٌ » ، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا : « إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم ، فحدّثونا أن محمداً كاذب ، وأنكم لستم على شىء ، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم » ، لعلهم يشكّون ، يقولون : هؤلاء كانوا معنا أوّل النهار ، فما بالهم ؟ فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك .

٧٢٣٤ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن حصين ، عن أبى مالك الغفارى قال : قالت اليهود بعضهم لبعض : أسلِموا أول النهار وارتدُّوا آخره لعلهم يرجعون . فأطلع الله على سرّهم ، فأنزل الله عز وجل :

(١) فى المطبوعة : « قرى عرينة » ، وهى قراءة فاسدة المخطوطة ، إذ كانت غير منقوطة وجاءت على الصواب فى الدر المنثور ٢ : ٤٢ . وانظر معجم ما استعجم : ٩٢٩ ، فهو اسم مكان .

« وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » .

* * *

وقال آخرون: بل الذى أمرَت به من الإيمان : الصلاةُ ، وحضورها معهم أول النهار ، وتركُ ذلك آخرَه .

٢٢٢/٣ * ذكر من قال ذلك :

٧٢٣٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنى أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار » ، يهودُ تقوله . صلَّت مع محمد صلاةَ الصبح ، وكفروا آخرَ النهار ، مكراً منهم ، ليُرُوا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالةُ ، بعد أن كانوا اتَّبعوه .

٧٢٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بمثله .

٧٢٣٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار » ، الآية ، وذلك أنّ طائفة من اليهود قالوا : إذا لقيتم أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم أوّل النهار فآمنوا ، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم ، لعلهم يقولون : هؤلاء أهلُ الكتاب ، وهم أعلم منا ! لعلهم ينقلبون عن دينهم ، ولا تُؤمنوا إلاّ لمن تَبع دينكم .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : « وقالت طائفة من أهل الكتاب » ، يعنى : من اليهود الذين يقرأون التوراة = « آمنوا » صدّقوا = « بالذى أنزل على الذين آمنوا » ، وذلك ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحقّ وشرائعه وسننه = « وجه النهار » ، يعنى : أوّل النهار .

* * *

وسمّى أوّله « وجهاً » له ، لأنه أحسنه ، وأوّلُ ما يواجه الناظرَ فيراه منه ، كما يقال لأول الثوب : « وجهه » ، وكما قال ربيع بن زياد :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٣٨ — حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وجه النهار »، أوّلَ النهار .

٧٢٣٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وجه النهار » ، أول النهار = « واكفروا آخره » ، يقول : آخر النهار .

٧٢٤٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا

---

(١) مجاز القرآن ١ : ٩٧ ، حماسة أبى تمام ٣ : ٢٦ ، والأغانى ١٦ : ٢٧ ، والخزانة ٣ : ٥٣٨ ، واللسان (وجه) وغيرها ، من أبياته التى قالها حين قتل حميمه مالك بن زهير ، وحمى لقتله ، واستعد لطلب ثأره ، وبعد البيت ، وهو من تمامه .

يَجِدِ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَبْكِينَ قَبْلَ تَبَلُّجِ الأَسْحَارِ
قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الوُجُوهَ تَسَتُّرًا فَالْيَوْمَ حِينَ بَرَزْنَ لِلنُّظَّارِ
يَخْمِشْنَ حُرَّاتِ الوُجُوهِ عَلَى امْرِئٍ سَهْلِ الخليقةِ طَيِّبِ الأَخْبارِ

قالوا فى معنى البيت الشاهد : « يقول : من كان مسروراً بمقتل مالك ، فلا يشمتن به ، فإنا قد أدركنا ثأره به . وذلك أن العرب كانت تندب قتلاها بعد إدراك الثأر » . ومعنى البيت عندى شبيه بذلك ، إلا أن قوله : «فليأت نسوتنا بوجه نهار» ، أراد به أنه مدرك ثأره من فوره ، فمن شاء أن يعرف برهان ذلك ، فليأت ليشهد المأتم قد قام يبكيه فى صبيحة مقتله. يذكر تعجيله فى إدراك الثأر ، كأنه قد كان . وتأويل ذلك أنه قال هذه الأبيات لامرأته قبل مخرجه إلى قتال الذين قتلوا مالكاً ، فقال لامرأته ذلك ، يعلمها أنه مجد فى طلب الثأر ، وأنه لن يمرض فى طلبه ، بل هو مدركه من فوره هذا

آخره »، قال قال : صلوا معهم الصبح، ولا تصلّوا معهم آخرَ النهار ، لعلكم تستزلُّونهم بذلك .

* * *

وأما قوله: « واكفروا آخره »، فإنه يعني به ،أنهم قالوا: واجحدوا ما صدَّقتم به من دينهم في وَجه النهار ، في آخر النهار = « لعلهم يرجعون » : يعني بذلك : لعلهم يرجعون عن دينهم معكم وَيدَعونه: كما : —

٧٢٤١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لعلهم يرجعون »، يقول : لعلهم يدَعون دينهم ، ويرجعون إلى الذي أنتم عليه .

٧٢٤٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع مثله .

٧٢٤٣ — حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس: « لعلهم يرجعون » ، لعلهم ينقلبون عن دينهم .

٧٢٤٤ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي: « لعلهم يرجعون »، لعلهم يشكّون .

٢٢٣/٣ ٧٢٤٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله : « لعلهم يرجعون » ، قال : يرجعون عن دينهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تصدّقوا إلا من تبع دينكم فكان يهوديًّا .

* * *

وهذا خبر من الله عن قول الطائفة الذين قالوا لإخوانهم من اليهود : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار » .

* * *

و « اللام » التى فى قوله : « لمن تبع دينكم » ، نظيرة « اللام » التى فى قوله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ ، بمعنى : ردفكم ، ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [سورة النمل : ٧٢] .

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٤٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم » ، هذا قول بعضهم لبعض .

٧٢٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٧٢٤٧م — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم » قال : لا تؤمنوا إلاّ لمن تبع اليهودية .

٧٢٤٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن يزيد فى قوله :

« ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم »، قال : لا تؤمنوا إلا لمن آمن بدينكم ، ومَنْ خالفه فلا تؤمنوا له .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : قوله : « قل إنّ الهدى هدى الله » ، اعتراضٌ به فى وسط الكلام،[2] خبرًا من الله عن أن البيان بيانُه والهدى هُداه . قالوا : وسائرُ الكلام بعدَ ذلك متصلٌ بالكلام الأول ، خبراً عن قِيل اليهود بعضها لبعض .[3] فمعنى الكلام عندهم : ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم ، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم ، أو أنْ يحاجُّوكم عند ربكم = أى : ولا تؤمنوا أن يحاجكم أحدٌ عند ربكم . ثم قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد : « إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء » ، و « إن الهدى هدى الله » .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٤٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » ، حسداً من يهود أن تكون النبوة فى غيرهم ، وإرادةَ أن يُتَّبعوا على دينهم .

---

(١) فى المطبوعة : « لا من خالفه فلا تؤمنوا به » بزيادة « لا » وفى المخطوطة : « من خالفه فلا تؤمنوا به » ، والصواب زيادة الواو كما أثبت ، والصواب أيضاً « تؤمنوا له » ، وذلك تصحيف من الناسخ .

(٢) فى المطبوعة : « اعترض به فى وسط الكلام ، خبر من الله ... » والصواب ما فى المخطوطة كما أثبته .

(٣) فى المطبوعة هنا أيضاً : « خبر عن قيل اليهود » برفع الخبر ، والصواب من المخطوطة .

٧٧٥٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون: تأويل ذلك: قل يا محمد : «إن الهدى هدى الله »، إنّ البيان بيانُ الله = « أن يؤتى أحدٌ » ، قالوا : ومعناه : لا يؤتى أحدٌ من الأمم مثل ما أوتيتم ، كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [سورة النساء : ١٧٦]، بمعنى : لا تضلون، وكقوله : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٠٠ ، ٢٠١] ، بمعنى : أن لا يؤمنوا = « مثل ما أوتيتم »، يقول: مثل ما أوتيتَ، أنت يا محمد، وأمتك من الإسلام والهدى = « أو يحاجوكم عند ربكم »، قالوا : ومعنى « أو » : « إلاّ »، أيْ : إلا أن « يحاجوكم » ، يعني : إلاّ أن يجادلوكم عند ربكم عند ما فعل بهم ربُّكم .[1]

ذكر من قال ذلك :

٧٧٥١ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل إنّ الهدى هُدَى الله أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم » ، يقول ، مثل ما أوتيتم يا أمة محمد = « أو يحاجوكم عند ربكم » ، تقول اليهود : فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة ، حتى أنزل علينا المن والسلوى = فإن الذى أعطيتكم أفضلُ فقولوا : « إن الفضْل بيد الله يؤتيه من يشاء »، الآية . ٣/٢٢٤

* * *

فعلى هذا التأويل، جميع هذا الكلام، [أمرٌ] من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقوله لليهود،[2] وهو متلاصق بعضه ببعض لا اعتراض فيه . و« الهدى »

---

(١) انظر تفصيل هذه المقالة فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٢) فى المطبوعة : « جميع هذا الكلام من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم » ، وفى المخطوطة « جميع هذا الكلام من الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم » ، ولما رأى الناشر عبارة لا تستقيم ، اجتهد فى

الثانى ردّ على «الهدى» الأول ، و« أن » فى موضع رفع على أنه خبر عن « الهدى » .

* * *

وقال آخرون : بل هذا أمر من الله نبيَّه أن يقوله لليهود .[1] وقالوا: تأويله : «قل»يا محمد « إن الهدى ُهدى الله أن يؤتى أحد » من الناس « مثل ما أوتيتم » ، يقول : مثل الذى أوتيتموه أنتُم يا معشر اليهود من كتاب الله ، ومثل نبيكم ، فلا تحسدوا المؤمنين على ما أعطيتهم مثلَ الذى أعطيتكم من فضلى ، فإن الفضل بيدى أوتيه من أشاء .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٥٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل إن الهدى هدى الله أن يؤتَى أحدٌ مثل ما أوتيتم » ، يقول : لما أنزل الله كتاباً مثلَ كتابكم ، وبعثَ نبيًّا مثل نبيكم ، حسدتموهم على ذلك = « قلْ إنّ الفضلَ بيد الله » ، الآية .

٧٢٥٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

وقال آخرون : بل تأويل ذلك : «قل» يا محمد: « إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله . قالوا : وهذا آخر القول الذى أمرَ الله به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقوله لليهود من هذه الآية. قالوا: وقوله : «أو يحاجوكم » ، مردود على قوله : « ولا تؤمنوا إلاّ لمن تَبع دينكم » .

وتأويل الكلام — على قول أهل هذه المقالة —: ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم ، فتتركوا الحقّ : أنّ يحاجُّوكم به عند ربكم من اتبعتم دينه فاخترتموه: أنه محقٌّ ، وأنكم تجدون نعته فى كتابكم . فيكون حينئذ قوله: « أو يحاجوكم » مردوداً على

إصلاحها ، والصواب القريب زيادة ما زدته بين القوسين ، سقط من الناسخ « أمر » لقرب رسمها مما بعدها وهو : « من » . وقد استظهرته مما سيأتى فى أول الفقرة التالية .

(١) فى المطبوعة : « أمر من الله لنبيه » ، زاد لاماً لا ضرورة لها . وانظر التعليق السالف .

على جواب نهى متروك ، على قول هؤلاء .

• ذكر من قال ذلك :

٧٢٥٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » ، يقول : هذا الأمر الذى أنتم عليه : أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم = « أو يحاجوكم عند ربكم » ، قال قال بعضهم لبعض : لا تخبروهم بما بيّن الله لكم فى كتابه ، ليحاجّوكم = قال : ليخاصموكم = به عند ربكم = « قل إن الهدى هدى الله » .

* * *

[قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يكون قوله : « قل إن الهدى ُهدى الله »] = معترضاً به ، [1] وسائر الكلام متَّسقٌ على سياقٍ واحد . فيكون تأويله حينئذ : ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم ، [2] ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم = بمعنى : لا يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم = [3] « أو يحاجوكم عند ربكم » ، بمعنى : أو أن يحاجوكم عند ربكم . . . . [4] أحد بإيمانكم ،

---

(١) الزيادة التى بين القوسين لا بد منها كما سترى فى التعليق ص ٥١٦ ، تعليق : ٣ . وكان فى المطبوعة « قل إن الهدى هدى الله ، معترض به » ، وهو لا يستقيم ، وفى المخطوطة مثله إلا أنه كتب « معترضاً به » بالنصب . والظاهر أن الناسخ لما بلغ « قل إن الهدى هدى الله » فى الأثر السالف تخطى بصره إلى نظيرتها فى كلام الطبرى ، فكتب بعده : « معترضاً به » وأسقط ما بينهما كما سيتبين لك فيما بعد .

(٢) فى المطبوعة : « اتبع دينكم » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « بمثل ما أوتيتم » ، زاد « باء » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) موضع هذه النقط سقط ، لا أشك فيه . وكان فى المطبوعة : « أو أن يحاجكم عند ربكم أحد بإيمانكم » ، وهو غير مستقيم ، وكان فى المخطوطة : « أو أن يحاجوكم عند ربكم أحد بإيمانكم » ، وهو كلام مختل ، حمل ناشر المطبوعة الأولى على تغييره ، كما رأيت . وظاهر أنه سقط من هذا الموضع ، سياق أبى جعفر لهذا التأويل الذى اختاره ، ورد فيه قوله تعالى : « قل إن الهدى هدى الله » ، إلى موضعها بعد قوله : « أو يحاجوكم به عند ربكم » ، كما هو بين من كلامه . وأنا أظن أن قوله : « أحد باىما ىلم » وهكذا كتبت فى المخطوطة غير منقوطة ، صوابها « حسدا لما آتاكم » ، كما يستظهر من الآثار السالفة .

هذا ، وإن شئت أن تجعل الكلام جارياً كله مجرى واحداً على هذا : « أو أن يحاجوكم عند ربكم ، حسداً لما آتاكم ، لأنكم أكرم على الله منهم . . . » ، كان وجهاً ، غير أنى لست أرتضيه ، بل أرجح أن ههنا سقطاً لا شك فيه .

لأنكم أكرمُ على الله بما فضلكم به عليهم .

فيكون الكلام كله خبراً عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار » سوى قوله : ٣/٢٢٥ « قُل إن الهدى هدى الله » . ثم يكون الكلام مُبتدأ بتكذيبهم فى قولهم : « قل » ، يا محمد ، للقائلين ما قولوا من الطائفة التى وصفتُ لك قولها لتُبّاعها من اليهود =[1] : « إن الهدى هدى الله » ، إن التوفيق توفيقُ الله والبيانَ بيانُه ،[2] « إن الفضل بيده يؤتيه من يشاء » ، لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود .

وإنما اخترنا ذلك من سائر الأقوال التى ذكرناها ،[3] لأنه أصحها معنًى ، وأحسنُها استقامةً ، على معنى كلام العرب ، وأشدُّها اتساقاً على نظم الكلام وسياقه . وما عدا ذلك من القول ، فانتزاع يبعُد من الصحة ، على استكراه شديد للكلام .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل » يا محمد ، لهؤلاء اليهود الذين وصفتُ قولهم لأوليائهم = : « إنّ الفضلَ بيد الله » ، إنّ التوفيق للإيمان والهدايةَ للإسلام ،[4] بيد الله وإليه ، دونكم ودون سائر خلقه = « يؤتيه من يشاء » من

---

(١) التباع جمع تابع ، مثل : « جاهل وجهال » .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ – ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ، ٥٤٩ – ٥٥١/ ٣ : ١٠١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٤/٢٢٣ : ٢٨٣ .

(٣) من ذكر الطبرى اختياره ، تبين بلا ريب أن فى صدر الكلام سقطاً ، كما أسلف فى ص : ٥١٥ ، تعليق : ١ ، ولعل الزيادة التى أسلفتها ، قد نزلت منزلها من الصواب إن شاء الله .

(٤) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ٢ : ٣٣٤/ ٥ : ٥٧١

خلقه، يعني : يعطيه من أراد من عباده، [1] تكذيباً من الله عز وجل لهم في قولهم لتُبّاعهم : « لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » . فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : ليس ذلك إليكم ، إنما هو إلى الله الذى بيده الأشياء كلها ، وإليه الفضل وبيده ، يُعطيه من يشاء = « والله واسع عليم » ، يعني : والله ذُو سعةٍ بفضله على من يشاء أن يتفضل عليه =[2] «عليم »، ذو علم بمن هو منهم للفضل أهل.[3]

٧٢٥٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك قراءةً ، عن ابن جريج في قوله: « قل إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء »، قال : الإسلام .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « يختص برحمته من يشاء » ، « يفتعل » من قول القائل : « خصصت فلاناً بكذا، أخُصُّه به » .[4]

* * *

وأما « رحمته » ،في هذا الموضع ، فالإسلام والقرآن ، مع النبوّة ، كما : —

٧٢٥٦ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « يختص برحمته من يشاء » ، قال : النبوّة ، يخصّ بها من يشاء .

---

(١) انظر تفسير : « آتى » فيما سلف ١ : ٥٧٤ : ٢/ ٣١٧ وفهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « واسع » فيما سلف ٢ : ٥٣٧/٥ : ٥١٦، ٥٧٥

(٣) انظر تفسير « عليم » فيما سلف ١ : ٤٣٨ ، ٢/ ٤٩٦ ، ٣/ ٥٣٧ : ٣٩٩، وفهارس اللغة

(٤) انظر تفسير « يختص » فيما سلف أيضاً ٢ : ٤٧١ .

٧٢٥٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٧٢٥٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع : «يختص برحمته من يشاء»، قال : يختص بالنبوة من يشاء.

٧٢٥٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك قراءةً، عن ابن جريج : «يختص برحمته من يشاء»، قال : القرآن والإسلام.

٧٢٦٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج مثله.

* * *

= «والله ذو الفضل العظيم»، يقول: ذو فضل يتفضَّل به على من أحبَّ وشاء من خلقه. ثم وصف فضله بالعِظَم فقال: «فضله عظيم»، لأنه غير مشبهه في عِظَم موقعه ممن أفضله عليه [فضلٌ] من إفضال خلقه، (١) ولا يقاربه في جلالة خطره ولا يُدانيه.

* * *

(١) في المطبوعة : «غير مشبه ... ممن أفضله عليه أفضال خلقه»، وأما المخطوطة ففيها : «غير مشبهه ... ممن أفضله عليه من أفضال خلقه»، فرأيت أنه قد سقط من ناسخ المخطوطة ما زدته بين القوسين ليستقيم الكلام.

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز وجل : أنّ من أهل الكتاب — وهم اليهود من بنى إسرائيل — أهلَ أمانة يؤدُّونها ولا يخونونها ، ومنهم الخائن أمانته ، الفاجرُ فى يمينه ، المستحِلُّ . [1]

* * *

فإن قال قائل: وما وجه إخبار الله عز وجل بذلك نبيَّه صلى الله عليه وسلم، وقد علمتَ أنّ الناس لم يزالوا كذلك: منهم المؤدِّى أمانته والخائنُها ؟ ٢٢٦/٣

قيل : إنما أراد جل وعز بإخباره المؤمنين خبرَهم — على ما بينه فى كتابه بهذه الآيات — تحذيرَهم أن يأتمنوهم على أموالهم ،[2] وتخويفهم الاغترارَ بهم ، لاستحلال كثير منهم أموالَ المؤمنين .

* * *

فتأويل الكلام : ومن أهل الكتاب الذى إنْ تأمنه ، يا محمد ، على عظيم من المال كثير ، يؤدِّه إليك ولا يخنْك فيه، ومنهم الذى إن تأمنه على دينار يخنْك فيه فلا يؤدِّه إليك، إلا أن تلح عليه بالتقاضى والمطالبة .

* * *

(١) لعل فى المخطوطة سقطاً ، صوابه : « المستحل أموال الأميين من العرب » أو « المستحل أموال المؤمنين » ، كما يتبين من بقية تفسير الآية .

(٢) فى المخطوطة : « أن يهوهم على أموالهم» غير منقوطة ، والذى قرأه الناشر الأول جيد وهو الصواب .

و« الباء » فى قوله : « بدينار » و«على » يتعاقبان فى هذا الموضع ، كما يقال : « مررت به ، ومررت عليه » .[1]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « إلاّ ما دمت عليه قائماً » .

فقال بعضهم : « إلاّ ما دمت له متقاضياً » .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٦١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إلاّ ما دمت عليه قائماً » ، إلا ما طلبته واتبعته .

٧٢٦٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إلاّ ما دمت عليه قائماً » ، قال : تقتضيه إياه .

٧٢٦٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إلا ما دمت عليه قائماً » ، قال : مواظباً .

٧٢٦٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « إلا ما دمتَ قائماً على رأسه » .[2]

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٦٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « إلا ما دمت عليه قائماً » ، يقول : يعترف

---

(١) انظر ذلك فيما سلف ١ : ٣١٣ .

(٢) فى المطبوعة : « إلا ما دمت عليه قائماً » بزيادة « عليه » ، وهى فساد ، والصواب من المخطوطة .

بأمانته ما دمت قائماً على رأسه، فإذا قمتَ ثم جئت تطلبه كافرك =[1] الذى يؤدِّى ، والذى يجحد .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال : « معنى ذلك : إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والاقتضاء » . من قولهم : « قام فلان بحقى على فلان حتى استخرجه لى » ، أى عمل فى تخليصه ، وسَعى فى استخراجه منه حتى استخرجه . لأن الله عز وجل إنما وصفهم باستحلالهم أموال الأميين ، وأنّ منهم من لا يقضى ما عليه إلا بالاقتضاء الشديد والمطالبة . وليس القيام على رأس الذى عليه الدين ، بموجب له النقلة عما هو عليه من استحلال ما هو له مستحلّ ، ولكن قد يكون — مع استحلاله الذهابَ بما عليه لربّ الحقّ — إلى استخراجه السبيلُ بالاقتضاء والمحاكمة والمخاصمة .[3] فذلك الاقتضاء، هو قيام ربّ المال باستخراج حقه ممن هو عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنّ من استحلّ الخيانةَ من اليهود ، وجحودَ حقوق العربىّ التى هى له عليه، فلم يؤدّ ما ائتمنه العربىُّ عليه إلاّ ما دامَ له متقاضياً مطالباً — من أجل أنه يقول : لا حرَج علينا فيما أصبنا من أموال العرب

(١) كافره حقه : جحده حقه .

(٢) قوله : « الذى يؤدى ، والذى يجحد » بيان عن ذكر الفريقين اللذين ذكرا فى الآية ، أى : هذا الذى يؤدى ، وهذا الذى يجحد .

(٣) سياق العبارة : « قد يكون . . . إلى استخراجه السبيل بالاقتضاء . . . » ، وما بينهما فصل .

ولا إثم ، لأنهم على غير الحق ، وأنهم مشركون .[1]

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو قولنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٦٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » الآية ، قالت اليهود : ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيلٌ .

٧٢٦٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ليس علينا في الأميين سبيل » ، قال : ليس علينا في المشركين سبيل = يعنون من ليس من أهل الكتاب .

٧٢٦٨ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » ، قال : يقال له : ما بالك لا تؤدِّي أمانتك ؟ فيقول : ليس علينا حرج في أموال العرب ، قد أحلَّها الله لنا ! !

٧٢٦٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : لما نزلت : « ومن أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك إلاّ ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيلٌ » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : كَذَبَ أعداءُ الله ، ما من شيء كان في الجاهلية إلاّ وهو تحت قدميّ ، إلاّ الأمانة ، فإنها مؤدّاةٌ إلى البر والفاجر .[2]

---

(١) انظر تفسير « الأمي » فيما سلف ٢ : ٢٥٧ — ٢٥٩ / ثم ٥ : ٤٤٢ في كلام الطبري نفسه / ثم ٦ : ٢٨١ / ثم الآثار رقم : ٥٨٢٧ ، ٦٧٧٤ ، ٦٧٧٥ .

(٢) الأثر : ٧٢٦٩ — « يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي » ، و « جعفر » هو : « جعفر ابن أبي المغيرة الخزاعي القمي » ، مضيا في رقم : ٦١٧ . قال أخي السيد أحمد في مثل هذا الإسناد سالفاً : « هو حديث مرفوع ، ولكنه مرسل ، لأن سعيد بن جبير تابعي ، وإسناده إليه إسناد جيد » . وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ١٦٩ ، ١٧٠ من تفسير ابن أبي حاتم ، وخرجه في الدر المنثور ٢ : ٤٤ ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

٧٢٧٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام بن عبيد الله، عن يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير قال : لما قالت اليهود : « ليس علينا فى الأميين سبيل » ، يعنون أخذَ أموالهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه = إلا أنه قال : إلا وهو تحت قدمىّ هاتين ، إلا الأمانة ، فإنها مؤدّاةٌ = ولم يزد على ذلك .

٧٢٧١ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل» ، وذلك أن أهل الكتاب كانوا يقولون : ليس علينا جناح فيما أصبنا من هؤلاء ، لأنهم أمّيُّون . فذلك قوله : « ليس علينا فى الأميين سبيل » ، إلى آخر الآية .

* * *

وقال آخرون فى ذلك ، ما : –

٧٢٧٢ – حدثنا به القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل » ، قال : بايع اليهودَ رجالٌ من المسلمين فى الجاهلية ، فلما أسلموا تقاضوهم ثمنَ بُيوعهم ، فقالوا : ليس لكم علينا أمانةٌ ، ولا قضاءَ لكم عندنا ، لأنكم تركتم دينكم الذى كنتم عليه ! قال : وادّعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم ،[1] فقال الله عز وجل : « ويقولون على الله الكذبَ وهم يعلمون » .

٧٢٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن صعصعة قال: قلت لابن عباس : إنا نغزو أهلَ الكتاب فنصيبُ من ثمارهم؟ قال : وتقولون كما قال أهلُ الكتاب : « ليس علينا فى الأميين سبيل » !![2]

---

(١) فى المطبوعة : « وادعوا . . . » ، أسقط « قال » ، وأثبتها من المخطوطة .

(٢) الأثر : ٧٢٧٣ – « أبو إسحق الهمدانى » كما بين فى الأثر التالى . و « صعصعة بن يزيد » ، ويقال « صعصعة بن زيد » ، وذكر البخارى الاختلاف فى اسمه ، وأشار إلى رواية هذا الخبر . فى الكبير ٣٢١/٢/٢ ، ٣٢٢ ، وابن أبى حاتم ٤٤٦/١/٢ . وانظر التعليق على الأثر التالى .

٧٢٧٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن أبي إسحق الهمداني، عن صعصعة : أن رجلا سأل ابن عباس فقال: إنا نصيب في الغزو = أو : [العذق] ، الشك من الحسن = من أموال أهل الذمة الدجاجةَ والشاة ، فقال ابن عباس : فتقولون ماذا ؟ قال نقول : ليس علينا بذلك بأس ! قال: هذا كما قال أهل الكتاب : « ليس علينا في الأميين سبيل » ! إنهم إذا أدّوا الجزية لم تحلّ لكم أموالهم إلاّ بطيب أنفسهم .[1]

* * *

---

(١) الأثر : ٧٢٧٤ — هذا طريق آخر للأثر السالف ، وبلفظ غيره . ورواه أبو عبيد القاسم ابن سلام في كتاب الأموال (ص ١٤٩ ، رقم : ٤١٥) من طريق عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن صعصعة ، بلفظ آخر . ورواه البيهقي في السنن ٩ : ١٩٨ من طريق « شعبة ، عن أبي إسحق ، عن صعصعة ، قال قلت لابن عباس » ، بلفظ آخر غير كل ما سلف . وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ١٦٩ من تفسير عبد الرزاق وفيه « عن أبي صعصعة بن يزيد » وهو خطأ صوابه « صعصعة » . وقال : « وكذا رواه الثوري عن أبي إسحق بنحوه» . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٤٤ ، ونسبه لابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وساقه الزمخشري في تفسير الآية ، بنص أبي جعفر ، والقرطبي ٤ : ١١٨ ، ١١٩ ، وأبو حيان في تفسيره من تفسير عبد الرزاق أيضاً ٢ : ٥٠١ ، وفي جميعها « إنا نصيب في الغزو » إلا القرطبي فإن فيه : « إنما نصيب في العمد » ، وأما البيهقي ففيه : « إنا نأتي القرية بالسواد فنستفتح الباب . . . » ، وفي الأموال : « إنا نسير في أرض أهل الذمة فنصيب منهم » .

وكان في أصل المخطوطة والمطبوعة من الطبري : « إنا نصيب في العرف ، أو العذق ، الشك من الحسن » ، ولم أجد ذلك في مكان ، وهو لا معنى له أيضاً . وقد أطبق كل من ذكرنا ممن نقل من تفسير عبد الرزاق بهذا الإسناد نفسه ، على عبارة واحدة هي « إنا نصيب في الغزو » ، فأثبتها كذلك ، أما ما شك فيه الحسن بن يحيى فقد وضعته بين قوسين ، وهو لا معنى له . وأرجح الظن عندي أنها « أو : الغزوة — الشك من الحسن » ، أو تكون : « أو : القرية — الشك من الحسن » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن القائلين منهم : « ليس علينا فى أموال الأميين من العرب حرجٌ أن نختانهم إياه » ، يقولون = بقيلهم إنّ الله أحل لنا ذلك ، فلاحرجَ علينا فى خيانتهم إياه ، وترك قضائهم =[1] الكذبَ على الله عامدين الإثمَ بقيل الكذب على الله ، إنه أحلّ ذلك لهم . وذلك قوله عز وجل : « وهم يعلمون » ، كما : — ٢٢٨/٣

٧٢٧٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : فيقول على الله الكذب وهو يعلم = يعنى الذى يقول منهم — إذا قيل له : مالك لا تؤدى أمانتك ؟ —: ليس علينا حرج فى أموال العرب ، قد أحلها الله لنا !

٧٢٧٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » ، يعنى : ادّعاءهم أنهم وجدُوا فى كتابهم قولهم : « ليس علينا فى الأميين سبيل » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٦)

قال أبو جعفر : وهذا إخبار من الله عز وجل عمّا لمنْ أدّى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاءَ الله ومراقبتَه ، عنده .[2] فقال جل ثناؤه : ليس الأمر كما يقول

---

(١) قوله : « الكذب » مفعول « يقولون » ، وما بينهما فصل .

(٢) فى المطبوعة : « هذا إخبار من الله عز وجل عمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء

هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود ، من أنه ليس عليهم فى أموال الأميين حرج ولا إثم . ثم قال : بلى ، ولكن من أوفى بعهده واتقى — يعنى : ولكن الذى أوفى بعهده ، وذلك وصيته إياهم التى أوصاهم بها فى التوراة ، من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به .[1]

* * *

و « الهاء » فى قوله : « من أوفى بعهده » ، عائدة على اسم « الله » فى قوله : « ويقولون على الله الكذب » .

* * *

يقول : بلى من أوفى بعهد الله الذى عاهده فى كتابه ، فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدّق به وبما جاء به من الله ، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها ، وغير ذلك من أمر الله ونهيه = « واتقى » ، يقول : واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به ، وسائر معاصيه التى حرّمها عليه ، فاجتنبَ ذلك مراقبةَ وعيد الله وخوفَ عقابه = « فإنّ الله يحبّ المتقين » ، يعنى : فإن الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه ، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرّمه عليهم ، ويطيعونه فيما أمرهم به .

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول : هو اتقاء الشرك .

٧٢٧٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « بلى من أوفى بعهده واتقى » يقول : اتقى الشرك = « فإنّ الله يحب المتقين » ، يقول : الذين يتقون الشرك .

* * *

الله ومراقبته وعيده » ، والذى أثبت هو نص المخطوطة ، وهو الصواب المحض . والسياق : « وهذا إخبار من الله . . . عما لمن أدى أمانته . . . عنده » . وقوله : « واتقاء الله ومراقبته » على النصب فيهما ، مفعول لأجله.

(١) انظر بيان معنى « أوفى » فيما سلف ١ : ٥٥٧ — ٣/٥٥٩ : ٣٤٨ . وانظر تفسير « العهد » فيما سلف ١ : ٤١٠ — ٤١٤ ، ثم ٥٥٧ — ٣/٥٥٩ : ٢٠ — ٢٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

وقد بينا اختلافَ أهل التأويل في ذلك والصوابَ من القول فيه، بالأدلة الدالّة عليه، فيما مضى من كتابنا، بما فيه الكفاية عن إعادته.[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : إنّ الذين يستبدلون — بتركهم عهد الله الذي عهد إليهم، ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه، باتباع محمد وتصديقه والإقرار به وما جاء به من عند الله — وبأيمانهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرّم الله عليهم من أموال الناس التي ائتمنوا عليها[2] = «ثمناً»، يعني : عوضاً وبدلا خسيساً من عرض الدنيا وحُطامها[3] = «أولئك لا خلاق لهم في الآخرة»، يقول: فإن الذين يفعلون ذلك لاحظ لهم في خيرات الآخرة، ولا نصيب لهم من نعيم الجنة وما أعدّ الله لأهلها فيها دون غيرهم.[4] ٣/٢٢٩

* * *

وقد بينا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في معنى «الخلاق»، ودللنا على

(١) انظر تفسير «اتقى» و «التقوى» فيما سلف ١ : ٢٣٢، ٢٣٣، ٢/٣٦٤ : ١٨١، ٤/٤٥٧ : ١٦٢، ٢٤٤، ٤٢٥، ٤٢٦/ ثم ٦ : ٢٦١.

(٢) سياق الجملة : «إن الذين يستبدلون بتركهم عهد الله . . . وبأيمانهم الكاذبة . . . ثمناً . . .

(٣) انظر تفسير «اشترى» فيما سلف ١ : ٣١١ — ٣١٥، ٥٦٥ / ٢ : ٣١٦، ٣١٧ ثم ٣٤١، ٣٤٢، ثم ٣/٤٥٢ : ٣٢٨.

وانظر تفسير «ثمناً قليلا» فيما سلف ٢ : ٣/٥٦٥ : ٣٢٨.

(٤) في المخطوطة والمطبوعة : «دون غيرها»، والسياق يقتضي ما أثبت.

ـن أقوالهم فى ذلك بالصواب ، بما فيه الكفاية .(١)

* * *

وأما قوله : « ولا يكلمهم الله » ، فإنه يعنى : ولا يكلمهم الله بما يسرُّهم = « ولا ينظر إليهم » ، يقول : ولا يعطف عليهم بخير ، مقتاً من الله لهم ، كقول القائل لآخر : « انظُر إلىّ نَظر الله إليك » ، بمعنى : تعطف علىّ تعطّف الله عليك بخير ورحمة = وكما يقال للرجل : « لا سمع الله لك دعاءَك » ، يراد : لا استجاب الله لك ، والله لا يخفى عليه خافية ، وكما قال الشاعر :(٢)

دَعَوْتُ اللهَ حَتى خِفْتُ أَنْ لَا ... يَكُونَ اللهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ(٣)

* * *

وقوله : « ولا يُزكيهم »، يعنى : ولا يطهرهم من دَنَس ذنوبهم وكفرهم = « ولهم عذاب أليم » ، يعنى : ولهم عذابٌ موجع (٤)

* * *

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزلت هذه الآية ، ومن عنى بها .

فقال بعضهم نزلت فى أحبار من أحبار اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٧٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : نزلت هذه الآية : « إن الذين يشترون بعهد الله

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٥٢ — ٤/٤٥٤ : ٢٠١ — ٢٠٣ .

(٢) هو شمير بن الحارث الضبى ، ويقال « سمير » بالمهملة ، مصغراً — وهو جاهلى .

(٣) نوادر أبى زيد : ١٢٤ ، والخزانة ٢ : ٣٦٣ ، واللسان (سمع) ، وبعده :

لِيَحْمِلَنِى عَلَى فَرَسٍ ، فَإِنِّى ... ضَعِيفُ المَشْىِ ، لِلأَدْنَى حَمُولُ

و « يسمع ما أقول » ، يستجيب ، كقولنا : « سمع الله لمن حمده » .

(٤) انظر تفسير « التزكية » فيما سلف ١ : ٥٧٣ ، ٣/٥٧٤ : ٥/٨٨ : ٢٩ = و « أليم » ١ : ٢/٢٨٣ : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٤٦٩ ، ٣/٥٤٠ : ٣٣٠ ، وغيرها ، فاطلبه فى فهارس اللغة .

وأيمانهم ثمناً قليلاً » ، في أبي رافع ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحُيَيّ بن أخطب .

وقال آخرون : بل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٧٩ — حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حلف على يمين هو فيها فاجرٌ ليقتطع بها مالَ امرئٍ مسلم، لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان = فقال الأشعث بن قيس : فيّ والله كان ذلك : كان بيني وبين رجل من اليهود أرضٌ فجحدني ، فقدّمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألك بيِّنة ؟ قلت : لا ! فقال لليهودي : احلفْ . قلت : يا رسول الله ، إذاً يحلف فيذهبَ مالي ! فأنزل الله عز وجل : « إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً » الآية .[1]

---

(١) الحديث : ٧٢٧٩ — أبو وائل : هو شقيق بن سلمة الأسدي .

وهذا الحديث في الحقيقة حديثان : أوله من حديث عبد الله بن مسعود ، وآخره في سبب نزول الآية من حديث الأشعث بن قيس .

والأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي ، صحابي معروف .

والحديث رواه أحمد : ٣٥٩٧ ، ٤٠٤٩ ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد .

ثم رواه بالإسناد نفسه ، في مسند « الأشعث بن قيس » ، ج ٥ ص ٢١١ (حلبي) .

وكذلك رواه البخاري ٥ : ٥٣ ، ٢٠٦ (فتح الباري) ، من طريق أبي معاوية .

ورواه مسلم ١ : ٤٩ — ٥٠ ، من طريق أبي معاوية ووكيع — كلاهما عن الأعمش .

ورواه أحمد مختصراً ، عن ابن مسعود وحده ، من أوجه أخر : ٣٥٧٦ ، ٣٩٤٦ ، ٤٢١٢ .

ورواه أيضاً ، مختصراً ومطولا ، في مسند الأشعث بن قيس ، من ثلاثة أوجه أخر ، ج ٥ ص ٢١١ — ٢١٢ (حلبي) .

وكذلك رواه البخاري من أوجه ، مختصراً ومطولا ، في مواضع غير الموضعين السابقين ٥ : ٢٥ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، و ١١ : ٤٧٣ ، ٤٨٥ — ٤٩٠ (وهنا شرحه الحافظ شرحاً وافياً) ، و ١٣ : ١٥٦ ، ٣٦٤ .

٧٢٨٠ — حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال، أخبرنا جرير بن حازم، عن عدى بن عدى، عن رجاء بن حيوة والعُرس أنهما حدثاه، عن أبيه عدى بن عميرة قال : كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت خصومةٌ، فارتفعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للحضرمي : « بيِّنتَك، وإلاّ فيمينه » . قال : يا رسول الله، إن حلف ذهب بأرضى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها حقّ أخيه، لقى الله وهو عليه غضبان . فقال امرؤ القيس : يا رسول الله، فما لمن تركها، وهو يعلم أنها حقّ ؟ قال : الجنة . قال : فإني أشهدك أنى قد تركتها = قال جرير : فكنت مع أيوب السختيانى حين سمعنا هذا الحديث من عدى، فقال أيوب، إنّ عديًّا قال فى حديث العُرْس بن عميرة : فنزلت هذه الآية : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً » إلى آخر الآية = قال جرير : ولم أحفظ يومئذ من عدى .[1]

ورواه مسلم من وجهين أيضاً ١ : ٥٠ .

وذكره ابن كثير ٢ : ١٧٢ — ١٧٣ ، من رواية المسند عن أبي معاوية ، ثم ذكره من روايته الأخيرة فى مسند الأشعث بن قيس .

وذكره السيوطى ٢ : ٤٤ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وأبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهق فى الشعب .

وسيأتى أيضاً : ٧٢٨٢ ، من رواية منصور ، عن شقيق ، وهو أبو وائل ، به ، نحوه .

(١) الحديث : ٧٢٨٠ — عدى بن عدى بن عميرة الكندى : تابعى ثقة معروف ، قال البخارى فى الكبير ٤/١/٤٤ : « سيد أهل الجزيرة » . وهو يروى عن أبيه ، ولكنه روى عنه هنا بواسطة عمه العرس بن عميرة ورجاء بن حيوة .

رجاء بن حيوة — بفتح الحاء المهملة والواو بينهما تحتية ساكنة : تابعى ثقة كثير العلم والحديث . وهو من رهط امرئ القيس بن عابس الكندى صاحب هذه الحادثة . جدهما الأعلى : « امرؤ القيس ابن عمرو بن معاوية الأكرمين الكندى » .

العرس — بضم العين المهملة وسكون الراء وآخره سين مهملة : هو ابن عميرة الكندى ، وهو صحابى ، جزم البخارى بصحبته، وروى له حديثاً فى الكبير ٤/١/٨٧ . وهو أخو عدى بن عميرة ، وعم عدى ابن عدى .

عدى بن عميرة بن فروة الكندى : صحابى معروف ، يكنى « أبا زرارة »، له أحاديث فى صحيح مسلم، كما قال الحافظ فى الإصابة .

و « عميرة » : بفتح العين وكسر الميم ، كما نص عليه فى المشتبه للذهبى وغيره . وضبط فى طبقات

٧٢٨١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال آخرون: إن الأشعث بن قيس اختصم هو ورجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض كانت في يده لذلك الرجل، أخذها لتعزُّزه في الجاهلية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أقم بينتك. قال الرجل: ليس يشهد لي أحدٌ على الأشعث! قال: فلك يمينه. فقام الأشعث ليحلف، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فنكلَ الأشعثُ وقال: إني أشهد الله وأشهدكم أنّ خصمي صادق. فرد إليه أرضَه، وزاده من أرض نفسه زيادةً كثيرةً، مخافة أن يبقى في يده شيء من حقه، فهي لعقب ذلك الرجل بعده.[1]

٣/٢٣٠

ابن سعد ٦ : ٣٦ بضمة فوق العين . وهو خطأ صرف ، فإن اسم « عميرة » بالضم — من أسماء النساء . وضبط في الطبقات على الصواب في ترجمة أخرى لعدي ١٧٦/٢/٧ .

ووقع في المخطوطة هنا « عدي بن عمير » و « العرس بن عمير » — بدون هاء في آخره فيهما . وهو خطأ .

والحديث رواه أحمد في المسند ٤ : ١٩١ — ١٩٢ (حلبي) ، عن يحيى بن سعيد ، عن جرير ابن حازم ، بهذا الإسناد ، نحوه .

ثم رواه ، ص : ١٩٢ ، عن يزيد ، وهو ابن هرون ، « حدثنا جرير بن حازم » ، بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظ الحديث كله . ووقع في نسخة المسند المطبوعة في هذا الموضع سقط قول أحمد : « حدثنا يزيد » ، وهو خطأ واضح . وثبت على الصواب في مخطوطة المسند المرموز لها بحرف « م » .

وذكره ابن كثير ٢ : ١٧٢ ، من رواية المسند الأولى ، ثم قال : « ورواه النسائي ، من حديث عدي بن عدي ، به » ، وهو يريد بذلك السنن الكبرى ، فإنه ليس في السنن الصغرى .

ولذلك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ : ١٧٨ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ، ورجالها ثقات » .

وهو في الدر المنثور ٢ : ٤٤ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في الشعب ، وابن عساكر .

(١) الحديث : ٧٢٨١ — هذا حديث مرسل ، لم يذكر ابن جريج من حدثه به . فهو ضعيف الإسناد .

وقول ابن جريج « قال آخرون » — هو ثابت في المخطوطة والمطبوعة . ولم يذكره السيوطي ، فلعله اختصره .

ومعناه أن ابن جريج كان يتحدث في شأن نزول الآية ، والظاهر أنه تحدث بخبر قبل هذا ، ثم قال : « وقال آخرون » — فذكر هذا الحديث . ولعله ذكر الرواية الماضية : ٧٢٧٩ — ، أو الآتية : ٧٢٨٢ ، أو نحو ذلك ، ثم أتى بروايته هذه المرسلة .

وهي ضعيفة الإسناد كما قلنا لإرسالها . ثم هي ضعيفة لما فيها من منافاة لتينك الروايتين الصحيحتين :

٧٢٨٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن شقيق، عن عبد الله قال: من حلف على يمين يستحقّ بها مالاً هو فيها فاجرٌ، لقى الله وهو عليه غضبان. ثم أنزل الله تصديق ذلك: «إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً» الآية. ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا فقال: ما حدثكم أبو عبد الرحمن؟ فحدثناه بما قال، فقال: صدَق، لفىّ أنزلت! كانت بيني وبين رجل خصومة فى بئر، فاختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: شاهداك أو يمينه. فقلت: إذاً يحلف ولا يُبالى! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين يستحقّ بها مالاً هو فيها فاجرٌ، لقى الله وهو عليه غضبان»، ثم أنزل الله عز وجل تصديقَ ذلك: «إنّ الذين يشترُون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً»، الآية.(1)

* * *

أن الخصومة كانت بين الأشعث ورجل يهودى، وأن اليهودى كان المدعى عليه الذى عليه اليمين، وأن الأشعث قال: «إذن يحلف». فهى ضعيفة الإسناد، ضعيفة السياق.

وهذه الرواية ذكرها السيوطى ٢ : ٤٤، ولم ينسبها لغير الطبرى.

وقوله: «فقام الأشعث ليحلف» — هذا هو الثابت فى المطبوعة، وهو الصواب إن شاء الله. وفى المخطوطة: «فحلف»، وهو خطأ، يدل على غلطه قوله بعد «فنكل». والنكول إنما يكون عند عرض اليمين أو الهم بالحلف. أما بعد الحلف فلا يكون نكولا، بل رجوع إلى الحق، أو إقرار به، ولا يسمى نكولا. وفى الدر المنثور: «فقال الأشعث: نحلف» — والظاهر أنه تصحيف.

(1) الحديث: ٧٢٨٢ — جرير: هو ابن عبد الحميد الضبى. ومنصور: هو ابن المعتمر. وشقيق: هو أبو وائل.

وهذا الحديث هو الحديث السابق: ٧٢٧٩، بنحوه. ذاك من رواية الأعمش عن أبى وائل، وهذا من رواية منصور عن أبى وائل. وقد بينا تخريجه هناك.

ونذكر هنا أن من روايات البخارى إياه، روايته فى ٥ : ٢٠٧ (فتح)، عن عثمان بن أبى شيبة، عن جرير بهذا الإسناد.

وكذلك رواه مسلم ١ : ٥٠، عن إسحق بن إبراهيم — وهو ابن راهويه — عن جرير، به، ولم يذكر لفظه.

ورواه أحمد فى المسند ٥ : ٢١١ (حلبى)، عن زياد البكائى عن منصور.

ورواه البخارى ١١ : ٤٧٣، من طريق شعبة، عن سليمان — وهو الأعمش — ومنصور، كلاهما عن أبى وائل.

ورواه أيضاً ١٣ : ١٥٦، من طريق سفيان، وهو الثورى عن منصور.

وقال آخرون بما : —

٧٢٨٣ — حدثنا به محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الوهاب قال ، أخبرنى داود بن أبى هند، عن عامر : أنّ رجلا أقام سلعته أوّل النهار ، فلما كان آخرُه جاء رجل يساومه ، فحلفَ لقد منعها أوّل النهار من كذا وكذا ، ولولا المساء ما باعها به ، فأنزل الله عز وجل: « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا » .

٧٢٨٤ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود ، عن رجل، عن مجاهد نحوه .

٧٢٨٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً » الآية، إلى: « ولهم عذاب أليم »، أنزلهم الله بمنزلة السَّحَرة .

٧٢٨٦ — حدثنا بشر قال ،حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: أن عمران بن حصين كان يقول : من حلفَ على يمين فاجرة يقتطع بها مالَ أخيه ، فليتبوَّأ مقعده من النار . فقال له قائل: شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال لهم: إنكم لتجدون ذلك . ثم قرأ هذه الآية : « إنّ الذين يشترُون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً » الآية .[1]

٧٢٨٧ — حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروق قال ، حدثنا حسين بن على ، عن زائدة، عن هشام قال ،قال محمد، عن عمران بن حصين : من حلف على يمين مَصْبورَة فليتبوّأ بوجهه مقعده من النار. ثم قرأ هذه الآية كلها : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا » .[2]

---

(١) الحديث : ٧٢٨٦ — هذا إسناد مرسل ، قتادة — وهو ابن دعامة — : لم يدرك عمران ابن حصين ، مات عمران سنة ٥٢ ، وولد قتادة سنة ٦١ .
وسيأتى الحديث عقب هذا بإسناد آخر متصل .

(٢) الحديث : ٧٢٨٧ — موسى بن عبد الرحمن المسروق ، وحسين بن على الجعفى : ترجمنا لهما فيما مضى : ١٧٤ .

٧٧٨٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب قال : إن اليمين الفاجرة من الكبائر . ثم تلا : « إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا » .

٧٧٨٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أن عبد الله بن مسعود كان يقول : كنا نرى ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ من الذنب الذى لا يُغفر : يمين الصَّبر ، إذا فجر فيها صاحبها .(١)

٢٣١/٣

* * *

زائدة : هو ابن قدامة الثقفى ، مضى فى : ٤٨٩٧ .

هشام : هو ابن حسان .

محمد : هو ابن سيرين . ووقع هنا فى المخطوطة والمطبوعة : « قال محمد بن عمران بن حصين » ! وهو خطأ صرف ، حرفت كلمة « عن » إلى « بن » . والصواب ما أثبتنا : « محمد ، عن عمران بن حصين » . وهكذا مخرج الحديث ، كما سيأتى .

وهذا الحديث ظاهره هنا أنه موقوف . ولكنه فى الحقيقة مرفوع ، حتى لو كان موقوفاً لفظاً ، فإنه — على اليقين — مرفوع حكماً ، لأن الوعيد الذى فيه ليس مما يعرف بالرأى ولا القياس ، ولا مما يدرك بالاستنباط من القرآن . ثم قد ثبت رفعه صريحاً ، من هذا الوجه :

فرواه أحمد فى المسند ٤ : ٤٣٦ ، ٤٤١ ، عن يزيد ، وهو ابن هرون : « أخبرنا هشام ، عن محمد ، عن عمران بن حصين ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من حلف على يمين كاذبة مصبورة متعمداً فليتبوأ بوجهه مقعده من النار » . ولم يذكر فيه الاستشهاد بالآية .

وكذلك رواه أبو داود : ٣٢٤٢ ، عن محمد بن الصباح البزاز ، عن يزيد بن هرون ، به ، نحوه .

وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٢٩٤ ، من طريق يزيد بن هرون ، به . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ٣ : ٤٧ ، من رواية أبى داود والحاكم .

وذكره السيوطى ٢ : ٤٦ ، بنحو رواية الطبرى هنا : موقوفاً لفظاً مع الاستشهاد بالآية — ونسبه لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وأبى داود ، وابن جرير ، والحاكم ، مع اختلاف السياق بين الروايتين ، كما هو ظاهر . وذلك منه دلالة على أنه لا فرق بين رفعه ووقفه لفظاً ، إذ كان مرفوعاً حكماً ولا بد .

« اليمين المصبورة » و « يمين الصبر » — قال القاضى عياض فى المشارق ٢ : ٣٨ « من الحبس والقهر » ، بمعنى « إلزامها والإجبار عليها » .

وقال الخطابى فى معالم السنن ، رقم : ٣١١٥ من تهذيب السنن : « اليمين المصبورة ، هى اللازمة لصاحبها من جهة الحكم ، فيصبر من أجلها ، أى يحبس . وهى يمين الصبر ، وأصل الصبر : الحبس . ومن هذا قولهم : قتل فلان صبراً ، أى حبساً على القتل وقهراً عليه » .

(١) الحديث : ٧٧٨٩ — هذا إسناد مرسل . فإن قتادة لم يدرك ابن مسعود . ولد بعد موته بنحو ٢٩ سنة .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وإنّ من أهل الكتاب = وهم اليهود الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده، من بني إسرائيل.

* * *

و « الهاء والميم » في قوله : « منهم » ، عائدة على « أهل الكتاب » الذين ذكرهم في قوله : « ومن أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك » .

وقوله = « لفريقاً »، يعني : جماعة[1] = « يلوون » ، يعني : يحرّفون = « ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب »، يعني : لتظنوا أن الذي يحرّفونه بكلامهم من كتاب الله وتنزيله .[2] يقول الله عز وجل : وما ذلك الذي لوَوْا به ألسنتهم فحرّفوه وأحدثوه من كتاب الله،[3] ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه في كتاب الله = « من عند الله » ، يقول : مما أنزله الله على أنبيائه = « وما هو من عند الله » ، يقول: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم فأحدثوه، مما أنزله الله إلى أحد من أنبيائه، ولكنه مما أحدثوه من قِبَل أنفسهم افتراء على الله .

= يقول عز وجل : « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »، يعني بذلك: أنهم يتعمدون قِيلَ الكذب على الله ، والشهادة عليه بالباطل ، والإلحاقَ بكتاب

والحديث لم أجده إلا عند السيوطي ٢ : ٤٦ ، ونسبه لابن جرير فقط .

(١) انظر تفسير « فريق » فيما سلف ٢ : ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ثم ٣/٤٠٢ : ٥٤٩ .

(٢) في المطبوعة « لكلامهم » باللام ، ولم يحسن قراءة المخطوطة .

(٣) قوله : « وما ذلك ... من كتاب الله » : ليس ذلك ... من كتاب الله ، هذا هو السياق .

الله ما ليس منه ، طلباً للرياسة والخسيس من حُطام الدنيا .

* * *

وبنحو ما قلنا فى معنى « يلوون ألسنتهم بالكتاب » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٩٠ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب » ، قال : يحرفونه .

٧٢٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٢٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب » ، حتى بلغ : « وهم يعلمون » ، هم أعداء الله اليهود ، حرَّفوا كتابَ الله ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله .

٧٢٩٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٧٢٩٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : « وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب » ، وهم اليهود ، كانوا يزيدون فى كتاب الله ما لم ينزِّل اللهُ .

٧٢٩٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وإن منهم لفريقاً يلوونَ ألسنتهم بالكتاب » ، قال : فريقٌ من أهل الكتاب = « يلوون ألسنتهم » ، وذلك تحريفهم إياه عن موضعه .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « اللىّ » ، الفَتْل والقلب . من قول القائل : « لوَى

فلانٌ يدَ فلان » ، إذا فتَلها وقلَبها ، ومنه قول الشاعر : [١]

* لَوَى يَدَهُ ٱللهُ ٱلَّذِى هُوَ غَالِبُهْ * [٢]

يقال منه : « لوى يدَه ولسانَه يلوى ليًّا » = « وما لوى ظهرفلان أحد » ، إذا لم يصرعه أحدٌ ، ولم يَفتل ظهره إنسان = « وإنه لألوَى بعيدُ المستمر » ، إذا كان شديد الخصومة ، صابراً عليها ، لا يُغلب فيها ، قال الشاعر : [٣] ٢٣٢/٣

فَلَوْ كَانَ فِى لَيْلَى شَدًا مِنْ خُصُومَةٍ ... لَلَوَّيْتُ أَعْنَاقَ ٱلْخُصُومِ ٱلْمَلَاوِيَا [٤]

* * *

---

(١) هو فرعان بن الأعرف السعدى التميمى ، ويقال : فرعان بن أصبح بن الأعرف .

(٢) كتاب المقة لأبي عبيدة (نوادر المخطوطات : ٧) ص : ٣٦٠ ، الحماسة ٣ : ١٠ ، معجم الشعراء : ٣١٧ ، العينى بهامش الخزانة ٢ : ٣٩٨ ، واللسان (لوى) وسيأتى بتمامه فى التفسير ١٥ : ١٦٠ (بولاق) ، وغيرها ، أبيات يقولها فرعان بن الأعرف فى ابنه منازل ، وكان عق أباه وضربه ، لأنه تزوج على أمه امرأة شابة ، فغضب لأمه ، ثم استاق مال أبيه واعتزل مع أمه ، فقال فيه :

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِى وَبَيْنَ مُنَازِلٍ ... جَزَاءً ، كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدَّيْنَ طَالِبُهْ

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ منازلٌ ... عَدُوِّى ، وَأَدْنَى شَانِئٍ أَنَا رَاهِبُهْ

حَمَلْتُ عَلَى ظَهْرِى ، وفَدَّيْتُ صَاحِبِى ... صَغِيرًا ، إِلَى أَنْ أَمْكَنَ الطَّرَّ شَارِبُهْ

وَأَطْعَمْتُه ، حَتَّى إِذَا صَارَ شَيْظَمًا ... يَكَادُ يُسَاوِى غَارِبَ الفَحْلِ غَارِبُهْ

تَخَوَّنَ مالِى ظَالِمًا ، وَلَوَى يَدِى ! ... لَوَى يَدَه اللهُ الَّذِى هُو غَالِبُهْ

من أبيات كثيرة ، فيقال : إن منازلا ، أصبح وقد لوى الله يده . ثم ابتلاه الله بابن آخر عقه كما عق أباه ، واستاق ماله ، فقال فيه :

تَظَلَّمَنِى مَالِى خَلِيجٌ وعَقَّنِى ... عَلَى حِينَ كَانَتْ كَالحَنِىِّ عظامى

فى أبيات . وقد أتم البيت أبو جعفر فى التفسير بعد ، وصدره هناك : « تظلمنى مالى كذا ، ولوى يدى » . وهى إحدى الروايات فيه .

(٣) هو مجنون بنى عامر .

(٤) ليس فى ديوانه ، وهو فى الأغانى ٢ : ٣٨ ، مع أبيات ، واللسان (شدا) ، (شذا) ، (لوى) ، وغيرها ، وقبله :

يَقُولُ أُنَاسٌ : عَلَّ مَجْنُونَ عَامِرٍ ... يَرُومُ سُلُوًّا ! قُلْتُ : إِنِّى لِمَا بِيَا

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وما ينبغى لأحد من البشر .

* * *

و «البشر» جمع بنى آدم لا واحد له من لفظه مثل : «القوم» و «الخلق» . وقد يكون اسماً لواحد = « أن يؤتيه الله الكتاب » يقول : أن ينزل الله عليه كتابه =« والحكم » يعنى : ويعلمه فصْل الحكمة = « والنبوة » ، يقول : ويعطيه النبوّة = « ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله » ، يعنى : ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله ، وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة . ولكن إذا آتاه الله ذلك ، فإنما يدعوهم إلى العلم بالله ، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه ، وأن يكونوا رؤساء فى المعرفة بأمر الله ونهيه ، وأئمةً فى طاعته وعبادته ، بكونهم معلِّمى الناس الكتاب ، وبكونهم دَارسيه . (١)

* * *

وَقَدْ لَامَنِى فى حُبِّ لَيْلَى أَقَارِبِى أَخِى، وَٱبْنُ عَمِّى، وَٱبْنُ خَالِى، وَخَالِيَا
يَقُولُونَ : لَيْلَى أَهْلُ بَيْتِ عَدَاوة !! بِنَفْسِى لَيْلَى من عَدُوٍّ ومَالِيَا

ورواية اللسان وغيره : « أعناق المطى » ، ورواية صاحب الأغانى « أعناق الخصوم » كما رواها أبو جعفر ، ولكن من سوء صنيع ناشرى الأغانى أنهم خالفوا أصول الأغانى جميعاً ، لرواية أخرى ، مع صحة الرواية التى طرحوها ، وهى رواية أبى جعفر وأبى الفرج ، وقوله : « شذاً من خصومة » ، ويروى « شذاً من خصومة » . والشذا : حد كل شىء . ومن معانيه أيضاً طرف من الشىء ، أو بقية منه . و « الملاوى » جمع « ملوى » مصدر ميمى من « لوى » . يقول : لوخاصمونى فى ليلى خصومة حديدة ، لفتلت أعناقهم حتى أذهب بأرواحهم . وأما رواية « المطى » مكان « الخصوم » ، وهى رواية ابن الأعرابى ، فكأنه يقول : لو علمت فى ليلى بعض ما يقولون من الخصومة والعداوة لأهل وعشيرتى ، لأعرضت عنها إعراض من يأنف لعشيرته ويحمى لها غضباً وحفيظة ، ولفارقتها .

(١) انظر تفسير « آتى » و « الحكم » ، و « النبوة » فيما سلف من فهارس اللغة مادة (أتى) (حكم) (نبأ) .

وقيل إنّ هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الكتاب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أتدعونا إلى عبادتك ؟ كما : —

٧٢٩٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظى = [1] حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام = : أتريد يا محمد أن نعبدك ، كما تعبد النصارىٰ عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرِّبِّيس : [2] أوَ ذاك تريد منا يا محمد ، وإليه تدعونا ! أو كما [illegible] = فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذَ الله أن نَعبُد غيرَ الله ، أو نأمر بعبادة غيره ، [illegible] ذلك بعثنى ، ولا بذلك أمرنى = أو كما قال . فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : [3] « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة » ، الآية إلى قوله : « بعد إذ أنتم مسلمون » .

٧٢٩٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد ابن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظى ، فذكر نحوه . [4]

٧٢٩٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا

---

(١) أبو رافع القرظى ، هو سلام بن أبي الحقيق اليهودى .

(٢) فى المطبوعة : « الرئيس » ، وفى المخطوطة « الرسس » غير منقوطة ، وهو فى سيرة ابن هشام المطبوعة الأوربية والمصرية : « الربيس » مثل « سكيت » (بكسر الراء وتشديد الباء المكسورة) . وربيس السامرة : هو كبيرهم . وفى التعليقات على سيرة ابن هشام . الطبعة الأوربية « الريس ، والرئيس » معاً ، وكأن الصواب هو ما جاء فى نص ابن هشام الأول .

(٣) فى سيرة ابن هشام : « من قولهما » ، وهى أجود ، ولعل هذه من قلم الناسخ .

(٤) الأثران : ٧٢٩٦ ، ٧٢٩٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وهما من تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧٢٢٣ ، وفى الطبرى اختلاف فى قليل من اللفظ .

عباداً لى من دون الله »، يقول : ما كان ينبغى لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوةَ، يأمر عبادَه أن يتخذوه ربًّا من دون الله .

٧٢٩٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله .

٧٣٠٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال : كان ناس من يهود يتعبَّدون الناسَ من دون ربهم، بتحريفهم كتابَ الله عن موضعه، فقال الله عز وجل : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقولَ للناس كونوا عباداً لى من دون الله »، ثم يأمر الناس بغير ما أنزل الله فى كتابه .

* * *

٢٢٣/٣ القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : « ولكن» يقول لهم : « كونوا ربانيين»، فترك « القول »، استغناء بدلالة الكلام عليه .

* * *

وأما قوله : « كونوا ربانيين »، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : كونوا حكماء علماء .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٠١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن أبى رزين : « كونوا ربانيين »، قال : حكماء علماء .

٧٣٠٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن أبى رزين : « كونوا ربانيين »، قال : حكماء علماء .

٧٣٠٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن أبي رزين مثله .

٧٣٠٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي رزين : « ولكن كونوا ربانيين » ، حكماء علماء .

٧٣٠٥ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن في قوله : « كونوا ربانيين » ، قال : كونوا فقهاء علماء .

٧٣٠٦ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « كونوا ربانيين » ، قال : فقهاء .

٧٣٠٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٣٠٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال أخبرني القاسم ، عن مجاهد قوله : « ولكن كونوا ربانيين » ، قال : فقهاء .

٧٣٠٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولكن كونوا ربانيين » ، قال : كونوا فقهاء علماء .

٧٣١٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن منصور بن المعتمر ، عن أبي رزين في قوله : « كونوا ربانيين » ، قال : علماء حكماء = قال معمر : قال قتادة .

٧٣١١ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : « كونوا ربانيين » ، أما « الربانيون » ، فالحكماء الفقهاء .

٧٣١٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا سفيان ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الربانيون » ، الفقهاء العلماء ، وهم فوق الأحبار .

٧٣١٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولكن كونوا ربانيين » ، يقول : كونوا حكماء فقهاء .

٧٣١٤ — حدثت عن المنجاب، قال، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي حمزة الثمالي، عن يحيى بن عقيل في قوله : ﴿ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبار ﴾[سورة المائدة: ٦٣]، قال : الفقهاء العلماء .

٧٣١٥ — حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس مثله .

٧٣١٦ — حدثني ابن سنان القزاز قال ، حدثنا الحسين بن الحسن الأشقر قال ، حدثنا أبوكدينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « كونوا ربانيين » ، قال : كونوا حكماء فقهاء .

٧٣١٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « كونوا ربانيين » ، يقول : كونوا فقهاء علماء .

* * *

وقال آخرون: بل هم الحكماء الأتقياء .

* ذكر من قال ذلك:

٧٣١٨ — حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قوله : « كونوا ربانيين » ، قال : حكماء أتقياء .

* * *

وقال آخرون : بل هم ولاة الناس وقادتهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣١٩ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد يقول في قوله : «كونوا ربانيين »، قال : الربانيون ، الذين يربُّون الناس ، ولاة هذا الأمر، يربُّونهم: يلونهم ، وقرأ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَار ﴾ [سورة : المائدة : ٦٣]،قال : الربانيون الولاة ، والأحبار العلماء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندي بالصواب في « الربانيين » أنهم جمع « رباني » ، وأن « الرباني » المنسوب إلى « الرَّبَّان » ، الذي يربُّ الناسَ ، وهو الذي يُصْلح أمورهم ، و« يربّها » ، ويقوم بها، ومنه قول علقمة بن عبدة :

وَكُنْتُ امْرَأً أَفْضَتْ إلَيْكَ رِبَابَتِي وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي،فَضِعْتُ ، رُبُوبُ[1]

يعني بقوله : « ربتني » : ولي أمري والقيامَ به قبلك من يربه ويصلحه ، فلم يصلحوه ، ولكنهم أضاعوني فضعتُ .

يقال منه : « رَبَّ أمري فلان، فهو يَرُبُّه رَبًّا،وهو رَابُّه ».[2]فإذا أريد به المبالغة في مدْحه قيل : « هو ربّان » ، كما يقال : « هو نعسان » من قولهم : « نعَس يَنعُس » . وأكثر ما يجيء من الأسماء على « فَعْلان » ما كان من الأفعال ماضيه على « فَعِل » مثل قولهم : « هوسكران ، وعطشان، وريان » من « سكِر يسكَر ،وعطِش يعطَش، ورَوِى يرْوَى» . وقد يجيء مما كان ماضيه على «فَعَل يَفعُل »، نحو ما قلنا من « نَعَس يَنعُس » و« ربَّ يَرُبّ » .

٢٣٤/٣

فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا = وكان « الربّان » ما ذكرنا ،

---

(١) سلف البيت وتخريجه وشرحه في ١ : ١٤٢ .

(٢) انظر تفسير « رب » فيما سلف ١ : ١٤١ ، ١٤٢ .

و« الربّانى » هو المنسوب إلى من كان بالصفة التى وصفتُ = وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين يَرُبّ أمورَ الناس، بتعليمه إياهم الخيرَ ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم = وكان كذلك الحكيمُ التقىُّ لله ، والوالى الذى يلى أمور الناس على المنهاج الذى وَلِيه المقسطون من المصْلحين أمورَ الخلق ، بالقيام فيهم بما فيه صلاحُ عاجلهم وآجلهم ، وعائدةُ النفع عليهم فى دينهم ، ودنياهم = كانوا جميعاً يستحقون أن [يكونوا] ممن دَخل فى قوله عز وجل : « ولكن كونوا ربانيين » . (١)

فـ« الربانيونَ » إذاً ، هم عمادُ الناس فى الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا . ولذلك قال مجاهد : «وهم فوق الأحبار »، لأن « الأحبارَ » هم العلماء ، و« الربانى » الجامعُ إلى العلم والفقه، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية ، وما يصلحهم فى دُنياهم ودينهم . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة قرأة أهل الحجاز وبعض البصريين : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بفتح « التاء » وتخفيف « اللام »، يعنى : بعلمكم الكتابَ ودراستكم إياه وقراءتكم .

---

(١) فى المطبوعة : « كانوا جميعاً مستحقين أنهم ممن دخل فى قوله . . . » ، وهى عبارة سقيمة غير المخطوطة كما شاء . وفى المخطوطة : « كانوا جميعاً مستحقون أن ممن دخل فى قوله . . . » ، وظاهر أن الناسخ جعل « يستحقون » : « مستحقون » ، وهو خطأ فى الإعراب ، وسقط من عجلته قوله : « يكونوا » ، فزدتها بين القوسين ، فاستقام الكلام .

(٢) هذا التفسير قل أن تجده فى كتاب من كتب اللغة ، وهو من أجود ما قرأت فى معنى « الربانى » ، وهو من أحسن التوجيه فى فهم معانى العربية ، والبصر بمعانى كتاب الله . فرحم الله أبا جعفر رحمة ترفعه درجات عند ربه .

واعتلُّوا لاختيارهم قراءة ذلك كذلك ، بأن الصواب = كذلك ، لو كان التشديد فى « اللام » وضم « التاء » = لكان الصواب فى : « تدرسون » ، بضم « التاء » وتشديد « الراء » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ بضم « التاء » من « تعلمون » ، وتشديد « اللام » ، بمعنى : بتعليمكم الناسَ الكتابَ ودراستكم إياه .

واعتلوا لاختيارهم ذلك ، بأن مَنْ وصفهم بالتعليم ، فقد وصفهم بالعلم ، إذ لا يعلِّمون إلاّ بعد علمهم بما يعلِّمون . قالوا : ولا موصوف بأنه « يعلم » ، إلاّ وهو موصوف بأنه « عالم » . قالوا : فأما الموصوف بأنه « عالم » ، فغير موصوف بأنه معلِّم غيره . قالوا : فأولى القراءتين بالصواب أبلغهما فى مدح القوم ، وذلك وصفهم بأنهم كانوا يعلمون الناسَ الكتابَ ، كما : —

٧٣٢٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد أنه قرأ : « بما كنتم تَعلَمون الكتابَ وبما كنتم تَدْرسون » ، مخففةً بنصب « التاء » = وقال ابن عيينة : ما علَّموه حتى علِموه !

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك ، قراءة من قرأه بضم « التاء » وتشديد « اللام » . لأن الله عز وجل وصف القوم بأنهم أهل عمادٍ للناس فى دينهم ودنياهم ، وأهل إصلاح لهم ولأمورهم وتربية .

يقول جل ثناؤه : « ولكن كونوا ربانيين » ، على ما بينا قبل من معنى « الربانى » ،

---

(١) فى المطبوعة : « بأن الصواب لو كان التشديد فى اللام . . . » ، حذف من المخطوطة « كذلك » بعد « بأن الصواب » ، وظاهر أن موضع الخطأ هو سقوط « الواو » قبل قوله : « لو كان التشديد » . فأثبتها ، واستقام الكلام .

ثم أخبر تعالى ذكره عنهم أنهم صاروا أهل إصلاح للناس وتربية لهم بتعليمهم إياهم كتابَ ربِّهم .

* * *

= و« دراستهم » إياه : تلاوته . (١)

* * *

وقد قيل : « دراستهم »، الفقه .

* * *

وأشبه التأويلين بالدراسة ما قلنا : من تلاوة الكتاب ، لأنه عطف على قوله : « تعلمون الكتاب » ، « والكتاب » هو القرآن ، فلأنْ تكون الدراسة معنيًّا بها دراسة القرآن ، أولى من أن تكون معنيًّا بها دراسة الفقه الذى لم يجرِ له ذكرٌ .

* ذكر من قال ذلك : (٢)

٧٣٢١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، قال يحيى بن آدم قال ، أبو زكريا : كان عاصم يقرؤها: « بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الكِتَابَ » ، قال : القرآن = « وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ » ، قال : الفقه .

* * *

فمعنى الآية : ولكن يقول لهم : كونوا، أيها الناس، سادة الناس ، وقادتهم فى أمر دينهم ودنياهم، ربَّانيِّين بتعليمكم إياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام ، وفرض وندب ، وسائر ما حواه من معانى أمور دينهم ، وبتلاوتكم إياه ودراستِكموه .

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ودراستهم إياه وتلاوته » ، بزيادة الواو قبل « تلاوته » والسياق بين فى أنه يفسر معنى « الدراسة » ، وأنهما تأويلان ، كما سيأتى ، فحذفت الواو ، وفصلت بين الكلامين .

(٢) أنا أرتاب فى سياق هذا الموضع من التفسير ، وأخشى أن يكون سقط من النساخ شىء .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ولا يأمركم » .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ ، على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يأمركم ، أيها الناس ، أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً . واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها ، وهى : ﴿ وَلَنْ يَأْمُرَكُم ﴾ ، فاستدلوا بدخول « لن » ، على انقطاع الكلام عما قبله ، وابتداء خبر مستأنف . قالوا : فلما صير مكان « لن » فى فى قراءتنا « لا » ، وجبت قراءته بالرفع .[1]

* * *

وقرأه بعض الكوفيين والبصريين : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ ، بنصب « الراء » ، عطفاً على قوله : « ثم يقولَ للناس » . وكان تأويله عندهم : ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ، ثم يقولَ للناس ، ولا أن يأمرَكم = بمعنى : ولا كان له أن يأمرَكم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك : « ولا يأمرَكم » ، بالنصب ، على الاتصال بالذى قبله ، بتأويل :[2] ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتابَ والحكمَ والنبوةَ ، ثم يقولَ للناس كونوا عباداً لى من دون الله = ولا أنْ يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً . لأن الآية نزلت فى سبب القوم الذين قالوا لرسول ٢٢٥/٣

---

(١) هذا وجه ذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « بتأول » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

الله صلى الله عليه وسلم :[1] « أتريد أن نعبدك » ؟ فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه ليس لنبيّه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناسَ إلى عبادة نفسه ، ولا إلى اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً . ولكن الذى له : أنْ يدعوهم إلى أن يكونوا ربانيين .

* * *

فأما الذى ادّعى من قرأ ذلك رفعاً ،[2] أنه فى قراءة عبد الله : « ولن يأمركم » استشهاداً لصحة قراءته بالرفع ، فذلك خبر غيرُ صحيح سَنَدُه ، وإنما هو خبر رواه حجاج ، عن هرون الأعور[3]: أنّ ذلك فى قراءة عبد الله كذلك . ولو كان ذلك خبراً صحيحاً سنده ، لم يكن فيه لمحتجٍّ حجة . لأن ما كان على صحته من القراءة من الكتاب الذى جاءَ به المسلمون وراثةً عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، لا يجوز تركه لتأويلٍ على قراءة أضيفت إلى بعض الصحابة ،[4] بنقل من يجوز فى نقله الخطأ والسهو .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فى سبب القوم . . . » ، وهو باطل المعنى ، ولم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة ، يعنى بقوله : « فى سبب القوم . . . » ، من جراء القوم وبسبب قولهم ما قالوا .

(٢) يعنى الفراء كما أسلفنا فى التعليق رقم : ١ ، ص : ٥٤٧ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة « . . . عن هرون لا يجوز أن ذلك . . . » ، وهو كلام بلا معنى ، جعل الناشرين الأولين للتفسير يكتبون فى وجوه تأويلها وتصويبها خلطاً لا معنى له أيضاً ، والصواب ما أثبت . وهذا من التصحيف الغريب فى نسخ النساخ .

وحجاج ، هو : « حجاج بن محمد المصيصى الأعور » سكن بغداد ، ثم تحول إلى المصيصة قال أحمد : « ما كان أضبطه وأشد تعاهده للحروف » ورفع أمره جداً . كان ثقة صدوقاً ، ثم تحول من المصيصة فعاد إلى بغداد فى حاجة له ، فمات بها سنة ٢٠٦ ، وعند مرجعه هذا إلى بغداد كان قد تغير وخلط ، فرآه يحيى بن معين ، فقال لابنه : « لا تدخل عليه أحداً » ، ولكن روى الحافظ فى ترجمة سنيد ابن داود ما يدل على أن حجاجاً قد حدث فى حال اختلاطه ، حتى ذكره أبو العرب القيروانى فى الضعفاء ، لسبب الاختلاط . وأخشى أن يكون الطبرى ، إنما أشار إلى هذا ، وإلى رواية سنيد عنه فى حال اختلاطه ، فقال إن إسناده غير صحيح ، لأنه من رواية سنيد عنه .

وأما « هرون الأعور » فهو : « هرون بن موسى أبو عبد الله الأعور العتكى » علامة صدوق نبيل ، له قراءة معروفة . وهو من الثقات . وكلاهما مترجم فى التهذيب ، وفى الطبقات القراء لابن الجزرى .

(٤) فى المطبوعة : « لتأويل نحو قراءة . . . » ، وهى عبارة مريضة ، وسبب ذلك أنه لم يحسن قراءة « على » لسوء خط الناسخ ، فكتبها « نحو » ، فرضت العبارة .

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : وما كان للنبي أن يأمركم ، أيها الناس،[1] « أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً » = يعني بذلك آلهة يعبدون من دون الله = ، كما ليس له أن يقول لهم : كونوا عباداً لي من دون الله .

* * *

ثم قال جل ثناؤه = نافياً عن نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يأمرَ عباده بذلك = : «أيأمُرُكم بالكفر» ، أيها الناس، نبيُّكم ، بجحود وحدانية الله =« بعد إذ أنتم مسلمون» ، يعني : بعد إذ أنتم له منقادون بالطاعة ، متذللون له بالعبودة =[2] : أي أن ذلك غير كائن منه أبداً . وقد : —

٧٣٢٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال: « ولا يأمركم » النبيُّ صلى الله عليه وسلم = « أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً » .

* * *

(١) في المطبوعة : « وما كان للنبي أن يأمر الناس أن يتخذوا . . . » ، وهي عبارة مستقيمة المعنى ، أما المخطوطة فقد كانت فيها عجيبة من عجائب التصحيف — وقد كثر تصحيف الناسخ في هذا الموضع كما ترى وذلك أنه كتب : « وما كان للنبي أن يأمر كما نهى الناس » ، وصل ألف « أيها » بالميم في « يأمركم » ، ثم قرأ « يها » من « أيها » ، « نهى » ، وكتبها كذلك . وكأن الناسخ كان قد تعب وكل ، فكل مع كلالة ذهنه . وجاء الناشر ، فلم يجد لذلك معنى فحذفه . كل هذا أيضاً من كثرة تصحيف الناسخ ! !

(٢) في المطبوعة : « بالعبودية » ، وأثبت ما في المخطوطة ، ولم يدع الناشر كلمة « العبودة » إلا جعلها « العبودية » في كل ما سلف . انظر آخر تعليق على ذلك ص : ٤٠٤ ، تعليق : ٢ .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه : واذكروا ، يا أهل الكتاب ، « إذ أخذ الله ميثاق النبيين » ، يعنى : حين أخذ الله ميثاق النبيين = « وميثاقهم » ، ما وثقوا به على أنفسهم طاعةَ الله فيما أمرهم ونهاهم .

* * *

وقد بينا أصل « الميثاق » باختلاف أهل التأويل فيه ، بما فيه الكفاية .[1]

* * *

= : « لما آتيتكم من كتاب وحكمة » ،[2] فاختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ بفتح « اللام » من « لما » ، إلا أنهم اختلفوا فى قراءة : « آتيتكم » .

فقرأه بعضهم : « آتيتكم » على التوحيد .

وقرأه آخرون : ﴿ آتيناكم ﴾ على الجمع .

* * *

ثم اختلف أهل العربية إذا قرئ ذلك كذلك .

فقال بعض نحويى البصرة : « اللام » التى مع « ما » فى أول الكلام « لام الابتداء » ، نحو قول القائل : « لزيدٌ أفضل منك » ، لأن « ما » اسم ، والذى بعدها صلة لها ،[3] « واللام » التى فى « لتؤمنن به ولتنصرنه » ، لام القسم ، كأنه قال : والله لتؤمنن به = يؤكد فى أول الكلام وفى آخره ، كما يقال : « أما والله أن لو جئتنى

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٤/٢ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٨٨ .

(٢) فى المطبوعة : « اختلفت » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة : « لأن لما اسم . . . » ، وهو جيد أيضاً وتركت ما فى المطبوعة على حاله .

لكان كذا وكذا » ، وقد يستغنى عنها. فوكّد فى : « لتؤمنن به » ، باللام فى آخر الكلام.[1] وقد يستغنى عنها ، ويجعل خبر « ما آتيتكم من كتاب وحكمة » « لتؤمنن به ». مثل : « لعبد الله والله لتأتينّه ».[2] قال : وإن شئت جعلت خبر « ما » « من كتاب » ، يريد : لما آتيتكم ، كتابٌ وحكمة = وتكون « من » زائدة.

* * *

وخطأ بعضُ نحويى الكوفيين ذلك كله وقال : « اللام » التى تدخل فى أوائل الجزاء، تجابُ بجوابات الأيمان ، يقال : « لَمَنْ قام لآتينّه » ، « ولَمَنْ قام ما أحسن » ،[3] فإذا وقع فى جوابها « ما » و« لا » ، علم أن اللام ليست بتوكيد للأولى ، لأنه يوضع موضعها « ما » و« لا » ، فتكون كالأولى ،[4] وهى جواب للأولى. قال : وأما قوله : « لما آتيتكم من كتاب وحكمة » ، بمعنى إسقاط « من » ، غلطٌ. لأن « منْ » التى تدخل وتخرج ، لا تقع مواقع الأسماء ، قال : ولا تقع فى الخبر أيضاً ، إنما تقع فى الجحد والاستفهام والجزاء.[5]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل هذه الآية — على قراءة من قرأ ذلك بفتح « اللام » — بالصواب : أن يكون قوله : « لما » بمعنى « لمهما » ، وأن تكون « ما » حرف جزاء أدخلت عليها « اللام » ، وصيّر الفعل معها على « فَعَل » ،[6] ثم

---

(١) فى المطبوعة : « فيؤكد فى لتومن به » ، والصواب ما فى المخطوطة . و « وكد » و « أكد » واحد .

(٢) فى المطبوعة : « لا يأتينه » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « اللام التى تدخل فى أوائل الجزاء لا تجاب بما ولا لا » ، فلا يقال : لمن قام لا تتبعه ، ولا : لمن قام ما أحسن » ، أحدثوا فى نص المخطوطة تغييراً تاماً . فاضطرب الكلام اضطراباً شديداً ، واختلفت معانيه .

(٤) يعنى « ما » و « لا » التى يتلقى بها القسم .

(٥) انظر ذلك فيما سلف ٢ : ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٤٤٢ ، ٤٧٠ .

(٦) قوله : « على فعل » ، يعنى على الفعل الماضى ، لا المضارع .

أجيبت بما تجاب به الأيمان، فصارت «اللام» الأولى يمينًا، إذ تُلُقِّيت بجواب اليمين.

* * *

وقرأ ذلك آخرون: ﴿لِمَا آتَيْتُكُمْ﴾ «بكسر «اللام» من «لما». وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة.

* * *

ثم اختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله.

فقال بعضهم: معناه إذا قرئ كذلك: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم = فـ «ما» على هذه القراءة، بمعنى «الذي» عندهم. وكان تأويل الكلام: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة =، ثم «جاءكم رسول»، يعني: ثم إن جاءكم رسول، يعني: ذكر محمد في التوراة = «لتؤمنن به»، أي: ليكونن إيمانكم به، للذي عندكم في التوراة من ذكره. ٢٣٦/٣

* * *

وقال آخرون منهم: تأويل ذلك إذا قرئ بكسر «اللام» من «لما»: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين، للذي آتاهم من الحكمة. ثم جعل قوله: «لتؤمنن به» من الأخذِ، أخذِ الميثاق. كما يقال في الكلام: «أخذتُ ميثاقك لتفعلن». لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف. فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول: وإذ استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة، متى جاءهم رسولٌ مصدق لما معهم، ليؤمننّ به ولينصرنه.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءةُ من قرأ: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم»، بفتح «اللام». لأن الله عز وجل أخذ ميثاقَ جميع الأنبياء بتصديق كل رسول له ابتعثه إلى خلقه فيما ابتعثه به إليهم، كان ممن آتاه كتابًا أو ممن لم يؤته كتابًا. وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله عز وجل ورسله، بأنه كان ممن أبيح له التكذيب بأحد من رسله. فإذ كان ذلك

كذلك ، وكان معلوماً أن منهم من أنزل عليه الكتابَ ، وأنّ منهم من لم ينزل عليه الكتاب = كان بيناً أن قراءة من قرأ ذلك : « لِمَا آتيتكم » ، بكسر « اللام » ، بمعنى : من أجل الذى آتيتكم من كتاب ، لا وجه له مفهومٌ ، إلا على تأويل بعيد وانتزاع عميق .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن أخذ ميثاقه بالإيمان بمن جاءه من رُسل الله مصدّقاً لما معه .

فقال بعضهم : إنما أخذ الله بذلك ميثاقَ أهل الكتاب دون أنبيائهم . واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله : « لتؤمنن به ولتنصرنه » . قالوا : فإنما أمر الذين أرسلتَ إليهم الرّسل من الأمم بالإيمان برسل الله ونُصرتها على من خالفها . وأما الرسل ، فإنه لا وجه لأمرها بنصرة أحد ، لأنها المحتاجةُ إلى المعونة على من خالفها من كفَرَة بنى آدم . فأما هى ، فإنها لا تعين الكفرة على كفرها ولا تنصرها . قالوا : وإذا لم يكن غيرُها وغيرُ الأمم الكافرة ، فمن الذى ينصر النبى ، فيؤخذ ميثاقه بنصرته ؟

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٢٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وإذا أخذَ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » ، قال : هى خطأ من الكاتب ، وهى فى قراءة ابن مسعود : « وإذ أخذَ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » . [1]

---

(١) يمثل هذا الأثر ، يستدل من يستدل من جهله المستشرقين وأشياعهم ، على الخطأ والتحريف فى كتاب الله المحفوظ . وهم لم يكونوا أول من قال به ، بل سبقهم إليه أسلافهم من غلاة الرافضة وأشباههم من الملحدة . ولم يقصر علماء أهل الإسلام فى بيان ما قالوه ، وفى تعقب آرائهم وبيان فسادها ، ووهن حجتها . ومن أعظم ما قرأت فى ذلك ، كتاب « الانتصار لنقل القرآن » ، للقاضى الباقلانى ، وهو كتاب مخطوط لا يزال ، وهى فى ملك أخى السيد أحمد صقر ، وهو أمين على نشره . وقد عقد القاضى باباً ، بل أبواباً ، فى تعلق القائلين بذلك ، بالشواذ من القراءات ، والزيادات المروية عن السلف رواية

٧٣٢٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٣٢٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين » ، يقول : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، وكذلك كان يقرؤها الربيع : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » ، إنما هم أهل الكتاب.[1] قال : وكذلك كان يقرأها أبي بن كعب . قال الربيع : ألا ترى أنه يقول : « ثمّ جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » ؟ يقول : لتؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولتنصرنه . قال : هم أهل الكتاب .

* * *

وقال آخرون : بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك ، الأنبياءُ دون أممها .

* ذكر من قال ذلك :

الآحاد ، وكشف عن فساد تعلقهم بذلك فيما راموه من الطعن في نقل المصحف . وقد أطال في ذلك واستوعب ، وذكرها مفصلة ، وذكر الروايات التي رويت في ذلك . ومما قال في باب منه : « وأما نحن ، وإن كنا نوثق جميع من ذكرنا من السلف وأتباعهم ، فإنا لا نعتقد تصديق جميع ما يروى عنهم ، بل نعتقد أن فيه كذباً كثيراً قد قامت الدلالة على أنه موضوع عليهم ، وأن فيه ما يمكن أن يكون حقاً عنهم ، وما يمكن أن يكون باطلا ، ولا يثبت عليهم من طريق العلم البتات ، بأخبار الآحاد . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت هذه القراءات والكلمات المروية عن جماعة منهم ، المخالفة لما في مصحفنا ، مما لا نعلم صحتها وثبوتها ، وكنا مع ذلك نعلم اجتماعهم على تسليم مصحف عثمان ، وقراءتهم وإقراءهم ما فيه ، والعمل به دون غيره = لم يجب أن نحفل بشيء من هذه الروايات عنهم ، لأجل ما ذكرنا» .

قلت : والقول الذي ذكره مجاهد ، أنه : « خطأ من الكاتب » ، إنما عنى به أن قراءة ابن مسعود هي القراءة التي كانت في العرضة الأخيرة ، وأن الكاتب كتب القراءة التي كانت قبل العرضة الأخيرة ، وأنه كان عليه أن يكتب ما كان في العرضة الأخيرة ، فأخطأ وكتب القراءة الأولى . ولم يرد بقوله : « خطأ من الكاتب» ، أنه وضع ذلك من عند نفسه . كيف ؟ والقرآن متلق بالرواية والوراثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا بما هو مكتوب في الصحف ! ! هذا بيان قد تعجلته ، ولتفصيل هذا موضع غير الذي نحن فيه .

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « إنما هي أهل الكتاب » ، ولها وجه ضعيف ، والصواب ما أثبت .

٧٣٢٦ — حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم .

٧٣٢٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه في قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين » ، أن يصدّق بعضُهم بعضاً .

٧٣٢٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه في قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم » الآية ، قال : أخذ الله ميثاق الأُوَّل من الأنبياء ، ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخرُ منهم .

٧٣٢٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، أخبرنا سيف بن عُمر ، [1] عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب قال : لم يبعث الله عز وجل نبيًّا ، آدمَ فمن بعدَه — إلا أخذ عليه العهدَ في محمد : لئن بعث وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرَنّه = ويأمرُه فيأخذ العهدَ على قومه ، فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » ، الآية .

٧٣٣٠ — حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب » ، الآية : هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضُهم بعضاً ، وأن يبلّغوا كتاب الله ورسالاته ، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذ عليهم — فيما بلّغتهم رُسلهم — أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدّقوه وينصروه . ٢٣٧/٣

---

(١) في المطبوعة : « سيف بن عمرو » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة : « سيف بن عمر التميمي » صاحب كتاب الردة والفتوح . أكثر الطبري الرواية عنه في تاريخه ، قال ابن عدي : « بعض أحاديثه مشهورة ، وعامتها منكرة لم يتابع عليها » . وقال ابن حبان : « يروي الموضوعات عن الأثبات ، وقالوا : إنه كان يضع الحديث . اتهم بالزندقة » . وقال الحاكم : « اتهم بالزندقة ، وهو في الرواية ساقط » .

٧٣٣١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة »، الآية . قال : لم يبعث الله عز وجل نبيًّا قطُّ من لدُنْ نوح، إلاّ أخذ ميثاقه ليؤمننّ بمحمد ولينصرنّه إن خرَج وهو حيّ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرُنّه إن خرَج وهم أحياء .

٧٣٣٢ — حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد بن منصور قال ، سألت الحسن عن قوله : « وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » ، الآية كلها ، قال : أخذ الله ميثاق النبيين : ليبلّغن آخرُكم أولكم ، ولا تختلفوا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه أخذ ميثاق النبيين وأممهم = فاجتزأ بذكر الأنبياء عن ذكر أممها ، لأن في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع ، دلالةً على أخذه على التبّاع ، لأن الأمم تُبّاعُ الأنبياء .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٣٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ثم ذكر ما أخذ عليهم — يعني على أهل الكتاب — وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه — يعني بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم — إذا جاءَهم ، وإقرارهم به على أنفسهم . فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » إلى آخر الآية .(٢)

٧٣٣٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد

---

(١) في المطبوعة : « هم تباع الأنبياء » ، زاد « هم » بلا ضرورة . والصواب ما في المخطوطة .

(٢) الأثران : ٧٣٣٣ ، ٧٣٣٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٣ ، وهما تتمة الآثار التي آخرها رقم : ٧٢٩٦ ، ٧٢٩٧ .

ابن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : الخبرُ عن أخذ الله الميثاقَ من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضاً ، وأخذ الأنبياء على أممها وتُبَّاعها الميثاقَ بنحو الذى أخذَ عليها ربُّها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به . لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها . ولم يدَّع أحدٌ ممن صدَّق المرسلين ، أن نبيًّا أرسِل إلى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل وحُجَجه فى عباده ، بل كلها = وإن كذب بعض الأمم بعض أنبياء الله ، بجحودها نبوَّته = مقرّةٌ بأنّ من ثبتت صحّة نبوته ، فعليها الدينونة بتصديقه . فذلك ميثاق مقرٌّ به جميعهم .

* * *

ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء . لأن الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين ، فسواءٌ قال قائل : « لم يأخذ ذلك منها ربها » أو قال : « لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت » ، وقد نصّ الله عز وجل أنه أمرها بتبليغه ، لأنهما جميعاً خبرَان من الله عنها : أحدهما أنه أخذ منها ، والآخر منهما أنه أمرَها . فإن جاز الشك فى أحدهما ، جازَ فى الآخر .

* * *

وأما ما استشهد به الربيع بن أنس ، على أن المعنيَّ بذلك أهلُ الكتاب من قوله : « لتؤمنن به ولتنصرنه » ، فإن ذلك غير شاهد على صحة ما قال . لأن الأنبياء قد أمر بعضُها بتصديق بعض ، وتصديقُ بعضها بعضاً ، نُصرةٌ من بعضها بعضاً .

* * *

ثم اختلفوا فى الذين عُنوا بقوله : « ثمَّ جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » .

فقال بعضهم : الذين عنوا بذلك ، هم الأنبياء ، أخذت مواثيقهم أن يصدّق

بعضهم بعضاً وأن ينصروه، وقد ذكرنا الرواية بذلك عمن قاله.[1]

* * *

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، أُمروا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعثه الله وبنصرته ، وأخذ ميثاقهم فى كتبهم بذلك . وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضاً عمن قاله.[2]

* * *

وقال آخرون = ممن قال: الذين عُنوا بأخذ الله ميثاقه منهم فى هذه الآية هم الأنبياء = قوله : «ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم» ، معنىٌّ به أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٣٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال، أخبرنا ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة» ، قال أخذَ الله ميثاق النبيين أن يصدِّق بعضهم بعضاً ، ثم قال: «ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» ، قال : فهذه الآية لأهل الكتاب، أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدِّقوه .

٧٣٣٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنى ابن أبى جعفر ، عن أبيه قال ، قال قتادة : أخذ الله على النبيين ميثاقهم : أن يصدق بعضهم بعضاً ، وأن يبلغوا كتابَ الله ورسالتَه إلى عباده . فبلَّغت الأنبياء كتابَ الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذوا مواثيقَ أهل الكتاب — فى كتابهم ، فيما بلَّغتهم رسلهم — : أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدِّقوه وينصروه . ٢٣٨/٣

* * *

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب عندنا فى تأويل هذه الآية : أنّ جميع ذلك خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم به ، وألزمهم دعاء أممها

---

(١) انظر ما سلف من رقم : ٧٣٢٦ — ٧٣٣٢ .

(٢) انظر ما سلف من رقم : ٧٣٢٣ — ٧٣٢٥ .

إليه ،(١) والإقرار به. لأن ابتداء الآية خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم ، ثم وصف الذى أخذ به ميثاقهم فقال : هو كذا وهو كذا .

وإنما قلنا إنّ ما أخبر الله أنه أخذ به مواثيق أنبيائه من ذلك ، قد أخذت الأنبياءُ مواثيق أممها به ، لأنها أرسلت لتدعو عبادَ الله إلى الدينونة بما أمرت بالدينونة به فى أنفسها ، من تصديق رسل الله ، على ما قدمنا البيانَ قبل .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية : واذكرُوا يا معشرَ أهل الكتاب ، إذ أخذَ الله ميثاق النبيين لَمَهْما آتيتكم ، أيها النبيون ، من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول من عندى مصدق لما معكم ، لتؤمنن به = يقول : لتصدقنه = ولتنصرنه .

* * *

وقد قال السدىّ فى ذلك بما : —

٧٣٣٧ — حدثنا به محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « لما آتيتكم » ، يقول لليهود : أخذت ميثاقَ النبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى ذكر فى الكتاب عندكم .

* * *

فتأويل ذلك على قول السدّى الذى ذكرناه : واذكروا ، يا معشر أهل الكتاب ، إذ أخذ الله ميثاق النبيين بما آتيتكم ، أيها اليهود ، من كتاب وحكمة .(٢)

وهذا الذى قاله السدى كان تأويلاً له وجهٌ ،(٣) لو كان التنزيل : « بما آتيتكم » ، ولكن التنزيل باللام « لما آتيتكم ». وغير جائز فى لغة أحد من العرب أن يقال : « أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم » ، بمعنى : بما آتيتكم .

* *

---

(١) فى المطبوعة : « دعاء أممهم » ، وفى المخطوطة « أمها » كما أثبته ، والمخالفة بين الضمائر فى هذا الموضع سياق صحيح ، فرددتها إلى أصل المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « لما آتيتكم » باللام ، والسياق دال على خلافه ، وعلى صواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « كان تأويلا لا وجه غيره » ، وهو تصويب لما جاء فى المخطوطة : « كان

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر ، فقال لهم تعالى ذكره : أأقررتم بالميثاق الذى واثقتمونى عليه :[1] من أنكم مهما أتاكم رسولٌ من عندى مصدق لما معكم = « لتؤمنن به ولتنصرنه » = « وأخذتم على ذلك إصرى » ؟ يقول : وأخذتم = على ما واثقتمونى عليه من الإيمان بالرسل التى تأتيكم بتصديق ما معكم من عندى والقيام بنصرتهم = « إصرى » . يعنى عهدى ووصيّتى ، وقبلتم فى ذلك منّى ورضيتموه .

* * *

و« الأخذ » : هو القبول — فى هذا الموضع — والرّضى ، من قولهم : « أخذ الوالى عليه البيعة » ، بمعنى : بايعه وقبل ولايته ورَضى بها .

* * *

وقد بينا معنى « الإصر » باختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[2]

* * *

وحذفت « الفاء » من قوله : « قال أأقررتم » ، لأنه ابتداء كلام ، على نحو ما قد بينا فى نظائره فيما مضى .[3]

* * *

تأويلا لا وجه له » ، وهى عبارة لا تستقيم . ورأيت أن الناسخ عجل فكتب « لا وجه له » مكان « له وجه » ، فرددتها إلى هذا ، وخالفت المطبوعة .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أقررتم . . . » بحذف ألف الاستفهام ، وهو فساد .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٦ : ١٣٥–١٣٨

(٣) انظر ما سلف ٢ : ١٨٣ .

وأما قوله : « قالوا أقررنا » ، فإنه يعنى به : قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذكر فى هذه الآية : أقرَرْنا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك الذين ترسلهم مصدّقين لما معنا من كتبك ، وبنصرتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قال الله : فاشهدوا ، أيها النبيون ، بما أخذتُ به ميثاقكم من الإيمان بتصديق رسلى التى تأتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ، ونُصرتهم على أنفسكم وعلى أتباعكم من الأمم إذا أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك ، كما : —

٧٣٣٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، قال ، أخبرنا سيف بن عمر ،[١] عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على بن أبى طالب فى قوله : « قال فاشهدوا » ، يقول : فاشهدوا على أممكم بذلك = « وأنا معكم من الشاهدين » ، عليكم وعليهم .

* * *

(١) فى المطبوعة هنا أيضاً « سيف بن عمرو » ، مخالفاً لما فى المخطوطة وهو الصواب . وقد سلف تصويب ذلك فى الأثر رقم : ٧٣٢٩ . وسيأتى خطأ فيما يلى ، فى مواضع كثيرة ، سوف أصححه دون إشارة إليه .

القول في تأويل قوله ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : فمن أعرض عن الإيمان برسلي الذين أرسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائي من الكتب والحكمة ، وعن نصرتهم ، فأدبر ولم يؤمن بذلك ، ولم ينصر ، ونكث عهده وميثاقه = « بعد ذلك » ، يعني بعد العهد والميثاق الذي أخذه الله عليه = «فأولئك هم الفاسقون » ، يعني بذلك : أن المتولين عن الإيمان بالرسل الذين وصف أمرهم ، ونصرتهم بعد العهد والميثاق اللذين أخذا عليهم بذلك = « هم الفاسقون» ، يعني بذلك : الخارجون من دين الله وطاعة ربهم ،[1] كما : —

٢٣٩/٣

٧٣٣٩ — حدثنا المثنى قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، قال ، أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب : فمن تولى عنك ، يا محمد ، بعد هذا العهد من جميع الأمم = « فأولئك هم الفاسقون » ، هم العاصون في الكفر .

٧٣٤٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه = قال أبو جعفر : يعني الرازي =[2] : « فمن تولى بعد ذلك» يقول : بعد العهد والميثاق الذي أخذ عليهم = « فأولئك هم الفاسقون » .

---

(١) انظر تفسير « تولى » و « الفاسقون » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) و (فسق) .

(٢) قوله : « قال أبو جعفر» فيما بين الخطين ، هو أبو جعفر الطبري صاحب هذا التفسير . وقوله « يعني الرازي » ، يعني « أبا جعفر الرازي » الذي قال في الإسناد « حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه » . وبيان الطبري في هذا الموضع عن « أبي جعفر الرازي » بعد أن مضى مئات من المرات في هذا الإسناد وغيره من الأسانيد ، دليل على أن أبا جعفر الطبري ، قد كتب تفسيره هذا على فترات متباعدة — أو لعل أحداً سأله وهو يملي تفسيره ، فبين له ، وأثبته الذين سمعوه منه كما قاله في مجلسه ذاك . وقد مضى « ذكر أبي جعفر الرازي » في التعليق على الأثر رقم : ١٦٤ .

٧٣٤١ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، [عن أبيه]، عن الربيع مثله.[(١)]

* * *

قال أبو جعفر : وهاتان الآيتان ، وإن كان مَخرَج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر أنه أشهدَ وأخذَ به ميثاق مَنْ أخذَ ميثاقه به ، عن أنبيائه ورسله ،[(٢)] فإنه مقصودٌ به إخبارُ من كان حوالَىْ مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل أيام حياته صلى الله عليه وسلم ، عمَّا لله عليهم من العهد فى الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم =[(٣)] ومعنىٌّ [به] تذكيرُهم ما كان الله آخذاً على آبائهم وأسلافهم من المواثيق والعهود ، وما كانت أنبياءُ الله عرَّفتهم وتقدّمت إليهم فى تصديقه واتباعه ونُصرته على من خالفه وكذبه = وتعريفهم ما فى كتب الله ، التى أنزلها إلى أنبيائه التى ابتعثها إليهم ، من صفته وعلامته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأته عامة قرأة الحجاز من مكة والمدينة ، وقرأةُ الكوفة : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ﴾ ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ على وجه الخطاب .

* * *

(١) الأثر : ٧٣٤١ — هذا إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ٧٢٣٤ ، أسقط منه الناسخ « عن أبيه » ، فوضعتها بين القوسين فى مكانها .

(٢) السياق : وإن كان مخرج الخبر . . . عن أنبيائه ورسله ، فإن مقصود به . . .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومعنى تذكيرهم . . . » ، والصواب الراجح زيادة ما زدت بين القوسين . وسياق هذه الجملة وما بعدها : فإنه مقصود به إخبار من كان حوالى مهاجر رسول الله . . . ومعنى به تذكيرهم ... وتعريفهم ما فى كتب الله ... من صفته وعلامته » . فصلتها لتسهل قراءتها وتتبعها .

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ بالياء كلتيهما ، على وجه الخبر عن الغائب .

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ، على وجه الخبر عن الغائب ، ﴿ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، بالتاء على وجه المخاطبة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ذلك بالصواب ، قراءةُ من قرأ : « أفغير دين الله تبغون » على وجه الخطاب « وإليه تُرجعون » بالتاء . لأن الآية التي قبلها خطابٌ لهم ، فإتباعُ الخطاب نظيرَه ، أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره . وإن كان الوجه الآخر جائزاً ، لما قد ذكرنا فيما مضى قبل : من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحياناً على الخطاب كله ، وأحياناً على وجه الخبر عن الغائب ، وأحياناً بعضُه على الخطاب ، وبعضُه على الغيبة ، فقوله : « تبغون » و « إليه ترجعون » في هذه الآية ، من ذلك .[1]

* * *

وتأويل الكلام : يا معشرَ أهل الكتاب = « أفغيرَ دين الله تبغون » ، يقول : أفغير طاعة الله تلتمسون وتريدون .[2] = « وله أسلم من في السموات والأرض » ، يقول : وله خشع من في السموات والأرض ، فخضع له بالعبودة ،[3] وأقرَّ له بإفراد الربوبية ، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية [4] = « طوْعاً وكرهاً » ، يقول أسلم لله طائعاً من كان إسلامه منهم له طائعاً ، وذلك كالملائكة والأنبياء والمرسلين ،

---

(١) انظر ما سلف : ٤٦٤ والتعليق رقم : ٢ ، والمراجع هناك . وانظر فهرس مباحث العربية .

(٢) انظر تفسير « الدين » فيما سلف ١ : ١١٥ ، ٣/٢٢١ : ٥٧١/ثم ٦ : ٢٧٣، ٢٧٤ = ثم معنى « يبغى » فيما سلف ٣ : ٥٠٨/٤ : ١٠٣ / ثم ٦ : ١٩٦ ، تعليق : ٣ .

(٣) في المطبوعة : « العبودية » ، وأثبت ما في المخطوطة ، كما سلف مراراً . انظر قريباً : ص : ٥٤٩ تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « أسلم » فيما سلف ص : ٤٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

فإنهم أسلموا لله طائعين = « وكرهاً »، من كان منهم كارهاً .[1]

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى إسلام الكاره الإسلام وصفته .

فقال بعضهم : إسلامه، إقراره بأنّ الله خالقه وربُّه ، وإن أشرك معه في العبادة غيرَه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٤٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور، عن مجاهد : « وله أسلم من في السموات والأرض » ، قال: هو كقوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ [سورة الزمر : ٣٨] .

٧٣٤٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

٧٣٤٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه تُرجعون » ، قال : كل آدميّ قد أقرّ على نفسه بأن الله ربّي وأنا عبده . فمن أشركَ في عبادته فهذا الذي أسلم كَرْهاً ، ومن أخلص له العبودة ، [2]فهو الذي أسلم طوعاً .

* * *

وقال آخرون : بل إسلام الكاره منهم ، كان حين أخذَ منه الميثاق فأقرّ به .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٤٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد، عن ابن عباس : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً »، قال : حين أخذَ الميثاق .

* * *

(١) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ٤ : ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٢) في المطبوعة : « العبودية » ، وانظر التعليق السالف رقم ص: ٥٦٤ رقم : ٣ .

وقال آخرون ؛ عنى بإسلام الكاره منهم ، سُجودَ ظله .

* ذكر من قال ذلك :

٣/٢٤٠ ٧٣٤٦ — حدثنا سوّار بن عبد الله قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، قال : الطائع المؤمن = و « كرهاً » ، ظلّ الكافر .

٧٣٤٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « طوعاً وكرهاً » ، قال : سجود المؤمن طائعاً ، وسجود الكافر وهو كاره .

٧٣٤٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « كَرْهاً » ، قال : سجود المؤمن طائعاً ، وسجود ظلّ الكافر وهو كاره .

٧٣٤٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : سجود وجهه طائعاً ، وظله كارهاً . [١]

* * *

وقال آخرون : بل إسلامه بقلبه فى مشيئة الله ، واستقادته لأمره وإن أنكر ألوهته بلسانه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٥٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر : « وله أسلم من فى السموات والأرض » ، قال : استقاد كلهم له . [٢]

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « سجود وجهه وظله طائعاً » ، وهو لا يستقيم ، واستظهرت من أخبار مجاهد السالفة ، أن هذا هو حق المعنى ، وأنه أولى بالصواب .

(٢) الأثر : ٧٣٥٠ — « جابر » ، هو : « جابر بن يزيد الجعفى » . روى عن أبى الطفيل وأبى الضحى وعكرمة وعطاء وطاوس . روى عنه شعبة والثورى وإسرائيل وجماعة . و « عامر » ، هو الشعبى . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « جابر بن عامر » ، وليس فى الرواة أحد بهذا الاسم .

وقال آخرون : عنى بذلك إسلام من أسلم من الناس كرْهاً ، حَذَرَ السيف على نفسه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٥١ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » الآية كلها ، فقال : أكره أقوامٌ على الإسلام ، وجاء أقوامٌ طائعين .

٧٣٥٢ — حدثني الحسن بن قزعة الباهلي قال ، حدثنا روح بن عطاء ، عن مطر الورّاق في قول الله عز وجل : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون » ، قال : الملائكة طوعاً ، والأنصار طوعاً ، وبنو سُلَيْمٍ وعبد القيس طوعاً ، والناس كلهم كرهاً .

* * *

وقال آخرون معنى ذلك : أنّ أهل الإيمان أسلموا طوعاً ، وأنّ الكافر أسلم في حال المعاينة ، حينَ لا ينفعه إسلامٌ ، كرهاً .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٥٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أفغير دين الله تبغون » ، الآية ، فأما المؤمن فأسلم طائعاً فنفعه ذلك وقُبِل منه ، وأما الكافر فأسلم كارهاً حين لا ينفعه ذلك ، ولا يقبل منه .

٧٣٥٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، قال : أما المؤمن فأسلم طائعاً ، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأسَ الله ، ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [سورة غافر : ٨٥] .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أيْ : عبادةُ الخلق لله عز وجل . [1]

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٥٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، قال : عبادتهم لي أجمعين طوعاً وكرهاً ، وهو قوله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة الرعد : ١٥] .

* * *

وأما قوله : « وإليه تُرجعون » ، فإنه يعني : « وإليه » ، يا معشر من يبتغي غيرَ الإسلام ديناً من اليهود والنصارى وسائر الناس = « ترجعون » ، يقول : إليه تصيرون بعد مماتكم ، فمجازيكم بأعمالكم ، المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته .

* * *

وهذا من الله عز وجل تحذيرٌ خلقَه أن يرجع إليه أحدٌ منهم فيصيرُ إليه بعد وفاته على غير ملة الإسلام .

* * *

(١) في المطبوعة : « في عبادة الخلق » ، وفي المخطوطة « أن عبادة الخلق » ، وصوابه قراءتها ما أثبت .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « أفغير دين الله تبغون » ، يا معشر اليهود ، « وله أسلم مَنْ في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون » = فإن ابتغوا غيرَ دين الله ، يا محمد ، فقل لهم : « آمنا بالله » ، فترك ذكر قوله : « فإن قالوا : نعم » ، أو ذكر قوله : [1]« فإن ابتغوا غير دين الله » ، لدلالة ما ظهر من الكلام عليه .

وقوله : « قل آمنا بالله » ، يعني به : قل لهم ، يا محمد ، : صدقنا بالله أنه ربنا وإلهنا ، لا إله غيره ، ولا نعبد أحداً سواه = « وما أنزل علينا » ، يقول : وقل : وصدّقنا أيضاً بما أنزل علينا من وَحيه وتنزيله ، فأقررنا به = « وما أنزل على إبراهيم » ، يقول : وصدقنا أيضاً بما أنزل على إبراهيم خليل الله ، وعلى ابنيه إسمعيل وإسحق ، وابن ابنه يعقوب = وبما أنزل على « الأسباط » ، وهم ولد يعقوب الاثنا عشر ، وقد بينا أسماءَهم بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع[2] = « وما أوتى موسى وعيسى » ، يقول : وصدّقنا أيضاً مع ذلك بالذى أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوَحْي ، وبما أنزل على النبيين من عنده . ٢٤١/٣

والذى آتى الله موسى وعيسى = مما أمرَ الله عز وجل محمداً بتصديقهما فيه ، والإيمان به = التوراة التى آتاها موسى ، والإنجيل الذى آتاه عيسى .

= « لا نفرق بين أحد منهم » ، يقول : لا نصدّق بعضهم ونكذّب بعضَهم ،

---

(١) في المطبوعة : « وذكر قوله » ، جعل الواو مكان « أو » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ / ٣ : ١١١ - ١١٣ .

ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم ، كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله وصدّقت بعضاً ، ولكنا نؤمن بجميعهم ونصدّقهم = « ونحن له مسلمون » . يعنى : ونحن ندين لله بالإسلام لا ندين غيره ، بل نتبرأ إليه من كل دين سواه ، ومن كل ملة غيره .

ويعنى بقوله : « ونحن له مسلمون » . ونحن له منقادون بالطاعة ، متذللون بالعبودة ،[1] مقرّون لهُ بالألوهة والربوبية ، وأنه لا إله غيره . وقد ذكرنا الروايةَ بمعنى ما قلنا فى ذلك فيما مضى ، وكرهنا إعادته .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن يطلب دينا غيرَ دين الإسلام ليدين به ، فلن يقبل الله منه[3] = « وهو فى الآخرة من الخاسرين » ، يقول : من الباخسين أنفسَهم حظوظَها من رحمة الله عز وجل .[4]

* * *

وذُكر أنّ أهل كل ملة ادّعوا أنهم هم المسلمون ، لما نزلت هذه الآية ، فأمرهم الله بالحج إن كانوا صادقين ، لأن من سُنة الإسلام الحج ، فامتنعوا ، فأدحض الله بذلك حجتهم .

---

(١) فى المطبوعة : « بالعبودية » ، كما فعل فى سابقتها ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وانظر ما سلف قريباً ص : ٥٦٥ ، تعليق : ٢ .

(٢) يعنى ما سلف ٣ : ١٠٩ – ١١١ ، وهى نظيرة هذه الآية ، وانظر فهارس اللغة « سلم » .

(٣) انظر معنى « يبتغى » فيما سلف ص : ٥٦٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الخاسرين » فيما سلف ١ : ٤١٧ / ٢ : ١٦٦ ، ٥٧٢ .

• ذكر الخبر بذلك :

٧٣٥٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح قال ، زعم عكرمةُ : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً »، فقالت الملل : نحن المسلمون! فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٩٧] ، فحجَّ المسلمون ، وقعدَ الكفار .

٧٣٥٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا القعنبي قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة قال : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » ، قالت اليهود : فنحن المسلمون ! فأنزلَ الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يحُجُّهم أنْ : ﴿ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ .(١)

٧٣٥٨ — حدثني يونس قال، أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة قال: لما نزلت : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً » إلى آخر الآية ، قالت اليهود : فنحن مسلمون! قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم أنْ : ﴿ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ من أهل الملل ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾.

* * *

وقال آخرون : في هذه الآية بما : —

٧٣٥٩ — حدثنا به المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

---

(١) الأثر : ٧٣٥٧ — « القعنبي » ، هو : « عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي » ، روى عنه الأئمة . قال ابن سعد : « كان عابداً فاضلا ، قرأ عن مالك كتبه » . وقال العجلي : « قرأ عليه مالك نصف الموطأ ، وقرأ هو على مالك النصف الباقي » ، وسئل ابن المديني عنه فقال : « لا أقدم من رواة الموطأ أحداً على القعنبي » .

معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٦٢] ، فأنزل الله عز وجل بعد هذا : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

* * *

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٨٩﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية ، وفيمن نزلت .

فقال بعضهم : نزلت في الحارث بن سويد الأنصاري ، وكان مسلماً فارتدّ بعد إسلامه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٦٠ — حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصري قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ، ثم ندم فأرسل إلى قومه : أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل لي من توبة ؟ قال : فنزلت : « كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » إلى قوله : « وجاءَهم البيناتُ والله لا يهدي القوم

الظالمين ۞ إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » ، فأرسل إليه قومه فأسلم .

٧٣٦١ – حدثني ابن المثنى قال ، حدثني عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة بنحوه ، ولم يرفعه إلى ابن عباس = إلاّ أنه قال : فكتب إليه قومه ، فقال : ما كذَبني قومي ! فرجع .

٧٣٦٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا حكيم بن جُميع ، عن علي بن مُسْهِر ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ارتد رجل من الأنصار ، فذكر نحوه .[1]

٢٤٢/٣

٧٣٦٣ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق ، قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان قال ، أخبرنا حميد الأعرج ، عن مجاهد قال : جاء الحارث بن سُوَيد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه ، فأنزل الله عز وجل فيه القرآن : «كيف يَهدى الله قوماً كفروا بعدَ إيمانهم » إلى « إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ »، قال: فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه ، فقال الحارث : إنك والله ما علمتُ لصَدُوقٌ ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدقُ منك، وإنّ الله عز وجل لأصدق الثلاثة . قال : ورجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه .

٧٣٦٤ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدُوا أنّ الرسول حق » ، قال : أنزلت في الحارث بن سُوَيد الأنصاري، كفر بعد إيمانه ، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآيات، إلى : « أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ،

---

(١) الأثر : ٧٣٦٢ – « حكيم بن جميع الكوفي » ، مترجم في الكبير ١٨/١/٢ ، والجرح ٢٠٢/٢/١ .

ثم تاب وأسلم ، فنسخها الله عنه ، فقال : « إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك ، وأصلحوا فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ » .

٧٣٦٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءَهم البينات » ، قال : رجلٌ من بني عمرو بن عوف ، كفر بعد إيمانه .

٧٣٦٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٣٦٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : هو رجل من بني عمرو بن عوف ، كفر بعد إيمانه = قال ابن جريج ، أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : لحق بأرض الرّوم فتنصّر ، ثم كتب إلى قومه : « أرسلوا ، هل لي من توبة ؟ » قال : فحسبتُ أنه آمن ، ثم رَجع = قال ابن جريج ، قال عكرمة ، نزلت في أبي عامر الرّاهب ، والحارث بن سويد بن الصامت ، ووَحْوَح بن الأسلت = في اثنى عشر رجلا رَجعوا عن الإسلام ولحقوا بقريش ، ثم كتبوا إلى أهلهم : هل لنا من توبة ؟ فنزلت : « إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك » ، الآيات .

* * *

وقال آخرون : عنى بهذه الآية أهل الكتاب ، وفيهم نزلت .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٦٨ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كيف يهدى الله قوماً كفرُوا بعد إيمانهم » ، فهم أهلُ الكتاب ، عرّفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به .

٧٣٦٩ – حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » الآية كلها ، قال : اليهود والنصارى .

٧٣٧٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول فى قوله : «كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » الآية ، هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، رأوا نعتَ محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم وأقرّوا به ، وشهدوا أنه حقٌّ . فلما بُعث من غيرهم حَسدوا العربَ على ذلك فأنكروه ، وكفروا بعد إقرارهم ، حسداً للعرب ، حين بُعثَ من غيرهم .

٧٣٧١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » ، قال : هم أهل الكتاب ، كانوا يجدون محمداً صلى الله عليه وسلم فى كتابهم ، ويستفتحون به ، فكفروا بعد إيمانهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن : مِنْ أنَّ هذه الآية معنيٌّ بها أهل الكتاب على ما قال ، غيرَ أنَّ الأخبار بالقول الآخر أكثر ، والقائلين به أعلم ، بتأويل القرآن .[1] وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذُكر أنهم كانوا ارتدّوا عن الإسلام ، فجمع قصّتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم فى ارتداده عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فى هذه الآيات . ثم عرّف عباده سُنته فيهم ، فيكون داخلاً فى ذلك كلّ من كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث ، ثم كفر به بعد أن بُعث ، وكلّ من كان كافراً ثم أسلم على عهده صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد وهو حيٌّ عن ٢٤٣/٣

(١) هذا حكم جيد فاصل فى هذه الآية ، وفى غيرها مما اختلف فى معانيه المختلفون .

إسلامه . فيكون معنيًّا بالآية جميعُ هذين الصنفين وغيرُهما ممن كان بمثل معناهما ، بل ذلك كذلك إن شاء الله .

* * *

فتأويل الآية إذاً : «كيف يَهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم» ، يعنى : كيف يُرشد الله للصواب ويوفّق للإيمان ، قوماً جحدُوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم = «بعد إيمانهم» ، أى : بعد تصديقهم إياه ، وإقرارهم بما جاءَهم به من عند ربه = «وَشهدوا أن الرسول حقّ» ، يقول : وبعد أن أقرّوا أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلقه حقًّا = «وجاءهم البينات» ، يعنى : وجاءهم الحجج من عند الله والدلائلُ بصحة ذلك؟ = «والله لا يهدى القوم الظالمين» ، يقول : والله لا يوفّق للحق والصّواب الجماعة الظَّلَمة ، وهم الذين بدّلوا الحق إلى الباطل ، فاختارُوا الكفر على الإيمان .

* * *

وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى «الظلم» ، وأنه وضعُ الشيء فى غير موضعه ، بما أغنى عن إعادته . (١)

* * *

= «أولئك جزاؤهم» ، يعنى : هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ، وبعد أن شهدوا أن الرسول حقّ — «جزاؤهم» ، ثوابهم من عملهم الذى عملوه (٢) = «أنّ عليهم لعنة الله» ، يعنى : أن يحلّ بهم من الله الإقصاء والبعد ، (٣) ومن الملائكة والناس الدعاءُ بما يسوؤهم من العقاب (٤) = «أجمعين» ، يعنى : من جميعهم ، لا من

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ / ثم باقى المواضع فى فهرس اللغة «ظلم» ، وانظر أيضاً فهارس اللغة فى سائر ألفاظ الآية .

(٢) انظر تفسير «الجزاء» فيما سلف ٢ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١٤ ، وغيره فى فهارس اللغة «جزى» .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : «أن حل بهم» ، فعل ماض ، والسياق يقتضى المضارع .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : «ومن الملائكة والناس إلا ما يسوءهم . . .» ، وهو كلام غير

بعض من سمّاه جل ثناؤه من الملائكة والناس ، ولكن من جميعهم . وإنما جعل ذلك جل ثناؤه ثواب عملهم ، لأن عملهم كان بالله كفراً .

* * *

وقد بينا صفة « لعنة الناس » الكافرَ في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .[1]

* * *

= « خالدين فيها » يعني : ماكثين فيها ، يعني في عقوبة الله [2] = « لا يخفَّف عنهم العذاب » ، لا ينقصون من العذاب شيئًا في حال من الأحوال ، ولا ينفَّسون فيه [3] = « ولا هم ينظرون » ، يعني : ولا هم ينظرون لمعذرة يعتذرون .[4] وذلك كله عَينُ الخلود في العقوبة في الآخرة .[5]

ثم استثنى جل ثناؤه الذين تابوا ، من هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم فقال تعالى ذكره : « إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا » ، يعني : إلا الذين تابوا

مستقيم ، وهو تصحيف لما كتبت ، كان في الأصل « الدا ما يسوهم » بغير همزة « الدعاء » ، وبغير نقط « بما » ، فاشتبهت الحروف على الناسخ ، فحرفها إلى ما ترى .

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٢٨ ، ٣٢٩/ثم ٣ : ٢٥٤ — ٢٥٨ ، ٢٦١ — ٢٦٣ ، وفيها نظير ما في هذه الآية .

(٢) انظر تفسير « خالدين » فيما سلف ١ : ٣٩٧ ، ٣٩٨/٢ : ٢٨٧/٤ : ٣١٧ ، وفهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « يخفف » فيما سلف ٢ : ٣١٦ ، ٣١٧ ، والتنفيس : والترفيه والتفريج هنا .

(٤) انظر تفسير « ينظرون » في نظيرة هذه الآية فيما سلف ٣ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وقبله ٢ : ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٥) في المخطوطة والمطبوعة : « وذلك كله أعني الخلود في العقوبة في الآخرة » ، وهي جملة فاسدة البناء والمعنى ، أخطأ الناسخ فهم مراد أبي جعفر ، فكتب ما كتب ، والصواب هو ما أثبت . فإن أبا جعفر قد لجأ إلى الاختصار في مواضع كثيرة من تفسيره ، منها هذا الموضع ، فلم يبين إعراب قوله تعالى : « لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون » ، وأهل الإعراب يعربونها حالا متداخلة — أي حالا من حال — لأن « خالدين » حال من الضمير في « عليهم » . وأما أبو جعفر ، فهو يعدها جملة مستأنفة ، وهي بذلك بيان عن الخلود في النار . والدليل على صحة ذلك ، وعلى صحة ما أثبت من الصواب في نص أبي جعفر هنا ، أنه قال في تفسير نظيرة هذه الآية من « سورة البقرة : ١٦٢ » في الجزء ٣ : ٢٦٤ مانصه .

« وأما قوله : « لا يخفف عنهم العذاب » ، فإنه خبر من الله تعالى ذكره عن دوام العذاب أبداً من غير توقيت ولا تخفيف » . فهذا نص قاطع في أن إعراب الطبري لهذا الموضع من الآية هو ما ذهبت إليه ، وفي أنه يرى أن معنى هذه الجملة من الآية ، هو معنى « الخلود » بعينه . والحمد لله أولا وآخراً .

من بعد ارتدادهم عن إيمانهم، فراجعوا الإيمان بالله وبرسوله، وصدّقوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند ربهم = « وأصلحوا » ، يعنى : وعملوا الصالحات من الأعمال = « فإنّ الله غفور رحيم » ، يعنى : فإن الله لمن فعل ذلك بعد كفره = « غفور » ، يعنى : ساتر عليه ذنبه الذى كان منه من الرّدّة ، فتاركٌ عقوبته عليه ، وفضيحته به يوم القيامة ، غيرُ مؤاخذه به إذا مات على التوبة منه = « رحيم » ، متعطّف عليه بالرحمة .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ } (٩٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضُهم : عنى الله عز وجل بقوله : « إنّ الذين كفروا » ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم[1] = « بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً » بكفرهم بمحمد = « لن تقبل توبتهم »، عند حُضور الموت وحشرجته بنفسه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٧٢ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تُقبل توبتهم وأولئك هم الضالون » ، قال : اليهودُ والنصارى ، لن تُقبل توبتهم عند الموت .

٧٣٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ،حدثنا سعيد ، عن قتادة

(١) فى المطبوعة : « أى ببعض أنبيائه » ، زاد ما ليس فى المخطوطة

قوله : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً »، أولئك أعداء الله اليهود، كفروا بالإنجيل وبعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم والفُرْقان.

٧٣٧٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله : « ثم ازدادوا كفراً »، قال : ازدادوا كفراً حتى حضرهم الموت، فلم تقبل توبتهم حين حضرهم الموت = قال معمر : وقال مثلَ ذلك عطاءٌ الخراساني.

٧٣٧٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة قوله : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون »، وقال : هم اليهود، كفروا بالإنجيل، ثم ازدادوا كفراً حين بَعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فأنكرُوه وكذبوا به.

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد، بعد إيمانهم بأنبيائهم = « ثم ازدادوا كفراً »، يعني : ذنوباً = « لن تقبل توبتهم » من ذنوبهم، وهم على الكفر مقيمون. ٢٤٤/٣

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٧٦ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب، قال، حدثنا داود، عن رفيع : « إنّ الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً »، ازدادوا ذنوباً وهم كفار = « لن تقبل توبتهم » من تلك الذنوب، ما كانوا على كفرهم وضَلالتهم.

٧٣٧٧ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى، عن داود قال : سألت أبا العالية، قال، قلت : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تُقبل توبتهم »؟ قال : إنما هم هؤلاء النصارى واليهود الذين كفروا، ثم ازدادوا كفراً بذنوب أصابوها، فهم يتوبون منها في كفرهم.

٧٣٧٨ — حدثنا عبد الحميد بن بيان السُّكري قال، أخبرنا ابن أبي عدى،

عن داود قال : سألت أبا العالية عن : الذين آمنوا ثم كفروا ، فذكر نحواً منه .[1]

٧٣٧٩ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود قال : سألت أبا العالية عن هذه الآية : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تُقبل توبتهم وأولئك هم الضالون »، قال : هم اليهود والنصارى والمجوس ، أصابوا ذنوباً في كفرهم ، فأرادوا أن يتوبوا منها ، ولن يتوبوا من الكفر ،[2] ألا ترى أنه يقول : « وأولئك هم الضالون » ؟

٧٣٨٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن داود ، عن أبي العالية في قوله : « لن تقبل توبتهم » ، قال : تابوا من بعض ، ولم يتوبوا من الأصل .

٧٣٨١ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية قوله : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً »، قال : هم اليهود والنصارى ، يصيبون الذنوبَ فيقولون : « نتوب » ، وهم مشركون . قال الله عز وجل : لن تُقبل التوبة في الضّلالة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الذين كفروا بعد إيمانهم بأنبيائهم = « ثم ازدادوا كفراً »، يعني : بزيادتهم الكفر : تمامُهم عليه ،[3] حتى هلكوا وهم عليه مقيمون = « لن تقبل توبتهم » ، لن تنفعهم توبتهم الأولى وإيمانهم ، لكفرهم الآخِر وموتهم .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٧٣٧٨ — في المطبوعة : « عبد الحميد بن بيان اليشكري » ، وهو خطأ والصواب ما أثبت من المخطوطة . وقد مضت الرواية عنه كثيراً ، ينسبه أحياناً « السكري » ، وأخرى « القناد » نسبة إلى « القند » ، وهو السكر . وقد مضت ترجمته برقم : ٣٠ ، وسيأتي خطأ مثله في رقم : ٧٥٨٠.

(٢) أخشى أن يكون الصواب « ولم يتوبوا من الكفر » ، وانظر التالي .

(٣) في المطبوعة « بما هم عليه » ، وهو كلام غث . وفي المخطوطة : « ممامهم عليه » غير منقوطة وهذا صواب قراءتها . يقال : « تم على الشيء تماماً » ثبت عليه وأقام ، وأمضى أمره فيه .

٧٣٨٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « ثم ازدادوا كفراً » ، قال : تمُّوا على كفرهم =[1] قال ابن جريج : « لن تقبل توبتهم » ، يقول : إيمانهم أوّلَ مرة لن ينفعهم .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « ثم ازدادوا كفراً » ، ماتوا كفاراً ، فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم . وقالوا : معنى « لن تقبل توبتهم » ، لن تقبل توبتهم عند موتهم .

• ذكر من قال ذلك :

٧٣٨٣ — حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون » ، أمّا « ازدادوا كفراً » ، فماتوا وهم كفار . وأما « لن تقبل توبتهم » فعند موته ، إذا تاب لم تقبل توبته .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى تأويل هذه الآية ، قولُ من قال : « عنى بها اليهودَ » = وأن يكون تأويله : إن الذين كفروا من اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مَبعثه ، بعد إيمانهم به قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كفراً بما أصَابوا من الذنوب فى كفرهم ومُقامهم على ضلالتهم ، لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التى أصابوها فى كفرهم ، حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويراجعوا التوبة منه بتصديقه بما جاء به من عند الله .[2]

* * *

وإنما قلنا : « ذلك أولى الأقوال فى هذه الآية بالصواب » ، لأن الآيات

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « نموا على كفرهم » بالنون ، وهو تصحيف . وانظر التعليق السالف .

(٢) فى المطبوعة « بتصديق ما جاء به من عند الله » وفى المخطوطة « بتصديقه ما جاء به من عند الله » ، وعلى الميم من « ما » فتحة مائلة ، وهى فى الحقيقة « باء » ، فصواب قراءة المخطوطة ما أثبت .

قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها، إذ كانت في سياق واحد.

وإنما قلنا: «معنى ازديادهم الكفر: ما أصابوا في كفرهم من المعاصي»، لأنه جل ثناؤه قال: «لن تقبل توبتهم»، فكان معلومًا أن معنى قوله: «لن تقبل توبتهم»، إنما هو معنيٌّ به: لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم، لا من كفرهم. لأن الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[سورة الشورى : ٢٥]، فمحالٌ أنْ يقول عز وجل: «أقبل» و«لا أقبل» في شيء واحد. وإذْ كان ذلك كذلك = وكان من حُكم الله في عباده أنه قابلٌ توبةَ كل تائب من كل ذنب، وكان الكفر بعد الإيمان أحدَ تلك الذنوب التي وعد قَبول التوبة منها بقوله: «إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم»[1] = علم أنّ المعنى الذي لا يقبل التوبةَ منه، غيرُ المعنى الذي يَقبل التوبة منه.[2] وإذْ كان ذلك كذلك، فالذي لا يَقبل منه التوبة، هو الازدياد على الكفر بعد الكفر، لا يقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره، لأن الله لا يقبل من مشرك عملاً ما أقام على شركه وضلاله. فأما إن تاب من شركه وكفره وأصلح، فإنّ الله — كما وصف به نفسه — غفورٌ رحيمٌ.

٣/٢٤٥

* * *

فإن قال قائل: وما تُنكر أن يكون معنى ذلك كما قال من قال:[3] «فلن تقبل توبته من كفره عند حضور أجله وتوبته الأولى»؟[4]

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: «إلا الذين تابوا وأصلحوا . . .»، سها الناسخ فأسقط «من بعد ذلك» من الآية، وهي الآية السابقة. وسياق الكلام: وإذْ كان ذلك كذلك، وكان من حكم . . . علم أن المعنى . . . ».

(٢) في المطبوعة: «تقبل . . . تقبل . .» بالتاء، وما في المخطوطة هو السياق. ومثل ذلك فيما سيلي.

(٣) في المطبوعة والمخطوطة: «وما ينكر» بالياء، وهي بالتاء أجود، كما يدل عليه الجواب بعد.

(٤) في المخطوطة والمطبوعة: «توبتهم من كفرهم» بالجمع، والسياق ما أثبت، وهو الصواب. وفي المطبوعة: «أو توبته الأولى» والصواب بالواو كما في المخطوطة. وقوله هذا رد على القائلين بذلك فيما سلف في الأثر: ٧٣٨٢، والترجمة التي قبله، وما قبله من الآثار، وما يليه في الأثر رقم: ٧٣٨٣.

قيل : أنكرنا ذلك ، لأن التوبة من العبد غير كائنة إلاّ فى حال حياته ، فأما بعد مماته فلا توبة . وقد وعد الله عز وجل عبادَه قبولَ التوبة منهم ما دامت أرواحُهم فى أجسادهم . ولا خلافَ بين جميع الحجة فى أنّ كافراً لو أسلم قبل خُروُج نفسه بطرْفة عين ، أنّ حكمه حكم المسلمين فى الصلاة عليه ، والموارثة ، وسائر الأحكام غيرها . فكان معلوماً بذلك أنّ توبته فى تلك الحال لو كانت غير مقبولة ، لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم أهل الإسلام ، ولا منزلةَ بين الموت والحياة ، يجوزُ أن يقال : « لا يقبل الله فيها توبةَ الكافر » . فإذْ صحّ أنها فى حال حياته مقبولة ، ولا سبيلَ بعد الممات إليها ، بطل قولُ الذى زعم أنها غير مقبولة عند حُضُور الأجل .

* * *

وأما قول من زعم أنّ معنى ذلك : « التوبة التى كانت قبل الكفر » ، فقولٌ لا معنى له . لأن الله عز وجل لم يصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر ، ثم كُفْر بعد إيمان = بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان . فلم يتقدم ذلك الإيمانَ كفرٌ كان للإيمان لهم توبة منه ، فيكون تأويل ذلك على ما تأوّله قائل ذلك . وتأويل القرآن على ما كان موجوداً فى ظاهر التلاوة — إذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص — أولى من غيره ، وإن أمكن توجيهه إلى غيره .

* * *

وأما قوله : « وأولئك هم الضالون » ، فإنه يعنى بذلك : وهؤلاء الذين كفرُوا بعد إيمانهم ، ثم ازدادوا كفراً ، هم الذين ضلوا سبيل الحقّ فأخطأوا منهجه ، وتركوا نصْف السبيل وهُدَى الدين ، حَيرةً منهم ، وعَمىً عنه . (١)

* * *

(١) فى المطبوعة : « . . . وهدى الله الذى أخبرهم عنه فعموا عنه » ، ولم يقل ذلك أبو جعفر ! وفى المخطوطة : « وهدى الذى حيره منهم وعمى عنه » غير منقوطة ، فلم يستطع الناشر أن يقرأها على وجه صحيح ، ففعل بعبارة الطبرى ما فعل ، وبئس ما فعل ! وصواب قراءتها ما أثبت . وقوله : « نصف السبيل » ، كان أحب إلى أن أقرأها « قصد السبيل » ، ولكنى رجحت أن أبا جعفر يترجم عن معنى قوله تعالى « سواء السبيل » ، وهو وسطه ، وقد بين شرح ذلك فى تفسيره فيما مضى ٢ : ٤٩٧ ، وقال :

وقد بينا فيما مضى معنى « الضلال » بما فيه الكفاية.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « إنّ الذين كفروا » ، أى : جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوا به وبما جاء به من عند الله من أهل كل ملة ، يهودها ونصاراها ومجوسها وغيرهم = « وماتوا وهم كفار » ، يعنى : وماتوا على ذلك من جحود نبوته وجحود ما جاء به = « فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذَهباً ولو افتدى به »، يقول : فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة جَزَاءٌ ولا رِشْوةٌ على ترك عقوبته على كفره ، ولا جُعْلٌ على العفو عنه ،(٢) ولو كان له من الذهب قدرُ ما يملأ الأرضَ من مشرقها إلى مغربها ، فرَشَا وَجزَى على ترك عقوبته وفى العفو عنه على كفره عوضاً مما الله مُحلٌّ به من عذابه . لأنّ الرُّشا إنما يقبلها من كان ذَا حاجة إلى ما رُشِى . فأما من له الدنيا والآخرة ، فكيف يقبل

« . . . الذى إذا ركب محجته السائر فيه ، ولزم وسطه المجتاز فيه ، نجا وبلغ حاجته ، وأدرك طلبته » ، ورأيتهم يقولون : « منصف الطريق » (بفتح الميم ، وسكون النون ، وفتح الصاد) : وسط الطريق و« نصف الطريق » . وجائز أن تكون كانت « منصف الطريق » فى كلام الطبرى ومهما يكن من شىء ، فهى صحيحة المعنى ، جيدة المجاز فى العربية .

(١) انظر ما سلف ١ : ١٨٩ — ١٩٦/٢ : ٤٩٦ ، ٤٩٧/ ٦٦:٦

(٢) « الجزاء » هنا : البدل والكفارة . و « الجعل » (بضم الجيم وسكون العين) : الأجر على الشىء . يقول : لا يقبل منه أجر يدفعه على شريطة العفو عنه .

الفدية ، وهو خلاّق كل فدية افتدَى بها مفتدٍ من نفسه أو غيره ؟ [١]

* * *

وقد بينا أن معنى « الفدية » العوَض ، والجزاء من المفتدى منه = بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . [٢]

* * *

= ثم أخبر عز وجل عما لهم عنده فقال : « أولئك » ، يعنى هؤلاء الذين كفروا وماتوا وهم كفار = « لهم عذاب أليم » ، يقول : لهم عند الله فى الآخرة عذابٌ موجع = « وما لهم من ناصرين » ، يعنى : وما لهم من قريب ولا حميم ولا صديق ينصره فيستنقذه من الله ومن عذابه كما كانوا ينصرونه فى الدنيا على من حاول أذاه ومكروهه ؟ [٣] وقد :—

٧٣٨٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، حدثنا أنس بن مالك : أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : يُجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيتَ لو كان لك ملءُ الأرض ذهباً ، أكنت مفتدياً به ؟ فيقول : نعم ! قال فيقال : لقد سُئلت ما هو أيسرُ من ذلك ! فذلك قوله : « إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً ولو افتدى به » . [٤]

٧٣٨٥ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن قوله : « إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ فلن يقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً » ، قال : هو كل كافر.

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « وهو خلاف » ، وهو تصحيف ، وفى المطبوعة : « عن نفسه » ، كأن الناشر استنكر عربية أبى جعفر ، فحولها إلى عربيته .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٤٣٨ — ٤٣٩ .

(٣) اختلاف الضمائر فى هذه العبارة جائز حسن ، وإن أشكل على بعض من يقرؤه .

(٤) الأثر : ٧٣٨٤ — أخرجه البخارى فى صحيحه (الفتح ١١ : ٣٤٨ — ٣٥٠) من طريقين طريق هشام الدستوائى عن قتادة ، ومن طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ، كرواية الطبرى هنا . ورواه مسلم (١٧ : ١٤٨ ، ١٤٩) من طريق هشام عن قتادة ، وأشار إلى طريق سعيد ، وذكر اختلافه . وللحديث طرق أخرى بغير هذا اللفظ أخرجها البخارى (الفتح ٦ : ٢٦٢/١١ : ٣٦٧) ومسلم ١٧ : ١٤٨ ، ١٤٩ .

ونصب قوله : « ذهباً » على الخروج من المقدار الذى قبله والتفسير منهُ ، وهو قوله : « ملءُ الأرض » ، كقول القائل : « عندى قدرُ زِقٍّ سمناً = وقدْرُ رطل ٍعسلاً » ، فـ« العسل » مبينٌ به ماذكر من المقدار ، وهو نكرة منصوبةٌ على التفسير للمقدار والخروج منه . [1]

* * *

وأما نحويو البصرة ، فإنهم زعموا أنه نصب « الذهب » لاشتغال « الملء » بـ« الأرض » ، ومجىء « الذهب » بعدهما ، فصار نصبهُا نظيرَ نصب الحال . ٢٤٦/٢ وذلك أن الحال يجىء بعد فعل قد شُغل بفاعله ، فينصبُ كما ينصب المفعول الذى يأتى بعد الفعل الذى قد شُغل بفاعله . قالوا : ونظير قوله : « ملء الأرض ذهباً » فى نصب « الذهب » فى الكلام : « لى مثلك رجُلاً » بمعنى : لى مثلك من الرجال . وزعموا أن نصب « الرجل » ، لاشتغال الإضافة بالاسم ، فنصب كما ينصب المفعول به ، لاشتغال الفعل بالفاعل .

* * *

وأدخلت الواو فى قوله : « ولو افتدى به » ، لمحذوف من الكلام بعدَه ، دلّ عليه دخول « الواو » ، وكالواو فى قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٥] ، وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين أرَيناه ملكوتَ السموات والأرض . فكذلك ذلك فى قوله : « ولو افتدى به » ، ولو لم يكن فى الكلام « واو » ، لكان الكلام صحيحاً ، ولم يكن هنالك متروك ، وكان : فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً لو افتدى به . [2]

* * *

(١) « التفسير » : هو التمييز ، ويقال له أيضاً « التبيين » ، والمميز هو : « المفسر والمبين » ، وقد سلف ذلك فيما مضى ٢ : ٣٣٨ ، تعليق : ١/ ٣ : ٩٠ ، تعليق ٢/ وانظر ما فصله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه: لن تدركوا ، أيها المؤمنون ، البرَّ = وهو « البر » من الله الذى يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجونه منه، وذلك تفضّله عليهم بإدخالهم جنته، وصرف عذابه عنهم.

* * *

ولذلك قال كثير من أهل التأويل « البر » الجنة ، لأن بر الربّ بعبده فى الآخرة، إكرامه إياه بإدخاله الجنة .[1]

• ذكر من قال ذلك:

٧٣٨٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن شريك، عن أبى إسحق، عن عمرو بن ميمون فى قوله: « لن تنالوا البر »، قال: الجنة.

٧٣٨٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن عمرو بن ميمون فى قوله: « لن تنالوا البر » ، قال : البر الجنة .

٧٣٨٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « لن تنالوا البر »، أما البر فالجنة .

* * *

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام : لن تنالوا ، أيها المؤمنون ، جنة ربكم = « حتى تنفقوا مما تحبون »، يقول: حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوَوْن أن يكون لكم ، من نفيس أموالكم ، كما : —

٧٣٨٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »، يقول : لن تنالوا برَّ ربكم حتى

(١) انظر تفسير « البر » فيما سلف ٢ : ٨/٣ : ٣٣٦ — ٣٣٨ ، ٥٥٦/٤ : ٤٢٥ .
وفى المطبوعة : « وإكرامه إياه » بزيادة « واو » ، وهو خطأ صوابه فى المخطوطة .

تنفقوا مما يعجبكم، ومما تهوَوْن من أموالكم .

٧٣٩٠ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر، عن عباد ، عن الحسن قوله: « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، قال : من المال .

* * *

وأما قوله : « وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم »، فإنه يعني به : ومهما تنفقوا من شيء فتتصدقوا به من أموالكم، [1] فإنّ الله تعالى ذكرُه بما يتصدّق به المتصدّق منكم ، فينفقه مما يحبّ من ماله في سبيل الله وغير ذلك — « عليم »، يقول : هو ذو علم بذلك كله، لا يعزُبُ عنه شيء منه، حتى يجازى صاحبه عليه جزاءَه في الآخرة ، كما : —

٧٣٩١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم » ، يقول : محفوظٌ لكم ذلك ، اللهُ به عليمٌ شاكرٌ له .

* * *

وبنحو التأويل الذي قلنا تأوَّل هذه الآية جماعةٌ من الصحابة والتابعين .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٩٢ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أنْ يبتاع له جارية من جَلولاء يوم فُتحت مدائن كسرى في قتال سَعد بن أبي وقاص، فدعا بها عمر بن الخطاب فقال: إن الله يقول : « لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون »، فأعتقها عمر = وهي مثل قول الله عزوجل: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [سورة الإنسان : ٨]،و﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [سورة الحشر : ٩] .

---

(١) انظر « ما » بمعنى « مهما » فيما سلف قريباً ص : ٥٥١ .

٧٣٩٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، مثله سواء .

٧٣٩٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن حميد ، عن أنس بن مالك قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، أو هذه الآية : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥/ الحديد : ١١] ، قال أبو طلحة ، يا رسول الله ، حائطي الذي بكذا وكذا صدقة ، ولو استطعت أن أجعله سرًّا لم أجعله علانية ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعلها في فقراء أهلك .[1]

٧٣٩٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك، قال: لما نزلت هذه الآية : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، قال أبو طلحة: يا رسول الله ، إنّ الله يسألنا من أموالنا ، اشهدْ أني قد جعلت أرضي بأريحا لله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعلها

---

(١) الحديث : ٧٣٩٤ — حميد : هو ابن أبي حميد الطويل .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٢١٧٠ ، عن يحيى بن سعيد القطان ، و : ١٢٨٠٩ ، عن محمد بن عبد الله الأنصاري ، و : ١٢٨٠٣ ، عن عبد الله بن بكر — ثلاثتهم عن حميد ، عن أنس ابن مالك (ج ٣ ص ١١٥ ، ١٧٤ ، ٢٦٢ حلبي) .

ورواه الترمذي ٤ : ٨١ ، من طريق عبد الله بن بكر ، عن حميد . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وذكره السيوطي ١ : ٥٠ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

وهو اختصار لرواية مطولة ، رواها مالك في الموطأ ، ص : ٩٩٥ — ٩٩٦ ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك .

ورواها أحمد في المسند : ١٢٤٦٥ (٣ : ١٤١ حلبي) ، من طريق مالك .

ورواها البخاري ٣ : ٢٥٧ ، ٥ : ٢٩٥ — ٢٩٧ ، و ٨ : ١٦٨ ، ومسلم ١ : ٢٧٤ — كلاهما من طريق مالك أيضاً .

وسيأتي عقب هذا ، مختصراً أيضاً ، من رواية ثابت عن أنس .

الحائط : البستان من النخيل إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار .

٢٤٧/٣ فى قرابتك . فجعلها بين حسان بن ثابت وأبىّ بن كعب .[1]

---

(١) الحديث : ٧٣٩٥ — حماد : هو ابن سلمة .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٤٠٨١ (٣ : ٢٨٥ حلبى) ، عن عفان ، عن حماد ، به ، نحوه .

ورواه مسلم ١ : ٢٧٤ — ٢٧٥ ، من طريق بهز ، عن حماد بن سلمة ، به ، نحوه .

ورواه أبو داود : ١٦٨٩ ، عن موسى بن إسمعيل ، عن حماد ، وهو ابن سلمة .

وذكره السيوطى ١ : ٥٠ ، وزاد نسبته للنسائى .

وقوله « بأريحا » — هكذا ثبت فى هذه الرواية فى الطبرى وليست تصحيفاً ، ولا خطأ من الناسخين هنا . بل هى ثابتة كذلك فى رواية أبى داود . ونص الحافظ فى الفتح : ٣ : ٢٥٧ ، على أنها ثابتة بهذا الرسم فى رواية أبى داود من حديث حماد بن سلمة .

ورواية مسلم « بيرحا » . واختلف فى ضبط هذا الحرف فيه وفى غيره ، اختلافاً كثيراً . ونذكر هنا كلام القاضى عياض فى مشارق الأنوار ١ : ١١٥ — ١١٦ ، بنصه . ثم نتبعه بكلام الحافظ فى الفتح ٣ : ٢٥٧ ، بنصه أيضاً :

قال القاضى عياض : « بيرحا ، اختلف الرواة فى هـذا الحرف وضبطه . فرويناه بكسر الباء وضم الراء وفتحها ، والمدّ والقصر . وبفتح الباء والراء معاً . ورواية الأندلسيين والمغاربة " بيرُحاَ " — بضم الراء وتصريف حركات الإعراب فى الراء . وكذا وجدتُها بخط الأَصيلى . وقالوا : إنها " بير " مضافةٌ إلى " حاء " — اسم مركب . قال أبو عبيد البكرى : " حاء " على وزن حرف الهجاء : بالمدينة ، مستقبلة المسجد ، إليها ينسب " بيرُحَاء " ، وهو الذى صححه . وقال أبو الوليد البَاجى : أنكر أبو ذَرّ الضم والإعراب فى الراء ، وقال : إنما هى بفتح الراء فى كل حال . قال الباجى : وعليه أدركتُ أهل العلم والحفظ فى المَشْرِق ، وقال لى أبو عبد الله الصُّورِى : إنما هو " بَيْرَحَاء " بفتحهما فى كل حال ، وعلى رواية الأندلسيين ضبطنا الحرف علَى ابن أبى جعفر فى مسلم . وبكسر الباء وفتح الراء والقصر ضبطناها فى الموطأ علَى ابن عتَّاب وابن حمدين وغيرهما . وبضم الراء وفتحها معاً قيَّده الأصيلى . وهو موضع بقبلىّ المسجد ، يعرف بقَصْر بنى حُدَيْلة ، بحاء مهملة مضمومة . وقد رواه من طريق حماد بن سلمة " بَرِيحا " . هكذا ضبطناه عن شيوخنا : الخُشَنِى ، والأسدى ، والصَّدَفِى — فيما قيَّدوه عن العذرى ، والسمرقندى ، والطبرى ، وغيرهم .

٧٣٩٦ — حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث قال، حدثنا ليث، عن ميمون بن مهران : أنّ رجلا سأل أبا ذرّ : أىّ الأعمال أفضل؟ قال : الصلاة عمادُ الإسلام، والجهاد سَنامُ العمل، والصدقة شىء عَجبٌ! فقال : يا أبا ذر، لقد تركتَ شيئاً هو أوثقُ عملى فى نفسى، لا أراك ذكرته! قال : ما هو؟ قال : الصّيام! فقال : قُرْبة، وليس هناك! وتلا هذه الآية : «لن تنالوا البر حتى تُنفقوا مما تحبُّون» [1]

ولم أسمع من غيرهم فيه خلافاً، إلّا أنى وجدتُ أبا عبد الله بن أبى نصر الحُميدىّ الحافظ ذَكَرَ هذا الحرف فى اختصاره، عن حماد بن سلمة — "بَيْرَحَاء" كما قال الصُّورى. ورواية الرازى فى مسلم، فى حديث مالك : "بَرِيحا". وهو وَهَم، وإنما هذا فى حديث حماد، وإنما لمالك "بيرحا" كما قيده فيها الجميع، على الاختلاف المتقدّم عنهم. وذكر أبو داود فى مصنفه هذا الحرف فى هذا الحديث — بخلاف ما تقدم، قال : "جعلتُ أرضى بأريحا". وهذا كله يدلّ على أنها ليست ببير».

وقال الحافظ : «وقوله فيه "بَيْرَحَاء" — بفتح الوحدة وسكون التحتانية وفتح الراء وبالمهملة والمدّ. وجاء فى ضبطه أوجُهٌ كثيرة، جمعها ابن الأثير فى النهاية، فقال : يروى بفتح الباء وبكسرها، وبفتح الراء وضمها، وبالمدّ والقصر. فهذه ثمان لغات. وفى رواية حماد بن سلمة "بَرِيحَا" — بفتح أوله وكسر الراء وتقديمها على التحتانية. وفى سنن أبى داود "بَارِيحَا" — مثله، لكن بزيادة ألف. وقال الباجى : أفصحها بفتح الباء وسكون الياء وفتح الراء مقصور. وكذا جزم به الصغانى، وقال : إنه "فَيْعَلَى" من "البَرَاح". قال : ومَن ذكره بكسر الموحدة، وظنّ أنها بئر من آبار المدينة — فقد صَحَّفَ».

وانظر الفتح أيضاً ٥ : ٢٩٦، ومعجم البلدان ٢ : ٣٢٧ — ٣٢٨.

(١) الخبر : ٧٣٩٦ — هذا خبر منقطع الإسناد، لأن ميمون بن مهران لم يدرك أبا ذر، أبوذر

٧٣٩٧ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن عمرو بن دينار قال : لما نزلت هذه الآية : « لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون » ، جاء زيدٌ بفرس له يقال له : « سَبَل » إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : تصدّق بهذه يا رسول الله . فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه أسامة بن زيد بن حارثة ، فقال : يا رسول الله ، إنما أردت أن أتصدّق به ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قُبلتْ صدَقتك .[1]

٧٣٩٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر عن أيوب وغيره : أنها حين نزلت : « لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون » ، جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبُّها ، فقال : يا رسول الله ، هذه في سبيل الله . فحملَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها أسامةَ بن زيد ، فكأنَّ زيداً وَجد في نفسه ، فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال : أما إن الله قد قبلها .[2]

* * *

مات سنة ٣٢ ، وميمون ولد سنة ٤٠ ، ومات سنة ١١٨ ، كما في تاريخي البخاري ، وتهذيب الكمال (مخطوط مصور) .

والخبر ذكره السيوطي ٢ : ٥٠ ، ولم ينسبه لغير الطبري .

قوله : « شيء عجب » — أثبتنا ما في المخطوطة ، والذي في المطبوعة والدر المنثور « عجيب » .

(١) الحديث : ٧٣٩٧ — هذا حديث مرسل ، لأن عمرو بن دينار تابعي .

داود بن عبد الرحمن العطار المكي : ثقة من شيوخ الشافعي . وثقه ابن معين ، وأبو داود ، وغيرهما .

عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث ، المكي النوفلي : ثقة . أخرج له الجماعة . وقد مضى في : ١٤٨٩ .

والحديث أشار إليه السيوطي ٢ : ٥٠ ، ولم يذكر لفظه ، ولم ينسبه لغير الطبري . وذكر قبله حديثاً « مثله » ، عن محمد بن المنكدر . وهو حديث مرسل أيضاً . ونسبه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

اسم الفرس : « سبل » — بفتح السين المهملة والباء الموحدة . ولم تنقط في المخطوطة ، ونقطت ياء تحتية في المطبوعة ، ورسمت « شبلة » في الدر المنثور . والصواب ما أثبتنا ، وهكذا جاء اسمها في كتب الخيل وفي الشعر .

(٢) الحديث : ٧٣٩٨ — هو حديث مرسل ، مثل سابقه

وقد ذكره السيوطي ٢ : ٥٠ . ونسبه لعبد الرزاق ، والطبري ، ولم ينسبه لغيرهما .

تم الجزء السادس من تفسير الطبرى

ويليه الجزء السابع ، وأوله :

القول فى تأويل قوله تعالى

« كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ »

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً وأوّله فصلاً .

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات

فهرس المصطلحات

فهرس الفرق

مباحث العربية والنحو وغيرهما

[ص ٢٩٤ س : ١٤ ، سقطت « فى » فى الطبع ، فتصحح]

- « الإدغام » إدغام « التاء » فى « الذال » و « الظاء » ، تدغم « التاء » فى « الذال » لتقارب مخرجهما ، وثقل إظهارهما على اللسان ، فتصيرًا « دالا » عدلاً بين « الذال والتاء » فى مثل « ادخر » و « ادكر » .
ومن العرب من يغلّب « الذال » فيقول : « مذّخر » . وكذلك يقول فى « ظلم » « اظّلم » و « اظلم » : ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

- « الاستفهام » يرادُ به الأمر ، نحو « فهل أنتم منتهون » ، بمعنى : انتهوا = وقولهم « أين ، أين » ؟ بمعنى : أقم ، فلا تبرح : ٢٨١

- « الاستفهام يجازى فيه كما يجازى فى الأمر ، نحو قوله : « أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا » وقولهم : « هل تقوم ؟ فإن تقم أكرمك » : ٢٨١

- « الإضمار » الإضمارُ ضعيفٌ لا يتمكّن فى كل مكان : ٢١٠

- تحريك ما كان ثانيه من الحروف الستة « حروف الحلق » مثل قولهم : « شعْر ، وشَعَر » : ٢٢٥

- « التذكير والتأنيث » ، العرب تفعل فى جماعة الذكور ، إذا تقدمت أفعالها ، فتؤنث أفعالها ، ولا سيما الأسماء التى فى ألفاظها التأنيث ، تقول : « جاءت الطلحات » : ٣٦٣ ، ٣٦٥

- العرب إذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها ، أنثته ، فقالت : « قالت النساء ، وجائز التذكير فى فعلها بناء على الواحد إذا تقدم فعله ، فيقال : « قال الرجال » : ٣٦٥

- « التصغير » دخول « التاء » فى التصغير ، فى مثل تصغير « ثدى » « ثدية » : ٤١٢ ، ٤١٣ .

- « التصغير » تصغير « فاعلة » على « فعيلة » إذا كان اسماً فى معنى فلان وفلان (أى العلم) مثل : « فاطمة » و « فطيمة » : ٣٨٥

- العرب إذا كررت ، وكان مع المكرّر خبر ، ترد المكرر على إعراب الأول مرة ، وتستأنفه ثانية بالرفع ، وتنصبه فى التامّ من الفعل والناقص ، نحو :

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ: رِجْلٌ صحيحة وَرِجْلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَان فشَلَّتِ

٢٣١ ، ٢٣٢

[في ص ٢٢٢ س: ٧ ، خطأ ، كتب : كنت كذلك رجلين – والصواب : كنت كذى رجلين ، فليصحح]

• الجمع ، الذى يكون فى معنى الواحد ، مثل : « ذريّة » : ٣٦٢

• « الجنس » المفرد الذى يراد به الجنس كله ، كقولهم : « ما أكثر درهم فلان وديناره » ، يراد به جنس الدراهم والدنانير : ١٢٥

• « حرف الجر » حذف حرف الجرّ فى مثل قوله : « رب ليلة قد بتّها ، وبتُّ فيها » وقوله :

مَا شُقَّ جَيْبٌ ولا قَامَتْكَ نَائِحَةٌ ولا بَكَتْكَ جِيَادٌ عِنْدَ أَسْلَابِ

بمعنى : ولا قامت عليك : ٤٢٦ ، ٤٢٧

• « الحكاية » يخرج الكلام معها أحياناً على الخطاب كله ، وأحياناً على وجه الخبر عن الغائب ، وأحياناً بعضه على الخطاب ، وبعضه على الغيبة : ٥٦٤

• « الحكاية » مثل قول الرجل : « مالى أنصار » ، فتقول : « أنا أنصارك » على الإفراد والجمع ، وقولهم : « دعنى من تمرتان » : ١٧٢

• « الصرف » المنع من الصرف فى « أُخر » ، وترك حرف « حمراء » ، وصرف جمعها « حمر » : ١٧٣

• « الصرف » ، « الإجراء » ، أسماء العجم لا تُجْرَى : ٣٤٧

• صرف الكلام من الخبر عن الغائب إلى المخاطبة ، لسبوق القول فى كلام خرج على وجه الحكاية : كقوله : « حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريحٍ طيبة » : ٤٦٤

• الصفات التى لا تثنى ولا تجمع ، مثل « عدل » : ٤٨٦ ، ٤٨٧

- توجيه معانى كتاب الله إلى الظاهر المستعمل فى الناس ، أولى من توجيهها إلى الخفى القليل فى الاستعمال : ٣٠٩ ، ٣١٧

- تأويل القرآن على ما كان موجوداً فى ظاهر التلاوة — إذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص — أولى من غيره ، وإن أمكن توجيهه إلى غيره : ٥٨٣

* * *

- لا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم ، إلى غيرها : ٦٥
- النقل المستفيض الذى يمتنع منه الخطأ ، حجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة : ٣١٧

- غير جائزة القراءة بحرف يخالف رسمه خطوط مصاحف المسلمين : ٢٩ ، ٩٤ ، ٣٤٨

- القراءة التى لا يجوز غيرها ، هى ما جاءت به قرأة المسلمين نقلا مستفيضاً ، من غير تشاعر ولا تواطؤ ، وراثةً ، وما كان مثبتاً فى مصاحف المسلمين : ١٢٧ ، ١٥٥

- كفى شاهداً على خطأ القراءة ، خروجها عن قراءة أهل إسلام : ٢٦٨

- اتباع خط المصحف ، مع صحة المعنى واستفاضة القراءة به ، أولى من خلاف المصحف : ٤٢٥

- لا تجوز القراءة بغير القراءة التى تظاهر النقل من القرأة بها : ٤٣٧

- ما اجتمعت عليه القرأة حجة ، وما انفرد به المنفرد عنها رأىٌ ، ولا يعترض بالرأى على الحجة : ٤٤٢

- لا يعترض بالشاذ على الحجة فى القراءة : ٨٠ ، ١٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٦٨